سماحة العلامة الشيخ

عبدالله بن محمد بن حميد

رئيس المجلس الأعلى للقضاء

في عيون محبيه وتلامذته

وبعض رسائله وآثاره العلمية

المولود ١٣٢٩هـ / المتوفى ١٤٠٢هـ

رحمه الله

تقديم:

معالي الشيخ د/ صالح بن عبدالله بن حميد

امام المسجد الحرام وخطيبه

ورئيس مجلس الشورى وعضو هيئة كبار العلماء

إعداد:

صلاح بن إبراهيم الزامل

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

ح صلاح إبراهيم الزامل ، ١٤٢٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزامل، صلاح إبراهيم سعد

سماحة العلامة عبدالله بن حميد في عيون محبيه وتلامذته و بعض رسائله وآثاره العلمية./ صلاح إبراهيم سعد الزامل.- الرياض ١٤٢٩هـ

٥٣٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٨ - ١٣٠ - ٥٩ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- ابن حميد، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز ٢ - القضاة السعوديون أ. العنوان

ديوي ٩٢٢,٨٥٤ ١٤٢٩/١٨٧

رقم الإيداع : ١٨٧ / ١٤٢٩
ردمك : ٨ - ١٣٠ - ٥٩ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

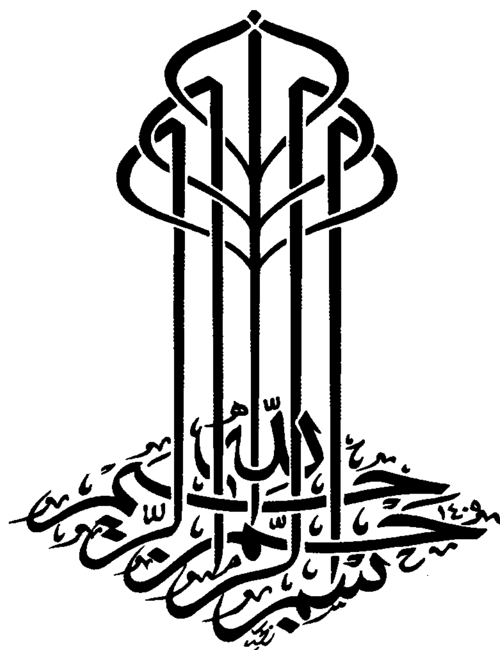
الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ

دار أبجد للدراسات والنشر

ص.ب ٤٥٧١١ - الرياض ١١٥٢٢

هاتف : ٢٤٨٤٥١٣


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدتي :

هيا

وإلى والدي

إبراهيم

وإلى أخي

فهد

رحمهم الله

وأسكنهم الفردوس الأعلى

وإلى زوجتي

أم إبراهيم

وأولادي واولاد أخي

فهد

أصلحهم الله وبارك فيهم

وحفظهم الله من كل سوء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.. أما بعد:

فقد رغب مني الأخ الفاضل الأستاذ البحاثة / صلاح الزامل كتابة مقدمة لكتابه / الشيخ عبدالله بن حميد في عيون محبيه وتلاميذه.

وهي رغبة كريمة كان لها وقع كبير في نفسي وبخاصة أن هذا الكتاب عن سماحة والدي رحمه الله.

ولا يخفى أن كتابة المقدمات لمؤلَّفات المؤلفين وبحوثهم وإنتاجهم ذات أبعاد وبواعث منها:

قد يكون في كتابة المقدمة نوع تزكية لكاتبها فكأن الكتاب أو البحث يشرف ويكمل بتصدر هذه المقدمات على صفحاته الأولى وكأنها تاج على هذا الإنتاج.

ومنها : كتابة المقدمة لا تخلو من حكم أو تقييم لهذا الكتاب أو الإنتاج الفكري وهذا فيه ما فيه لأن كاتب المقدمة أما أن يكون غير متخصص في موضوع الكتاب وقد يكون أهلاً للثقة لكنه لم يقرأ الكتاب قراءة الفاحص حتى تكون كلماته دقيقة في وصفها عادلة في ميزانها صادقة في متانتها واقعة موقعها.

ومنها: مقدمات واقعة موقعها ذات صلة بالكتاب ولها أثرها في رفع منزلة الكتاب والتعريف بها وبعضها فيه تقويم لكتاب الكاتب وفيها من الفوائد ما يكمل به الكتاب ويجمل ويسعد به القارىء ويحفل.

هذا ما بدأ لي من بواعث كتابة المقدمات ولكل وجهة هو موليها، ولكلٍ شرعة في هذا ومنهاج.

ومع كل هذا فان كتابة المقدمات عُرف سار عليه الناس، بل قد يستحب المؤلف والباحث استكتاب فرد أو مجموعة من العلماء والفضلاء ليقدموا لكتابه ويتكرم هؤلاء فيبادرون بالاستجابة إكراماً لطلبه واعتزازاً بثقته.

وعلى الرغم من أنه كثيراً ما يطغى العاملان الأولان على قناعاتي في كتابة المقدمات فأحجم عن تلبية رغبة بعض أهل الفضل والثقة إلا أن رغبة الأستاذ / صلاح تغلبت على هذه القناعات فأجبته إلى رغبته شاكرا ومقدراً حسن ظنه بأخيه.

ولقد قرأت ما جمعه كله فرأيت أنه قد أحسن الجمع والاختيار والترتيب. وهو إسهام يصب في نشر ما يتطلع إليه طلبة العلم والمحبون عن الوالد رحمه الله في سيرته وشخصيته وإنتاجه وعلمه وحياته.

وإني أجدها مناسبة لأقدم لكل محب للوالد «رحمه الله» من طلبة العلم والباحثين ودارسي الدراسات الإسلامية الاعتذار الشديد لتأخر الكتابة عنه رحمه الله والمسارعة في جمع تراثه وأعماله العلمية لتقديمها للطلاب لا سيما أنه «رحمه الله» كان شخصية علمية فذة في علمه وفقهه وعمله وإدارته وقضائه واحتسابه وحنكته وشدة ذكائه وحافظته ورجاحة عقله وحسن تدبيره وعلاقته الكبيرة مع الدولة والأمة علاقة العالم الفقيه الناصح ذي العقل الراجح النزيه قوي الشكيمة ولا سيما حين تستحكم الأمور وتنزل النوازل على مستوى الأمة والدولة وحينئذٍ فرأيه مقدم، وشخصيته مرجع، وقوله معتمد.

من أجل هذا كله فإن من حق الأجيال أن تعرف عن هذه الشخصية ما ينير طريقها، ويجلي لها القدوة في عالم الشرع الفقيه المستنير ذي المواقف

المتزنة التي تحفظ للعالم وللدولة وللمجتمع التوازن وضبط المسيرة وتحافظ على الاستقرار وتصون السلطان والمرجعية.

ومع هذا الاعتذار الذي لا بد منه فإني أحب أن يطمئن محبو الشيخ والباحثون عن تراثه وأعماله أن الصبح بإذن الله قريب لخروج ذلك كله ليكون في أيديهم وسوف يكون ذلك في عدة صور.

١- إخراج إنتاجه وتراثه كاملاً إن شاء الله من فتاوي وبحوث ومقالات.

٢- جهود مباركة قام بها بعض الباحثين والكاتبين جزاهم الله خيراً، فجمعوا بعض ما تيسر لهم جمعه من تراث الشيخ.

٣- تسجيل رسائل علمية على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعات المملكة منها:

أ - رسالة في اختيارات الشيخ الفقهية وآرائه في القضايا المعاصرة.

ب - رسالة في جهود الشيخ في العقيدة والتوحيد.

ج - رسالة في جهود الشيخ في التربية.

ويأتي كتاب الأستاذ / صلاح الزامل من النوع الثاني وقد أحسن - أثابه الله - في جمعه واختياره وترتيبه وتمكن من نظم عقود وقلائد من المقالات والرؤى والانطباعات عن الشيخ «رحمه الله»، شعراً ونثراً مما يعطي صورة ذات تكامل عن الشيخ في علمه وفقهه وعقليته المبدعة المستنيرة المتفهمة لعصرها ومتغيراته ومستجداته والمتعاملة مع هذه المتغيرات بما يمكث في الأرض وينفع الناس.

واحب ان انبه في هذا التقديم إلى مسألة كثيراً ما تحفل بها كتب السير والتراجم وتتسامح في تدوينها وقد حدثت في هذا الكتاب المبارك من استكتبهم الاستاذ صلاح أو تلقى عنهم، ولكن انه قد سجل في كتابه القيم هذا تسجيلات ودون مدونات لبعض محبي الشيخ ومجالسيه وزواره وتلاميذه

ضمنت هذه التسجيلات والمدونات اشياء مفيدة وتدوينات مهمة وذكريات مع الشيخ عطرة فيها من العبر والفوائد العلمية والوقائع النادرة والنوادر عن الشيخ «رحمه الله» ما كانت لتعرف أو تحفظ لولا هذه المبادرات من هؤلاء الأفاضل وحسن ترتيب الاستاذ / صلاح ودقته وحسن متابعته وتتبعه.

غير ان القارىء سوف يجد بعض القصص والوقائع المنسوبة للشيخ تحتاج إلى مزيد تحرير، إما إلى التحقق من صحة وقوعها وإما إلى الدقة في تدوينها مبالغة في الوصف أو اختصاراً في الأحداث. وبعضها لا نعرفه عن الشيخ «رحمه الله» ولم يذكرها لنا ولم نسمع بها في حياته وبعضها لم يثبت كحادثة سرقة الشماغ وغيرها.

ووقوع مثل هذا وحكاية مثل هذه القصص والأحداث ونسبتها إلى الشخصيات الكبيرة ورجالات الدنيا من العلماء والحكام والولاة والكبراء شيء معروف في التاريخ وكتب السير والتراجم والطبقات. وسبب ذلك ومصدره عظم الشخصية وكبرها في اعين الناس وشدة اعجابهم بها ووقوع مثل هذه النوادر منها وكذلك معقولية نسبة ما لم يحدث اليها لانسجامه مع هذه الشخصية في علمها أو ذكائها أو قوة شخصيتها أو حسن تصرفها في المواقف أو غير ذلك من المزايا البارزة لتلك الشخصية وما تميزت به وعرفت به.

ومن اجل هذا فلعل من يطلع على مثل هذه الوقائع في هذا الكتاب أو غيره ان يستحضر مثل هذه الأمر.

ولم نرغب التدخل فيها بتعليق أو غيره نظراً لأن كتب التاريخ والسير والتراجم تقبل مثل هذا.

وهي أمور وقصص واحداث لا يبنى عليها عمل أو أحكام وانما هي نوع من الرغبة من أصحاب المسامرات ورواة الأخبار في اعطاء مزيد تصوير واضفاء صور على هذه الشخصية بناء على ما تحكيه هذه القصة أو الحادثة من درس أو عبرة.

والشخصيات الكبيرة تبقى محافظة على مقامها وقامتها ومنزلتها سواء ثبتت هذه القصص والوقائع أو لم تثبت.

ولعل من المناسب في آخر هذه الكلمة أن أذكر للقارىء الكريم ما يتيسر من المصادر التي تكلمت عن الشيخ «رحمه الله».

١- روضة الناظرين ومآثر علماء نجد وحوادث السنين، الجزء الثاني، ص ٥٥، الأستاذ محمد بن عثمان القاضي.

٢- علماء نجد خلال ثمانية قرون، ص ٤٣١-٤٤٥، للشيخ عبدالله البسام «رحمه الله».

٣- تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي، الجزء الثاني، للشيخ عبدالله الزهراني.

٤- قادة الفكر الإسلامي، لعبدالله بن سعد الرويشد.

٥- شخصيات في الذاكرة، عبدالله سالم الحميد.

٦- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد والسعودية، للأستاذ محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل.

٧- مقالة عن الوالد «رحمه الله» نشرت بمجلة الدار بمناسبة المئوية في شوال عام ١٤١٩هـ، عنوانها الشيخ عبدالله بن حميد والعدد عن رواد في تاريخنا.

٨- من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، المستشار عبدالله العقيل.

٩- ذيل الأعلام الجزء الثاني، لأحمد العلاونة.

١٠- سماحة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في عيون محبيه وتلامذته، للأستاذ صلاح بن إبراهيم الزامل وهو هذا الكتاب.

١١- أعلام وعلماء عايشتهم ص ٢٧-٢٨، للشيخ إسماعيل العتيق.

١٢- المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم/ج/٤/٢٥٠-

٣١٠، للشيخ إبراهيم السيف.

١٣- مقالة بمجلة الدعوة للأستاذ / سليمان الرواف «رحمه الله»، عدد رقم ٨٦٣ وتاريخ ١٤٠٢/١٢/٢٤هـ.

١٤- جريدة الجزيرة الموافق ١٤٠٢/١١/٢٥هـ مقال للأستاذ/ حمد القاضي.

١٥- جريدة الجزيرة الموافق ١٤٠٢/١١/٢٥هـ مقال بقلم/ عبدالعزيز البابطين عدد رقم ٣٦٥٣.

١٦- جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٧هـ العدد رقم ٣٦٥٩ بقلم/ ثنيان الثنيان.

١٧- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٢هـ، العدد رقم ٣٦٥٩ بقلم / عبدالرحمن بن سبيل.

١٨- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٤هـ العدد ٣٦٦٢، سعد الرويشد.

١٩- مجلة الدعوة بتاريخ ١٤٠٢/١٢/١٦هـ، بقلم/ إبراهيم السيف.

٢٠- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/١٦هـ بقلم عبدالعزيز الفارس.

٢١- المجلة العربية، عام ١٤٠٨هـ شهر شوال العدد ١٢٩ - بقلم الشيخ أبوعبدالرحمن الظاهري.

٢٢- جريدة الجزيرة عدد رقم ٣٦٥٠ بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٢هـ بقلم د. توفيق السديري.

٢٣- جريدة الجزيرة عدد رقم ٣٦٦٦ بتاريخ ١٤٠٢/١٢/٤هـ بقلم / عمر بن محمد الغيهب.

٢٤- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٤ عدد رقم ٣٦٦٦ بقلم / عبدالعزيز المشعل.

٢٥- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١١/٢٢هـ بقلم الشيخ حمد الفريان.

٢٦- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١١/٢٢هـ بقلم الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، العدد رقم ٣٦٥٠.

٢٧- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١١/٢٢هـ العدد رقم ٣٦٥٠ بقلم عبدالرحمن بن فايز الحربي.

٢٨- جريدة عكاظ بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٣هـ عدد رقم ٥٩٤٧ بقلم الأستاذ/ بدر كريم.

٢٩- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٣هـ بقلم الشيخ/ عبدالله خياط «رحمه الله».

٣٠- اتحاف النبلاء بسير العلماء، راشد الزهراني.

٣١- لقاء بمجلة التضامن الإسلامي، السنة ٩ ج٧، أجرى اللقاء/ عمر حلوني في محرم ١٤١٢هـ.

٣٢- جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٢٢هـ بقلم/ عبدالرحمن التركي.

٣٣- من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر/ ج١ للحازمي.

٣٤- معجم المطبوعات العربية «السعودية» ج١ للأستاذ علي جواد الطاهر.

٣٥- تذكر أولى النهى والعرفان، ج٥ / للشيخ إبراهيم بن عبيد «رحمه الله».

٣٦- رجال وراء جهاد الرابطة.

٣٧- اختيارات الشيخ عبدالله بن حميد الفقهية وآراؤه في مسائل معاصرة ورسالة دكتوراه الدكتور محمد بن عبدالرحمن المقرن.

٣٨- مهمة الشيخ عبدالله بن حميد في الدعوة إلى الله (رسالة ماجستير) الشيخ/ محمد بن حسين الشيعاني.

وصلى الله على نبينا محمد وأله وصحبة وسلم

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

وكتبه

صالح بن عبدالله بن حميد

امام المسجد الحرام وخطيبه

رئيس مجلس الشورى

وعضو هيئة كبار العلماء ١٤٢٨/٦/٨هـ

المقدمة

الحمدلله القائل في محكم التنزيل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر الآية ٢٨ والقائل ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨ والصلاة على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

لا شك ان العلماء الربانيين هم الذين يتجسد علمهم خلقاً وسلوكاً وعبادة في كل حركاتهم وسكناتهم، وان العلماء الربانيين وخصوصاً في هذا العصر المليء بالفتن والحرب على الإسلام من خارج بلاده ومن الداخل!! نحن بحاجة ماسة إليهم أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب، ذلك ان الناس يجدون ضالتهم وبغيتهم المنشودة في العالم الرباني الذي هو وريث الأنبياء والمرسلين وأكرم به من أرث خالد باقي ما بقيت الدنيا بل هو السبب الرئيسي لسعادة الدارين.

وان وجود العلماء العاملين بأرث الرسل والأنبياء لهو رحمة من الله عز وجل ونعمة فهم الذين يُبينون الحقائق ويزيلون الشبه ويردون الأباطيل ويدحضون الأكاذيب والخزعبلات ويصححون المفاهيم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويهدون الضال ويرشدون الحيران ويصدعون بأمر الله لا يخافون لومة لائم واقرأ إن شئت قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (٣٩)﴾ سورة الأحزاب.

ويقول الرسول ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له: ينفون عنه

تحريف الغالين وأنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1] والاحاديث الصحيحة وآثار السلف الصالح في فضل العلم وأهله كثيرة جداً ويكفينا في ذلك كتاب جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب الإمام يوسف أبن عبدالبر النمري ت- ٤٦٣ هـ «رحمه الله» فقد جمع فأوعى وبلغ غاية المنتهى في حشد الأدلة من الكتاب والسنة واقاويل السلف الخيّر رحمهم الله تعالى.

وأنني حين أقدم للقارىء والقارئة الكريمين هذا الجمع من مقالات وتراجم سيرة شيخنا المجاهد شيخ المشايخ العلامة عبدالله بن محمد ابن حميد «رحمه الله» تعالى فلا ريب ان صفات العالم الرباني قد أنطبقت عليه تماماً وتمثلت في شخصه، أحسبه كذلك والناس شهداء الله في أرضه، كما نطق بذلك من لا ينطق عن الهوى سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

فهذه الجمهرة من الناس العامة وطلبة العلم والعلماء خاصة قد اعلنوا ثناءهم لهذه الشخصيّة في حياته في مجالسهم وبعد مماته من خلال هذه الصفحات التي سوف تقرأها في هذا الكتاب سطرّتها أقلام من التلاميذ الأوفياء ومحبون بررة لم تجمعهم بالشيخ ألا محبته في الله عز وجل وهي المحبة الخالدة الصادقة.

أنني منذ أن عشقت الكتاب وهمت في عالم القراءة والبحث وحب الأطلاع على جميع الثقافات القديمة والحديثة « ولا زلت في أول الدرب والخطوات الأولى. » أحببت من بين هذه العلوم المتنوعة من أبواب العلم علم السير والتراجم. هذا العلم الذي يعد باباً من أبواب التاريخ. قرأت الكثير من التراجم القديمة والحديثة والمعاصرة فأجد أحياناً أنه يوصف هذا العلم أو تلك الشخصيّة أنه علمه أكبر من عقله أو عقله أكبر من علمه، فالعقل

(١) أنظر مشكاة المصابيح ج ٢٥٨/١ والحديث متكلم في اسناده بكلام كثير وقد أخرج الحديث العجلي في الضعفاء ٢٥٦/٤ وابن عدي في الكامل ٩٠٤/٣ من حديث إبراهيم ابن عبدالرحمن العذري مرفوعاً.. وقد أفاض الأستاذ الباحث أحمد راتب عرموش في ذكر حال سنده في تحقيقه لكتاب تهذيب الأسماء واللغات من ٧٦-٧٧.

وحده لا يكفي بدون علم وهدى وبصيرة وعلم بدون عقل لا يفيد [1] بل يفد صاحبه وبمن حوله فقد يكون المرء موسوعة تختزن ذاكرته الكثير من العلوم والمعارف، لكن عقله أصغر بكثير مما في راسه من العلم، فهنا يكون التخبط وعدم استغلال النعمة فيما يحمد وينفع الأنام.

والعقل والرأي الحكيمان لا شك أنهما هما اللذان سوف يسخران العلم إلى ما تحمد عقباه. والقلة القليلة من الأشخاص الذين رزقهم العلم الغزير والعقل الكبير.

والمتتبع لشخصيتنا العلامة عبدالله بن حميد «رحمه الله» من خلال ما سوف يقرأه في هذا الكتاب أو سمعه من الناس يجد أن الله رزق الشيخ العقل المستنير الذي توزن به الجبال الراسيات. وأقول هذا القول وأنا لست ممن يبالغ في القول أو يجازف في الوصف فالدهاء صفة من صفات الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» الذي تغلّب على أعقد القضايا والمشاكل القضائية وغيرها من مشاكل الناس المتنوعة والهموم الأخرى فأوجد لها الحلول المناسبة، هذا مع أنه بحر من بحور العلم وركن من اركان الفتوى في العالم الإسلامي، فالشيخ رُزق النعمتان، العقل والعبقرية الفذة والعلم الغزير المستمد من الكتاب والسنة على منهاج السلف الصالح.

وهناك مقالة لأحد العلماء الحكماء وهي، أن قنطار من العلم يحتاج إلى تسعة من قناطير العقل وصدق الله هذا العالم الحكيم فالرجل العالم يحتاج إلى عقل وحكمة لأن الناس تنظر إليه بعين القدوة والأستفادة من آرائه والأستنارة من تجاربه الحياتية وخبرته العميقة بأحوال الناس لأنه حينما يصدر منه رأي في حادثة أو واقعة تكون عن رؤية ذات أفق بعيد ومستنيرة وفهم ليس ارتجالياً بل هو امتداد لخبرة ازليّة وثريَّة.

---

(١) كلاهما محتاج إلى الآخر، فالعقل وحده لا يكفي والعلم كذلك.

والآن وأنا أكتب أسطر هذه المقدمة وشيخنا ابن حميد قد مضى على وفاته ست وعشرون سنة، عقدان ونصف من الزمن، رحل الشيخ ولكنه باقي في ذاكرة الأوفياء والبررة من محبيه وتلامذته، والباقي والخالد هو أجره الدائم وهو في قبره «رحمه الله»، لقد انقطعت أعمال الشيخ كلها في هذه الدنيا ولم يبق له عمل سوى آثاره العلميَّة وهي تشمل تلامذته الذين درّسهم ورباهم حتى أصبحوا طلبة علم، ولا يزال في وقتنا الحاضر منهم أناس على قيد الحياة فكل علم نافع ينشره هؤلاء التلاميذ فالشيخ له نصيب منه ان شاء الله عز وجل، هذا إلى جانب مؤلفاته التي نشرها في حياته وطبعت بعد وفاته. ولا ننسى الدعاء حينما يسمعون صوته من خلال اذاعة القرآن الكريم تبث فتاواه المسجلة، فيترحم عليه من يترحم من المسلمين، وهذا كذلك ينفعه بعد مماته.

وهذا الجمع لسيرة شيخنا «رحمه الله»، أحببت من خلاله المشاركة بشيء ولو كان هذا بحق الشيخ يعد شيئاً قليلاً جداً فمكانة الشيخ عظيمة في نفوسنا ونفوس الناس كبيرة، فهو قامة من قامات العلم، وهو كما يقال جهد المقل.

جمعت المقالات التي كُتبت ابان وفاته في صحفنا المحليَّة، وللأسف الشديد أنني صدمت حينما كنت أتصفح أرشيف الجرائد وبعض المجلاَّت حيث أنني لم أجد شيئاً عن الشيخ سوى نزر قليل من مقالات معدودة على الأصابع بل بعض المجلات لم تكتب حتى ولو خبر عن وفاة الشيخ، وكنت أتوقع ان صحفنا سوف تفرد صفحة أو صفحات عن الشيخ بعد مماته وتستطلع آراء وانطباعات العلماء وطلبة العلم والدعاة والأدباء عن الشيخ وخصوصاً تلامذته وهم كانوا في ذلك الوقت عام ١٤٠٢هـ لا يزالون كلهم أو أغلبهم على قيد الحياة، وهي فرصة كبرى وثمينة لصحفنا!! وأنا أعتقد أن عند تلامذته وعارفيه الشيء الكثير عن حياة الشيخ وسيرته، لكن صحفنا

لم تفعل بل كانت في واد، ووفاة الشيخ في وادي آخر. وهذا مما يحز في النفوس ويضيق به الصدر، وإن كانت هذه الكتابات الصحفية لن تنفعه بعد مماته، لكن هذا اعتبره أنا كصحفي عملت في الصحافة واجباً تفرضه ابجديات الصحافة ان يكون هناك أحد أعمدة ورموز العلم والفتوى، يرحل ولا تُفرد له صفحات أو أعمدة أو زوايا، وهو الحد الأدنى للواجب الصحفي.

جريدة الجزيرة التي كانت في ذلك الزمن كانت هي التي كان لها نصيب الأسد في استكتاب بعض العلماء والأدباء للكتابة عن الشيخ وافردت صفحة كاملة بعد وفاته بيومين وهو يوم الجمعة الموافق ١٤٠٢/١١/٢٢هـ أكثر هذه المقالات جمعتها من جريدة الجزيرة الصحيفة، التي كانت في سنوات الطفرة هي الصحيفة الأولى والشعبيَّة في المملكة، فالشكر والتقدير لموقف الجزيرة النبيل ممثلة برئاسة تحريرها [١] والطاقم التحريري وهو عمل يحسب لها في تاريخ الصحيفة.

الشيء الثاني، كتب التراجم والسير فهي كذلك ليست بقليلة، فكتب التراجم السعودية أغلبها قد كتبت عن الشيخ، منهم الموجز والأخرون فصلو كلٌ على حسب ما توفر لديه من معلومات، وبحسب قربه أو بعده من الشيخ أو تلامذة الشيخ.

وحاولت بقدر الأمكان أن تكون كل ترجمة للشيخ، ان تكون فيها نوع فائدة أو معلومة جديدة عن الشيخ، وان كان هناك بعض التكرار في المعلومات الأساسية لحياة الشيخ الوظيفيَّة، وبعض مراحل حياة الشيخ وحياته العلميَّة. لذلك أستبعدت تراجم ترجمت للشيخ لم يكن هناك ثمة فائدة تذكر في هذه الترجمة، وبعضها سطور عن حياة الشيخ.

(١) رئيس تحريرها في ذلك الزمن هو الأستاذ والأديب والصحفي خالد المالك، وقد عاد إلى الجزيرة مرة أخرى والعود أحمد وفقه الله.

هذا هو عملي الرئيسي في هذا الجمع، وأما ما يتفرع من ذلك فيتلخص كالتالي أولاً:- كتبت ما أعرفه عن حياة الشيخ، ما خلد في الذاكرة من سنوات مضت عن طريق بعض العلماء والمشايخ في مجالسهم، ووضعت لمقالتي هذه عناوين كما سيمر بالقارىء.

ثانياً : - قابلت بعض المشايخ الذين كانت لهم صلة بالشيخ، سواء عن طريق التلمذة أو الصداقة أو عن طريق العمل.

ثالثاً: - ترجمت لاصحاب المقالات والتراجم بحسب ما توفر لديَّ من مصادر ومراجع أو معلومات بالروايّة، وهي تراجم موجزة ولعله ان يكون فيها فائدة للقارىء.

رابعاً : - خرجت بعض الأحاديث، وهي قليلة وخصوصاً التي فيها خلاف في الصحة أو الضعف، كذلك تطرقت لبعض المسائل الفقهيَّة، طارحاً بعض آراء العلماء فيها، فضلاً عن بعض الهوامش والتعليقات التي رأيت من المناسب أن أثبتها، وهي هوامش متنوعة كذلك ترجمت لبعض الأعلام الواردة اسماءهم في ثنايا الحديث.

خامساً : - الحقت في آخر الكتاب، نماذج من وثائق الشيخ القضائية[1] وفتاواه ورسائله ومقالاته، التي نشرت له بالصحف المحلية وبعض المجلات المحلية والخليجيَّة، وبعض مراسلاته العلمية.

وفي حقيقة الأمر أود من خلال مقدمتي، أن اشكر معالي شيخنا العالم والخطيب المفوه معالي د : صالح بن عبدالله بن حميد حفظه الله رئيس مجلس الشورى وعضو هيئة كبار العلماء، فله الفضل الكبير بعد الله عز وجل في نشر هذا الكتاب على هذا الوجه الطيّب والحسن، وتقديمه لكتابي

(١) أشكر الأخوة الكرام الباحثين، الأستاذ هشام العيفان، والأستاذ عبدالله العسكر والأستاذ / راشد العساكر على ما بذلوا ليَّ من وثائق جزاهم الله خيراً.

أعتبره وسام شرف ليَّ ما عشت في هذه الحياة، وأعتز بهذه الكلمات التي دبجتها يراعة صاحب القلم السيَّال المتدفق أشراقاً واضاءة وعذوبة وسلاسة، معالي شيخنا حفظه الله ونفع الله به.

فهذه الأسطر التي حبرّها معالي شيخنا صالح، توجت هذا الكتاب بتيجان ثمينة نبعت من مكارم أخلاق شيخنا صالح حفظه الله، وليست هذه الأخلاق والسجايا الفاضلة بغريبة في شخصه، فهو فرع دوحة العلم والخلق العالي، فشيخنا نشأ وترعرع في بيت من بيوت العلم، تصدر المعرفة وتنشر الخلق الكريم بين الناس، وتربى على الهدي النبوي والسنة المطهرة، بيت الشيخ العلامة عبدالله بن حميد، اسكنه الله الفردوس الأعلى، استمد شيخنا صالح هذه الأخلاق من أبيه قبل العلم والمعرفة والعلوم الأخرى.

دون هذه المقدمة الشريفة، وأنا أعلم علم اليقين كثرة مشاغله وارتبطاته اليومية وبرنامجه الملىء حفظه الله، لكنه وهب ليَّ من وقته الشيء الكثير أولاً في قراءة هذا الكتاب، من بابه إلى محرابه، بدقة متناهية أفادتني هذه الدقة بملاحظات وتوجيهات ونصائح أسدها إلىَّ، وهي بمثابة الهدايا فكان هذا الكتاب محل عنايته وأهتمامه، منذ ان تسلمه بيده حتى استلمته منه وكتب مقدمته، لقد ملكني معالي الشيخ صالح بتواضعه وقمة نبله، ليس معي فقط، بل كل من قابله أو رآه يكون عنده هذا الأنطباع عن معالي الشيخ، وقد اهدى إليَّ معالي شيخنا صالح النص المكتوب للمحاضرة التي القاها في جامعة أم القرى وعنوانها (الإبداع والتحديث في فكر الوالد)، كذلك زودني بنماذج في بعض الصحف المحليَّة والمجلات، وهذا كذلك فضل لا أنساه منه.. فشكره الله له وادام عليه الصحة والعافية.

وختاماً أمل أن يكون في جمعي هذا، أنني قدمت شيئاً للقارىء والقارئة عن حياة شيخنا العالم عبدالله بن حميد «رحمه الله»، وان يكون فيه نفع

وفـــائدة، وألا يبـــخل عليّ من رأى في هذا الجـــمع أي خطأ أو أغـــلاط، بأن يراسلني أو يتصل بي، وأكون شاكراً له وممتناً.

وأخر دعوانا: ان الحمدلله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

صلاح بن إبراهيم الزامل

١٤٢٨/٦/١٠هـ صبيحة يوم الأثنين
الرياض ص.ب ٢٧٥٨٨ / الرمز :- ١١٤٢٧
ج - ٠٥٠٤٤٢٠٥٧٠
المأذون الشـرعي

الإبداع والتحديث في فكر الوالد

الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد - رحمه الله - وعمله

بقلم :
معالي الشيخ د: صالح بن عبدالله بن حميد (١)
رئيس مجلس الشورى
وعضو هيئة كبار العلماء

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد : -

فكتابة الابن عن والده وتدوينه ذكرياته عنه شيء من العسير تحديده أو جمع أطرافه بل الإحاطة به، ليس لتميز شخصية الوالد - رحمه الله - فقط ولكن لأن كتابة الذكريات والمذكرات بين والد وابنه لا تعني الحديث عن شخصية الوالد وسيرته ومسيرة حياته ولكنها تعني -

١) ● تاريخ الميلاد: ١٣٦٩هـ، بريده. ● الشهادات العلمية: دكتوراه في الفقه وأصوله ١٤٠٢هـ، - ماجستير في الفقه وأصوله ١٣٩٦هـ - بكالوريوس في الشريعة ١٣٩٩٢هـ، ● جهة العمل: رئيس مجلس الشورى، ● الوظائف التي عملت بها: - معيداً في كلية الشريعة بجامعة أم القرى، - محاضراً، - أستاذاً مساعداً، - رئيساً لقسم الاقتصاد الإسلامي، - رئيساً لقسم الدراسات العليا المسائية، - وكيلاً لكلية الشريعة للدراسات العليا، - عميداً للكلية، - إماماً وخطيباً للحرم المكي الشريف في ١٤٠٤/١/١هـ - عضواً في المجلس الأعلى للمساجد في رابطة العالم الإسلامي. - نائباً للرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بتاريخ ١٤١١هـ، - عضو مجلس الشورى في الفترة ١٤١٤ - ١٤٢١هـ، - رئيساً عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في ١٤٢١/١١/١٢هـ. - عضو هيئة كبار العلماء في ١٤٢٢/٣/٦هـ، - رئيساً لمجلس الشورى منذ تاريخ ١٤٢٢/١١/٢٤هـ ● العنوان الدائم : - المملكة العربية السعودية، الرياض، مجلس الشورى.

ويجب أن تعني - الحديث عن علاقة أسرية في مادياتها ومعنويتها في وشائجها وتداخلها، فلا يتصور أن تتحدث عن الأب بأنفصال عن الأم وعن الإخوة والأخوات والتصرفات في المنزل ومجريات الأحداث فيه، ذلك أن المقصود حرص الكاتب إعطاء صورة صحيحة دقيقة حية متكاملة قدر الإمكان وبقدر ما تسعف الذاكرة وتساعد العبارة ويبرز التصوير. ناهيكم إذا كانت هذه الشخصية هي شخصية الوالد الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» الذي كان ملء السمع والبصر في بلده ودولته وأهله في حله وترحاله وسفره وإقامته في منزله ومسجده وفي حلقته ومحكمته في الشأن السياسي والاجتماعي في العلم والقضاء والحسبة والفتيا، بل كل حياته حيوية وكل حياته محل نظر وتفكر، بل محل إعجاب ومتابعة من قبل كل من عرف الشيخ من قريب أو غريب من الداخل أو الخارج.

ولهذا فليعذر القارىء الكريم إن عجز القلم أو قصرت العبارة أو ضعف التصوير عن إعطاء صورة صافية عن هذه الشخصية العلمية الدينية المتميزة بذكاء خارق وعقلية كبيرة وذاكرة حديدية بهرت كل معاصريه.

والمقام لا يتسع للحديث عن كل جوانب هذه الشخصية، وأرجو أن يسعف الزمان للحديث عن ذلك كله مستقبلاً. ولكن رأيت أن أقصر الحديث عن القدرة الإبداعية في شخصية الشيخ ومواكبته لعصره بشكل ملفت للنظر، كما سوف ترى على الرغم من أن المعروف أن الشخصيات الدينية تتميز بما يسمى بالمحافظة والبطء في استيعاب الجديد ومواكبته، وإن كان لدى محدثكم تحفظ على مصطلح «المحافظة» وسوف أحاول تجلية شخصية الشيخ المستنيرة الواعية

المبدعة من خلال العناصر الآتية:

١ - طريقته في التعليم.

٢ - اطلاعه على الثقافة الجديدة.

٣ - طريقتاه في الوعظ والإرشاد والتوجيه (التجديد في كتابة النصائح).

٤ - اجتهاداته الفقهية.

٥ - خطبه العصرية ومراجعه العصرية.

٦ - الكتابة في الصحف والمجلات منذ وقت مبكر جداً.

٧ - معهد الحرم المكي (الجمع بين التعليم النظامي والحلقات).

٨ - إنشاء المكتبة (فكرة وبناء).

٩ - إعادة بناء الجامع الكبير بالخرسانة المسلحة - ومكبر الصوت (الميكرفون).

١٠ - النزهة البرية في يوميها (الرجال والنساء).

١١ - مواقف ومعالم في تربيته لأولاده / تعليم الخطابة، قرض الشعر وتقطيعه، توزيع الحلوى.

١ - طريقته في التعليم

في البداية اترك الحديث لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي وهو ممن لازم الشيخ من أول وصوله إلى منطقة القصيم والشيخ «رحمه الله» كان في عنفوان شبابه وقمة حيويته وعطائه العملي يقول الشيخ العبودي حفظه الله:

«يعد الشيخ عبدالله بن حميد بحق مجدداً للنهضة العلمية في القصيم (١)

ويقول: وكان الدرس المعتمد في طريقته طريقة متميزة في القصيم، بل ربما يكون في نجد كلها. أما الطريقة المتبعة في الدروس عموماً فهي،

(١) عميد الرحالين ص ٩١.

أن أحد طلبة العلم يقرأ ويستمر في القراءة والشيخ يستمر ويُسمع الآخرين، ثم إذا حصلت مسألة أو نقطة تحتاج إلى شرح شرحها الشيخ ولكنهم لا يرجعون إلى الكتب، لأن الشيخ يشرح بما يستطيع من علمه، لكن الشيخ بن حميد كان يأمر بالرجوع إلى الكتب حتى لا تبقى هذه المسألة غامضة في أذهان الطلبة، وحتى في ذهنه هو لأنه يقول أن الرجوع إلى الكتب فيه فائدة كبيرة، لأنه يفيدنا ويفيد الطلبة.

ثم يصف العبودي شيخه ابن حميد ويقول: «كانت القراءة على الشيخ عبدالله بن حميد فتحاً عظيماً لي من الله سبحانه وتعالى، فقد كانت له طريقة خاصة في التعليم مغايرة للطريقة التي يعرفها الناس سابقاً، وهي طريقة «الإمرار».

والإمرار أن يُمِرَّ الكتاب أي أن يستمر، ويبدأ الإمرار بكلمة (سم)[1] وينتهي بكلمة (بركة). وكلمة (بركة) يقولها الشيخ إذا استمر طالب العلم يقرأ عليه وأراد أن يوقفه قال له: (بركة) أي: قف.

وكان - أي الشيخ بن حميد - يناقش الطلاب ويشرح لهم ما أشكل عليهم، ويسألهم في المسائل العملية، بل لقد استطاع أن يقدم مقررات لطلبة العلم شهرية خاصة، كان ينالني - والكلام للعبودي - منهما اثنا عشر ريالاً، وأعلى شخص كان يأخذ ثمانية عشر ريالاً، وهما اثنان فقط، ثم ينزلون إلى نحو ريالين.

لذا كانت طريقة الشيخ ابن حميد ومنهجه مع طلبة العلم وسيلة جذب مهمة، أعجبت الطلاب، وجعلت الدروس أكثر عمقاً وجدية ومنهجاً وتحصيلاً.

(١) سم: فعل أمر من التسمية، والمراد: أقرأ مبتدئاً باسم الله، أي سمِّ الله في أول القراءة، وبركة يقولها الشيخ مخاطباً القارىء، أي يكفي فما قرأته فيه الكفاية والبركة.

وفتح «رحمه الله» آفاقاً رحبة للنقاش والحوار والمساءلة، مما جعل الطالب يخرج بنتيجة مقنعة في المسائل المطروحة.

إضافة إلى دور الشيخ ابن حميد في المجال القضائي، فقد أوجد تنظيماً جديداً للقضاء، وبهر الناس بذكائه الخارق وذاكرته العجيبة، التي قطعت الطريق على كثير من ذي النفوس المريضة.

فضلاً عن عنايته بالتعليم عموماً، وبِحِلَقِ العلم خصوصاً، فقد كان الشيخ من أوائل من قام بالتدريس بالمعهد العلمي ببريده، إيماناً منه برسالة التعليم المهمة وتشجيعاً لتلميذه مدير المعهد الشيخ محمد العبودي[1].

وذكر الشيخ العبودي في مقامٍ آخر:

وكانت له طريقة خاصة في البحث، وذلك أنه أول شخص أعرف من العلماء الكبار كان يحرص على أن يُحضِر المرجع العلمي الذي يتناول المسألة التي تبحث، يحضره في حلقة الدروس ويمرن به الطلبة على استخراج المسألة من المرجع الذي أحضره. كانت دروسه على وجه الإجمال في الجامع الكبير في بريده، وكانت في الجامع مكتبة لا بأس بالعدد الذي فيها من الكتب النفيسة، ولكن العدد ليس كبيراً بمستوى ما تعارفنا عليه الآن، فكان يطلب إحضار المرجع من المكتبة إلى حلقة الدرس ويبحث أمام الطلبة هذه المسألة ويربيهم على استخراج المسائل من المراجع. ولذلك تعلمنا عليه كيفية البحث وكيفية عدم إرجاء الموضوع الذي يستحق البحث إلى زمن لاحق، لأنه كثيراً ما يتأخر البحث، وربما تفوت الفائدة منه إذا تأخر البحث فيه.

كان «رحمه الله» يشجع النابهين من الطلاب وكان يعلن ذلك لهم

(١) عميد الرحالين - محمد بن ناصر العبودي - ص: ٦٨/٦٩.

وللناس، أذكر أن أحد الطلبة من الذي كانوا يدرسون عليه وكنا ندرس معهم مع ذلك الشخص، كنا ندرس ألفية ابن مالك ففرضت في الدرس مسألة عويصة تحتاج إلى بحث فالشيخ «رحمه الله» طلب من أحد الطلبة أن يبحث هذه المسألة، بمعنى أن يُبَيِّن للشيخ كيف نحل هذه المسألة وكيف نهتدي إلى الصواب فيها، فعجز واحد، وطلب آخر لم يستطع أن يعرف المسألة والشيخ كان يكلمهم واحداً واحداً فالثالث حلها بسهولة وبوضوح وقال له الشيخ أمام الطلبة أنت ذكي يا فلان لأن النحو يحتاج إلى ذكاء ولا نعرف شخصاً متميزاً في النحو إلا وهو ذكي[1].

ويقول الأستاذ / سليمان بن عبدالله الرواف متحدثاً عن طريقة الشيخ في التدريس:

وعندما عُيِّن «رحمه الله» في قضاء القصيم جلس للتدريس في السنة التي عيِّن فيها ١٣٦٣هـ وظلَّ يدرس إلى عام ١٣٨٤هـ أي السنة التي غادر فيها بريده. نعم لقد جلس يدرس الفقه والتوحيد واللغة العربية في المسجد الجامع، كما كان متبعاً في ذلك الزمن بنجد... ولقد اجتمع عليه عدد كبير من الطلبة من بريده ومن خارج بريده من مدن القصيم وقراها للقراءة عليه، ولما كثر الطلبة رتب أوقات التدريس وجعل للتدريس موضعاً خاصاً بالدور الثاني من المسجد، وأنشأ فيه مكتبة جمع فيها ما استطاع جمعه من كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد واللغة، وناهيك بصعوبة حصول الكتب الكافية في ظرف مثل ذلك الظرف، وجعل عليها أحد الطلبة والقصد من إيجاد هذه المكتبة أنه لدى الإختلاف في مسألة ما وقت الدراسة تحضر الكتب ويُنْظر ما ورد

(١) شخصيات في الذاكرة لعبد الله بن سالم الحميد.

فيها من الخلاف وبهذه المكتبة الصغيرة نسبياً، فقد استفاد الطلبة فائدة كبرى، بحيث صارت في متناولهم وقت الدراسة ومرجعاً لهم للمطالعة في أوقات فراغهم، وخاصة في ذلك الظرف الذي لا يوجد فيها مكاتب عامة غيرها، هذه الخطة التي رسمها الشيخ «رحمه الله» أعني البحث في الخلاف بينه وبين الطلبة في البحث عن الدليل أو الخلاف، هذه الطريقة نمّت روح البحث بين الطلبة أنفسهم وبينهم وبين شيخهم وكان لهما أعظم الأثر في توسيع مدارك الطلبة.

ولقد بقى «رحمه الله» يدرس في المسجد بضع سنوات على المنهج الذي ذكرنا.

نعم وكما أسلفت لقد ظَلَّ «رحمه الله» طوال إقامته في بريده لمدة ٢٢ سنة يدرس بطريقته المتفوقة... بالتدريس ولما يتصف به من تعمق في الفقه الحنبلي، وسعة اطلاع في مسائل الخلاف وأنه نتيجة لهذا الجهد المكثف في التدريس وإيجاد هذه المكتبة وخاصة في المدة الأخيرة بعد أن تخلَّى عن القضاء مع حرصه «رحمه الله» على نشر العلم فقد نفع الله به نفعاً كبيراً، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة من أهالي بريده ومن خارجها، ونالوا من العلم درجات متفاوتة، فمن تلاميذه عدد تولوا القضاء في المحاكم وآخرون درسوا في المعاهد العلمية في أول إنشائها في القصيم، وكانوا متفوقين في التحصيل ولقد نفع الله بهم طلاب المعاهد في وقت كانت البلاد بأمس الحاجة إليهم... ومن تلاميذه علماء تصَدُّوا للتأليف في الفقه والتوحيد وآخرون ألفوا في الأدب بتفوق، ومن تلامذته عدد اشتغلوا بالتدريس بالمدارس بالعلوم الدينية، ومن تلامذته طلاب صغار تتلمذوا عليه في آخر سنين إقامته في بريده إلاَّ أنهم لم تكن لديهم المدّة الكافية للحصول على ما يؤهلهم لتولي المناصب كمن

سبقهم ولكنهم بسبب ما تلقوا عنه من مبادىء علمية ونصح وإرشاد فقد اتجهت أنظارهم إلى طلب العلم والتمسك بالدين فالتحقوا بالمعاهد عن رغبة فتخرجوا منها ونفع الله بهم[1].

وقد آثرت أن أنقل معالم في طريقة الشيخ في التدريس عن بعض تلاميذه وبخاصة تلميذه الذكي دقيق الوصف والملاحظة الشيخ محمد العبودي وقد مَنّ الله عليَّ فأدركت هذه الطريقة فحضرت على الوالد «رحمه الله» دروسه في بريده وكنت في سن مبكرة جداً ما بين العاشرة والرابعة عشرة في التوحيد والفقه والنحو وطريقته في الشرح والأسئلة ومتابعة الطالب وإعطاءه لكل تلميذ حسب إدراكه وموهبته العلمية والعقلية وتحصيله العلمي، فالذكي له سؤال، وكثير التحصيل له سؤال، والمبتدىء له سؤال، والمجد له سؤال، ذلك أنني أدركت في تلك الحلقات طلاباً كباراً في السن جلُّ مقصودهم من الحضور الانتظام في حلقة العلم والذكر لما يرجى من تحصيل عظيم الأجر، وكنت ألاحظ أن الوالد «رحمه الله» يدرك هذا فيهم فيتعامل معه حسب مستوى إدراكهم، وفي المقابل كان له عناية ظاهرة بالنابهين منهم والنابغين في داخل الحلقة العلمية وخارجها.

٢ - اطلاعه على الثقافة الجديدة

جيل الشيخ من الشيوخ وطلبة العلم في سن الخمسينات والستينات وأوائل السبعينات الهجرية من القرن الماضي لم يكن يرى الاطلاع أو الاشتغال بالعلوم الحديثة ولا الاطلاع على إصدارات العصر من الصحف والمجلات، وكذا الاستماع إلى المذياع، بل قد يكون لهم تحفظ شديد يصل في بعض صوره إلى المنع منها أو من بعضها.

(١) مجلة الدعوة العدد ٨٦٣.

أما الشيخ «رحمه الله» فكان على تواصل عجيب بكل هذه العلوم والوسائل بطريقة صحيحة تميز تمييزاً كاملاً بين الغث والسمين وبين ما يتفق مع ضوابط الشرع وأحكامه، وبين ما يضاد ذلك ويعارضه، وقد يكون لعناية الشيخ بالتاريخ والأدب عامل مساعد لهذه الشخصية المتفتحة لتواصل إشباع نهجها لسبر التاريخ وفحص أحوال الأمة والناس، فإذا لم يكن من الغريب الاطلاع على كتب التاريخ كابن جرير وابن كثير وابن الأثير، فليس من الغريب على الشيخ كذلك، أن يقرأ في تاريخ الدولة العثمانية وبخاصة أواخر تاريخها بل فترة سقوطها وفلسفة هذا السقوط، فإن دقة متابعته قادته إلى الاطلاع على مجلة (المنار) التي يصدرها محمد رشيد رضا، فكانت له أوقات محددة يقرأ فيها قراءة منتظمة في أعداد هذه المجلة، وأذكر أن من هذه الأوقات بعد العصر في المكتبة العلمية في بريده، ولعل القارئ الكريم يدرك كيف يمكن لهذه المجلة بعمقها وعلميتها مع توجهها الديني، أن تؤثر على رجل في مثل عقلية الشيخ الذكية النابهة المثقفة ثقافة قديمة - إن صح التعبير - لتنقله من ثقافة إلى ثقافة ومن أسلوب إلى أسلوب ومن معالجة إلى معالجة، فمحمد رشيد رضا وهو التلميذ الوفي لمحمد عبده رائد ما عرف بالإصلاح الديني في مصر، وتعامله مع الحضارة الغربية وفلسفتها واحتكاكها مع العالم الإسلامي والعربي والدولة العثمانية، كل هذه الأجواء والتحليلات والفلسفات يتشربها الشيخ ويستوعبها ثم يحللها بنظره الثاقب وعلمه الشرعي بل وعقيدته السلفية النقية.

لم تكن مجلة (المنار) هي المنفذ الوحيد للشيخ على الثقافة المعاصرة بل كان في بيتنا في بريده مجلات وصحف كثيرة أذكر منها: (مجلة الأزهر، مجلة شباب محمد، الهدي النبوي، حضارة الإسلام، والتمدن

الإسلامي، ومجلة روز اليوسف، وآخر ساعة) وغيرها.

واستمع إلى الشيخ العبودي حفظه، وهو يصف عقلية الشيخ المتفتحة في نفسه وفي تشجيع الطلبة في ميولهم وهواياتهم العلمية، حيث يقول: «كنا نعاني في بعض المسائل الهامشية ومع ذلك كنا نحرص على الكتب الأدبية والتاريخية، وكان شيخنا عبدالله بن حميد يشجعنا على ذلك لأنه يصح أن يقال عنه: أنه أديب متذوق للأدب والأخبار والنوادر، وكان حريصاً على جمع كتب التاريخ والأدب».

قال العبودي: ولكن هذه الكتب التاريخية والأدبية لا تروق لبعض الذين يحضرون المكتبة من طلبة العلم فكان بعضهم يقول عنها: «علم لا ينفع وجهل لا يضر» ونحن نقول: إن الجهل يضر بلا شك والعلم ينفع أيضاً، ولكن إذا كان المقصود بذلك أن هذه ليست بها فائدة فهذا غير صحيح ولكنا في بعض الأحيان نجعلها في دولاب ونغلق عليها لئلا يصلوا إليها فيشوشوا علينا، وإلا نحن نعرف أن شيخنا قد ربانا أن نحترم الكتب الدينية والأدبية ونعرف مقدارها[1].

٣ - طريقتاه في الوعظ والارشاد والنصح والتوجيه (القديمة والجديدة)

اطردت عادة العلماء من أئمة هذه الدعوة المباركة وتلاميذهم أن يتعاهدوا ولاة الأمور والعامة بالمناصحة والوعظ والإرشاد.

أما ولاة الأمور فالغالب أن المناصحة معهم تتم إما بالحضور الشخصي والحديث الشفهي وإما بالكتابة حول بعض الموضوعات والمستجدات، وكان للوالد في ذلك «رحمه الله» باع طويل ومتين أجزل

(١) عميد الرحالين ص ٨٩.

الله مثوبته وجعل ذلك في ميزان حسناته وكان ولاة الأمور رحم الله الأموات وحفظ الأحياء وسددهم يعرفون ذلك منه «رحمه الله» ويقدرونه غاية التقدير ويتفاعلون معه كل التفاعل، وهذا من فضل الله علينا في هذه الدولة المباركة.

أما العامة فكانت مناصحتهم وتوجيههم تتم من خلال الخطب والمواعظ الشفهية، كما تتم من خلال المواعظ المكتوبة، وهذا هو محل الحديث هنا وكان للوالد «رحمه الله» في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: ما عليه مشايخه وأسلافه من أهل العلم وذلك بكتابة نصيحة تقرأ في المساجد الجوامع بعد خطبة الجمعة بأسلوب معروف ومضامين معروفة.

ثم لما أخذ التعليم يفشو وأخذت الصحافة والمجلات في الإنتشار في الوسط السعودي شرع الشيخ منذ وقت مبكر في الكتابة في الصحافة في أنواع من الكتابة منها الردود ومنها المقالات ومنها الرسائل التوجيهية والإرشادية، وهذا هو المقصود هنا إذ توجه الشيخ «رحمه الله» في هذا النوع من الكتابة فأنشأ كتابات صحفية في مضامين توجيهية وإرشادية، يبدأها بقوله مثلا:

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى المعلمين...

وأخرى لرجال الحسبه[1].

وهذه الرسائل المقالية الموجهة ذات مضامين عصرية ليست من مضامين ما كان يقرأ في المساجد فصار يتناول التعليم والمثقفين وتوجيه الطلاب والتلاميذ والشأن المالي والاقتصادي بل حتى بعض القضايا

(١) أنظر ملاحق الوثائق والرسائل في آخر الكتاب.

السياسية ذات البعد الاجتماعي بل كتب في الاستشراق وأغراض المستشرقين وغاياتهم وأهداف المستعمرين مما يبرز هذه الشخصية المستنيرة والمستوعبة لمستجدات عصرها ومتغيراتها.

وليلاحظ أنني أتحدث عن الستينات والسبعينات وأوائل الثمانينات الهجرية.

أما فيما بعد ذلك فقد انتشرت الثقافة الجديدة وصار يشارك فيها الجميع في وسائل الإعلام كافة.

٤ - اجتهاداته الفقهية

من أظهر ما يظهر فيه فكر الشيخ المستنير وعقليته المتفتحة ما حفظ له من اجتهادات في بعض المسائل الفقهية وبخاصة النوازل والمستجدات.

والشيخ «رحمه الله» كغيره من طلاب العلم في عصره بل ما هو معروف من طبيعة الطالب في العلم الشرعي إذ يبدأ الطالب بالتتلمذ على كتب المذهب السائد في بلده فيحفظ الطلاب المتون ويقرأون الشروح والحواشي حنفياً كان السائد أو مالكياً أو شافعياً أو حنبلياً.

والشيخ «رحمه الله» حفظ من متون مذهب أحمد وقرأ الشروح والحواشي مما جعله متبحراً في المذهب متخصصاً فيه حتى لقبوه بحافظ المذهب وإمام المذهب.

إلا أن ذلك كله لم يُحَجِّم من عقلية الشيخ المتفتحة ولا من روحه الاجتهادية وفكره المستنير، فالشيخ كما اطلع على كتب المذهب وتبحر فيها، فقد اطلع على كتب السنة وكلام أهل العلم وأصول الاستنباط

وقواعد الاستدلال قرأ في فقه السلف من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن بعدهم من العلماء المجتهدين وعلماء المذاهب الأخرى، كما كان للشيخين الإمامين شيخ الإسلام ابن تيميَّة «رحمه الله» والحافظ ابن القيم وأئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وتلاميذه وتلاميذهم واهتمامه باجتهاداتهم وآرائهم ومؤلفاتهم عناية خاصة، ويتجلى هذا في تدريسه لطلابه وما يقرره لهم من مسائل وما يصدره من فتاوى وأحكام فعلى سبيل المثال:

- له فتوى في جواز نقل الدم قال بها قبل عام ١٣٩١هـ هذه صورتها[1].
- في حكم اقتناء الراديو.
- كلام في الاشتراكية وبسط للمراد منها وتاريخها ثم في حكمها.
- في المقارنة بين الراديو والتلفزيون.
- الإفطار على خبر الراديو.
- حكم استعمال مكبرات الصوت.
- إذا وقع اصطدام بين سيارتين فكيف تحسب نسبة الحوادث.

وليسمح المتابع الكريم أن أعلق على تفريق الوالد «رحمه الله» بين الراديو والتلفزيون، فقد أذن في الأول، ومنع من الثاني.

أنه حين منع الثاني استطيع القول أن منعه لفقهه الشرعي ولسعة اطلاعه واستنارة فكره فهو حين ألف رسالة مستقلة في حكم التلفزيون كما حشد الأدلة الشرعية حشد أقوال المفكرين والمربين من المسلمين وغير المسلمين فهو «رحمه الله» واسع النظر يرسخ قناعته بالحكم بإيراد الأدلة النقلية والعقلية.

(١) هذه المسائل والفتاوى يجدها القارىء في آخر الكتاب نماذج من فتاواه ومقالاته. كما قلت سابقاً

ومن يطلع عليها يدرك حرص الشيخ على إيصال قناعاته المستندة على الأدلة إلى من تصل إليه رسالته.

وأحسب أن الشيخ «رحمه الله» لو امتد به العمر ورأى التوسع في استعمال هذه الآلة وانتشار أطباق الاستقبال والقنوات الفضائية وشدة ابتلاء الناس بها بمن فيهم أهل الصلاح والعلم والفكر. أقول لو رأى ذلك لكان له رأي آخر متجدد فهو لن يقول بحل الغناء أو المجون أو التفسخ الأخلاقي عياذاً الله ولكن سوف يأذن لأهل العلم والدعوة والتوجيه الصلاح أن يشاركوا في برامج التلفزيون والقنوات الفضائية تكثيراً للمصالح والمنافع وتقليلاً للمضار والمفاسد وأنا إن شاء الله لا أقول ذلك افتياتاً على الشيخ ولا جرأة على الدين والفتوى ولكني لمعرفتي بقوة الشيخ الفقهية وأصوله في الاستدلال والاستنباط وإدراكه لفقه النوازل والمستجدات.

وما أقوله أيضاً لي فيه أسوة وسلف فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد» فالأحكام لا تتغير، ولكن الذي يتغير مناط الحكم وتحقق علته وارتفاعها وكفى بربك هادياً ونصيراً.

٥ - خطبه العصرية ومراجعه فيها

تولى الشيخ «رحمه الله» الخطابة في الجامع الكبير في بريده كما كان يخطب في مدينة المجمعة، حينما كان قاضياً لمنطقة سدير، وكانت الخطب التي تلقيها المشائخ تقليدية يلقونها حفظاً أو كتابة وحيث أنه «رحمه الله» كان كفيف البصر فمن الطبيعي ألا تكون مكتوبة بل لا يتصور ذلك، ولهذا فإن مشائخه ومن قبلهم كانوا غالباً ما يحفظون

الخطب من مصادر محدودة مثل خطب الشيخ محمد بن عبدالوهاب «رحمه الله» وخطب الشيخ عبدالله المخضوب «رحمه الله» ولا شك أنها خطب قيمة فيها إيجاز ظاهر وعناية بالأسلوب وبخاصة السجع الذي قد يصل في بعض صوره إلى التكلف وبخاصة خطب المخضوب.

وأظن أن الوالد «رحمه الله» كان في أول عهده بالخطابة يعتمد على مثل هذه المصادر ويكتفي بها، ولكن ما أن بدأت الكتب تنتشر وأصبحت أنواع من مصادر الخطب متوفرة حتى تلقاها الشيخ باليمين ووظف علمه وملكته وعقليته ليستفيد منها، ومما يحضرني من المصادر التي أصبح يراجعها وينظر فيها، خطب المراغي والشيخ محمد البيحاني (الفتوحات الربانية) وخطب صديق حسن خان (الموعظة الحسنة) والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ورسائل الإصلاح، ومما أذكر من الموضوعات التي خطب فيها: الحث على الزراعة والصناعة وخطبة في الحث على أنواع العمل، وخطبة في الحث على التعليم وتوجيه المعلمين.

فهذه النقلة في فكر الشيخ ثم الانتقال إلى التنفيذ وبطريقة سلسلة ناجحة لم تحدث في المجتمع صدمة ولم تحدث نفرة فهو تحديث مراعى فيه طبيعة المجتمع والحرص على تقبله وعدم النفرة منه. ولقد كان المسجد يمتلىء بالمصلين ويصلي الناس في الأسواق والفسحات خارج المسجد، وقد أدخل الشيخ مكبر الصوت (المايكرفون) إلى المسجد، وهذا له حديث آخر إن شاء الله. والمقصود أن إقبال الناس على خطب الشيخ كان ملفتاً لأمرين: التجديد في الخطب، والتجديد في بناء المسجد وفرشه، مما لم يكن مألوفاً في تلك الفترة على ما سوف سيأتي له من مزيد إيضاح.

٦ - كتابته في الصحف والمجلات منذ وقت مبكر جداً

أشرنا في الحديث عن اطلاع الشيخ على الثقافة الجديدة وأن الصحف والمجلات وكذلك الإذاعة كان لبعض أهل العلم والفضل والصلاح مواقف غير مشجعة، بل بعضهم كان يمنع من الاطلاع عليها والمطالعة فيها، طلباً منهم وفقهم الله للاشتغال بالأهم ناهيكم أن في بعضها ما يوجب الملاحظة، كالصور وبعض المبالغات فيما عرف فيما بعد بالإثارة الصحفية.

ولكن الشيخ «رحمه الله» على الرغم من أنه يتفق معهم في مثل هذه الملاحظات وكان ينبه إلى ما يرى لزوم التنبيه عليه منها بل كان يكتب في ملاحظاته، إما لرؤساء التحرير أو لوزير الإعلام نفسه، بل قد يكتب ردوداً على أصحاب المقالات والموضوعات التي تستوجب الرد.

ولكن المقصود هنا أن الشيخ رغم كل ذلك فقد اقتنى الصحف والمجلات منذ وقت مبكر جداً قد يكون من أواخر الستينات الهجرية من القرن الماضي فكان يقرأها ويستوعبها، ولم يكتف بذلك بل أصبح يكتب فيها المقالات والموضوعات والردود والمناقشات مع الكتاب، ومن التاريخ الذي أذكر الكتابة فيها عام ١٣٧٢هـ.

ومن الصحف والمجلات التي أذكر أن الشيخ كتب فيها: (مجلة الحج وصحيفة البلاد والمدينة وحراء والرائد واليمامة والقصيم في أول صدورها)، ورأيت بعض توقيعاته (عبدالله بن حميد قاضي بريده).

وسوف إن شاء الله أعمل لذلك مزيد توثيق.

ومن نماذج مقالاته «رحمه الله»

١ – مقالة عن: محاسن الإسلام.
٢ – مقالة عن: سعادة الأمم.
٣ – مقالة بعنوان : ويل للإسلام من أهله.
٤ – مقالة عن : وظيفة العلماء.

٧ – معهد الحرم المكي
(الجمع بين التعليم النظامي والحلقات العلمية)

شَغَفُ الشيخ «رحمه الله» بالعلم منقطع النظير فهو في نفسه لا يكاد يجلس خالياً من قراءة أو مذاكرة أو بحث، وكذلك هو في أولاده حريص على حفظ أوقاتهم بالعلم والاشتغال به وغرسه في نفوسهم فهو يحث عليه في جلساته الأسرية معهم بل يورد من الحكم والمقطعات الشعرية يرددها أمامهم وهم صغار بل وهم يكبرون أمامه يشربهم العلم إشراباً فكلهم قد انتظم في التعليم النظامي من حين ما بلغوا سن الإلتحاق بالمدارس بنين وبنات، وفي الصيف حين تعطل المدارس يحرص على التحاقهم بالحلقات العلمية في المساجد قبل وجود حلقات تحفيظ القرآن الكريم وإن كانوا صغاراً ألحقهم بالكتاتيب في الصيف.

والحديث عن حبه «رحمه الله» للعلم وتعلقه به وحرصه على تعليمه ونشره لا ينقضي منه العجب.

ثم لما انتقل إلى مكة المكرمة رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام، نظر في التدريس في المسجد الحرام، وهو إحدى مهمات الرئاسة، فكأنه لم يرتض حال الحلقات لقلة الإقبال عليها، وكذلك أيضاً عدم شغلها كل النهار كما هو المألوف في القديم إذ كانت

الحلقات تبدأ من بعد صلاة الفجر ولا تنقطع إلا بعد صلاة العشاء.

وليسمح لي القارئ الكريم أن أبدي وجهة نظر في هذا الانصراف والعزوف. فالذي يبدو لي أن التعليم في القديم كان محصوراً في قناتين:

القناة الأولى : الكتاتيب والتعليم الأولي: وهو الذي يحتضن أطفال المسلمين بنين وبنات ويقتصر فيه التعليم كما هو معلوم على تعليم القرآن الكريم قراءة وحفظاً وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وفي بعض الأحيان مبادئ الحساب في عملياته الأربع الجمع والطرح والضرب والقسمة.

والقناة الثانية: التعليم في المسجد : وهذه لا يلتحق بها إلا من له رغبة في العلم ولديه ملكة في التحصيل وميول إلى طلب العلم. فلا يوجد إلا هاتان القناتان.

وفيما يتعلق بالتعليم في المساجد فهو القناة الوحيدة للتحصيل العلمي، ومن أجل هذا فإن الطلاب والشيوخ يلازمون الحضور وينتظمون فيه.

أما في الوقت الحاضر وبعد أن نشأ التعليم النظامي وأصبح متوفراً في كل مدينة وقرية وهجرة وأصبح إلزامياً أو شبه إلزامي في كل مراحله، وبخاصة مرحلته العامة «التعليم العام» لم يعد حاجة ملحة أو أساسية للتعليم في المساجد بل أصبح أختيارياً مزاحماً بالتعليم النظامي، بل الجاذبية للتعليم النظامي أكثر وأكبر نظراً لارتباطه بتحصيل فرص العمل، ناهيكم بأن التعليم في المساجد أشبه بالتعليم المتخصص لا يأتي إليه إلا الراغب في فن من الفنون ولا سيما العلوم الشرعة وينازعه في ذلك الكليات والدراسات العليا الشرعية

المتخصصة هذا ما بدا لي في المقارنة بين التعليمين والإقبال على الجديد والعزوف عن القديم.

وكأني بالشيخ «رحمه الله» لحظ هذا الملحظ أو ما يشبهه فرأى أن يعيد للمسجد - ولا سيما المسجد الحرام - دوره في التعليم واستقطاب الطلاب والعلماء على حد سواء، فتوجه إلى فكرة إنشاء المعهد جامعاً بين التعليم النظامي في مواده وشهادته واختباراته وبين التعليم في المساجد في حلقاته وبركاته - إن شاء الله - إذ أبقاه حلقات عامرة في المسجد وجلب إليه مجموعة من أهل العلم الذين باشروا التدريس فيه، وأجرى فيه للطلاب مكافآت مجزية تعينهم على مواصلة التحصيل ولا يزال المعهد في عطائه بل إن طلابه من أكثر الطلاب تميزاً حين يلتحقون بالجامعات فشهادت معادلة بثانوية المعاهد العلمية ودار التوحيد، وفتح فيه قسم عال يمنح شهادة البكالوريوس يتلقون تعليمهم بين أروقة المسجد الحرام جوار الكعبة المشرفة وزمزم والحطيم.

ولعله بهذا يتبين نظر الشيخ المتبصر والاستفادة من مستجدات العصر في تنظيمه للتعليم وشهاداته، وبين أصالة التعليم وارتباطه بالمسجد ديناً وتقوى بإذن الله.

٨ - المكتبة العلمية (الفكرة والبناء)

سبق الإشارة إلى تعلق الشيخ بالعلم وشغفه بل سبق كلام الشيخين محمد العبودي وسليمان الرواف في الحديث عن طريقة الشيخ في التعليم ومنها الاهتمام بالكتب والمراجع وتدريب الطلاب على النظر فيها ومراجعتها وطرق البحث وتنمية ذلك فيهم.

وكان مما قاله الشيخ العبودي حفظه الله: «إن أول شخص أعرفه من

العلماء الكبار كان يحرص على أن يحضر المرجع العلمي الذي يتناول المسألة التي تبحث، يحضره في حلقة الدروس ويمرن به الطلبة على استخراج المسألة من المرجع الذي أحضره»[1].

ثم قال عن المكتبة أول وصول الشيخ إلى القصيم: «وكانت في الجامع مكتبة لا بأس بالعدد الذي فيها من الكتب النفيسة ولكن العدد ليس كبيراً بمستوى ما تعارفنا عليه الآن»[2].

أما سليمان الرواف فتحدث عن المكتبة بعدما توجه الشيخ إلى تطويرها وتحديثها فقال: «وأنشأ مكتبة جمع فيها ما استطاع جمعه من كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد واللغة وناهيك بصعوبة حصول الكتب الكافية في ظرف مثل ذلك الظرف».

ثم قال الرواف : «ولما كثر الطلبة رأى «رحمه الله» سعى لدى الجهات المسؤولة العليا وحصل على الموافقة على إنشاء مكتبة على الطراز الحديث خارج المسجد فاشترى رحمه الله أرضاً قرب المسجد الجامع وأقام عليها مبنى مسلحاً يحتوي على مكتبة كبيرة وقاعة للتدريس وقاعات للمطالعة والبحث وجمع للمكتبة كتباً كثيرة حتى صارت من كبريات المكتبات الموجودة في المملكة حينذاك ونقل إلى هذا المبنى المكتبة والتدريس بدلاً من المسجد فصار هذا المبنى مكتبة ومدرسة ونادياً ثقافياً علمياً فهو طوال الوقت ممتلىء بالدارسين المستمعين أوقات الدراسة وبالمطالعين والباحثين طوال الوقت في غير أوقات التدريس وبذلك صارت هذه المكتبة أو على الأصح دار العلم نموذجاً قد لا يوجد له مثيل في مدن المملكة في ذلك الوقت وظل «رحمه الله» يدرس فيها ويجمع لها الكتب حتى صارت من كبريات المكتبات وبقيت المكتبة على هذه الحالة إلى أن غادر بريده «رحمه الله»

عام ١٣٨٤هـ عندما عين في الحرم رئيساً للإشراف الديني عام ١٣٨٤هـ» ومن الطريف والظريف ما ذكره الشيخ العبودي حين قال: «كما قرر الشيخ ابن حميد تقديم الشاي للذين يحضرون ويتباحثون من طلبة العلم»[١].

وقد ذكر الشيخ العبودي في كتاب: (عميد الرحالين) تفاصيل إنشاء المكتبة ونواة الكتب فيها وطريقة جمع الكتب وجلبها لها من مصر ومكة المكرمة بمراسلة من الوالد «رحمه الله» إلى الشيخ فوازن السابق وذهاب الشيخ العبودي نفسه إلى مكة المكرمة لشراء نفائس الكتب بعد أن جمع الشيخ مبلغاً من المال. [٢].

وأصبحت هذه المكتبة الأم أول مكتبة عامة في المملكة العربية السعودية وفي عام ١٣٧٩هـ تم ضمها إلى الإدارة العامة للمكتبات في وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف سابقاً)[٣].

هذا فيما يتعلق بالمكتبة في وظيفتها وجلب الكتب إليها وتزويدها، أما فيما يتعلق بإنشائها وبنائها.

فقد أقيمت أول ما أقيمت في الطابق الثاني من المسجد الجامع في جهته الشمالية الشرقية وكان ذلك بعد قدوم الشيخ بن حميد إلى بريده عام ١٣٦٣هـ.

ومن المعلوم أن بناء المسجد والمكتبة كان باللبن والطين كما هو المألوف السائد في نجد كلها، بل لا يوجد غير ذلك.

ولكن الشيخ «رحمه الله» بطموحه وبعد نظره وفكره المستنير ونظراً

(١) يصف الشيخ العبودي الأستاذ سليمان الرواف بأنه: من أبرز رجالات بريده ثقافة وعقلاً وكان ذا عناية فائقة بالكتب واقتنائها/ عميد الرحالين ص ٨٥.
(٢) عميد الرحالين ص ٨٣-٩٢.
(٣) عميد الرحالين ص ٨٤-٩١ بأختصار.

أيضاً لنظرته التوسعية، وكما مر في عرض الأستاذ : سليمان الرواف أن المسجد لم يعد كافياً لاستيعاب الكتب، فقد توجه نظر الشيخ إلى نقل المكتبة خارج المسجد وإنشاء مقر لها وكما وصف الأستاذ الرواف فقد كان طموح الشيخ ان يكون البناء مسلحاً بالحديد والأسمنت على الطريقة الحديثة، بل الحديثة جداً في ذلك الوقت، ولو قيل أنه لا يوجد في نجد كلها بناء مكتبة مسلح سوى هذه المكتبة لم يعدُ القائل الحقيقة.

وكما سوف يأتي من الحديث عن بناء المسجد الجامع إن شاء الله فعزم الشيخ «رحمه الله» على اختيار المقر للمكتبة وكتب للجهات العليا والتي كان تجاوبها مع رغبة الشيخ سريعة، فتم إنشاء المبنى على أحدث طراز في تصحيحه وتشييده وفي قاعاته وخزاناته وتهيئته لاستقبال الطلاب ورواد المكتبة، كما فصل وصفه الأستاذ سليمان الرواف.

وقد كنت أحضر على الوالد «رحمه الله» حلقة في الفقه ضحى النهار في الإجازة الصيفية في كتاب أخصر المختصرات في الفقه.

فالشيخ يعقد فيها الحلقات العلمية في فترة الضحى أما بعد العصر فهي للقراءة الحرة.

٩ - إعادة بناء المسجد الجامع بالبناء المسلح وإدخال مكبر الصوت

احتاج الجامع الكبير لإعادة بناء نظراً لتقادم عمارته والبناء السائد للبيوت والمساجد بالطين واللبن ولكن الشيخ «رحمه الله» وهو المتابع للجديد عرف أن البناء المسلح بالحديد والأسمنت بدأ الأخذ به في المدن الكبري كالرياض ومكة المكرمة وجدة فرفع «رحمه الله» هذه الرغبة إلى الجهات العليا، فكانت الاستجابة سريعة بالأذن والالتزام

بالتكاليف، بل أن الشيخ نظراً لطموحه وبعد نظره، فقد رفع الرغبة عن المسجد والمكتبة، كما سبق الإشارة، فجاءت الموافقة على الجميع من جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز «رحمه الله».

وللعلم فلم يكن بناء مسلح في بريده بل لعله في القصيم كله سوى هذا المسجد الجامع والمكتبة وبناء المستشفى ثم المعهد العلمي ثم بعد ذلك توالى البناء بهذا النوع الجديد من مواد البناء.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قد جاء إلى الشيخ «رحمه الله» بعض وجهاء البلد مستنكرين من الشيخ هذا التوجه حتى قال بعضهم لو أنكم أعدتم بناء المسجد على الطريقة القديمة من اللبن والطين وأذنتم لبعض القادرين بالتبرع فيتبرع بعضهم بالجريد وبعضهم بالخشب وبعضهم بالطين، حتى يشترك الجميع في الأجر، فما كان من الشيخ إلا أن قال لهذا الوجيه: أنتم تعرفون أن البناء بهذه الطريقة ضعيف ولا يعمر معه المسجد كثيراً، كما هو الحال في البناء السابق، الذي لم يدم أكثر من سبعة عشر عاماً، ولهذا إن كنت مصمماً على هذا أو مصراً عليه فنحتاج إلى أن توقف أحد أملاككم من أجل ضمان ترميم المسجد إذا احتاج إلى ذلك، مما كان من هذا الوجيه إلا أن أدرك مراد الشيخ.

فيلحظ من هذا السياق، أن هناك مقاومة للجديد قد لا تخلو من وجاهة أو إحراج، ولكن الشيخ بذكائه وبعد نظره أدرك المراد ورد بما يناسب بل لو تسامع أهل البلد بهذا الحوار بين الشيخ وهذا الوجيه لعرفوا مراد الشيخ واطمأنوا على صحة توجهه، مما يجعلهم يتقبلون الجديد ويثقون بالشيخ، فلا يحصل نوع انفصام سواء كان مبطناً أو معلناً.

والمسألة الأخرى التي تتعلق بالمسجد جلب مكبر الصوت إليه

(المايكرفون) فقد أقدم الشيخ «رحمه الله» على توريده للمسجد على الرغم مما لقيه من مقاومة شديدة، وبخاصة من بعض طلبة العلم والصلحاء الذين لهم مكانتهم وقبولهم في الناس، لما عرفوا به من صلاح وتعبد، ولكن نظراً لثقة الناس بالشيخ وعلمه وورعه وبعد نظره ونزاهته، فلم يكن لهؤلاء تأثير كبير على قبول الناس لهذه الآلة الجديدة.

ولمزيد من ترسيخ قناعات الناس بهذا الشيء الجديد، فكان الشيخ يخطب فيه يوم الجمعة ويعقد درساً عاماً يوم الأثنين بعد المغرب عن طريق مكبر الصوت. أما بقية الدروس اليومية العلمية فكالمعتاد من غير هذا الجهاز.

ومن دلائل قبول الناس وقناعاتهم بالشيخ وأفكاره أن المسجد يمتلىء يوم الجمعة حتى يصلي الناس في الشوارع والساحات المحيطة بالمسجد، وكذلك الحال في درس يوم الأثنين بل إن النساء تأتي يوم الجمعة والأثنين للاستماع إلى الخطبة والدرس كما كان النساء في البيوت المجاورة تستمع إلى الخطبة والدرس من أسطح منازلهم.

ومما زاد في جاذبية المسجد والاقتناع به جمال المبنى وحسن التصميم وإضاءته بالكهرباء وفرشه مما لم يكن معهوداً ولا مألوفاً في ذلك الوقت.

١٠ - النزهة البرية في يوميها (الرجال والنساء)

على الرغم من حياة الشيخ الجادة واشتغاله بالعلم والقضاء والتدريس والإفتاء والاحتساب والسعي في حوائج الناس قضاءً وشفاعة وامتلاء وقته ليلاً ونهاراً بالمفيد النافع له ولأهله ومجتمعه ودولته.

على الرغم من كل ذلك، إلا أن الشيخ أنيس المجلس لطيف المعشر

يحدث جليسه ويؤانسه بما يناسبه، إن كان عالماً أو وجيهاً أو فلاحاً من الحاضرة أو البادية، في قدرة عجيبة على حسن الحديث والحوار والسؤال مع سعة في العلوم والمعارف والثقافة العامة والخاصة وشؤون المجتمع والأسر والقبائل.

من أجل هذا فكان الشيخ يخصص بعض الجلسات والجلساء بجلسات سمر ومؤانسة، وكان من المعتاد أن يخرج آخر النهار خارج المدينة مصطحباً بعض طلابه ومعارفه ليصلي المغرب هناك في جلسة مؤانسة ومتعة، يتم فيها تجاذب أطراف الحديث والطُّرَف في أمور علمية أو تاريخية أو اجتماعية مما تجري فيه العادة من مثله وجلسائه.

كما يمارس عادة المشي مسافة طويلة قد تصل إلى ثلاث كيلو مترات وقد تزيد.

ومن اللافت للنظر أنه حين كان في القصيم كان يخص يوماً كاملاً من أيام الربيع يخرج فيه مع طلابه ومحبيه ومعارفه ليقضوا يوماً ممتعاً وبخاصة إذا كان الوقت ربيعاً وجادت السماء بغيثها يسوقها الله عز وجل لتكتسي الأرض بهجة وجمالاً فتنبت من كل زوج بهيج كما وصف الله عز شأنه ويكون الذهاب عادة من الصباح الباكر والعودة آخر المساء في يوم بهيج ينثر فيه الشيخ مؤانساته على تلاميذه وإخوانه قائماً بكل ما يلزم، وهذا لا يمنع أن يشارك من يرغب في المشاركة في بعض ما يتميز به، فقد يحضر بعضهم لبناً خاصاً خالصاً وبعضهم فاكهة متميزة وهي نوع مشاركة لجلب مزيد من المتعة.

وجلسات البرية تمتاز بانفتاحها وارتفاع كثير من صور التكلف التي تغشى الجلسات الرسمية وشبه الرسمية وكثير منهم يصطحبون

أطفالهم ليزداد المنظر بهجة وسروراً.

ولا تخلو الجلسة من مطارحات علمية خفيفة تناسب المقام ومشاركات أدبية تقتضيها المناسبة وفعاليات وإبراز مواهب من سباق ورماية وسباحة إن لم يكن الوقت بارداً مما يجدد النشاط ويصقل المواهب ويرفع الهمم.

ولا يقف نظر الشيخ عند هذا الحد بل إنه يخص النساء بيوم يخرجن فيه إلى البرية ليأخذن نصيبهن من المتعة الربيعية فيخرج أهل بيت الشيخ ومعارفهم وجيرانهم ومن يتعلق معهم في جو عائلي ومتعة أصفها وقد شاركت فيها في يومها الرجالي ويومها النسائي فقد كنت صغيراً منحني سني حق المشاركة في اليومين والاستمتاع بالبهجتين.

وذلك كله يعطي صورة على فكر هذا الشيخ وحسن التوظيف للأجواء والأحوال.

وكأني ببعض من يستمع إلى هذا ليقول أن الشيخ نصير المرأة فأقول هو نصير للمرأة والرجل على الطريقة الإسلامية.

١١ - معالم مستنيرة في تربيته لأولاده

الشيخ «رحمه الله» مربي من الطراز الأول. فعلى الرغم مما كان عليه الشيخ من الاشتغال بالعلم وشؤون الناس والدولة مما جعله رجل علم ودولة وعامة، وهذا يأخذ من الوقت الشيء الكثير والكثير جداً على الرغم من كل ذلك، إلا أن لأهل بيته وأولاده نصيباً كاملاً من العناية والرعاية، وهذا من توفيق الله للشيخ، ثم من قدرات الشيخ الكبيرة إرادة وإدارة. فالشيخ ذو عناية كبيرة ببيته وأهله يجمع بين الحزم والانضباط وبين اللين وحسن المعشر.

وهناك جانبان يحظيان من الشيخ بعناية كبيرة واهتمام بالغ الأول الدين، فالشيخ «رحمه الله» حريص جداً أن يتمسك أولاده بأهداب الدين والتزام أحكامه وآدابه ويظهر ذلك جلياً في العناية بالصلاة ولا سيما الصلاة جماعة في حق الأولاد فهذا لا يتهاون فيه الشيخ أبداً وكذلك ملاحظة التزام الألفاظ المؤدبة فهو لا يسمح من الصغار بأن يأتوا بألفاظ نابية فضلاً عن الألفاظ المحرمة.

والثانية: التعليم فهو حازم فيه وصارم وفيه حرص ظاهر ليواصل أولاده تعليمهم ويحفظوا أوقاتهم فيما ينفعهم.

ومع هذا الحزم الظاهر والتوجيه الصارم في التربية والحرص على بقاء شخصيته مهاباً وقوراً محترماً إلا أنه لطيف المعشر يمنح أهله وأولاده جلسات بيتية أسرية فيه دفء الوالد وحنان الأبوة والحديث الأسري الماتع فإن شئته متبسطاً قاصاً تعلو جلسته وحديثه الابتسامة. وإن شئته حازما وقوراً متحفظاً فكل ذلك عند الشيخ في مزج عجيب وشخصيته منسجمة.

تلتف حوله الأسرة بصغارها وكبارها وذكورها وإناثها لتسمع منه ويستمع إليها الأحاديث الأسرية والشؤون العائلية والكلمات التوجيهية واللفتات التربوية وكثير منها غير مباشر ولا متكلف مما يجعل مقصد الشيخ يصل بلطف وسهولة ومما تحسن الإشارة إليه مما نحن بصدده أمران تربويان تعليميان.

أولها : تعليم الخطابة

فالشيخ «رحمه الله» في لفتة غريبة متميزة لا تكاد توجد عند أحد من الآباء ولا سيما في بيئة الجزيرة بعامة والبيئة النجدية بخاصة وهو

أنه يحرص أن يحفظ أولاده بعض المقطوعات النثرية أو الشعرية وهم في سن مبكرة جداً بعضهم قد لا يبلغ السابعة من العمر ثم يأمره أن يقف على مرتفع مما حوله كالمتكأ الذي يتكأ عليه (المركاة) أو الجزء الداخلي من النافذة ليصعد عليه الطفل الصغير ثم يلقي ما حفظه على هيئة خطبة يكون ذلك بين يديه وقد يطلب من ذلك بحضور بعض المعارف والخواص من جلسائه في صورة طريفة جداً تأخذ بالألباب وبخاصة لدى بعض هؤلاء الخواص من الجلساء.

الثانية : تقطيع الشعر ووزنه

من لفتات الشيخ التربوية والتعليمية أنه يقول أبياتاً شعرية تربوية أمام أولاده بإلقاء تنغيمي وتفعيلة موزونة مع صوت شجي يأخذ الطفل بجاذبية عجيبة ومع ترديد الشيخ للبيت أو الأبيات يحفظها الطفل ثم يأمره الشيخ بترديدها وإلقائها بطريقة التفعيلة حسب البحر الشعري الذي تنتمي إليه فيعيش هذا الصغير مع والده جواً غنائياً - إن صح التعبير - جذاباً فيه العلم والتربية والمتعة.

وأختم بأمر ثالثاً

وهو أن الشيخ يحرص في بعض الأحيان وليس بشكل منتظم ألا يخلو جيبه من بعض قطع الحلوى فإذا ما جاء الصغير منحه شيئاً من ذلك ولكنه لا يمنحه مباشرة بل مع شيء من التمنع أو الجاذبية، بل قد حصل أحياناً أنه حالما تقع الحلوى في يد الطفل يضرب الشيخ يد الطفل ضرباً خفيفاً فتذهب الحلوى بعيداً مما يجعل الطفل ينطلق مسرعاً لالتقاطها في حركة طفولية طريفة ويعلو الجميع ضحكات متفاعلة مع انفعالات الطفل وحركاته.

هذه بعض وقفات فيها إيجاز واختصار اقتضاه المقام ولكن لعل فيها ما يعطي إشارات وإلماحات فيما قصدت إليه من بيان بعض معالم التجديد والانفتاح وتفهم الجديد والتفاعل معه بضوابط الشرع وفكر العالم وسيرة الصالح ولا أزكيه على الله فهو سبحانه أعلم بمن اتقى وأظنه اجتهد وقام بمسؤوليته نحو ربه ودينه ونفسه وأهله ودولته ومجتمعه.

أحسن الله إليه وأجزل مثوبته، ورفع ذكره في الدارين، وأصلح عقبه، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الشيخ ابن حميد معالم ومحطات من حياته

بقلم : معد الكتاب
صلاح بن إبراهيم الزامل

الخطوات الأولى في طلب العلم؟

كان الشيخ عبدالله صلى في مسجد دخنه إحدى الصلوات وكان صغيراً لم يبلغ الحلم وبعد انتهاء الصلاة تعرّف بالشيخ حمد بن فارس «رحمه الله» وعرّفه بنفسه، وقال له الشيخ حمد: أعتقدت أن اسرتك آل حميد قد انقطعوا، وقال له لماذا لا تطلب العلم. اذهب وأقرأ عليَّ في الفقه فنفذّ ابن حميد توجيه ابن فارس وبدأ يقرأ على الشيخ حمد بن فارس الفقه الزاد وعلومه العربية. ويقول د. أحمد ان والدي لم ينسى فضل الشيخ حمد بن فارس عليه، وأنه هو الذي فتح له طريق العلم والمعرفة وشجعه عليه، فلقد دوّن في وصيته ان يضحي للشيخ حمد بن فارس «رحمه الله». (١)

---

(١) اصابه العمى بسبب مرض الجدري، توفى والد الشيخ عبدالله في حدود عام ١٣٣١هـ

واما أمه فتوفيت في عام ١٣٣٥ هـ تقريباً وعمر الشيخ ست سنوات وجده عبدالعزيز توفي عام ١٣١٩هـ وكان جده عبدالعزيز قد شارك في بناء سور الرياض عندما استعاد الملك عبدالعزيز «رحمه الله» الرياض وأمر الملك اهالي الرياض مهلاً في ناحيته وحيه ببناء السور لتحصين المدينة من هجمات ابن رشيد وكان من ضمن من بنى السور جد الشيخ عبدالله عبدالعزيز وقد انهك نفسه في العمل ليل ونهاراً ولم يكد يفرغ من بناء السور أو بعد نهايته حتى توفي عبدالعزيز بن حميد من أثر التعب والجهد «رحمه الله» والشيخ عبدالله بن حميد اخواله آل صالح من الأسر المعروفة في الرياض ولهم نخل معروف في العيينه وصياح أحد احياء الرياض الآن. وقد فصلّ هذه القصة د/ صالح في حديثه في الصفحات القادمة.

والشيخ حمد بن محمد بن فارس «رحمه الله تعالى» عالم برع خصوصاً في العربيَّة ولقب (بسيبويه نجد)، أخذ عنه علم العربية الكثير من علماء نجد، وليس لديه فيما أعلم مؤلف في هذا الفن. إنما كان له مصنف في الفلك، وكانت له عناية خاصة بالحساب الفلكي، وقد ألف تقويماً، وكانت جلسته تبدأ بعد صلاة الفجر حتى الساعة العاشرة صباحاً في علوم العربية والفقه وتوفي سنة ١٣٤٥هـ قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ الملقب «بالبحر» «رحمه الله» ت ١٤٠٦هـ في هامش ترجمته للشيخ حمد بن فارس في كتابه (مشاهير علماء نجد) ص ٢٨٩ - وكذلك خلّف مكتبة غنيَّة بالمخطوطات آلت بعد وفاته إلى ابنه محمد وبعد وفاة ابنه لا أدري من آلت إليه غير أنني متأكد أنها لم تبع. انتهى كلام البحر[1].

قلت.. قابلت الأستاذ فارس حفيد الشيخ حمد وابن الشيخ محمد فأخبر أن مكتبة جده لديه. وقال إننا ننتسب إلى بني ثور من سبيع،

---

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ من مواليد مدينة الرياض سنة ١٣٣٢هـ ورغم ميلاده بمدينة الرياض ألا أنه لم يتتلمذ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» والسبب في ذلك أنه ترك الرياض واتجه إلى الحجاز مع أبيه الشيخ عبداللطيف كان يحضر حلقات الشيخ محمد بن إبراهيم لكنه لم يقرأ عليه مباشرة كما في ترجمته هو بنفسه في آخر كتابه (مشاهير علماء نجد) لازم الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عياف آل مقرن وقرأ عليه العلوم الشرعيَّة دخل دار التوحيد حينما أنشئت ولم يكمِّل دراسته حدثني الأستاذ المؤرخ عبدالرحمن بن سليمان الروشيد قائلاً: - ان البحر الشيخ عبدالرحمن من زملائنا في دار التوحيد وكأنه موسوعة في اللغة والأدب والعروض وكان أحياناً يستدرك ويصحح على بعض مدرسي دار التوحيد رحمه الله حتى أنه يحفظ الشواهد الشعريَّة الواردة في معجم البلدان لياقوت. وقال: الشيخ عبدالله البسام «رحمه الله» في ترجمته عن الشيخ عبدالرحمن ان الشيخ عبدالرحمن يستحضر كثيراً من قصائد المتنبي ان لم يكن يحفظ الديوان كله وغيرها من القصائد وعيون الشعر العربي التي يلقيها عن ظهر قلب هذا إلى أطلاعه على تاريخ نجد والجزيرة العربية الحديث ويقول لي الأستاذ/ عبد المحسن العلي وهو صديق للبحر: ان البحر إذا أتى إلى الرياض كان يزورنا في مكتب مجلة العرب بشارع الوزير شبه يومياً فنأنس به وبحديثه ويخرج معيَّ وكنا نتغدى سوياً في احدى المطاعم بالرياض التي كانت تناسبه فهو رجل حسن الأخلاق سمح النفس بسيط جداً. وقد توفي فجأة في حادث سيارة طريق مكة الطائف في ١٤٠٦/١٠/٨هـ «رحمه الله».

وليس العرينات كما ذكر أكثر الناسبين. وكانت هذه المقابلة في ربيع عام ١٤١٦هـ ببلدة ملهم.

انضم الشيخ عبدالله بن حميد إلى حلقة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» وشرع يقرأ عليه في جميع الفنون والعلوم يقول الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ «رحمه الله» في كتابه المشاهير... في ترجمته للشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» ت ١٣٨٩هـ قائلاً:

فكان «رحمه الله» إذا صلى الفجر جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في الآجرومِيَّة في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في القطر لابن هشام، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في الفية ابن مالك، وشرح ابن عقيل فإذا أنتهوا من قراءة النحو في الألفية والشرح قرأوا عليه في الفقه في متن زاد المستقنع غيباً، فإذا قرأ آخرهم وسكت أخذ الشيخ في إعادة ما قروأ من المتن من حفظه. وشرع يتكلم على العبارات ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع احد الطلاب في قراءة شرح الزاد المسمى الروض المربع شرح زاد المستقنع قراءة ترتيل يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يعلق على عبارات الشارح وجمله بكلام يوضح المعنى، ويزيل الأشكال. ويصور المسائل تصويراً ملموساً، يقرب المعاني الفقهيَّة إلى اذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم، لأنه «رحمه الله» آخذ بناصية علم الفقه، ومتبحر فيه تبحراً عظيماً، فإذا أنتهى من تقريره على الفقه شرعوا في القراءة عليه في بلوغ المرام.... الخ.

وهكذا كان برنامج الشيخ محمد اليومي «رحمه الله تعالى» من عام ١٣٣٩هـ حتى عام ١٣٨٠هـ حيث ترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه وبلوغ المرام، فإنه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض.

نهل الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» من شيخه محمد جميع المعارف والفنون من عام ١٣٤٦هـ حتى عام ١٣٥٧هـ ملازماً له ملازمة تامة، وكان من ابرز الطلبة والتلاميذ، ومن الطبقة الأولى مع زميله وصنوه العالم المحدث الأثري الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ت١٤٢٠هـ «رحمه الله تعالى» فقد بدآ يقرآن على الشيخ مدة عشر سنوات وتعين كل منهما في سنة واحدة قاضياً: الشيخ ابن حميد في الرياض، والشيخ ابن باز في الدلم.. حدثني احد العلماء قائلا:

ان الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ عبدالله المسعري كانا قد التزما على نفسيهما حفظ شرح منتهى الإرادات، واستمر يحفظان هذا الكتاب، وتوقف الشيخ ابن حميد حتى شروط البيع بسبب زواجه الأول، أما الشيخ عبدالله المسعري فإنه استمر في حفظ الكتاب كاملاً. فأخبر الشيخ عبدالله بن حميد شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم بأن المسعري حفظ الكتاب، فاستدعاه الشيخ محمد عبدالله المسعري فشجعه، وشكره، ودعا له بالتوفيق والسداد، وكافأه بجائزة تعد في وقتها عظيمة جداً وهي عبارة عن عدد من النقود وعباءة وشماغ، ففرح الشيخ عبدالله المسعري فرحاً عظيماً وكان وقتها لا يتجاوز عمره السابعة عشرة. وحينما ننظر إلى موقف الشيخ عبدالله بن حميد إلى زميله الشيخ عبدالله المسعري نجد أنه موقف نبل وشهامة منه «رحمه الله» بل جرّد نفسه من عوالق ما يكون بين التلاميذ من اظهار النفس وبروز ضد زملائه، وأقصد بذلك التنافس غير الشريف.. ولكن طهارة نفس الشيخ عبدالله بن حميد وسموها وثقته بنفسه رحمه الله جعلته وقف هذا الموقف الذي يحسب له.



مكانته لدى شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم وخطواته الأولى في الحياة القضائية والدعويّة

كما قلت إن الشيخ عبدالله بن حميد يُعد من اذكى تلامذة الشيخ محمد وابرزهم مع زميله الشيخ بن باز «رحمه اللّه» يذكر د. عبداللّه بن محمد بن حميِّد في كتابه عن الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل ت١٤٢٢هـ «رحمه الله» قائلا... ويقال إنه ذات مرة سأل الملك عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - مستفسراً من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «رحمه الله» عن ابرز واذكى تلامذته فأجابه بأن كل تلامذته فيهم الخير والبركة والكل منهم مجتهد في طلبه للعلم وحريص على تحصيله والأستزادة منه ولكن يأتي في مقدمتهم ثلاثة من الأذكياء: أثنان كفيفان وواحد مبصر فسأل الملك قائلاً: يا شيخ محمد ومن هم هؤلاء الثلاثة؟ فقال: أقصد بالأثنين الكفيفين: ابن باز وابن حميد والمبصر عبدالله الوابل[1].

(١) الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل من مواليد عام ١٣٢٨هـ تولى القضاء في الحوطة وأبها ثم استقال عام ١٣٧١هـ وتفرّغ للتدريس والدعوة وافاه أجله عام ١٤٢٢هـ رحمه الله بالرياض وللدكتور عبدالله بن حميد مؤلفاً عنه أنظر إليه.

لا شك أنها شهادة لهؤلاء الثلاثة، فهم كوكبة الحلقة، وخصوصاً الشيخان ابن باز وابن حميد، فقد كانا مباركين اينما حلا، وفي أي أرض سكنا واستقرا، وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم يكلّف الشيخ عبدالله بن حميد في تدريس المبتدئين، ويراجع معهم الدروس، وقد أكتسبته هذه الثقة من شيخه الخبرة والمهارة في التدريس.

بعدما نهل الشيخ عبدالله بن حميد من مناهل العلم وارتوى واستوى عوده رشحه شيخه محمد بن إبراهيم لقضاء الرياض سنة ١٣٥٧ هـ وهي السنة التي نقل فيها الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالعزيز بن بشر ت١٣٥٩هـ «رحمه الله» [١] من الإحساء إلى قضاء الرياض لكن الشيخ عبدالعزيز بن بشر قد كبرت سنه واثقله المرض عن مزاولة مهنة القضاء، وصدر الأمر الملكي بتعيين الشيخ عبداللّه بن حميد قاضياً للرياض مع الشيخ عبدالعزيز بن بشر رحم الله الجميع، فباشر الشيخ عبدالله هذا المنصب الخطير بهمة وحيوية، مع ما اعطاه الله من قوة الشخصية، وفراسة في الناس ومخابرهم وبُعد النظر وحصافة في الرأي.

وكانت سن الشيخ عبدالله بن حميد حين تولى القضاء ثمانياً وعشرين سنة، وهو سن صغير بالنسبة لمهام القضاء، وليس قضاء قرية صغيرة بل قضاء العاصمة عاصمة الدولة الفتيّة، ولم يمض على اعلان اسم المملكة العربية السعودية ألا ست سنوات والرياض بدأت في أوائل الخمسينات الهجري بالتوسع العمراني المحدود وكذلك الهجرة السكانية إلى العاصمة من جميع انحاء المملكة، وخصوصاً في منطقة نجد، هذا

(١) توفي الشيخ عبدالعزيز بن بشر بعد تعيينه بسنتين عام ١٣٥٩هـ وهو من الفقهاء المتبحرين في المذهب. أنظر ترجمته مشاهير علماء نجد ص ٣٤٣ -- روضة الناظرين ج١ ص ٣٠٨ - ٣١١ وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ج٣ ص ٤٢١ - ٤٢٧-

يؤدي إلى تنوع القضايا والمشاكل امام القاضي، وليس لدى القاضي في ذلك مساعدون أنما كاتب [1] - أي كاتب ضبط فقط والمحكمة منزل الشيخ. يأتي إليه الخصوم في بيته صباحاً ويتجمعون لديه، ثم يحكم بما يظهر له، ثم ينهض الخصوم، واحياناً يدون هذا الحكم ويسمى «مخلاص.»».

أثبت الشيخ عبدالله بن حميد جدارته في القضاء، وأشتهر أمره عند الخاصة والعامة، وأشتهرت قضاياه وبته في قضايا كانت شائكة، فكان عند حسن الظن، هذا فضلاً عن عدم محاباته لأي شخص مهما علت منزلته أمام القضاء والعدالة.

حدثني شيخنا العلامة زيد بن عبدالعزيز بن فياض ت - ١٤١٦هـ «رحمه الله» في منزله عام ١٤١٣هـ [2] ان الشيخ عبدالله بن حميد كان في منزله، وكان لديه ضيف من علية القوم، وكان هذا الشخص جالساً بجانب الشيخ ابن حميد، وبينما هما جالسان إذ دخل عليهما رجل وسلَّم عليهما وقال: يا شيخ لديَّ خصومة مع شخص فقال له الشيخ أين خصمك؟ فقال الخصم الذي بجانبك. فقال الشيخ لضيفه قم واجلس

---

(١) كان كاتبه في ذلك الوقت زيد الفالح ولا يزال على قيد الحياة. ختم الله له بخير. وهو من أهالي الأفلاج.

(٢) شيخنا زيد بن عبدالعزيز الفياض من مواليد عام ١٣٥٠ هـ بروضة سدير تعّرفت عليه عن طريق الأستاذ الأديب عبدالكريم بن حمد الحقيل عام ١٤١٣ هـ في آخر شهر شوال ثم زرته في منزله بنفس السنة لأجري معه مقابلة لما كنت محرراً في صحيفة المسائية وكانت ليلة حافلة بالذكريات والمواقف في الدراسة وابان عمله في الصحافة كاتباً ورئيس تحرير باليمامة واستاذنا زيد «رحمه الله» رجل يتسم بالبساطة والتواضع ودماثة الأخلاق فهو هيّن لين مع اصدقائه وجلسائه واذا جالسته لأول مرة فكأنك تعرفه منذ عشرات السنين كتب الكثير من المقالات السياسية والأجتماعية والوطنيَّة وحينما تقرأ مقالاته في كتابه (من كل صوب) وخصوصاً مقالاته عن النفط في البلاد العربية والخليج، فأنت أمام كاتب خبير ومحلل نفطي وبترولي وكانت هذه المقالات عنوانها الزيت في بلادنا وهي افتتاحيات اليمامة لما كان رئيساً لتحريرها وهي احد عشر مقالاً كتبها عام ١٣٨٢ هـ وغيرها من المقالات ذات الجراءة والصراحة والقوة والعمق الصحفي والمتابعة لكل حدث في الساحة.. اصابته جلطة دماغية الزمته الفراش عام ١٤١٤هـ في شهر محرم ولم أنقطع عن زيارته حتى توفي عام ١٤١٦هـ في شهر ذي القعدة «رحمه الله». وقد أم المصلين على جنازته الشيخ عبدالله بن جبرين بمسجد الراجحي.

مع خصمك أمامي، فأمتثل الضيف وقضى بينهما، الشيخ، وخرج الخصم المدعي، وقال الشيخ لضيفه تعال الآن اجلس بجانبي. هذا قليل من كثير من مواقف الشيخ وصرامته في تحقيق العدالة.

ان الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» يذكرك بأفعاله هذه القضاة الأوائل في الصدر الأول في الإسلام وما بعده كشريح القاضي «رحمه الله»، والقاضي الفطن أياس المزني «رحمه الله تعالى» ومواقفهم الرائعة والمثيرة والمهابة حتى خاف منهم الأقوياء، وأحبهم الضعفاء.

موقف آخر حدثني به الأستاذ الصديق عبدالله الطويان[1] عندما كان الشيخ عبدالله بن حميد قاضياً في بريده وكان مجلس القضاء منزله، وكانت خصومة بين أحد اخوال أولاد الشيخ عبدالله بن حميد مدعي عليه والمدعى احد اهالي بريده، فذهب المدعي إلى منزل الشيخ عبدالله وجلس ينتظر خصمه، والشيخ عبدالله في وسط المجلس، وما هي إلا لحظات ألا والشخص المدعي عليه الذي هو خال أولاد الشيخ عبدالله يأتي إلى المجلس من وسط البيت، حيث دخل من باب النساء الخلفي قاصداً السلام على أخته ثم الإتيان إلى مجلس القضاء، ولكن الشيخ عبدالله أمره بأن يخرج من المنزل من الباب الذي آتى منه، وأن يدخل

(١) الأستاذ عبدالله بن زايد الطويان من مواليد مدينة بريده أخ وصديق عزيز له اهتمام بالسير والتراجم المعاصرة في المنطقة الوسطى وكتابه الشهير (رجال في الذاكرة الذي بلغ خمسة أجزاء حافل بالتراجم والشخصيات، ولا يزال يشتغل بالتأليف والبحث وله كتب أخرى ككتاب (الحاوي في الألقاب والعزواي) طبع طبعتان ومستقره الآن ببريده حفظه الله وبارك فيه.

من الباب الرئيسي [1] وفعلا ذهب ودخل مجلس القضاء من الباب الرئيسي، وجلس بجانب خصمه، واستمع الشيخ لكلٍ منهما. وحكم الشيخ مما يراه وظهر له. أنتهى كلام الأستاذ الطويان.

قلت: ان تصرف الشيخ هذا «رحمه الله» طمأن المدعي إن القرابة ليس لها أي أثر في الحكم عندي أنما هو الحق فوق الجميع، فلا مكان للقرابة والرحم في مجلس القضاء، رحمك الله يا شيخ عبدالله بهذه النفس انتصر المظلوم، ورُفع من شأن القضاء، وأصبحت له هيبته التي يعرفها الكبير قبل الصغير، ويحسب لها كل أنسان يفكر بأن يأخذ حق، أخيه المسلم بغير حق أو يتعدى على حقوق الآخرين.

هكذا سار الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» في أول جلسة من جلسات القضاء من سنة ١٣٥٧هـ حتى عام ١٣٧٧هـ، عشرون سنة قضاها، كان مثالاً نادراً، وقدوة للكثير من القضاة الذين أتوا بعده، وصارت قضاياه مضرب المثل عند العلماء والأمراء، في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ولذلك لما كانت نية الشيخ صالحة وطيبة وفق في قضائه، وألهمه الله عز وجل الفهم، وحسن التدبير، وإصابة الحق، ومعرفة المحق من المبطل من الخصوم غالباً ومعرفة فائقة بالرجال

(١) لفظة الرئيسي اجازها المجمع اللغوي بمصر يقول الأستاذ اللغوي الشهير د/ إميل يعقوب في كتابه القيّم معجم الخطأ والصواب ص ١٤٢.... وقد أنتهت اللجنة « لجنة الأصول التابعة لمجمع اللغة» من المناقشة بقرار أقره المجمع ينص على ما يلي: يستعمل بعض الكتاب: العضو الرئيسي أو الشخصيات الرئيسية وينكر ذلك كثيرون وترى اللجنة تسويغ هذا الأستعمال بشرط أن يكون المنسوب إليه امراً من شأنه أن يندرج تحته أفراده متعددة. أنتهى كلام د. يعقوب. لذلك استعملتها هنا ولا وجه للتعنّت والتشدّق في استعمال الرئيس ، والحمد لله فالكل جائز واللغة بحر لا ساحل له طبعاً بضوابط وشروط أهل اللغة...

ومخابرهم وفراسة لا تخطىء[1].

يقول الشيخ إبراهيم بن عبيدآل عبدالمحسن «رحمه الله»[2] في تاريخه الموسوم: «تذكرة أولى النهي والعرفان بآيات الله الواحد الديان» في الجزء الخامس في حوادث سنة ١٣٧٧هـ عن تنازل واستقالة الشيخ عبدالله بن حميد قائلاً: لما كان في ٢٩ من شعبان ١٣٧٧ هـ تنازل الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد عن القضاء.... فجعلت الحكومة رئيس المحكمة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي[3] فتلقاها فضيلته، وشغل هذه الوظيفة. إن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قد زاول القضاء في مدينة الرياض، وفي المجمعة، ثم أتى به لقضاء القصيم لاختيار صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز له، لأنه رآه رزيناً وقوياً وذا أنفه وأمانة، فرأى انه لا يسد ثلمة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعد وفاته سواه في القضاء والتدريس وفعلاً كان عند حسن الظن به على حسب مقدرته لأنه يقنع الخصمين بحكمته، وينزل الناس منازلهم، فقد أدى هذه الوظيفة أربعة عشر عاماً في القصيم، وكان موضع الثقة، مضافاً إلى

---

(١) حدثني د/ عبدالله الربيعي نقلاً عن بعض كبار السن قصة مفادها أن مجموعة من الشباب أتوا إلى الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» وكانوا أخوة يريدون من الشيخ عبدالله حصر أرث للورثة وكان أبوهم توفى مقتولاً وكان الذي قتله أحد ابنائه، فأخفوا هذا الأمر على الشيخ، ولكن الشيخ أحس بفراسته وحنكته ودهائه ان أحد الابناء متورط في قتله فانفرد الشيخ بكل واحد على حده وأخذ يتكلم معهم إلى أن جاء الدور مع القاتل فتكلم معه الشيخ باسلوب ذكائي قائلاً له: الشيطان يغوي ابن آدم احياناً فيوقعه في الجريمة، فقال له هذا الأبن نعم والله يا شيخ أنا والله طلبت من أبي «بكرة» لأجل مهر أتزوج به فرفض وغضبت وقتلته ومالي حيلة ألا هذا الأمر، فما كان من الشيخ الا أنه نهره وأمر بالقبض عليه وأقيم عليه الحد.. وهكذا يكون القضاء دهاء وفراسة وعبقرية وليس فقط متون فقهيّة تحفظ.. رحم الله شيخنا ابن حميد واسكنه فسيح جناته.

(٢) توفى الشيخ المؤرخ الفرضي في ١٤٢٥هـ وهو من مواليد عام ١٣٣٤ وأشهر كتبه «هذا التاريخ التذكرة» وكتاب «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف رمضان».

(٣) الشيخ صالح بن أحمد الخريصي توفى سنة ١٤١٥هـ وللشيخ إسماعيل العتيق مؤلف عنوانه (هذا هو العالم) طبع عام ١٤٢٦هـ عن الشيخ. وقد تولى القضاء من عام ١٣٦٠هـ حتى عام ١٤١٠هـ وهو من مواليد سنة ١٣٢٧هـ وقد قرأ على الشيخ عبدالله بن حميد واستفاد منه عُرف عن الشيخ الزهد والورع وحب الخمول «رحمه الله تعالى» تتمة الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٣٦

ذلك التدريس في الجامع الكبير وفي بيته، كما أنه المفتي إذ ذاك، وظهر على يديه تلامذة كثيرون، وقد ساعدته الظروف بمساندة الدولة له بأن كان إليه المرجع في الأمور الدينيَّة والدنيوية، فكانت الإمارة تخضع لأوامره، وكذلك هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمور المساجد، والفتيا، ثم إنه استمر في إمامة المسجد، والجامع، والخطابة فيه، وفي التدريس، وامر المكتبة العلميَّة، فليس له منازع حتى غاية أحدى وعشرين سنة من مجيئه إلى القصيم بحيث نقل إلى الإشراف في المسجد الحرام ومسجد المدينة .... إلخ[1].

ويذكر الأستاذ عبدالكريم الطويان في كتابه «من افواه الرواة» حادثة تدل على قوة وفراسة الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» في قضائه، وهي أن احد[2] الأسر فقدت طفلها في بريده وبحثت عنه دون جدوى، وكان والده يتجول في سوق الغنم حسب عادته، فأبصر غلاماً مميزاً فوقر في نفسه أنه ابنه، فقدم إليه وضمه وهو يقول: ولدي ولدي، فزجره صاحب الغنم وهو من الباديَّة ودفعه وهو يقول له: هذا ابني وليس أبنك، فتنازعا وطال بينهما الكلام، فتدخل الناس بينهما، ورفع امرهما إلى القاضي في زمانه الشيخ - عبدالله بن حميد «يرحمه الله» فقال للرجلين : أعطوني الولد وأذهبا، وفي الغد قال لهما: أحضرا في مجلس القضاء، وأخذ الولد وبعثه إلى بيته وأولاده وعندما جلسا معاً على العشاء قال له الشيخ: ماذا كانوا يسمونك أهلك يا غلام؟ فقال له على البديهة يسمونني «الحضري»، فضحك الشيخ وسكت، وفي الصباح

(١) كان إشراف الشيخ «رحمه الله» على المسجد الحرام فقط وليس له علاقة بالمسجد النبوي، ذكر لي ونبهني معالي شيخنا صالح وفقنا الله واياه لكل خير.

(٢) روى ليّ هذه الحادثة بصيغة تختلف والمعنى واحد الصديق الفاضل الشيخ جديع بن محمد الجديع الباحث بدار الأفتاء وصديقنا جديع طالب علم قوي وذو أطلاع واسع ومعرفة خصوصاً ما ينشر حديثاً في الساحة الثقافية ولديه مكتبة ضخمة تحتوي على نوادر الكتب وفقنا الله واياه لكل خير ونفع الله به.

استقر البدوي «أي سأله الشيخ ان يخبره بالحق» فأقر بالحقيقة وقال إننا أخذناه من البلدة قبل عدة سنوات فحصحص الحق، وتسلم الوالد ولده ونال هذا الرجل عقابه.

ويروي الأستاذ كذلك عبدالكريم الطويان قصة أخرى عن حصافة ودهاء الشيخ ابن حميد «رحمه اللّه» مصدرها د. أحمد بن الشيخ عبداللّه بن حميد والناقل الأستاذ عبدالكريم الطويان قائلا: -

لما تولى والدي القضاء في شقراء[1] جاءه أحد رجال البلدة وقال له إنني رأيت البارحة على ضوء القمر جاري فلان وهو يتسور بيتي! فقال له والدي تعال بجارك غداً وسأنهرك وأغلّظ عليك فاصبر ولا تتضايق فأجابه: سمعاً وطاعة، وفي الصباح جاء إلى مجلس القضاء ومعه جاره، فادعى بدعواه في الأمس، فزجره والدي وقال له: الا تستحي على نفسك أن تتهم جارك بهذا السوء، فجارك نيته طيبة، ضاق صدره في منزله، فتسور بيتك لكي يتعلل معك، ويستأنس في الحديث، فقال الجار: هذا ما حدث يا شيخ، ما جئت وتسورت إلا لهذا الغرض، فأقر بجريمته دون أن يفطن للحيلة التي بيتها له الشيخ ابن حميد، فكان ان نال عقابه الذي يستحقه أمثاله ممن لا يأمن جارهم بوائقهم.

الشيخ ابن حميد ذو ذاكرة حديديّة

لقد وهب اللّه عز وجل الشيخ عبداللّه بن حميد «رحمه اللّه تعالى» ذكراة بطيئة النسيان، فقد عوضه اللّه عز وجل حينما فقد بصره بذاكرة لا يتسرّب إليها النسيان، لم تتغير هذه الذاكرة على مدى مراحل عمره كلها حتى آخر لحظة من حياته.

(١) الشيخ عبداللّه بن حميد «رحمه اللّه» لم يتول القضاء في شقراء مطلقاً أنما تولى القضاء في الرياض ثلاث سنوات وفي المجمعة ثلاث سنوات تقريباً وفي بريده ١٤ سنة وهي سبق قلم من الكاتب.

والشيخ قد توفي وعمره ثلاث وسبعون سنة اللهم الأيام الأخيرة من حياته التي دخل فيها في غيوبة تامة إلى ان توفى «رحمه الله»، والمستمعون لفتاوى (نور على الدرب) التي لا زال تذاع إلى الآن .. يسمعون كيف ان هذا الرجل قد امتلك ذاكرة، حيث إنه يعيد السؤال مرة ثانية بنصه دون ان يغيَّر شيئاً، أو يتصّرف في السؤال، وهذه ميّزة امتاز بها الشيخ دون غيره من العلماء وطلبة العلم. وحينما يسمع الشيخ «رحمه الله» صوت أحدٍ من الجالسين فإن الشيخ لا يمكن ان ينسى هذا الصوت ولو على مدى السنين ولو مرة واحدة .

وهناك قصة تدل على هذا الأمر وهو أن الشيخ لَمَّا كان تلميذاً يطلب العلم على يد شيخه محمد بن إبراهيم «رحمه الله» وكان متوجهاً إلى المسجد وعليه شماغ جديدة، وبينما هو يمشي إذ بشخص يمشي بسرعة وبحركة خاطفة أختطف شماغ ابن حميد، وكان هذا السارق يريد أن يتظاهر بالذكاء أمام ابن حميد ويخفي سرقته، فمكث غير بعيد من الشيخ وقال كأنه يخاطب الشخص الذي سرق الشماغ قائلاً: امسكوا الذي سرق شماغ العميان، ومرت السنون والأعوام، ويعيَّن الشيخ في بريده قاضياً ويأتي إليه خصوم، فيقضي بينهم، ولما اراد الخصوم ان يخرجوا من مجلس القضاء قال الشيخ ابن حميد لأحدهم اجلس أنت أريدك في أمر ما. فقال له الشيخ أنت الذي كنت في الرياض وسرقت شماغ أحد العميان في سنة كذا وفي المكان الفلاني، وكاد هذا الشخص ان يغمى عليه عندما سمع هذا الكلام.

فقال له الشيخ: أنا ذاك الأعمى الذي سرقت شماغه، فاعترف هذا الرجل بذنبه، وقال له الشيخ قد عفوت عنك - فأنظر إلى كرم أخلاق الشيخ «رحمه الله»، وهو العفو عند المقدرة، فضلاً دهاء الشيخ حيث لم

تنطل عليه حيلة هذا الرجل، وهو يتظاهر بعدم السرقة، وكأنه يخاطب رجلاً آخر اضف إلى ذلك أن الحادثة مضى عليها عشرات السنين فلم تُمح من سجل ذكرياته وأرشيفه التليد[1].

ولاحظ كذلك ان الشيخ لم يفاتحه بالقصة إلا بعد انتهاء القضية، ولو فاتحه قبلها لحصل لدى الخصم تشويش وشك في مسار القضية.

والقصص والمواقف كثيرة في ذاكرة الشيخ ابن حميد رحمه الله تعالى.

حدثني شيخنا زيد بن إبراهيم الحميدي وهو أحد الذين قرؤا على الشيخ في الرياض يقول: ان الشيخ كان مسافراً من مكة إلى الرياض وكان الوقت ربيعاً فلما مروا على احدى الأماكن بالطريق وقد غطها العشب قالوا للشيخ ان هذه الأرض خضراء، فأمرهم الشيخ ان يتوقفوا في الروضة للاستراحة والأستجمام، فنزلوا وأعدوا القهوة والشاي، وبينما هم كذلك إذ مرّ عليهم أحد رجال البادية ومعه أبل له يرعاها في هذه الروضة، فأعلموا الشيخ ان هناك صاحب أبل يرعى فقال لهم: ادعوه يتاول معنا القهوة، فدعوه، فأجاب الدعوة، فسلمَّ على الشيخ ولم يعرف أنه الشيخ ابن حميد، فسأله الشيخ عن أحواله وعن موسم الربيع في هذه المنطقة، فقال له الشيخ أأنت فلان؟ قال نعم فقال أليس قد كان لك دعوى في المنطقة الفلانية، واتيت إليَّ في المحكمة، وقضيت بينك وبين المدعى عليه، فقال البدوي نعم، فأنبهر هذا الرجل من قوة ذاكرة الشيخ مع أن هذا الرجل لم يعرّف بنفسه، اما الشيخ فعرفه بمجرد صوته[2].

(١) حدثني بهذه الواقعة الصديق الفاضل محمد بن علي الصقيهي عن أحد الذين سمعوها من الشيخ في درسه بحي دخنه ورواها ليَّ كذلك الباحث راشد العساكر فجزاهما الله خيراً.

(٢) الشيخ زيد بن إبراهيم الحميدي حفظه الله عنه قرأت عليه وأستفدت منه وهو طالب علم جيّد خصوصاً في العقيدة والتوحيد قرأ على الشيخ ابن حميد وعلى الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ. حفظه الله. وقد تفرّغ للدعوة إلى الله عز وجل ومسقط رأسه حوطة بني تميم عام ١٣٧٧هـ دخل المعهد العلمي بالرياض ثم كلية الشريعة وتعيّن بدار الكتب الوطنية التابعة لوزارة المعارف سابقاً ثم استقال من العمل الوظيفي.

وحينما تسمع الشيخ ابن حميد «رحمه الله» في دروسه التي يعقدها في المسجد الذي بجوار بيته بحي دخنه[1] ليأخذك العجب من سرده القصص، والحكايات، والنوادر، والطرائف من التاريخ القديم والحديث، يسردها على تلامذته، كأنه شاهدها وعاينها، واذكر أنني استمعت إلى دروسه من أحد الأشرطة، وكان الشيخ يتكلم عن فضل العلم وأهله، ويأتي بالأدلة من الكتاب والسنة حتى ختم درسه بقصة العالم الجليل والمحدث الأندلسي بقي بن مخلد الأسدي ورحلته من الأندلس إلى بغداد لأجل طلب العلم على يد الإمام أحمد بن حنبل «رحمه الله»، وكان الشيخ يتحدث عن هذه القصة بأسلوب مؤثر وبليغ، وقد تأثر تلامذته من هذه القصة العجيبة، وكان الشيخ في أثناء عرضه للقصة يعلّق عليها كما هو المعتاد في أثناء سرده للقصص، وخصوصاً حينما ذكر لتلامذته ان بقي بن مخلد قد سافر ماشياً ولم يركب، ومكث في هذه الرحلة سنتين «رحمه الله» والذي كذلك يحزن ان بقي بن مخلد حينما أتى بغداد وجد الإمام أحمد مسجوناً بسبب محنة خلق القرآن، ثم أخذ يتحدث مشجعاً تلامذته والسامعين على الهمة في طلب العلم، وعُظم همة هؤلاء العمالقة الذين طافوا مشارق الأرض ومغاربها من أجل الحصول على المعرفة والعلم.

---

(١) المسجد الذي تعقد فيه الدروس يسمى مسجد أبن رضيّان وابن رضيّان هذا أسمه عبدالله بن رضيّان أمَ هذا المسجد قرابة ٤٠ سنة رحمه الله وتوفى عام ١٤١٦هـ وهذه الأسرة الكريمة من أهالي ضاحية معكال خرج منها أئمة مساجد ومقرئين وحفظة للقرآن الكريم. وقد ذكر البحر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ت ١٤٠٦هـ رحمه الله تعالى في ترجمته للشيخ عمر بن حسن آل الشيخ ت ١٣٩٥هـ رحمه الله أن الشيخ عمر قرأ القرآن على مقرىء يدعى إبراهيم بن عيسى بن رضيان والشيخ ابن رضيان أخذ القرآن حفظاً وتجويداً عن الشيخ البطيحي المشهور في وقته بالحفظ ومعرفة قواعد التجويد والبطيحي أخذ عن الشيخ ابن سهل الذي تلقى علم القراءات والتجويد على العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن ... ألخ مشاهير علماء نجد / ١٥/١٦-

سعة علمه ومعرفته الموسوعيَّة

الشيخ عبدالله «رحمه الله» يعد من كبار فقهاء الحنابلة، بل قاموس المذهب الحنبلي، فليس هناك شاردة ولا واردة في المذهب ومسائلة إلا ويعرفها تمام المعرفة، فأصبح مرجعاً للمذهب الحنبلي، ومع ذلك نجد الشيخ يأخذ بالدليل إذا صح لديه، وإن خالف المذهب والأمثلة كثيرة.

منها ما جاء في فتاواه في برنامج (نور على الدرب) التي دونها الأستاذ الفاضل عمر بن محمد القاسم واصدرها في كتاب[1] في فتوى رقم ٥٤ في باب الطهارة. حيث سئل الشيخ سؤالاً: وهو نرجو من سماحتكم إرشادنا إلى كيفيَّة الوضوء إذا كان في جسم الإنسان عضو يتضرر من الماء وجزاكم الله خيراً؟

قال الشيخ ابن حميد: إذا كان في الذراع أو في الرجل جرح فلا بأس بوضع الدواء على العضو وشده بخرقة ولكن تكون على قدر الحاجة ويمسح عليها في الوضوء، ولا داعي هنا للتيمم. ويرى الحنابلة أنه يجمع بين المسح والتيمم فلا بد من التيمم مع المسح، واختار شيخ الإسلام ابن تيميَّة الرأي الأول القائل بأن المسح يكفي وهو القول الراجح - أنتهى كلام ابن حميد.

وهنا نرى في فتواه هذه يرجح المذهب القائل بأنه يكفي المسح في اللفافة ولا داعي للتيمم. لأنه ليس هناك دليل على التيمم.. مع أن مذهب الحنابلة الجمع بين المسح والتيمم، ولكن الشيخ ابن حميد «رحمه الله» خالف المذهب بأنه يُكتفى بالمسح فقط، ولا شك ان هذا المنهج هو

(١) هذا جزء صغير من فتاوى الشيخ رحمه الله والبقيَّة من الفتاوى والمسائل شيء كثير موجود في مكتبته الخاصة الموجودة لدى ابنائه التي لا زالت مخطوطة.

الذي دعا إليه الأئمة الأربعة وغيرهم، وعدم التعصب لأي مذهب أو أشخاص، بل هو اتباع الدليل إذا صح، كما قال الأئمة مقالتهم المشهورة والخالدة «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[1].

ومثال آخر كذلك من استقلالية آراء الشيخ العالم عبدالله بن حميد الفقهيَّة في السؤال رقم ٨٧ من نفس الكتاب الآنف الذكر حيث سئل الشيخ سؤالاً وهو إذا فات المسافر فرض وجاء الفرض الذي بعده ولم يصل الأول وأراد ان يصليهما جمعاً ثم وجد جماعة يصلون مثلاً العشاء فهل يجب عليه الصلاة معهم الحاضرة أو يلزمه صلاة المغرب الفائتة؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

أجاب الشيخ: نقول لكم أيها الأخوة: المسألة فيها خلاف لكن الأرجح أنه يصلي العشاء ما دام أنه يصليها مع الجماعة فالترتيب بين الصلوات وان كان واجباً فهذا يسقط خشية فوات الجماعة، فهو المتعيّن، فإذا صليتم المغرب فاتتكم الجماعة، أي صلاة العشاء مع الجماعة، فتصلون صلاة العشاء مع الجماعة، ثم بعدها المغرب، فحضور الجماعة مقدم على وجوب الترتيب بين الصلوات في أظهر قولي العلماء وإنه كان المذهب عند الحنابلة على خلاف هذا، لكن هذا الذي قلناه هو الصحيح إن شاء الله.. والله أعلم.

ومسألة أخرى كذلك اتبع فيها الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله تعالى» الدليل الصحيح وترك ما سواه. ففي مسألة وضع اليد على الصدر في الصلاة هل هو الأفضل أم غيره؟ ورد سؤال رقم ٩٤ من

---

(١) شيخنا المحدث الفقيه محمد عيد عباسي حفظه الله له مؤلف قيم عن التعصب عنوانه «بدعة التعصب المذهبي» وشيخه الألباني العالم الكبير له كلام كثير. متناثر في كتبه عن ذم التعصب ووجوب اتباع الدليل إذا صح. رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

فتاوى (نور على الدرب) قال السائل: إنني أرى كثيراً من الناس يصلي ويضع يده على صُرته، والبعض الآخر يضع يده أسفل سرته، فهل كان الرسول ﷺ يصلي في الحالتين؟ وأيهما الأصح؟ أفيدونا وجزاكم الله خيراً، أجاب فضيلته قائلاً: الأولى والأفضل أن يجعل يديه على صدره بأن يقبض يده اليمنى على يده اليسرى فيضعهما على صدره فهذا هو الأحسن لحديث وائل بن حجر قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو واضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره، وفي حديث علي إلا أن فيه ضعفاً قال: من السنة وضع اليمنى على اليسرى على الصُرة، وبهذا أخذ الحنابلة.. إلا ان الحديث ضعيف وحديث وائل بن حجر الذي سبق ذكره اصح من هذا الحديث... إلخ.

هذه بعض المسائل التي ابان الشيخ فيها رأيه. مستنداً إلى الدليل بدون تعصب.

أما علم الشيخ في التوحيد والعقائد فهو آية وعلامة في هذا الجانب المهم، فهو يهتم بتدريس كتاب التوحيد في جميع البلدان التي حل فيها مع باقي مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب «رحمه الله تعالى».

تلقى الشيخ ابن حميد علم التوحيد والعقائد من مشايخه وخصوصاً شيخه الأكبر محمد بن إبراهيم «رحمه الله تعالى»، فقد حفظ هذه المتون العلميَّة، وفهمها، وهضمها، وتشرَّب بها كمتون شيخ الإسلام ابن تيميَّة في عقائد أهل السنة والجماعة، وكل ما يتصل بالعقيدة، فدرسها، وعلمها تلاميذه في المجمعة، والقصيم، ومكة، والرياض، وسنتكلم عن هذا الموضوع في الفقرة التالية عن مؤلفات الشيخ واثاره العلمية وجهوده الدعويَّة.

وكما قلت سابقاً إن الشيخ «رحمه الله تعالى» متنوع المعارف. فكل

الذين قرؤا عليه أو جالسوه أو استمعوا إليه يقرون له بالموسوعيَّة والتبحّر في كل فنه وعلمه، فإذا تلكم مثلاً في الفقه حسب السمع أنه لا يحسن إلا هذا العلم، وكذلك في جميع المعارف والفنون.

والشيخ «رحمه الله تعالى» كما قلت كل شيء يسمعه أو يُقرأ عليه فمن المستبعد نسيانه، لذلك تكونت لديه ثقافات متنوعة ومختلفة، وأحبَّ أن يقرأ كل شيء، وإن يطلع على جميع الثقافات القديمة والحديثة وكان حريصاً على الكتاب واقتنائه ويسأل عما صدر في الساحة سواء كان في مجال تخصصه أو غير تخصصه، فلذلك تكونت لديه مكتبة عظيمة، وخزانة هائلة خاصة، مليئة بنوادر الكتب، وبعض المخطوطات، ولا زالت مكتبته لدى ابنائه، وفيها رسائله التي بينه وبيّن العلماء وطلبة العلم وفتاواه التي لو جمعت لجأت في مجلدات.

يقول ليَّ احد طلبة العلم: ان الشيخ ابن حميد كان يتكلم مع كل طبقة ما يناسبهم. فطلبة العلم والعلماء لهم حديث خاص وجو ملائم لهم، وإذ آتى أهل الأدب والتاريخ شاركهم في حديثهم، بل أنه يذكر الوقائع والحوادث التاريخية بتفاصيلها كأنه شاهدها ويسرد القصائد الشعريّة والشواهد الأدبية على ذلك، وإذا آتت العامة على اختلاف مهنهم تحدث معهم بأسلوب يتوافق مع تفكيرهم. وعقليتهم، وكان للشيخ رحمه الله وقت معين وخاصة في مكتبته يُقرأ عليه ما يريده من الكتب فضلاً أنه يقرأ غالب ما يكتب في الصحف والمجلات من أخبار العالم الإسلامي والغربي، وما يدور فيه من احداث، وقد يتوقع الشيخ احداثاً ستقع بنظرته الثاقبة فتقع غالباً، وتلك والله الفراسة النادرة والألمعيَّة الفذة كما قال الشاعر أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظـ ـنّا كأن قد رأى وقد سمعا

مؤلفاته واثاره
وجهوده الدعوية والعلميَّة

الشيخ كما هو معروف قد ألف رسائل متنوعة في العقيدة [1] والفقه كما سيمّر بالقارىء في مؤلفاته التي ذكرها مترجموه في كتب التراجم والسير وهي ليست على قدر علمه وتبحره، فهو من علماء نجد الذين وصف أكثرهم بأنهم قليلوا التأليف والتصنيف، معتمدين على ما ألف من كتب قبلهم، ففيها بركة، وما ترك الأول للآخر شيء، ومع ذلك فالشيخ له فتاوى ورسائل بعضها نشر، والكثير منها لم ينشر، وبعض المصنفات الصغيرة وتلميذه الشيخ عبدالعزيز بن قاسم ذكر في كتابه: (الدليل إلى المتون العلميَّة) مجموعة من المصنفات المخطوطة أكثرها مسجل بالأشرطة وهي كالتالي:

١ - شرح كشف الشبهات مسجل في ثلاثة أشرطة[1].

٢ - شرح كتاب التوحيد في ٣٧ شريطاً[2].

٣ - شرح الروض المربع من الطهارة إلى نهاية الجهاد .

٤ - شرح الرحبيَّة في الفرائض.

٥ - شرح المقدمة الآجروميَّة في النحو[3] (   )

طريقة تدريسه والكتب التي درسها في مسجد دخنه كنت كما قلت سابقاً إنني سمعت دروس ابن حميد عبر الأشرطة المسجلة في مسجده الذي بجوار

(١) شرح كشف الشبهات فرّغه الأستاذ محمد الهبدان وطبعه في كتاب وطبع العام الماضي.

(٢) شرح كتاب التوحيد مسجل على أشرطة عند تسجيلات الأصالة بجدة وعددها ٣٧ شريط.. واخبرني الشيخ محمد بن عثمان المنيعي ان شخصاً من طلبة العلم يأتي إليه صباح كل يوم خميس بعد صلاة الفجر يقرأ عليه شرح كتاب التوحيد مفرغاً من الأشرطة المذكورة ويدعى هذا الشخص محمد العامر.

(٣) وجد فراغ بين قوسين ويبدو أن المؤلف لم يتأكد لديه كم عدد الأشرطة المسجلة وشرح الآجروميَّة يوجد لدى تسجيلات ابن رجب بالمدينة في ١٣ شريط.

منزله بحي دخنه الذي بدأ يدرس فيه من عام ١٣٩٥هـ حتى هاجمه المرض عام ١٤٠١هـ« رحمه الله تعالى».. وتبدأ الدروس بعد صلاة المغرب[١].

حدثني شيخنا الشيخ زيد بن إبراهيم الحميدي وهو من تلامذة الشيخ ومن الملازمين للدرس قائلاً : لقد كنا نعجب أشد العجب من درس شيخنا عبدالله «رحمه الله تعالى»، حيث ان وقت الدرس وجيز جداً ومع ذلك فهو كافي وزيادة حيث كنا نقرأ عليه كتاب التوحيد، والروض المربع، وأحياناً (الآجروميَّة) في بعض الأيام، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة، والأربعين النوويَّة، وكتاب الدرر السنيَّة، ولكن يزول العجب ببركة الوقت وحسن نية الشيخ وصلاح مقصده، حيث لا يبتغي من دروسه هذه سوى الأجر من عند الله، ونشر العلم الشرعي، وإفادة الناس، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم «رحمه الله تعالى» - أنتهى كلام الشيخ زيد «حفظه الله».

أما طريقة تدريسه كما سمعت عبر الأشرطة يُقرأ عليه المتن من كتاب (التوحيد) مثلاً يقرأه احد التلاميذ ثم يعيد الشيخ المتن مرة ثانية، ثم يبدأ بشرح المتن شرحاً مفصلاً بعبارة واضحة مفهومة وسهلة.

والشيخ «رحمه الله» ذواق للأدب والشعر وقد اثرت قراءته للدوواين الشعرية والنثرية وكتب الأدب القديمة في أسلوبه السلس المتدفق عذوبة وحلاوة، لذلك جاءت كلماته ومفرداته الانتقائية، والفاظه الرصينة ظاهرة في شرحه في دروسه التي كان يلقيها أو محاضراته وندواته

(١) جمع الأستاذ إبراهيم الحمدان فتاوى ودروس الشيخ عبدالله بن حميد التي كان يعقدها في شهر رمضان منها ما سجله هو بنفسه في رمضان عام ١٣٩٩هـ ومنها أشرطة أخرى تحصل عليها من مصادر مختلفة والكتاب مهيئ للنشر وقد بلغت صفحات الكتاب ما يقارب ألف صفحة أو أكثر، وهو لا شك جهد طيب يحسب لهذا الباحث جزاه الله خير في نشر آثار الشيخ العلامة عبدالله بن حميد رحمه الله تعالى. أخبرني بهذه المعلومة صديقنا الشيخ جديع بن محمد الجديع الباحث بدار الأفتاء وفقه الله. وبالمناسبة فإن الشيخ جديع الجديع كان دائماً حريص إلى لفتي إلى كثير من الملحوظات والتنبيهات والفوائد في كتابي هذا، وقد أستفدت من ملحوظاته وفوائده وفقه الله وله مني جزيل الشكر. وقد أشرف عليها وقرأها كاملة مصححاً ومراجعاً لها معالي شيخنا صالح كما أخبرني بذلك.

الرسميَّة، وغير الرسميَّة، فلا يتكلف الألفاظ المعقدة، والمعاني الموغلة غرابة ووحشية. ولم يكن الشيخ «رحمه الله» يتلعثم في أثناء سرده للكلام، بل إن كلامه يتدفق ويتسلسل دون انقطاع أو توقف إلا إذا احتاج إلى التوقف مثل سؤال التلاميذ ومناقشتهم فيما يشرحه ويوضحه، والشيخ كما هو ملاحظ في دروسه لا يمكن أن يُقرأ عليه كتاب دون تعليق منه، أو توضيح فليس لديه النظام القديم لدى بعض العلماء في نجد وهي «سمَّ بركة» سم أبدأ أيها التلميذ بالبسملة واقرأ - وبركة أي توقف. ولذلك تجد التلميذ لا يخرج بفائدة تذكر من هذا الأسلوب القديم العقيم ولا تؤهل التلميذ أن يكون طالب علم بمعنى الكلمة. فالشيخ رحمه الله تعالى دائم المناقشة للتلاميذ بعبارات سهلة كأنه يقول: وش نقول؟ وآيش أستفدنا[1] من هذا؟ واذكر انه طرح على تلاميذه سؤالاً أثناء قراءة فتاوى ابن تيميَّة الجزء الأول وهو ما هي اركان التوحيد؟ فعجز التلاميذ عن الإجابة وبعضهم أخطأ وقال هي اقسام التوحيد الثلاثة. وقال خطأ واجابهم الشيخ بأن اركان التوحيد ليست هي أقسام التوحيد الثلاثة المعروفة. ولكن اركان التوحيد ثلاثة:

(١) من اللافت للنظر ان الشيخ رحمه الله تعالى لم تتغير لهجته العاميّة لهجة أهل الرياض وهي التسكين غالباً في الكلمات رغم تركه للرياض واختلاطه بأهل المجمعة والقصيم ومصاهرته لبعض أسر بريده الكريمة ومكوثه عندهم إحدى وعشرون سنة ثم سكناه بمكة المكرمة والأختلاف الكلي والجذري بين لهجة أهل مكة وأهل نجد وقد أستقر بمكة احدى عشر سنة وهذا شيء من النوادر، واذكر ان الشيخ راشد بن حمد بن هملان ت ١٤٢٤هـ رحمه الله حدثني عن عالم آخر وهو من علماء نجد الذين هاجروا إلى العراق ثم استقراره بمصر أربعين سنة تقريباً وهو العالم الداعيَّة الشيخ عبدالعزيز بن راشد الملقب بالنجدي ت١٤٠٣هـ رحمه الله قائلاً : - ان الشيخ عبدالعزيز لم تتأثر لهجته باختلاطه بأهل مصر حتى موته والشيخ عبدالعزيز هو من أهالي مفيجر بمنطقة الحريق وأهالي مفيجر لهجتهم مثل لهجة أهل الحريق الا أنهم لهم لكنتهم الخاصة لا يعرفها ألا أهالي تلك المنطقة. وكذلك نجد ذلك جلياً عند بعض أهالي القصيم الذين استقروا في الحجاز وخصوصاً مكة فلهجتهم القصيميَّة لم يطرأ عليها أي تغيّر وحينما كنت أستمع لأول مرة درس للشيخ عبدالله البسام في شتاء عام ١٤٠٦هـ بالحرم المكي تعجبت من عدم تغيّر لهجته وكأنه لتوه أتى من عنيزه رحمه الله.

- المحبة
- الخوف
- الرجاء

وهي لا شك من فوائد الشيخ «رحمه الله» التي استفاد منها التلاميذ وأستفدت منها أنا حينما سمعت هذه الفائدة وعلقت بذهني حتى كتابة هذه الأسطر. المهم أن الشيخ «رحمه الله» لا يمكن أن ينتهي درس التوحيد إلا إذا استوفاه شرحاً وايضاحاً بكلام ليس فيه اسهاب بحيث يُنسي بعضه بعضاً، ولا موجزاً فيه إخلال أو نقص. وهذه طريقته في جميع الدروس وخصوصاً درس الفقه الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد درس التوحيد.

واذكر أني سمعت الشيخ «رحمه الله» من خلال الشريط المسجل في درس التوحيد عن الكهانة والسحر والتنجيم فذكر لهم قصة أحد خلفاء بني العباس رأى رؤيا فأفزعته بدنو أجله، فطلب المنجمين من جميع انحاء مملكته فجاءه نحو خمسين منجماً وقال لهم: انظروا في طالعي من النجوم ماذا بقى من عمري؟ ففرقهم كلهم كل على حدة بمفرده فجعلوا يحسبون حتى أجتمعوا وقالوا يا أمير المؤمنين بقى من عمرك عشرُون سنة ففرح وانبسط فلم يمض عشرة أيام حتى مات(١).

(١) سئل الشيخ أحد التلاميذ بعد أنتهاء القصة كيف اتفق المنجمون كلهم على أنه بقى من عمر الخليفة عشرون سنة. فاجاب الشيخ بأن هؤلاء المنجمين لهم طرق حسابية في معرفة عمر الإنسان فيحسبون اسمه وأسم أمه أو أبيه حتى يبلغ عدداً معيناً ثم يبدؤون يطرحونه من هذا العدد ١١ حتى آخر عدد من الرقم الذي جمعوه من اسم أمه أو أبيه وحساب الجمل فيكون آخر عدد هو باقي عمر الإنسان. ثم قال الشيخ ولا شك أن هذه ترهات واباطيل. رحم الله شيخنا ابن حميد فقد عرّف تلاميذه بطرق المنجمين وخزعبلاتهم وهذا دليل على دقة معرفته وعظيم سعة اطلاعه بمذاهب أهل الباطل.

الشيخ رحمه الله تعالى حينما بدأ يعرض القصة لم يتأكد أهو الخليفة المعتصم أو أبنه الواثق وبالرجوع إلى البداية والنهاية ج ١١/١٧ - ذكر ابن كثير رحمه الله انه الواثق قبيل وفاته سنة ٢٣١هـ عامل بالله بما يستحق وأما في فتاوى (نور على الدرب) فقد ذكر القصة ولم يعيّن من هو هذا الخليفة حيث قال: رحمه الله وقد ذكر العلماء أن بعض خلفاء بني العباس مرض إلى أخر القصة.. أنظر فتاوى (نور على الدرب) وهي الفتاوى الخاصة بالشيخ عبدالله بن حميد جمع وترتيب عمر بن محمد القاسم، ص ٢٦-.

آتى بالشيخ بهذه القصة لأجل يتعظ السامع ان أمور الكون كلها بيد الله عز وجل وأن السحرة والكهنة والمنجمين لا يعلمون شيئاً وأنهم كذبة فجرة.

وأتضح من هذه القصة ان السحرة والكهنة والمنجمين مهما قالوا في أمور الغيب والمستقبل أنهم لا يصدقون مطلقاً. وكان الشيخ «رحمه الله تعالى» دائماً يردد هذين البيتين في دروسه العامة والخاصة وهي:

أطـــلاب النجــوم أحـلتمــونـا
عــلى عـــلم ارق مـــن الـــهبـاء

كنـــوز الأرض لـــم تصـــلوا إليـهـا
فـكيـف وصلتمـو عـلم الســـماء[1]

وكذلك البيت الآخر وهو للصحابي الجليل لبيد بن ربيعة العامري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قصيدة له جيِّدة - والبيت الذي يردده الشيخ عندما يسئل عن أمور الكهنة والسحرة:

لعمـرك مـا تـدري الضـوَارب بالحصى
ولا زاجـرات الطيـر مـا الله صـانـعُ

والشيخ رحمه الله تعالى حريص تمام الحرص على غرس العقيدة في نفوس المجتمع وخصوصاً تلاميذه في كل البلاد والمدن التي درسها، وحينما يأتي موسم الحج وشهر رمضان الذي تكثر فيه الوفود من جميع

(١) قال الإمام السفاريني رحمه الله تعالى في (غذاء الألباب) ج ١ ص ١٩ -: ومما ينسب لسيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذين البيتين فذكرهما ثم قال: ونسبهما الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات إلى الإمام ابن عبد البر رحمه الله هكذا:

أمنتحلي النجـوم أحـلتمونـا
عـلى عـــلم أرق مـن الهـباءِ

علـوم الأرض مـا احكمتمـوهـا
فكيـف بكـم إلـى عـلم السماء

الأقطار والأصقاع، فيكون لدى بعضهم جهل ببعض مسائل التوحيد كالتبرّك والتوّسل غير المشروع وشيء من البدع، فيستغل الفرصة «رحمه الله» في أماكن اجتماع الحجاج والمعتمرين في الحرم والمشاعر المقدسة، فيبيّن لهم التوحيد الخالص الذي دعت إليه الرسل والأنبياء، مركزاً في كلامه الحجة والمنطق العقلي للذين يستغيثون بالأموات والأولياء، وقد يتخلل تلك الندوات والمحاضرات والجلسات مناقشات حادة من بعض الحجاج فيقابلها الشيخ «رحمه الله» بصدر رحب وسعة صدر وطمأنينة وهدوء نفسي[1].

والشيخ «رحمه الله» يستعمل الحكمة والتروي في جميع أقواله وافعاله. وبالأخص فيما يتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل، فأثمرت دعوته ونصحه في كثير من المواقف والأحداث التي مرت في حياته وجميع أطوارها.

ومن جهود الشيخ في العقيدة والدعوة إلى الله: اشرافه على طباعة[2] كثير من كتب العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد لاحظت على الشيخ رحمه الله تعالى تقبلَّ أي سؤال في أثناء الدرس والاجابة عليه بروح طيبة وعدم التضايق من كثرة الأسئلة والمناقشة كان يشرح «رحمه الله» باب الغسل من كتاب (الروض المربع) وقال في أثناء شرحه مثالاً على أنه لا يشترط الموالاة في الغسل وليس هناك دليل يشترط هذا الشرط وبدأت الأسئلة تنهال عليه من التلاميذ فتلقاها

(١) الشيخ رحمه الله تعالى لم يعقد دروساً خاصة لطلبة العلم، كما فعل في سدير والقصيم بل اكتفى بدرسه اليومي بعد صلاة المغرب وهي دروس عامة لعامة الناس في العقيدة والفقه، واحياناً يقرأ عليه كتاب المنتقى للمجد لابن تيميَّة فيشرح جملة من احاديثه سوى يومى الثلاثاء والجمعة، فإن هذين اليومين لا يعقد فيهما دروساً، كما أخبرني بذلك شيخنا صالح ابن حميد وفقه الله.

(٢) للأخت الفاضلة الباحثة أبتسام بن ناصر اللهيم بحثاً عن جهود الشيخ ابن حميد في العقيدة وهي رسالة ماجستير مقدمة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اصول الدين قسم العقيدة.

بطيب نفس. وقال أحد تلاميذه كيف لا تشترط الموالاة؟ فأجاب الشيخ: ليس هناك من كلام المصطفى ﷺ يشترط هذا الشرط. وقال أيضاً لتلاميذه إنكم قستم الغسل على الوضوء فالتصق هذا في اذهانكم أكثر ولذلك استغربتم هذا الكلام مع أن الموالاة في الوضوء ليست شرطاً عند جميع العلماء، والبخاري من هؤلاء العلماء الذين لا يشترطون الموالاة في الوضوء والأمثلة في هذا كثيرة من المناقشات التي تدور بين الشيخ وتلاميذه.



إعجاب الملك عبدالعزيز بشخصية ابن حميد

لقد روى لنا الشيخ الفقيه عبدالله البسام ت١٤٢٣هـ «رحمه الله» مقالة الملك عبدالعزيز في شخص ابن حميد ولم يروه أحد من المترجمين(١) للشيخ ابن حميد سوى ابن بسام. والمقالة التي قالها الملك عبدالعزيز اعجاباً بشخصيَّة الشيخ عبدالله بن حميد هي: «لو كنت جاعلاً القضاء والإمارة جميعاً في يد رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد» يا لها من مقالة خرجت من رجل يعد من أعظم الدهاة والقادة في القرن الرابع عشر الهجري رجل يعي ما قاله في هذا الكلام الذي خرج عن خبرة بالرجال ومخابرهم وتفرّس صادق. قال الملك عبدالعزيز وصدقت فراسته في الشيخ ابن حميد رحمهما الله.

ابن حميد «رحمه الله» امتلك صفات كثيرة تنطبق أن يكون أميراً وفي نفس الوقت قاضياً ومن المعلوم أنه ليس كل انسان يصلح للقضاء يصلح للإمارة والعكس صحيح، إذ أن هناك صفات ذكرها الفقهاء في كتاب القضاء ينبغي توفرها فالذي يُعين قاضياً وكذلك الإمارة التي لا تقل مسئولية عن مسئولية القضاء ومن النادر ان تجتمع صفات القاضي والأمير في شخص واحد ولكنها اجتمعت في شيخنا الداهيَّة عبدالله بن حميد. وألا فلماذا قال الملك عبدالعزيز مقالته هذه عندما اشتهرت قضايا واحكام الشيخ ابن حميد لدى الناس وأول هؤلاء الناس هو الملك عبدالعزيز(٢).

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ص ٤٣٦.

(٢) تذكر كتب التراجم والتاريخ أن ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم تولى قضاء المدينة وإمارتها في عصر الخليفة سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبداالعزيز ولم يكن لأحد قبله ولا بعده.

إن أكثر مدة قضاها الشيخ عبدالله بن حميد في القضاء هي في عهد الملك عبدالعزيز والمدة ١٦ سنة من عام ١٣٥٧هـ حتى عام ١٣٧٣هـ وأربع سنوات في عهد الملك سعود إلى أن عيّن رئيساً لمجلس القضاء[١] الأعلى عام ١٣٩٥هـ حتى وفاته.. وبالتأكيد ان الملك عبدالعزيز قال مقالته هذه أمام جمع من الناس على اختلاف طبقاتهم والملك عبدالعزيز «رحمه الله» لديه المام بأمور القضاء والقضاة وما يدور في مجالس القضاء من مشاكل وعويص الأمور ذكر العلامة الزركلي في كتابه: (شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز) قضيّة نقلاً عن العلامة الشيخ محمد بن مانع قال الزركلي أخبرني الشيخ ان المحكمة الشرعيَّة العليا رفعت إلى الملك عبدالعزيز حكماً اصدرته بإعدام رجل قتل زوجته ورجلاً آخر وان تنفيذ الحكم معلَّق على موافقة الملك وتأمل عبدالعزيز القضيَّة فظهر له أن الزوجة كانت قد غابت عن بيتها أياماً وبحث عنها زوجها فوجدها مع أحد الأشخاص فاطلق عليهما الرصاص فقتلهما وسألته المحكمة فأقر بالقتل ولم يحسن الدفاع عن نفسه فحكمت بإعدامه ولما أنهى الملك عبدالعزيز قراءة القضيَّة حتى ألقى ورقة الحكم من يده وصاح بحاملها: كيف يكون هذا؟ اطلقوه وأكسوه وأكرموه ودعا رئيس المحكمة إليه فقال له: ألم تقرأ الحديث الذي فيه: (أنني أغيركم والله أغير مني؟؟).

حادثة أخرى يرويها الزركلي «رحمه الله» عن صاحب كتاب (سيد الجزيرة) وهي : - ان جماعة اقبلوا يقودون رجلاً اتهموه بقتل قريب لهم في مشاجرة بينهم ويطلبون الديَّة أو القصاص. ورأى عبدالعزيز أن القتل لم يكن عمداً. فأدى عنه الديَّة من ماله واطلقه على الاّ يعود لمثلها.

---

(١) قبل ذلك تعيّن الشيخ رئيساً للإشراف الديني بالمسجد الحرام ١٣٨٤هـ حتى عام ١٣٩٦هـ ومعنى الإشراف هنا تشمل جميع ما يتعلق بتعيينه الأئمة والمؤذنين والوعاظ والتدريس والاشراف العلمي والديني.

ويقول صاحب كتاب الملك «ابن سعود»... حيثما جلس عبدالعزيز فهو القاضي الأول والقاضي الأخير لمنازعات قومه أفراداً وجماعات وإن له خبرة واسعة بشؤون القبائل، وبما يسبب بين بعضها والبعض الآخر المنافرات والمنافسات والمنازعات وهل ينتظر من رجل مثل عبدالعزيز طوّف في الصحراء. عشرين سنة وداست قدمه كل بقعة من بقاعها إلاّ يعرف هذه البئر وهذا المرعى وهذا الطريق وألا يعرف إلى جانب طبيعة الأرض طبائع أهلها؟ [1].

هذه بعض القضايا التي تدل على عبقرية الملك عبدالعزيز ومعرفته بدقائق وخفايا القضاء كلفه الملك عبدالعزيز في عام ١٣٧٢هـ ان يذهب إلى مكة نظراً لوجود قضايا كثيرة تأخر أنجازها لينظر فيها الشيخ ابن حميد، وفعلا توجه الشيخ ومعه كاتبه الشيخ محمد العبودي، فقام بهذه المهمة خير قيام «رحمه الله تعالى» وانجز هذه القضايا بما يناسب مطبقاً الكتاب والسنة، مجتهداً إذا لم يجد أي نص من النصوص الشرعيَّة ولمّا انتهت مهمته رجع إلى مقر عمله بريده.



(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبداالعزيز ج ٢ من ص ٤٢٠ إلى ص ٤٢٣ بتصرّف.

علاقة الشيخ ابن حميد مع زميله الشيخ ابن باز

كانا زميلين في الحلقة مدة عشر سنوات عند شيخهم ومربيهم الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» وعين كل واحد منهما قاضياً الشيخ عبدالعزيز بن باز قاضياً في الدلم ومعلماً والشيخ ابن حميد قاضياً في الرياض. واستمرت علاقتهما إلى أخر لحظة من حياتهما شعارها الود والاحترام والتقدير والمحبة وكانا يزوران شيخهما محمد بن إبراهيم في الرياض بعدما نقل الشيخ عبدالله بن حميد إلى المجمعة ثم إلى القصيم، وكانا يلتقيان في مواسم الحج بمكة ثم لمَّا عينا عام ١٣٩١هـ بتاريخ ٧/٨ أعضاء هيئة كبار العلماء بأمر ملكي اصبحا يلتقيان عندما تعقد الهيئة دورتها في السنة وكانت تعقد جلسات الهيئة التي تستمر أسبوعين الكثير من القضايا التي تطرح امام أعضاء الهيئة، ويرأس كل دورة احد أعضاء الهيئة وقد ترأس الهيئة في عدة دورات الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ عبدالعزيز بن باز كان يحترم الشيخ عبدالله بن حميد أشد الأحترام، وكذلك الشيخ ابن حميد يبادله نفس الشعور.

في كتاب سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز يقول: الشيخ محمد الموسى مدير مكتب سماحة عبدالعزيز بن باز لم يكن بينه وبين اقرانه ومعاصريه من أهل العلم إلا كل محبة وتقدير وإجلال ولم يكن يحسد احداً منهم أو ينتقصه أو يذمه أو نحو ذلك. بل كان مبجلاً لهم ومتعاوناً

معهم على الخير ومصلحة المسلمين ويأتي على هؤلاء سماحة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمهما الله فلقد انعقد بينه وبين سماحة الشيخ عبدالعزيز محبة خاصة وتعاون بناء إلى أن توفي سماحة الشيخ عبدالله ١٤٠٢هـ وكان بينهما لقاء أسبوعي خاص يتدارسان فيه الأوضاع والمستجدات، وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز إذا كتب نصيحة أو كلمة في أحد ما زوّد سماحة الشيخ عبدالله بصورة مما كتب فإذا وصل ذلك الكتاب إلى الشيخ عبدالله سرّ به وأيده. وأرسل شكراً إلى الشيخ عبدالعزيز ولما مرض الشيخ عبدالله بن حميد زاره الشيخ عبدالعزيز بن باز في مستشفى الهدا وتعانقا وبكيا ودار بينهما حديث. ولعل الشيخين التي استمرت علاقتهما خمسين سنة احسا أنها ستنتهي، ولذلك لم يملك كل واحد منهما ان يتماسك رحمهما الله واسكنهما فسيح جناته[1].

هذه أيها الأخوة والأخوات كلمات وخواطر كتبتها مشاركاً الأخوة الكتاب والمترجمين لشيخنا المجاهد العلامة الذي لم يتوّقف قلمه ولسانه في الدعوة إلى الله عز وجل واعلاء كلمة الحق والنضال في سبيلهما بالحكمة والموعظة الحسنة وفي جنات الفردوس الأعلى مستقره.



(١) تذكر أم أحمد زوجة الشيخ العالم الأثري عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله أن الذي أشار على الشيخ ابن باز الزواج منها هو الشيخ عبدالله بن حميد تقول: أم أحمد منيرة بنت عبدالرحمن بن خضير فهو الذي ذكرني للشيخ عبدالعزيز بن باز ورّغبه في الزواج مني والتقدم لوالدي ليطلبني منه وقد فعل الشيخ فتقدم ليَّ وكانت الموافقة عن مهر قدره ثلاثة آلاف ريال. وكانت وليمة الزفاف تضم الرجال فقط من الأقارب، وعدداً من المشايخ، وكان حفلاً مباركاً قرىء فيه بعضٌ من آيات القرآن الكريم، وألقيت محاضرة وكلمات للمشايخ. مجلة المتميّزة - السنة الثالثة عنوان المقال في بيت الشيخ ابن باز رحمه الله رمضان ١٤٢٦ هـ العدد الثالث والثلاثون.

الشيخ صالح الغصن يروي أيام شيخه ابن حميد الأخيرة

الحمد لله وحده وبعد:

هاتفني الأخ الكريم صلاح بن إبراهيم الزامل مستفسراً عن سيرة وحياة شيخي الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» فقلت له قد كتب عنه مقالات وترجمة تبين حال حياته منذ ولد إلى أن توفي «رحمه الله» ولم تترك لقائل مقالاً فيما يصلح نشره عنه. فقد أوضحت تلك الكتابات تاريخ ولادته ونشأته في صغره. وطلبه للعلم واسماء مشايخه وأعماله التي تولاها والآثار التي تركها وطلبة العلم الذين أخذوا عنه.

كما أعدت عنه بحوث ورسائل جامعية في العقيدة والاختيارات الفقهية.

ثم بعد فترة جاءني الأخ صلاح زائراً ومعه أوراق يستقصي بها المصادر والموارد. وطلب مني الإجابة على استفسارات كتبها فلما قرأتها إذا به يريد مني تأليف كتاب شامل متوسط الحجم له غنمه وعليّ غرمه: فقلت له قد اعتذرت ممن أتوني قبلك ولم أجب طلبهم فقد كفيت والسلامة لا يعدلها شيء، وربما يخطىء الكاتب من غير قصد فيفرح بها قادح وينفخ بها كاشح، فرأيت من المصلحة بالنسبة لي الاكتفاء بما صدر، إذ ليس معرفة حال الشيخ مقصورة عليّ وحدي

فدونك ابناؤه وهم من هم بالعلم والمعرفة والحفظ والضبط والقبول لدى الخاص والعام لا يتيمم من وجد الماء. ولا يرتوي من الجداول من عنده الأنهار. فألَحَّ بتحقيق طلبه ولو بكتابة مختصرة.. فاستمهلته لانظر في طلبه ولم يقبل مني عذراً ولم يمهلني صبراً. صار يتابع بالهاتف متابعة الطالب للمطلوب.. فكتبت للأخ صلاح شيئاً مما املاه الشيخ في أخر حياته وهو على سرير المستشفى بأمريكا وكتبته بقلمي تعليقاً على تلك الكتب التي كانت معنا أثناء الرحلة. نسأل اللّه ان يختم للجميع بخير منها:

١ - قرأت على الشيخ «رحمه اللّه» مقدمة كتاب (التسهيل تفسير القرآن الكريم) لابن جزي ومرت بنا عبارة (بحرمة النبي الأواه) فأملى عليّ الشيخ تعليقاً كتبت نصه على حاشية الكتاب قال «هذه من الألفاظ المتبدعة فإن اللّه لا يسأل بحرمة احد ولا بجاهه وانما يسأل بما شرعه اللّه لعباده من الدعاء باسمائه وصفاته».

٢ - وفي موضع آخر قال ابن جزي في المقدمة الأولى عن مصحف علي ابن ابي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انه لو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير فأملى عليّ الشيخ رحمه اللّه. تعليقاً على هذه العبارة بأن فيها نظراً فإن اللّه حفظ القرآن وصانه عن الضياع: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾سورة الحجر الآية ٩.

٣ - وقال ابن جزي في المقدمة الثانية. والمؤمن في الشرع المصدق بهذه الأمور.

فكتبنا تعليقاً على هذه بقول الشيخ، لا يكفي مجرد التصديق في الإيمان بل لا بد مع ذلك القول والعمل كما عليه أهل السنة والجماعة وكما دل عليه القرآن.

٤ - ومن جملة الكتب التي معنا رحلة ابن بطوطة قرأنا منها مواضع كثيرة وكان مما ذكره. أنه رأى شيخ الإسلام ابن تيميَّة يعظ الناس في المسجد الجامع وأن من جملة كلامه أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا.

فأملى عليّ الشيخ بقوله: ليس هذا بصحيح ولا يصح نسبته إلى ابن تيميَّة فإن ابن تيميَّة من أشد الناس نفياً لمشابهة الله بخلقه وكتبه موجودة مطبوعة في متناول كل احد كشرح حديث النزول وقد قرر فيه وفي غيره ان الله ينزل إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير نزولاً حقيقياً، لكن الله أعلم بكنهه وكيفيته وأنما هو نزول يليق بجلاله كسائر الصفات.

٥ - تسأل سلمك الله عن قراءتي على الشيخ وعملي معه.

كنت ملازماً للشيخ «رحمه الله» في الحضر والسفر بحكم عملي معه مديراً لمكتبه في الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، ثم انتقلت معه مديراً لمكتبه في مجلس القضاء الأعلى في شؤونه الخاصة والرسمية السرية لتصحيح وقع في كتابة من ترجمة للشيخ «رحمه الله»، وذكر أن محرر هذه الأحرف مديراً لمكتبته فقصر عملي مع الشيخ على المكتبة فقط فإظهاراً للحقيقة وبياناً للواقع ووضعاً للأمور في نصابها بينت ذلك.

٦ - وأختم هذه الفوائد بما حدثني به الشيخ «رحمه الله» في آخر أيامه من الدنيا وهو على سرير المستشفى معلقاً آمله بربه ورجائه بفضله وقال ما معناه بأنه شب على الفطرة وقضى عمره في العلم والتدريس والقضاء والنصح والإصلاح وانه يرجو من الله حسن الخاتمة

وصار يتكلم على حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» ١ هـ.

٧ - قلت ولا يخفى ان معرفة حال أهل الفضل والعلم وسبر أخبارهم ومآثرهم وسيرهم العطرة شيء محبب إلى النفوس إذا تضمنت ترجمة العالم ما يتميز به من أقوال حكيمة وفائدة عزيزة وعلم نشره وبدعة كشفها وزهده كيَّف عيشته وحياته عليه وعبادة أخلصها لربه فالطباع تتشوق إلى معرفة ذلك لحفز الهمم وبعث النفس إلى التنافس في العمل عبادة وسلوكاً لطرق الخير الكثيرة المشروعة الواردة عن المصطفى ﷺ. لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب.

وصلى الله على نبينا محمد وأله وصحبه وسلم.[1]

١٤٢٧/٦/٨ هـ



(١) جزى الله الشيخ صالح خير الجزاء على ما أخرج من مكنون فوائده عن شيخه الأول والأخير، وقد كان هذا الألحاح له نتيجة وثمرة لعلمي يقيناً، أن الشيخ صالح الغصن لديه من المعلومات عن الشيخ ابن حميد ما ليس عند غيره وفقه الله ومتعه بحياة طيبة. وقد كان الشيخ صالح هو الذي يقرأ على الشيخ ابن حميد الأسئلة في الحرم المكي واحياناً يقرأها أبنه د/ أحمد كما أخبرني بذلك الشيخ صالح الغصن وفقنا الله واياه لكل خير. والشيخ صالح ملازم للشيخ ابن حميد من عام ١٣٧٨هـ حتى وفاة ابن حميد عام ١٤٠٢هـ.

الشيخ ابن حميد معلماً وقاضياً في المجمعة

عندما تولى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله» القضاء في المجمعة عام ١٣٦٠ هـ بعد الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري «رحمه الله» التف حوله التلاميذ والطلبة للقراءة عليه والنهل من علمه فجلس لنا في مسجد ركيَّة ناصر[1].

وكان عدد التلاميذ ما يقارب «٥٠» تلميذاً وكان برنامج الدروس كالتالي : - بعد صلاة الفجر درس النحو الألفيَّة ألفيَّة ابن مالك وشرحها لابن عقيل، وإذا كان الوقت في فصل الشتاء عُقد الدرس في خلوة المسجد، ومن المعلوم أن الخلوة ليس فيها مصابيح كهربائية حديثة وليس إلا القناديل القديمة، فاحياناً تنطفىء القناديل، فتصعب علينا الكتابة أثناء إملاء الشيخ، وتقييد الفوائد من درس شيخنا، ومع ذلك نكتب وندُون وحينما ينتهي الدرس نجد أن كتابتنا قد اختلط بعضها ببعض، فنصلحها فيما بعد، أما بعد المغرب فيأتي درس الفرائض الرحبيَّة وشرحها، فعموماً كانت اوقات الدراسة عليه بعد الفجر حتى الساعة التاسعة تقريباً، وبعدها يجلس للقضاء إلى قريب الظهر وبعد صلاة الظهر درس لصغار التلاميذ في عدة متون ككتاب (آداب المشي إلى الصلاة) والأصول الثلاثة، وبعدها يجلس لكبار الطلبة في بلوغ

(١) الشيخ عبدالله بن حميد لم يبتدىء الدروس في المجمعة إلا بداية عام ١٣٦١ هـ لأنه تعيّن آخر سنة ١٣٦٠هـ افادني بذلك الشيخ عثمان النجران كاتب الشيخ بالمجمعة وتلميذه وفقه الله.

المرام وزاد المستقنع، وبعد صلاة العصر تُقرأ عليه المطولات كالمغني والشرح الكبير وكان القارىء الشيخ حمود التويجري، وشقيقه عبدالرحمن فكانت اوقاته «رحمه الله تعالى» كلها موزعة للقضاء والإفتاء والتدريس وكان يخصص يوم الخميس درساً خاصاً لأهل السوق سوق المجمعة العام فيرشدهم إلى المعاملات التجارية الصحيحة مذكراً اياهم بتقوى الله عز وجل والحرص على الأمانة في البيع والشراء وعدم الغش في التعامل إلى غير ذلك من النصائح والتوجيهات.

أما طريقة تدريسه للتلاميذ فهو لم يسبق إليها «رحمه الله» فهي أشبه بالطريقة الحديثة وهي طريقة المناقشة للتلميذ واستنطاقه فيما حفظ وقرأ وسمع من الدروس، فالشيخ «رحمه الله» يريد من التلميذ أن تستقر المعلومات في ذهنه بفهم.. فمثلاً في درس الفرائض كان يسأل جميع التلاميذ بأن يقسموا المسائل بأن يطرح كل واحداً منهم مثالاً قائلاً له اقسم ثم الآخر ويقول أقسم وهكذا جميع التلاميذ وإذا أخطأ في القسمة احد التلاميذ قال بصوت مرتفع : لا إلى أن يصحح التلميذ خطأه بنفسه.[1]

ويقول لي الأستاذ عبدالمحسن التويجري أننا نتهرَّب من أن يسألنا الشيخ فنتوارى خلف سوراي المسجد وكنا من صغار التلاميذ ولكنه بذكائه اكتشف ذلك من خلال حفظه الدقيق، فيعرف الشخص من صوته. وقد استفاد منه التلاميذ، وكان يعيد الأمثلة مرة أخرى على التلميذ وإذا زاد التلميذ مثلاً في المثال كأن يقول أم وأب واخوين فيقول الشيخ انا قلت لك أخ فقط.

(١) برنامج وطريقة الدرس أخذتها مشافهة من استاذنا الفاضل الشيخ عثمان الحمد الحقيل مدير مكتب وزير العدل سابقاً. حفظه الله.

وحدثني الشيخ عثمان النجران قائلاً: لما تعيَّن الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» قاضياً عندنا احتاج إلى كاتب يدوّن احكامه وقضاياه فكأن بعض الناس اشاروا عليه بأن يتخذني كاتباً لديه وكان عمري ١٦ سنة، فطلب مني الشيخ أن أكون كاتباً عنده، فحصل عندي نوع من الهيبة لهذه الوظيفة، فقال ليَّ الشيخ لا تخف ليس عليك أي مسئولية أنما أكتب ما أملي عليك فقط، وكانت طريقته في القضاء ان يسمع المدعي والمدعى عليه فيطلب من المدعي بيّنة في دعواه فإذا لم يكن هناك بيّنة طلب اليمين من المدعي عليه أو حكم الشيخ بما يراه، وإذا لم تتضح الدعوى عرض عليهما الصلح، واحياناً تدوّن القضيَّة واحياناً لا تدوّن، وكانت القضايا في ذلك الوقت ليست معقدَّة، إما في أمور الزراعة والفلاحة في مسيل وغيره أو اوقاف. حتى ان الناس إذا تنازع بعضهم مع بعض وقالوا دعونا نذهب إلى الشيخ جنحوا إلى الصلح فيما بينهم واكتفوا حل منازعتهم دون الذهاب إلى الشيخ.. وكان مدة قضاء الشيخ لدينا سنتين ونصفاً من اواخر عام ١٣٦٠هـ حتى عام ١٣٦٣هـ في منتصف عام ٦٣.

وحدثني شيخنا العالم النسابة حمد الحقيل قائلاً: إن الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله تعالى» هو الذي رشحني للقضاء عام ١٣٦٩هـ وكنت أقرأ عليه المطولات كفتح الباري وتفسير ابن كثير ومعظم كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابن القيَّم واستمرت علاقتي بشيخي فكنت أزوره في الرياض وفي الطائف فكان يحترمني ويقدرني وأهديت له مؤلفاتي وأهدى إلى بعض مؤلفاته، وكان شيخنا «رحمه الله» ذا ثقافة واسعة ذكياً لا يمكن أن يخدع، فهو ذو دهاء وفكر عميق جداً وذو سياسة حكيمة. وكان مرحاً جداً قال ليَّ: إن كتاب حياة الحيوان

للدميري «رحمه الله» قد وضع في آخر كل فقرة من حياة الحيوان فقرة عنوانها «الخواص» أي ما يختص به هذا الحيوان وهي في الحقيقة خواس من الخسأ أي الشيء الحقير - لأن الدميري للأسف الشديد جمع فيها الخرافات والترهات التي تخالف العقل والدين - ويتحدث شيخنا العالم والنسابة الشهير عن شيخه قائلاً : -(١)

ان شيخي ابن حميد «رحمه الله» له عناية كبيرة بالأنساب وخصوصاً الأنساب الحديثة، فهو يعرف الأسر والقبائل في الجزيرة العربية ويسرد لك هذه الأسرة تتفرع من هذه الأسرة، وقد استفدت منه في هذا الجانب عند تأليفي كتاب (زهر الأدب) الذي طبع عام ١٣٨٤ هـ

(١) شيخنا حمد بن إبراهيم الحقيل شيخ الأدباء واديب الشيوخ من اساتذتي وشيوخي الذين أعتز بالتلمذة عليهم فشيخنا حمد حفظه الله منذ أن تشرفت بمعرفته والجلوس معه وملازمته أنهل من علمه ومعينه الذي لا ينضب فهو بحق عالم في الأدب العربي ورواية ومحقق في الأدب الشعبي وكثيراً ما كنت افزع إليه عندما أجهل قائل بيت فأجد لديه الجواب الشافي وإذا كان هنا ثمة خلاف ذكره وأين مصدره وموسوعته النفيسة الوحشيات والأوابد شاهدة بذلك على تضلعه في الأدب العربي وقد استفدت كثيراً من كتابه هذا حفظ الله شيخنا حمد الذي يعد علماً من اعلام الأدب العربي ومن اساطين أهل النسب والرواية ولا يزال شيخنا بمنزله العامر يعطي من علمه وادبه لكل زائر ومحبٍ من داخل المملكة وخارجها - وقد تولى القضاء شيخنا حمد عام ١٣٦٩هـ فكان حصيفاً في اقضيته واحكامه ودقة نظره في القضايا المشكلة والمعقدة وايجاد الحلول لها بطريقة حكيمة وسديدة لذلك أشتهر شيخنا بالبت في القضايا العويصة لذلك انتدبه شيخ القضاة محمد بن إبراهيم رحمه الله إلى المنطقة الشرقية والإحساء في قضايا متأخرة فأنهاها وكانت قضايا متراكمة. يقول الشيخ صالح بن غصون «رحمه الله» وكان رئيس محاكم الإحساء (عندما جاء الشيخ حمد لأنهاء قضايا في الإحساء): اني لأعجب أشد العجب عندما ارى قضيَّة من القضايا مشكلة تحتاج إلى وقت طويل لحلها وما هي إلا مدة وجيزة لا تذكر فيجد لها الحل المناسب الشيخ حمد وتلك شهادة من الشيخ صالح رحمه الله تحسب للشيخ حمد بعمق الفكر في القضاء.

ولشيخنا حمد كتابٌ مخطوط عنوانه (مذكرات قاضي) وقد سألته مرة عن هذا الكتاب وما فيه فقال ليّ ان هذا الكتاب دونت أغرب القضايا والوقائع التي مرت عليّ وأنا في سلم القضاء من عام ١٣٦٩هـ وحتى عام ١٣٨٨ هـ وقد أثنى الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» على تلميذه الشيخ حمد بان الشيخ حمد الحقيل لم ينقض له صك قضائي وكان الشيخ ابن حميد قال هذا الكلام في مجلس فيه من كبار المسئولين وعلية القوم، وهذه شهادة أخرى من شخص يعد أكبر سلطة قضائية في البلد لشيخنا حمد. وقد سألت شيخنا حمد من رشحك قال: شيخي العالم عبدالله بن حميد «رحمه الله» وأنظر كتاب شيخ الأدباء وأديب الشيوخ حمد بن إبراهيم الحقيل وهو من إعدادي.

وكتاب (كنز الأنساب) الذي طبع عام ١٣٨٦هـ رحم الله شيخي ابن حميد فإن فقده خسارة كبرى ومصيبة عظمى.

أما الأستاذ الكاتب عبدالمحسن التويجري حفظه الله فقد تحدث قائلاً: لما كنت مديراً للتعليم بمدينة بريده كنت أزور شيخي عبدالله بن حميد «رحمه الله» بمنزله لما كان قاضياً في بريده، وكنت أستشيره فيما يعرض عليَّ من أمور، فأجد عند شيخي ابن حميد الحلول المناسبة واذكر ان هناك ناساً صدر قرار بتعيينهم مدرسين، ولا بد في هذه الحالة أن يكون لديهم بطاقة أحوال، وكانت تسمى (تابعيَّة) وهذه التابعية تحتاج إلى صور شمسيّة فتحّرج هؤلاء المدرسون وقالوا ما دام أنه لا بد من تصوير فلا نريد أن ندرس وهنا اضطررتُ أن أذهب إلى شيخي ابن حميد وفعلاً توجهت إلى الشيخ وشرحت له الموضوع كله وقال لي لا تفعل أي اجراء أنا سوف اتصرّف في هذا الموضوع وبعد أيام استدعاني الشيخ وقال ليَّ: - الحمد لله ارسلت رسالة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة في الرياض وشرحنا له الموضوع بالتفصيل وجاء الرد من الشيخ أنهم يعفون من الصور.

أما الموقف الثاني: فقد جاءني مجموعة من أهالي بريده يشتكون بعض المدرسين الوافدين من البلاد العربية، أنهم لا يصلون الفجر جماعة، وقالوا لا نريد هؤلاء يدرسّون ابناءنا ما دام أنهم لا يصلّون، فذهبت إلى الشيخ عبدالله بن حميد وأعلمته بهذه الشكوى فقال ليَّ: ادع هؤلاء عندي اليوم في منزلي، وفعلاً أتيت أنا وزملائي المدرسين الوافدين ورّحب بهم الشيخ أشد الترحيب وأقنعهم بالحكمة والموعظة الطيبة بأنه لا بد من حضور صلاة الفجر جماعة، وأخيراً اقتنع هؤلاء بكلام الشيخ «رحمه الله» وأصبحوا يصلّون الفجر جماعة في المسجد.-

انتهى كلام الأستاذ التويجري.

وقد كتب الأستاذ التويجري مقالاً بعد وفاة شيخه أثنى على الشيخ وعدّد مزاياه ومناقبه في مجلة (اليمامة) وقد كنت قرأته في حينه، ولكنه فُقدَّ مني ومما علق بذهني من هذا المقال: أن الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» لما كان في مرضه الأخير واراد السفر إلى أمريكا للعلاج اصطحب معه مجموعة من الكتب للأستفادة ومنها رحلة ابن بطوطة وأنتقد ابن بطوطة [1] في كلامه عن شيخ الإسلام في أنه كان

(١) يقول ابن بطوطة ما نصه في رحلته المشهورة: وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيميّة كبير الشام يتكلّم في الفنون إلا في عقله شيء، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم. ويعظهم على المنبر... إلى أن قال: وكنت إذ ذاك بدمشق وحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع وهو يذكرّهم فكان من جملة كلامه أن قال: «إنَّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا» ونزل درجة من درج المنبر إلخ... هذا افتراء وكذب على الشيخ الإمام «رحمه الله»، وقول ابن بطوطة إن في عقله شيئاً (تالله ان ابن بطوطة الذي هو في عقله هوس وفيه اشياء) فأبن تيميَّة هذا الذي شهد له اعداؤه بوفور العقل فهو عبقري زمانه والدليل على ذلك هذه المؤلفات الضخمة في العلوم النقليَّة والعقليَّة ولعل موسوعة ابن تيميَّة درء تعارض النقل مع العقل دالة على عقليّة لم ير مثلها في القرن السابع والثامن وما بعده من القرون. أما روايته لهذا الخبر عن ابن تيميَّة فهو غير صحيح ومخالف للواقع من عدة أمور أولاً: - ان مجيء ابن بطوطة دمشق في التاسع من رمضان سنة ٧٢٦هـ وابن تيميَّة سجن في السادس من شعبان من نفس السنة كما ذكر ذلك المترجمون لابن تيميَّة فيكون وصول ابن بطوطة إلى دمشق بعد سجن ابن تيميَّة باثنين وثلاثين يوماً فكيف يحضر ويسمع كلام ابن تيميَّة ثانياً : - ان أبن تيميَّة لم يكن يعظ الناس على منبر الجامع بل كان يعظ الناس على كرسي كما ذكر ذلك تلميذه الذهبي ثالثاً : إنه قد حضر صلاة الجمعة المزعومة تلك جمع من الناس فإين أولئك الناس عن نقل هذه الحادثة وأين تلامذة الشيخ الذين نقلوا إلينا حركات ابن تيميَّة وسكناته إلخ... رحلة ابن بطوطة ص ٨٨ هامش وتعليق د. درويش الجويدي/ أتهامات كاذبة ص ١١١-١١٣ - الحازمي. ولعل أول من كذَّب هذه الواقعة التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته الشهيرة الشيخ العلاّمة الداعية أحمد بن إبراهيم بن عيسى ت - ١٣٢٩هـ رحمه الله في كتابه القيّم شرح نونية ابن القيّم المجلد الثاني من ص ٤٩٧ - إلى ص ١٤٩٩ يقول ابن عيسى... بعد ان اورد كلام ابن بطوطة عفا الله عنه في وصفه لفعل ابن تيميَّة لحديث النزول الألهي واغوثاه بالله من هذا المكذب الذي لم يخف الله كاذبه ولم يستح فعتريه وفي الحديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ووضوح هذا الكذب أظهر من أنه يحتاج إلى الأطناب والله حسيب هذا المغتري الكذاب.. ثم ذكر الشيخ ابن عيسى رحمه الله الأدلة الواقعيّة لتفنيد هذه الحادثة وكلامه رحمه الله في غاية النفاسة والتحرير والأطلاع العميق في التاريخ والسير والتراجم وقد ختم كلامه ابن عيسى مقاله هذا قائلاً: فانظر كلام تلامذته وغيرهم من العارفين بحاله أهل الورع والأمانة والديانة يتضح لك كذب هذا المغربي عامله الله بما يستحق والله أعلم.

يخطب على منبر جامع دمشق وأنه شبه النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل كنزولي من درج هذا المنبر .

وقال الشيخ ابن حميد أن هذا الكلام لا يصح وغلط وهذا تشبيه مخالف للنصوص وكذب على شيخ الإسلام التي كتبه كلها تحارب التشبيه والتعطيل وتثبيت ما أثبته إليه لنفسه وما اثبته رسوله من غير تشبيه ولا تعطيل .... إلخ وهذا من حرصه «رحمه الله تعالى» على نقاء العقيدة والدفاع عن أئمة وعلماء الإسلام حتى في اصعب الأيام التي مرت عليه وهي أيام مرض موته اسكنه فسيح جناته وغفر الله له(١).



(١) املى عليَّ هذه المعلومات شيخنا النسابة المحقق حمد بن إبراهيم الحقيل حفظه الله والشيخ عثمان الحمد الحقيل والشيخ عثمان النجران والأستاذ الأديب عبدالمحسن بن محمد التويجري.

مواقف وذكريات
بين شيبة الحمد... وابن حميد

تعرفت على الشيخ عبدالله بن حميد منذ وصلت إلى بريده في ذي الحجة ١٣٧٥هـ بعد الحج وكان ذلك يوم خميس، وسلمت عليه في المسجد وطلب مني أن اشرب معه القهوة بعد العشاء في بيته، إلا أنني قلت له لا أستطيع السهر فقال لي: إذن غداً بعد صلاة الجمعة. ثم اتصلت بالشيخ عبدالله الربدي وكيل المعهد العلمي في بريده وقلت له: أن الشيخ بن حميد وجه لي الدعوة لشرب القهوة معه وأخشى أن تفوتني هذه الفرصة العظيمة. فأثنى الربدي على الشيخ بن حميد وأشاد بمرتبته وقدمه على الكل إلا الشيخ محمد بن إبراهيم. وبالفعل لمست ذلك فيما بعد من انتشار علم الشيخ بن حميد وذيوع صيته وتوافد طلاب العلم عليه وذهبت مع الشيخ الربدي. وعندما جلسنا وكان المجلس مفتوحاً لكل الزائرين وكان مكتظاً بطلاب العلم والزوار. ثم سألني الشيخ بن حميد أين درست؟ قلت له درست في الأزهر بمصر. ثم واصل اسئلته فقال وماذا تدرسون في الأزهر. قلت:

أما السنة الأولى ففيها شرح النحو التحفة السنية وفي الثانية الإبتدائية شرح الأزهرية وفي الثالثة شرح قطر الندى وفي الرابعة شذور الذهب. فقال: أنني لا أسئلك عن النحو وغيره ولكني أسألك عن التوحيد. فقلت له في الإبتدائي لم يقرر فيه دراسة التوحيد وفي الثانوي وهو خمس سنوات بعد الإبتدائي مباشرة وكان يدرس في الأولى

والثانية والثالثة والرابعة جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وشرحها لوالده عبدالسلام، وهو من كبار علماء الأزهر الأولين. وفي السنة الخامسة تدرس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده. وفي كلية الشريعة واللغة العربية ليس فيها دروس للتوحيد. أما دروس التوحيد فكانت في كلية أصول الدين والذي يدرس فيها العقائد النسفيَّة.

ثم سألني عن رأيي في العقائد النسفيَّة «النسفي» فأجبته عليه أنه كتاب أشعري له ما للاشاعرة وعليه ما على الأشاعرة. فقال ماذا له وماذا عليه؟ فأجبته: أن الأشاعر، يثبتون عشرين صفة لله عز وجل على سبيل التفصيل وينفى أضدادها على سبيل التفصيل وهذه الصفات العشرون تنقسم إلى نفسية وسلبية وسبع معان وسبع معنوية وخمسة سلبية وواحدة نفسية والمشهور عند علماء نجد أن الأشعري لا يثبت إلا سبع صفات. أما كتاب التوحيد لمحمد عبده فهو بعيد عن التوحيد لأنه يخلط فيها بين المعتزلة والأشاعرة وتنبه لاخطائه أحد طلابه وهو الشيخ محمد رشيد رضا فطبعها بعد موته وصار يعلق على كل المخالفات بعدما تعرف على مذهب السلف من الشيخ فوزان السابق[1] وقد عينه الملك عبدالعزيز سفيراً في مصر وقد خدم مذهب أهل السنة في طبع تفسير ابن كثير وفي طبع كثير من كتب السلف. وتكررت أسئلة الشيخ بن حميد وهو عن التأويل في الصفات والأسماء ولماذا يمنع من ذلك؟ فأجبته أن هذا معارضة للقرآن والسنة ..فأهل السنة والجماعة يثبتون لله جميع ما أثبته لنفسه وينفون جميع ما نفاه الله عن نفسه وما

(١) الشيخ فوزان السابق من مواليد عام ١٢٧٥هـ وتوفى عام ١٣٧٣هـ عن عمر مقداره ٩٨ سنة كان سفير الملك عبدالعزيز في دمشق والقاهرة طلب العلم في شبابه على علماء الرياض وسافر للهند وقرأ على علمائها وقد سعى الشيخ فوزان مع الملك عبدالعزيز بطبع عدة كتب هامة واشرف على الطبع محمد رشيد رضا ... إلخ علماء آل سليم وتلامذتهم ج ٢ ص ٤٣.

لم يذكر في كتاب الله وسنة رسوله لا يتعرضون له لا بالاثبات ولا بالنفي فقال لي: إذا كان لي عندك يد. والعرب يقولون ذلك أي نعمة فضحكت. ضحكة عالية فقال لي لماذا تضحك؟ فقال له الشيخ عبدالله الربدي أن هذا الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر. فقال لي أنت من اتباع الشيخ حامد الفقي فقلت له: لا! أنا والشيخ حامد الفقي من اتباع النبي محمد ﷺ. فسُرّ الشيخ بن حميد كثيراً. والجماعة الحاضرون بدأوا يبشرون كل من رأى أحداً من أهله واصحابه في بريده وانتشرت بين الناس المحاورة بيني وبين الشيخ بن حميد. ولما وصل للشيخ صالح الخريصي خبر وجودي بدأ يهنأ اصحابه بي ويبشرهم بي.

علم الشيخ ابن حميد وفقهه

كان يحتل مكانة عالية من العلم والفقه ولكن لا يرتقي إلى مرتبة الشيخ محمد بن إبراهيم. وكان يلقى دروساً في الجامع طيلة أيام الأسبوع، وكان له برنامج ألا يزوره أحد بعد العشاء، وكان له كاتبان أحدهما عبدالله البقيشي [1]«رحمه الله». فكانا يتناوبان الجلوس معه بعد كل عشاء، ويقرآن عليه ما يشاء من الكتب، وكان لا يترك كتاباً من

(١) توفي الشيخ عبدالله بتاريخ ١٤٠٣/٣/١٤هـ توفي في حادث سيارة «رحمه الله» له ترجمة في كتاب علماء آل سليم وتلامذتهم ج ٢ ص ٣٦١ - والشيخ عبدالله هذا ممن صحب الشيخ ابن حميد إلى مكة ودرس في الحرّم المكي رحمه الله وانظر كذلك روضة الناظرين ج ١٦٢/٣-١٦٣- وقد رشحه شيخه ابن حميد رحمه الله للقضاء فامتنع وظل ملازماً للشيخ حتى توفي الشيخ وتوفي بعد شيخه بعد ثلاثة أشهر وأربع عشرين يوماً.

أخبرني بذلك زميله وابن بلدته بريده الشيخ الفاضل سليمان بن عثمان المنيعي حفظه الله.

أهل البدع ولا من أهل الحق إلا ويحاول الاطلاع عليه، كان يقرأ للطنطاوي الجوهري، وهو أحد أئمة الدنيا في الخرافة والباطل والتصوف. وكان الكاتبان يلازمانه في المحكمة وفي البيت.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم يقدره تقديراً عظيماً فعندما كنت مدرساً بكلية الشريعة وجالساً مع الشيخ محمد بن إبراهيم بعد صلاة المغرب في بيته. وكان جالساً بجواره ولده الشيخ عبدالعزيز فرأى الشيخ ابن حميد يقترب من الباب وكان حاضراً لزيارة الرياض وزيارة الشيخ محمد بن إبراهيم فأبلغ والده بقدوم الشيخ بن حميد. فانتفض الشيخ محمد بن إبراهيم قائماً تكريماً للشيخ بن حميد واحتراماً له وهذا ما شاهدته بعيني. ولا أعلم رجلاً عرفته من طلبة العلم يحرص على الدفاع عن طلبة العلم أعلى من الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز بن صالح. لا يقبلوا من أحد أن يطعن على طلبة العلم فكان الشيخ محمد بن إبراهيم لا يسمح أبداً أن يطعن أحداً على القاضي أو طالب علم.

فالشيخ عبدالله بن حميد كان الناس يجلونه، وأهل القصيم يقدرونه والشيخ من بني خالد وتزوج من الوهبة بمنفوحة وأنجب منها محمداً وتزوج ببريده زوجة من القفارات.

وكان عضواً بالمجلس الأعلى للجامعة بالمدينة المنورة، وصار بعد ذلك رئيساً لمجلس القضاء الأعلى وكان يستشيرني في أمور الجامعة الإداريَّة. فكان الشيخ بن حميد عالماً جليلاً ومتواضعاً ومحبوباً لدى

الجميع [1]. وعندما رشح ابني للقضاء هاتفته «رحمه الله» أن يتنازل مجلس القضاء الأعلى عن ترشيح ابني هذا وفعلاً قبل شفاعتي مسروراً «رحمه الله» فكان يحترمني جداً ويقدرني.



(١) سجلت هذه الذكريات مع شيخنا الفاضل الفقيه المفسِّر الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد بمنزله يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٦/٦/٢١ بعد صلاة المغرب جزاه الله خيراً. وشيخنا عبدالقادر يمتاز بالتواضع الجم والأنبساط لزائريه مع علم وافر وهو من مواليد عام ١٣٤٠هـ حفظ الله شيخنا ورزقه الصحة والعافية. ولشيخنا عبدالقادر الكثير من المؤلفات النافعة والمفيدة ولعل أشهرها كتابه في التفسير بعنوان (تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل وردىء الأقاويل) صدر منه الآن سبعة أجزاء وهو من كتب التفسير النقيَّة والصافية من الأحاديث الضعيفة والموضوعة بل التزم شيخنا حفظه الله في تفسيره الصحيح ونبذ ما سواه ونسف الإسرائيليات والأقوال الباطلة أو الضعيفة وهو بحق سفر قيّم ونافع للناشئة وطلاب العلم وكان هذا التفسير قد ألقاه في المسجد النبوي الشريف كاملاً من سورة الفاتحة حتى سورة الناس وكانت مدة القائه التفسير أربعة عشر عاماً، ولم يكمل حتى الآن مطبوعاً يسر الله طبعه كاملاً، وقد أبتدأ درس التفسير بالمسجد النبوي عام ١٣٨٢هـ وانهاه عام ١٣٩٦هـ وكرره ذلك مرة أخرى حفظه الله وكان قد طبع تفسير سورة «ص» و «ق» و«النجم» و «اقتربت الساعة» بمصر عام ١٣٦٩هـ. وقد طبع كذلك (فتح الباري) شرح صحيح البخاري على نسخة ورواية (ابي ذر الهروي) وحقق هذه النسخة على مخطوطتين وجدها بالأزهر ومكتبة المسجد النبوي وله عدة من المؤلفات في اصول الفقه وعن المذاهب والأديان المعاصرة والشيخ الآن مستقر بمدينة الرياض سكنها بعد تقاعده عام ١٤٠٥هـ لكنه لم ينقطع عن درسه بالمسجد النبوي الشريف متعنا الله بحياته وختم له بخير.

رحيل بن حميد
وانعكاس المفاهيم

بقلم : الأستاذ حمد بن عبدالله القاضي [1]

ببساطة..

اختطف الموت سماحة العالم الجليل الشيخ : عبدالله بن حميد، بعد أن أمضى أكثر من نصف قرن يجاهد بعمله.. ويضيء القلوب بفتاواه...! رحل بصمت لم تعطه الصحافة سوى أقل القليل من كلمات الوفاء.. والعرفان وهو الذي كان - وهو على فراش المرض - يجود بعلمه ويقسو على نفسه من أجل أن يهدي ضالاً.. أو يجيب متسائلاً.

ترى..

لو كان المتوفى لاعب كوره.. مشهوراً، أو عابثاً بآلة موسيقية معروفاً.. ما هو رد الفعل من الصحافة.. وبعض الكتاب.. بالتأكيد سترى فيض الصدور، والمناداة بالويل والثبور... والتدبيج أوفى السطور.. وكلها تتحدث عن مناقب «قدم» اللعب الشهير.. وتتناول خصائص (حنجرة) الفنان الكبير..! إنه لأمرمؤلم جداً..!

(١) رئيس تحرير المجلة العربية وعضو مجلس الشورى وهو يرأس المجلة منذ عام ١٤٠٣هـ حتى كتابة هذه الأسطر له الكثير من المقالات في الصحف المحلية وخصوصاً في جريدة «الجزيرة» وعموده بعنوان «هوامش صحفية» وبرنامجه التلفزيوني «رحلة الكلمة» كان من انجح البرامج الثقافية الذي عرض عام ١٤٠٤هـ حتى عام ١٤١١هـ ألتقى فيه بكثير من رواد المملكة وشيوخ الأدب والمعرفة ومجموعة من هؤلاء الرواد قد انتقلوا إلى «رحمة الله». وهو لا يزال يرئس تحرير المجلة العربية قرابة ثلاث وعشرين سنة متوالية.
وللأسف الشديد فإن المجلة العربية التي تحمل هذا الإسم الكبير في نفوسنا ضعفت من حيث مستواها المهني والثقافي وانحدرت قيمتها كمجلة تشبع قراءها على مختلف طبقاتهم وهي تحتاج إلى كادر صحفي متمّرس يعيد إليها الروح من جديد وهذا نداء أوجه إلى وزير التعليم العالي ووزير الثقافة والإعلام!!

وبئس زمن يكرم فيه الراكل بقدمه، والنعَّاق بصوته، وينسى فيه أولو الفضل والعلم والجهاد..!! انعكاس مخل بالمفاهيم..!! ونحن أولاء صحافة ومجتمعاً من نكسنا فيه المفاهيم.. فأصبح من يفكر بقدمه أو يدندن عوده أهم وأولى بالتكريم والوفاء ممن يطفىء ظمأ الأرواح ويهدي بنور الإيمان.. ويدعو إلى الله على بصيرة...!!

ما يزيد على نصف قرن أعطاها فقيدنا الجليل الشيخ (ابن حميد) من أجل الإرشاد وبيان أحكام الدين.. وكان صوته المؤثر - من خلال المذياع يتحدث إلينا.. ويفتينا في أمر ديننا.. وإنني لأدعو - بالمناسبة إلى طبع فتاوي هذا العالم الجليل.. فهي كنز يجمع رجاحة الرأي، وبساطة العرض، ودقة الإفتاء..!!

يرحم الله (ابن حميد) بقدر ما أعطى وجاهد وأفتى.. ومعذرة - إليك في قبرك - إذا كنا نعطي لأصحاب الأقدام، أكثر مما منح لأرباب الأقلام.

والله المستعان...



❖ جريدة الجزيرة، الموافق ٢٥/١١/١٤٠٢هـ العدد ٣٦٥٣.

الشيخ ابن حميد
قوي في الحق حكيم في تصرفاته

إملاء: الشيخ محمد بن علي السبيهين

الشيخ العلامة المحقق عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله»، كنت أسمع به ولم اره. فلما تعين رئيساً لمجلس القضاء عام ١٣٩٥هـ وكنت موظفاً بالمجلس شرفت بأن أكون تحت رئاسته، وقد حججنا معه في حج عام ١٣٩٥هـ، وهي أول حجة نحجها معه، فكان هناك مخيَّم خاص لمجلس القضاء الأعلى بمنى طول أيام الحج، حتى أخر يوم من أيام التشريق. يتوافد عليه المستفتون من كل حدب وصوب.

وأول حادثة عرفت أن الشيخ عبدالله يتمتع بذاكرة قوية أنه في يوم من الأيام وأظنها في نفس السنة التي حججنا مع الشيخ عبدالله، أول حجة كنا في حي العزيزية، وقد استؤجر مبنى لمجلس القضاء الأعلى وكان المبنى ليس فيه هاتف فلما قارب الوقت لصلاة الظهر، صحبت الشيخ عبدالله لصلاة معه صلاة الظهر بالمسجد الحرام لغرض الاتصال على أهلي بالرياض من رئاسة الإشراف الديني. وكان الشيخ عبدالله لا يزال رئيساً لها فكان يداوم بعد صلاة الظهر في الرئاسة. فركبت مع الشيخ في سيارته وقال لي على سبيل (المباسطة) وش عندك يا أبو سبهيين؟ قلت له أريد أن اتصل على أولادي بالرياض فقال لي أليس رقم هاتفك وعده عليَّ كاملاً وقال إن أحد أولادي كان يتصفح دليل الهاتف فحفظت هذا الرقم، فقلت له هذا ليس رقمي ولكنه رقم

أحد أقاربي في الرياض. ومن تلك اللحظة علمت أنني أمام شخصية تحفظ ولا تنسى مع حضور في الذهن وتوقدّ وذكاء خارق.

وكذلك أروي واقعة أخرى عن دقة ذاكرة شيخنا ابن حميد «رحمه الله» وهي في إحدى جلسات مجلس القضاء الأعلى عُرضت قضية على المشايخ الأعضاء، واختلف الأعضاء فيما بينهم هل لصاحب القضية شفعة أم لا؟ فبعض الأعضاء يرى الشفعة وبعضهم لا يرى الشفعة، وكان الشيخ عبدالله بن حميد حاضراً في تلك الجلسة، وهو ساكت. فقال الشيخ عبدالله بل هذه القضيَّة فيها شفعة. وكانت وظيفتي بالمجلس سكرتير القضايا فكنت أقرا على الأعضاء الصك ومحتويات القضيَّة. فقال الشيخ عبدالله: يا أخ محمد اذهب إلى المكتبة وآتي بالمغني طبعة المطبعة السلفيّة المجلد رقم كذا الصفحة رقم كذا، وأظن أنها صفحة ٢٤٠ وقال بالحرف الواحد ما نصه: أترك يا محمد أربعة أسطر من هذه الصفحة من فوق الصفحة وأبدأ من السطر الخامس، وقرأت من الموضع الذي حدده ليَّ الشيخ حتى قرأت صفحتين حتى اقتنع الأعضاء أن الصواب في هذه القضية ان فيها شفعة، فانظر كيف حدد الصفحة والطبعة والأسطر، فسبحان واهب العقول والأفهام.

لقد عملت مع شيخي الجليل ابن حميد رحمه الله منذ عام ١٣٩٥هـ حتى ١٤٠٢ هـ فكان يأتي إلى مجلس القضاء الأعلى في الساعة السابعة صباحاً يبدأ عمله بهمة ونشاط وعمل دؤوب لا يعرف الشيخ الملل ولا التعب بل كان نشاطه يتجدد يوماً بعد يوم من حينما يجلس على مكتبه فهو «رحمه الله» منشغل بأمور المجلس إدارياً وقضائياً او إجابة على فتاوى ورسائل ترد إليه من داخل المملكة وخارجها وكان يشجع الموظف الجاد والعملي بل يدعمه في ترقياته النظامية وكنت على المرتبة

الثامنة ومضى على خدمتي سنتان ونصف، فرفع إلى الجهات المسئولة توصية بترقيتي، فجاءت الموافقة بترقيتي إلى التاسعة، أما الموظف المهمل، فلا مكان لديه عند شيخنا ابن حميد، فقد أمر بنقل ثلاثة من الموظفين في المجلس، من المجلس إلى وزارة العدل لأنهم غير منضبطين في الدوام. فالشيخ «رحمه الله» حازم في أموره وإذا اراد شيئاً حاول بقدر الأمكان تحقيقه.

أما من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالشيخ كما هو معروف لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد سخّر علمه كله للدعوة إلى الله عز وجل والتناصح، فهو يرسل النصائح تلو النصائح إلى المسئولين في الدولة، مبيناً لهم وموضحاً الوجهة الشرعية، ومستعملاً الحكمة والموعظة الحسنة، وكانت ميزته «رحمه الله» انه يتابع ازالة المنكر ولا يتركه بمجرد النصيحة فقط. بل إنه لا يمل من التكرار حتى يرى أنه برئت ذمته. وكثيراً ما يأتي إليه في مجلس القضاء المستفتي وصاحب الحاجة أو الشكوى، ومن خلال صحبتي لهذا الشيخ الجليل أنني أعرف من قسمات وجهه ان الموضوع أياً كان لديه علم أو خبر به أم لا؟ .

دخل علينا شخص كبير في السن وسلمّ على الشيخ وقال يا شيخ عبدالله لدىَّ أبنان لم أرهما منذ سنتين والمشكلة هنا أمهما هي التي تبكي دائماً فقال الشيخ هل تستطيع تدعوهما وتقول الشيخ عبدالله يريدكما وترضيان بحكمه إذا آتيا إلى الرياض فقال سأحاول.

وبعد أيام ليست بالقصيرة إذ بالرجل ومعه اولاده. فقال الشيخ للأبناء لماذا لم تسلما على ابيكم وامكما وتحسنا إليهما؟ فقالا يا شيخ ان في بيت ابينا راديو وبعض الصور الموجودة في الكتب الدراسية، لذلك لا نريد دخول هذا البيت الذي فيه هذه المحرّمات. فقال الشيخ: ألا

تقرأون القرآن؟ قالا نعم ألم تقرأ سورة لقمان؟ قول الله تعالى:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] فقال الشيخ عبدالله هذه الآية تبين أنه يحب الأحسان إلى الوالدين حتى ولو كانا مشركين، فكيف إذا كانا مسلمين، فاقتنع الأبنان وذهبا مع أبيهما واصبحا يحسنان إلى والديهما، وبعد مدة آتيا إلى الشيخ وقالا له وجدنا ابانا يرتكب خطأ كبيراً وجريمة، فقال ما هي؟ فقال رايناه يبول وهو واقف فقال الشيخ وهل عندكم دليل أنه حرام؟ فقالا معروف أنه حرام. فقال الشيخ لا بد من دليل فسكتا، واعلمهما الشيخ عبدالله بالأدلة من السنة على ان التبوّل جائز، لكن يحتاط إلى أمرين وهما انه يأمن ان لا يصيب بدنه وثوبه من البول - والثاني ان لا يدوام عليه لأن الأطباء قديماً قالوا أنه يسبب حصر البول. وخرجا الشابان وهما يشكران الشيخ على توضيحه وبيانه وعمق فهمه.

بعد حج ١٣٩٩هـ، وبالتحديد قبل قضية الحرم المكي بثلاثة أيام، كان الشيخ عبدالله يلقي درسه المعتاد بعد صلاة المغرب في الحرم، وبعد انتهاء الدرس يأتي دور الأسئلة، فسئل الشيخ عن المهدي المنتظر قائلا: سمعنا ان المهدي قد خرج في هذه الأيام، فهل حقاً خرج؟ فأجاب الشيخ[2]:

أولاً: -انه قد ادعى أناس كثيرون قبل هذا العصر، أنهم هم الذين تنطبق عليهم صفات المهدي المنتظر، ولكن اتضح فيما بعد ان هذا غير صحيح.

---

(١) سورة لقمان الآية (١٥).

(٢) ويذكر ليَّ الشيخ محمد السبيهين ان الشيخ ابن حميد حدثه ان هناك شخصاً مغربياً أتى إلى الملك عبدالعزيز وقال له أنني أنا المهدي المنتظر فبايعني، فقال له الملك إذا بايعك جميع الناس في العالم العربي والإسلامي فليس عندي مانع ان أبايعك فذهب هذا الرجل ولم يرجع.

ثانيــاً : - ان المهـدي المنتـظر لا يخـرج إلا بعـد ان تملـىء الأرض جـوراً وظلماً، فيأتي المهدي فيملؤها عدلاً، ونحن الآن في بلادنا هذه يستطيع المسلم أن يمارس عبادته بكل حرية وسهولة وأطمئنان فالأرض لا زال فيها خير كثير.

ثالثاً : - ان المهدي الذي سوف يخرج هو قرشي كما ذكرت الأحاديث الصحيحة وهذا الذي خرج أو سمعتم انه مهدي قحطاني، وهو كذلك ليس بقحطاني فهو يدعي انه من قحطان، وبعد انتهاء الدرس وصلينا العشاء، كان الشيخ قد دعانا خارج مكة إلى تناول العشاء، وكان الشيخ من طبيعته يحب الخروج والتنزه خارج المدينة، وكان المدعوون من المشايخ والعلماء، فسألت الشيخ عبدالله فقلت له : يا شيخ عبدالله كأنك تعرف هذا الذي يدعي أنه مهدي، فقال نعم، هذا رجل ساذج إمام مسجد الرويل بمنفوحة سيطر عليه وغلب على عقله شخص اسمه جهيمان وادخل في راسه أنه هو المهدي المنتظر فصدق نفسه، وصدق جهيمان، وما هي الا ثلاثة أيام حتى حدثت حادثة الحرم في ١/١/١٤٠٠هـ.

ومن الذكريات التي حدثني بها هو شخصياً قائلا: لما كنت في مكة المكرمة مرضت مرضاً في المعدة أقعدني عن المشي فأتيت إلى الرياض فأدخلت المستشفى، لكن لم يكن أي تماثل للشفاء. ورجعت إلى مكة وفي أحد الأيام جاءني طبيب باكستاني وعرف مرضي، وقال لي عليك بتعاطي «المرة» ووصفها لي بمقدار معيَّن، وقال لي وليس كل «مرَّة» بل مره كذا لونها، فقال الشيخ عبدالله واين أجد هذه المره. فقال الطبيب: تجدها في حي الغزة عند عطار، وفعلاً أشترى الشيخ من هذه المرة وداوم على أستعمالها أياماً وأسابيع حتى شفي من مرضه.

«رحمه الله» وقد زرت شيخنا بمستشفى الهدا بالطائف في مرضه

الأخيـر وهو مـرض الموت - قـبل ان يتـوفى بثـلاثة أيام وسلَّمت عليـه. وانطلق يسـألني عن العمل فـي المجلس وهل هو كثيـر أم قليل [1] «رحمـه الله» واسكنه في جنات الفردوس.



(١) قابلت الشيخ محمد بن علي السبيهين يوم الثلاثاء الموافق ١٤٢٦/١٢/١٧هـ بعد صلاة العشاء بمنزله بالرياض، وهو من مواليد بلدة القرائن بالوشم ودرس بمعهد شقراء العلمي ثم التحق بكلية الشريعة وبالمعهد العالي للقضاء وحصل على الماجستير وتعيّن بالهيئة العليا القضائية التي تحولت إلى مجلس القضاء الأعلى سكرتيراً للقضايا، ثم أنتقل إلى محكمة التمييز بالرياض ورقي إلى قاضي، تمييز رجل فاضل ظاهره الصلاح والخير نحسبه كذلك والله حسيبه وفقنا الله واياه لكل خير. وقد صغت حديثه بتصرّف.

إلـــى جنـات الخلــد..

بقلم : عبدالعزيز عبدالله البابطين

رحم الله سماحة العالم العلامة الشيخ الفقيد : عبدالله بن محمد بن حميد، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته. وألهم الله بنيه ومحبيه أهل العلم والمسلمين جميعاً الصبر الجميل بفقدان الراحل العظيم.

لقد كان «يرحمه الله» عظيماً في علمه، وعظيماً في خلقه عاش حياةً كلها مضيئة بالعلم وتعليمه، وفي خدمة بلاده، وخدمة الإسلام والمسلمين. وجعل حياته وصحته ووقته وقفاً في سبيل ذلك. حتى إن مجالسه في بيته بمكة وفي الطائف والرياض وغيرها من المدن التي يقيم فيها. أصبحت منتدى لزواره من أهل العلم والعلماء وخيرة الناس يدور فيها الحديث والبحث في شتى المجالات وأنواع العلوم. وأدى رحمه الله أعمالاً عظيمة في مجال التعليم والفقه والقضاء والدعوة إلى أن لقى ربه راضياً مرضياً. وتميز في حياته وفي سلوكه بما وهبه الله من مواهب كثيرة يشهد له بها الناس. من الحكمة، والرؤية، والبصيرة النافذة، وحسن الخلق، ورحابة الصدر، وسعة الأفق والإطلاع والمعرفة وكان نزيهاً شريفاً، لا يحابي، أو يخشى أحداً في قول الحق وإنصاف المظلوم، حتى أصبح مثالاً للقدوة والسيرة الحسنة.. رحمك الله وغفر لك ورضي الله عنك وعوض المسلمين بخسارتك خير العوض.

❖ جريدة الجزيرة، الموافق ١٤٠٢/١١/٢٥هـ العدد ٣٦٥٣.

مواقف القادة تعطي مجتمعنا وصحافتنا المثل الصحيح للتعامل معهم

بقلم : الأستاذ / ثنيان بن فهد بن ثنيان [1]

المكرم/ رئيس جريدة الجزيرة الغراء المحترم

بعد التحية،،

قرأت في جريدكم الغراء ما كتبه الأستاذ : حمد عبدالله القاضي بزاوية هوامش صحفية بالعدد ٣٦٥٣ بتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٥هـ. عن صحافتنا التي لم تعط سماحة الشيخ : عبدالله بن محمد بن حميد، حقه من التقدير والوفاء وهو العالم الجليل الذي أفنى عمره في خدمة بلده وقومه مفقهاً وهادياً ومؤدباً، واعتبر ذلك انعكاساً للمفاهيم حيث ورد في مقاله.. «ببساطة» اختطف الموت سماحة العالم الجليل الشيخ: عبدالله بن محمد بن حميد، بعد أن أمضى أكثر من نصف قرن يجاهد بعلمه ويضيء القلوب بفتاواه.

ارتحل بصمت لم تعطه صحافتنا سوى أقل من القليل من كلمات الوفاء والعرفان وهو الذي كان وهو على فراش الموت يجود بعلمه ويقسو

(١) الأستاذ ثنيَّان من مواليد بلدة العماريّة له أهتمام بالأدب والتاريخ والسير شارك بقلمه في كثير من صحفنا اليوميَّة في شتى فنون الأدب والهموم الوطنيّة وقد اهدى مكتبته إلى مكتبة الملك فهد الوطنيَّة اسهاماً منه في دعم مسيرة المكتبة ومواصلة اداء رسالتها الثقافيَّة والبحثيَّة.

وقد أصدر كتاباً يضم جميع ما قيل شعراً ونثراً عن صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلمان بن عبدالعزيز رحمه الله وقد زرته بمنزله العامر واتحفني بمقاله هذا عن الشيخ عام ١٤٢٠هـ

على نفسه من أجل أن يهدي ضالاً أو يجيب متسائلاً. ترى! لو كان المتوفي لاعب كرة مشهوراً، أو عابثاً بآلة موسيقية معروفاً ما هو رد الفعل من صحافتنا وبعض الكتاب. بالتأكيد سترى فيض الصدور والمناداة بالويل والثبور وتدبيج أوفى السطور وكلها تتحدث عن قدم اللاعب المشهور وتتناول خصائص حنجرة الفنان الكبير، انه لأمر مؤلم جداً.. وبئس زمن يكرم الراكل بقدمه والنعاق بصوته وينسى أولو الفضل والعلم والجهاد.

الحقيقة انني أقدم شكري وتقديري للأخ الأستاذ: حمد عبدالله القاضي، الذي قال كلمة الحق لا يريد إلا وجه الله.. والحقيقة انني أقول أن صحافتنا التي تجاهلت فقد هذا العالم الجليل هي نفسها التي تفرد الصفحات الكاملة لأهل الفن والعبث وتنشر صورهم وتخصص لهم الروبرتاجات والأحاديث الصحفية لأن ذلك باعتقادهم يزيد من رقم توزيع الصحيفة.. علماً بأن الفقيد «رحمه الله» غني عما يكتب عنه لأن الإنسان لا ينفعه إلا علمه الصالح، ولكن تجاهل مثل هذا العالم له ردة فعل في نفوس العلماء والمواطنين على حد سواء.

والملفت للنظر ان هذه الظاهرة لم تكن الأولى من نوعها، فالجميع تقريباً يعرفون المعاهد والكليات التي تعتبر أول معهد للتعليم بالمملكة والتي قامت بفضل جهود سماحة الشيخ: محمد بن إبراهيم وبإدارة أخيه فضيلة الشيخ: عبداللطيف[1] بن إبراهيم، رحمهما الله، هذه المعاهد التي تخرج منها وتفقه فيها آلاف العلماء على مختلف مناهجها، وأصبحت تعرف اليوم باسم جامعة الإمام محمد بن سعود، والتي تعتبر

(١) الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم توفي عام ١٣٨٦ هـ ويمتاز الشيخ «رحمه الله» بدقة علمه في الفرائض «رحمه الله» وقد كتب بيده رحمه الله الكثير من العقود والوثائق تبرعاً منه بدون مقابل.

بحق مفخرة وانجازاً عظيماً من انجازات جلالة الملك وحكومته الرشيدة في هذا العهد الزاهر، وقد احتفل مؤخراً بوضع حجر الأساس لبناء هذه الجامعة العظيمة. الأمر المؤسف هو عدم ذكر الجهود التي قدمها اللذين عملا على تأسيس هذه المعاهد وقاما بالإشراف عليها وإدارتها طيلة حياتهما وهما سماحة الشيخ : محمد بن إبراهيم وفضيلة الشيخ: عبداللّطيف بن إبراهيم، رحمهما اللّه، وفضلهما الذي لا ينكره إلا جاحد على هذه المعاهد التي رعياها صغيرة فكبرت على يديهما حتى أصبحت الآن في عداد الجامعات الإسلامية المرموقة.. لم يذكرهما أحد الخطباء أو الشعراء أو أحد من المحتفلين بكلمة شكر تعيد للأذهان فضلهما في هذا المجال، وفي مجالات الفقه والدين وقد أمضيا عمرهما في خدمته وخدمة نشر العلم قبل إنشاء هذه المعاهد حتى تخرج على يدي سماحتهما عدد كبير من العلماء الذين نفع اللّه بعلمهم البلاد والعباد.. هذه الظاهرة خطيرة لأنها تعطي مجتمعنا صورة بأن العمل الجاد المثمر الهادف ينسى مع مرور الزمن.

ونحن لا نريد لمجتمعنا ان يعيش هذه الأفكار الخاطئة الخطيرة عليه وعلى أجياله.. أمر واحد يمنحنا الإطمئنان ويعطينا الثقة بمجتمعنا الأصيل وهو موقف ولاة الأمور أيدهم اللّه ونصرهم من العلم والعلماء ورغم أنه موقف صامت بلا إعلام ولا ضجة ولم يشعر به إلا القليلون ولكنه هو الموقف المشرف الذي نريد أن نعيشه دوماً ويعيشه مجتمعنا الأصيل.

ان رعاية جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز «رحمه اللّه» وجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز أيده اللّه لسماحة الشيخ: عبداللّه بن حميد، أثناء مرضه ونقل سماحته بطائرة خاصة مع عدد من الأطباء بأمر من

جلالته لعلاجه في أرقى المستشفيات بالولايات المتحدة وإعادته بنفس الأسلوب والطريقة بعد أن تحسنت صحته، هو تقدير للعلم والعلماء وحين عاود المرض سماحته مرة ثانية اهتم جلالة الملك خالد «رحمه الله» وجلالة الملك فهد، وأمر بنقله بطائرة خاصة مرة أخرى إلى الولايات المتحدة مع عدد من الأطباء لمعاودة العلاج وكان جلالة الملك فهد يتابع تطور حالته الصحية يوماً بيوم.. وحين قرر الأطباء في الولايات المتحدة إعادته لبلده لعدم جدوى العلاج أرسل له جلالة الملك فهد طائرة خاصة ليعود مصحوباً ببعض الأطباء المختصين وحين وصول سماحته لمطار الطائف كانت بانتظاره طائرة هيلوكبتر لتنقله لمستشفى القوات المسلحة بالهدا مع فريق من الأطباء، وكان جلالة الملك فهد وولي عهده سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز والأسرة الكريمة يتابعون حالة الفقيد الصحية يوماً بيوم حتى وافت المنية سماحته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

ان هذا الموقف من جلالة الملك خالد «رحمه الله» وجلالة الملك فهد أيده الله والأسرة الكريمة يعطينا ويعطي مجتمعنا وصحافتنا وكتابنا المثل الصحيح للتعامل مع العلم والعلماء.

وأخيراً أكرر شكري للأستاذ : حمد العبد الله القاضي، على إثارته هذا الموضوع وأسأل الله أن يرحم الفقيد ويسكنه فسيح جناته ويعوض البلاد عنه خيراً ويلهم أهله ومحبيه السلوان ويهدينا جميعاً إلى سواء السبيل.



❖ جريدة الجزيرة، الموافق ١٤٠٢/١١/٢٧هـ. العدد/ ٣٦٥٥.

إلى رحمة الله..

بقلم : الأستاذ عبدالرحمن عبد العزيز بن سبيل[1]

رزيء العالم الإسلامي بفقد علم من أعلامه ذلكم هو سماحة الشيخ: عبدالله بن حميد، رئيس المجلس الأعلى للقضاء والمدرس الأول في المسجد الحرام، كان سماحته النبع الصافي الذي ترتوي منه الأمة الإسلامية سنة خير البريه محمد ﷺ، خصوصاً أيام المواسم المباركه كشهر رمضان وأشهر الحج، كما أن الإستفتاءات ترد على سماحته طوال العام من وخارج المملكة العربية السعودية، وكان سماحته يجيب عن كل ذلك كما عهد عن سماحته من غزارة علم وسعة اطلاع مع تحقيق ذلك كله. فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

لقد ذهلت عندما سمعت نعي سماحته، ومكثت برهة من الزمن كنت خلالها في شبه ذهول كمن لا يريد أن يصدق هذا النبأ العظيم الذي

(١) هو أحد ابناء الشيخ الفقيه / عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيّل ت - ١٤١٢هـ رحمه الله والشيخ عبدالعزيز بن سبيَّل رحمه الله له علاقة وطيدة وصداقة متينة مع الشيخ عبدالله بن حميد فقد تعرّف على الشيخ ابن حميد في بريده وكان الشيخ عبدالعزيز لا يزال قاضياً وأصبحا بينهما مجالسات ومناقشات بحثيَّة ولما عيّن الشيخ عبدالله بن حميد رئيساً للإشراف الديني بمكة صحبه الشيخ عبدالعزيز بن سبيّل وعينه مدرساً بالحرم وظل يدرس بالحرم حتى عام ١٣٩٨هـ وبين أسرة آل سبيَّل والحميد مصاهرة فالشيخ د. أحمد بن عبدالله بن حميد حفظه الله متزوج ببنت الشيخ محمد بن سبيَّل. أفادني بهذه المصاهرة الصديق الباحث منصور بن محمد بن سليمان البسام جزاه الله خيراً. ولذلك لا ننسى أن الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيَّل قد درّس في معهد بريده وقرأ على الشيخ عبدالله واستفاد منه ورشحه الشيخ عبدالله إماماً للحرم المكي وخطيباً وصدر الأمر السامي بالموافقة على ذلك منذ عام ١٣٨٥هـ والتحق بالإشراف الديني مع الشيخ عبدالله إلى أن اصبح رئيساً لشئون الحرم المكي والمدني ثم طلب الإحالة على التقاعد عام ١٤٢١هـ وعين بدله شيخنا معالي الشيخ صالح بن حميد.

هز مشاعر المسلمين، وبلغ بهم التأثر مبلغه، لقد تأثرت تأثراً لم أعهده من نفسي من قبل، ولعل ذلك يرجع الى أن الأسرة كانت على صلة بسماحته عن كثب منذ أن تشرفت منطقة القصيم بالإنضواء تحت لواء دعوته المحمدية وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمن أو تزيد وحتى الأيام الأخيره لسماحته، لقد كان نعم الموجه والمرشد لعموم أبناء المملكة وغيرهم ممن يقصده للإستفتاء والإستنارة بعلمه وتوجيهه وارشاده، لقد كان يجيب ويوضح ما خفى من المسائل الفرعية عن سعة اطلاع، وحسن توجيه من منهل السنة المحمدية العذب الذي تشرف بحمل رسالته مدة تزيد عن ستين عاماً، قضاها في نشر العلم وتعليمه لمن يطلبه، لقد افضى إلى ما قدم وهو خير كثير بإذن الله تعالى ـ يرحمك الله يا شيخ الجيل بل يا شيخ الأجيال واسكنك الفردوس من جناته جزاء ما قدمت .

لقد كان سماحته دائماً بالمرصاد لقمع البدع، وكانت لا تأخذه في ذلك لومة لائم حتى عرف عنه ذلك البعيد قبل القريب فيما يكتبه ويلقيه من دروس على رؤوس الاشهاد في المسجد الحرام.

لقد كان لسماحته مواقف مشرفة للذود عن الإسلام وجوهره التوحيد لقد عزت بمواقفه السنة بما يدفع عنها من غوائل الشرك والإلحاد، لقد اقتفى اثر مشائخه من أئمة الدعوة والاعلام ابتداء من شيخ الإسلام ابن تيميَّة وخلفه الشيخ : محمد بن عبدالوهاب واحفاده الكرام، ولقد كان سماحته شديد الشبه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة «رحمه الله»، لاخذه بطرق من العلوم العصرية لاستخدامها سلاحاً في وجوه اصحابها عند اللزوم، ولهذا صار له موقف فذ بشهادة الجميع من المؤيدين والمعارضين له على السواء.

نعم لقد كان سماحته دعامة وصرحاً من صروح الإسلام نرجو من

الله العلي القدير أن يهـيء لهذه الأمة من يخلفه فيها بمثل مقامه كما وعد بذلك الصادق والمصدوق ﷺ.

لقد عرف سماحته بالصراحة وقول الحق دونما أي إعتبار بصرف النظر عما يترتب على موقفه من نتائج. لقد عرف هذا عن سماحته ولاة الأمر وفقهم الله وسدد خطاهم، فعهدوا الى سماحته باخطر المناصب الحساسة وهو رئاسة اعلى هيئة قضائية ترعى شئون المسلمين في قبلة المسلمين، فكان لهذا الاختيار وقعه الحميد لدى الجميع، وباركوه لعلمهم ان قد اعطيت القوس باريها. لقد كان سماحته قمة في جهاده وتوجيهه فغفر الله لك يا أبا محمد وانزلك منازل الأبرار مع النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، جزاء ما قدمت لأمة الإسلام من نصح وارشاد... أنه سميع مجيب..



❖ جريدة الجزيرة الموافق ١٤٠٣/١٢/٢هـ العدد/ ٣٦٥٩.

إلى رحمة الله يا شيخنا عبدالله

بقلم : الشيخ سعد بن عبدالعزيز الرويشد [1]

سمعت من الإذاعة السعودية وأنا في القاهره نبأ وفاة سماحة العالم الفاضل الجليل الشيخ: عبدالله بن محمد بن حميد، الرئيس العام لمجلس القضاء الأعلى في عموم المملكة السعودية والمدرس بالحرم المكي الشريف وعند هذا النبأ أصبت بالذهول والأسى - وبالنظر لمكانة سماحته الكبيرة في مجتمعنا ولما بيني وبينه من الصداقة والمحبة ولكوني خارج المملكة بادرت بتحرير برقيَّة عاجلة من القاهره تحمل العزاء مني لأبنائه الكرام.

ثم سافرت بعد ذلك إلى جنيف وصار لي شرف صلاة الغائب على سماحته بعد صلاة الجمعة بالجامع الإسلامي الكبير هناك، والذي كان غاصاً بالمصلين من المسلمين العرب وغير العرب، فرحمك الله ياشيخ عبدالله رحمة واسعة .

لقد عرفت سماحته منذ عام: ١٣٤٨ هـ وأنا طالب صغير في مسجد الشيخ المعروف بحي دخنه بالرياض وسماحته أنذاك من أبرز طلاب العلم الذين يدرسون على سماحة الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها «رحمه الله»، وكان الشيخ عبدالله

(١) الأستاذ سعد من مواليد عام ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض قرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم في شبابه والتحق بالديوان الملكي في الشعبة السياسية له مشاركة فعالة في صحف المملكة وذو وفاء لأصدقائه وقد انجز عملاً يشكر ويذكر وهو جمع وتحقيق ديوان الشاعر الكبير محمد بن عثيمين رحمه الله. وقد طبع ديوان ابن عثميين طبعته الأولى عام ١٣٧٥هـ على نفقة عبدالله السليمان ثم أعيدت طباعته عام ١٣٨٦هـ في الدوحة على نفقة الشيخ حاكم قطر أحمد بن علي بن ثاني «رحمه الله» ثم طبعته دار الشبل بالرياض أخيراً

قد درس على مشائخ آخرين بالرياض، انما معظم دروسه وجلها على سماحة الشيخ : محمد بن إبراهيم ، ولازمه ملازمة الظل للإنسان ، وكنت اطالع لسماحته الدروس التي يتوجب عليه حفظها عن ظهر قلب لكونه فاقد البصر، الذي أرجو منه جلت قدرته ان يعوضه عنه بجنات تجري أنهارها بغير اخدود، هذا بالإضافة إلى ما كان يعانيه أنذاك من عدم ويتم. فلقد عوضه الله سبحانه وتعالى عن العدم واليتم وفقدان البصر عوضه بالبصيرة الثاقبة والعقل النير والإدراك السريع والفهم الواسع والذكاء وبُعد النظر. بالإضافة إلى الحلم وعدم التسرع. فمن هذه المنطلقات ومن هذه المواهب استوعب جميع الدروس العلمية وهضمها، فصار آية في معرفة التوحيد والعقائد السلفية واللغة العربية والفقه والحديث والتاريخ .

ثم تولى مناصب هامة أولها القضاء في الرياض ثم قاضياً في المجمعة وقرى سدير ثم قاضياً في منطقة القصيم لمدة خمسة عشر عاماً. وقد قال لي «رحمه الله» في العام الماضي ونحن بالطائف: ان الملك عبدالعزيز انتدبني في حياته للنظر في جميع القضايا المختلفة في جميع محاكم الحجاز، فحضرت في مكة المكرمة واستعرضنا جميع هذه القضايا على نحو ما يقضي به الكتاب والسنة واجتهاد العلماء، ومكثنا مدة طويلة ولأنها حقوق ومصلحة عامة وامتثال لأمر ولي الأمر الذي لم يقصد من ذلك إلا الخير والعدل، فقد تم النظر فيها كلها وأعطي كل ذي حق حقه.

ثم تقلد سماحته الرئاسة العامة للإشراف الديني بالحرم الشريف بمكة المكرمة والتدريس والإفتاء فيه وفي مواسم الحج، ثم رئيساً عاماً

* جريدة الجزيرة، الموافق ١٤٠٢/١٢/٤هـ العدد ٣٦٦٢.

للمجلس الأعلى للقضاء، وعضواً في هيئـة كبار العلماء ورئيساً للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة الى أن وافاه الأجل المحتوم .

وله «رحمه اللّٰه» مؤلفات وفتاوى قيمة ممتازة عبر برنامج (نور على الدرب)، وعبر حلقات بالإذاعة وجميعها محفوظة. فأرجو من أبناء سماحته الكرام الدكاترة: أحمد وصالح أن يسعيا في جمعها وطبعها بواسطة دار الإفتاء أو رابطة العالم الإسلامي لكي يستتير منها الحاضرون والأجيال القادمة .

والجدير بالذكر أن سماحته عندما كان يزاول القضاء وغيره فقد استثمر وقته في تدريس الطلاب في المساجد وفي داره حتى استفاد منه خلق كثير، وبجانب المواهب التي منحه الله إياها في شتى المعارف والعلوم فله معرفة واسعة في السياسة الدولية وفي أخبار الساعة وما تنشره الإذاعات، وما يحرر في الصحف والمجلات في الداخل والخارج، فعندما يتحدث في هذه المجالات ويعلق عليها يظنه السامع الذي لا يعرفه أنه متخصص في السياسة وعلومها. وعلى العموم، فلو ذهبت أسرد وأعدد ما له من الفضل العلمي على هذه البلاد من وعظ وارشاد وإفتاء وقضاء وتدريس لطال بي المقام .

ومما تجدر الإشاره إليه ان لسماحته «رحمه اللّٰه» مقاماً كبيراً لدى جلالة الملك عبدالعزيز والملوك أبنائه: سعود وفيصل وخالد، رحم اللّٰه الجميع ولدى صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله وذلك تعزيز وتكريم للعلم وأهله. ولقد حررت هذه الكلمة وانا اعتبر نفسي كاتباً صغيراً. أما دافعي لتحريرها فهو التقدير لفضله ومكانته العلمية وكل واد يُسيل بقدره. وأنا عاتب على محبيه وعارفي فضله من

العلماء والأدباء حيث لم يكتب عنه بعد وفاته الا القليل وذلك وفاء لمكانته العلمية. وبما أن الشاعر الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين قد رثى العالم الجليل الشيخ: سعد بن حمد بن عتيق، المتوفي بالرياض في عام ١٣٤٩ هـ فإنني هنا أورد بعضاً من أبيات رثائه والتي تناسب مقام ومكانة فقيدنا الغالي الشيخ عبدالله بن حميد:

وانح على العلم نوح الثاكلات وقل
والهف نفسي على اهل له قبروا

الثابتين على الإيمان جهدهم
والصادقين فما ماتوا ولا ختروا

الصادعين بأمر الله لو سخطوا
أهل البسيطة ما بالوا ولو كثروا

والسالكين على نهج الرسول على
ماقررت محكم الآيات والسورُ

فحي أهلاً بهم أهلاً بذكرهم
الطيبين ثناء أينما ذكروا

أشخاصهم تحت أطباق الثرى وهم
كأنهم بين أهل العلم قد نشروا

وابك على العلم الفرد الذي حسنت
بذكر أفعاله الأخبار والسير

مـــن لـــم يبـــال بحـــق الله - لائمـــة
ولا يحـــابـــي امـــرءاً فـــي خـــده صـــعـر

بحـــر مـــن العلـــم قـــد فـاضـــت جـــداولـه
أضـــحى وقـــد ضـــمه فـــي بطنـــه المـــدر

فـــليـــت شـــعري مـــن لـــلمشـــكلات إذا
حـــارت بغـــامضـــها الأفـــهـــام والفـــكـــر

هـــذي رســـوم عـــلـــوم الـــدين تنـــدبـــه
ثـــكلى عـــليـــه ولكـــن عـــزهـــا القـــدر

ان كـــان شـــخصك قـــد واراه ملحـــده
فعلمـــك الجـــم فـــي الأفـــاق منتشـــر

والأســـوة المصـــطفى نفســـي الفـــداء له
بموتـــه يتـــأســـى البـــدو والحضـــر

هذا وأسأل الله أن يغفر لفقيدنا ويرحمه ويسكنه فسيح جناته ويجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ويورث أبناءه التوفيق والصلاح والسير على نهج والدهم الجليل وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

❖ جريدة الجزيرة، الموافق ١٤٠٢/١٢/٤هـ العدد/ ٣٦٦٢.

الشيخ ابن جبرين يروي ذكرياته عن الشيخ ابن حميد(١)

اشتهر شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد وعرف بالعلم والفقه والفطنة والذكاء، وكان أول لقائي به سنة أربع وسبعين من القرن الرابع عشر، حيث نزل بقربنا في دخنه وسط الرياض، وكان يصلي معنا، وكنت أقرأ عليه وعلى شيخنا عبدالعزيز بن محمد الشثري في تفسير ابن كثير، فكان الشيخ عبدالله ينبه على بعض الفوائد التي تؤخذ من تلك الآيات، ويبحث معه الشيخ عبدالعزيز في بعض المشكلات، وكل منهما يأتي بما عنده من الفوائد، وكان الشيخ عبدالله يفتح باب منزله بعد الظهر وبعد العصر للزوار، فأول مرة دخلت عليه وسلمت عليه أول مرة سمع كلامي سأل عن اسمي فأخبرته، فعرف أسرتي وعرف البلد، وأخذ يسألني عن قاضي البلد، وكان في ذلك الوقت فيها الشيخ

(١) هذا الحديث أدلى به فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين هو جواباً لسؤال طرحت عليه مكتوباً فتفضل مشكوراً بالإجابة مكتوبة جزاه الله خير الجزاء غزير جداً قال عنه شيخنا عبدالله بن قعود «رحمه الله»: هذا الرجل عيبة علم فرّغ نفسه ووقته كله للتدريس والأفتاء وإفادة الناس فهو من العلماء النوادر في هذا العصر الذين لم تبهرهم مظاهر الحياة الزائفة فجميع اوقاته حافلة بالدروس في منزله والمسجد الذي بجوار منزله حضرت كثيراً من دروسه وخاصة في درسه في صحيح مسلم بدار العلم بين عام ١٤٠٥هـ و١٤٠٦هـ وغيرها من الدروس العلميَّة المفيدة ولذلك حرص طلبة العلم على التلمذة عليه والنهل من بحر علمه فهو آية في العقيدة والفقه واللغة العربية وقرأت عليه كتب كثيرة جداً وشرح متوناً متعددة وهو مبارك أينما كان، حفظه الله ونفع الله به، والشيخ من مواليد سنة ١٣٤٩هـ في بلدة محيرقه بمنطقة القويعية، وقرأ على عدة علماء أشهرهم شيخه أبو حبيب عبدالعزيز الشثري «رحمه الله»، قرأ عليه في صباه أكثر المتون ولازمه تمام الملازمة وغيرهم من المشايخ. وقرأ كذلك على الشيخ الأديب الحافظ صالح بن مطلق في الرين كما تحدث بذلك في لقاء معه في اذاعة القرآن.

عبدالرحمن المقوشي، الذي كان يعرفه الشيخ عبدالله قديماً، ثم توالت بعد ذلك زيارتنا له في منزله، وكان يعرف صوتي من حين أدخل. ويعرفه أيضاً بسماع قراءتي في المسجد، وقد سمعت عنه قبل ذلك جانباً من حياته ودراسته، ثم تعليمه وتدريسه، ثم علمه في القضاء ونحو ذلك، مما يدل على ما تميز به من الذكاء والمعرفة، حتى أنه إذا سلم عليه الرجل مرة تصور صوته وعرفه ولو بعد سنين.

أما مجالسنا له فهي قليلة عندما كان قاضياً في بريده، وأولها في سنة ثمانين من القرن الماضي[1] عندما جئنا بصحبة الشيخ عبدالله «رحمه الله» إلا أن نكون في ضيافته، وقام بإكرامنا وأخذ يسألنا عما لقينا في تلك الجولة، ونخبره بالقصص العجيبة التي لقيناها من البوادي التي تعبر عن جهل مخيم في تلك الجهات، ثم بعد ذلك استقر في الرياض، وكنا نزوره في شمال الرياض، ونرفع إليه ما يحدث من المشكلات التي يحتاج إلى علاجها، فيقوم بدور كبير في المراجعة حتى تزول تلك الحوادث، ولما تعين رئيساً للإشراف الديني للمسجد الحرام كنت أستمع إلى نصائحه وإجابته على الأسئلة في المسجد الحرام في سنة سبع وثمانين وسنة ثمان وثمانين زمن الإجازة الصيفية، حيث كنت أشتغل مع الزميل محمد بن عبدالرحمن بن قاسم في طبع تكملة مجموع فتاوى ابن تيميَّة وعمل الفهارس، إلا أن أكثر إقامة الشيخ عبدالله في الطائف، لكنه ينزل إلى مكة غالباً كل أسبوع، ونستفيد من مجالسته ومن دروسه، ومن زيارته في منزله بمكة، وهكذا لما استقر في الرياض وسكن في منزله في دخنه كان يقيم درساً في المسجد الذي

(١) كان في هذه الرحلة كما يذكر د. محمد بن ناصر الشثري في كتابه نفح الطيب هم: ❖ - فضيلة الشيخ عبدالعزيز الشثري رحمه الله. ❖ - فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الفريان رحمه الله. ❖ - فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن محمد المقرن «رحمه الله». ❖ - فضيلة الشيخ فهد بن حمين الفهد «رحمه الله».

بجوار بيته في شارع آل فريان، وكنا نحضر درسه ونتعجب من فوائد يستنبطها من الدروس، سواء في التفسير أو في العقيدة أو في الحديث أو في الأحكام أو في اللغة، حيث أن له تمكن في ذلك كله، وكان هناك تلاميذ ينتقدون العلماء والفقهاء في إيراد مسائل دون أن يكون عليها دليل، فكلما طرحت مسألة سألوا: أين الدليل، فكان يقنعهم بما يحفظ من الأدلة أو الأقيسة أو المسائل الاجتهادية، وقد كتب رسائل تعتبر مفيدة، وكل موضوع يتطرق إليه يوفيه حقه فله رسالة في تحريم اللحوم المستوردة مع بيان سبب عدم الإباحة، وله رسالة في إثبات الأهلة، حيث اختار أن لكل أهل دولة رؤيتهم في دخول رمضان وخروجه، وله رسالة في مناسك الحج، تفرد فيها بفوائد يقل وجودها، وله الرد على الشيخ ابن محمود الذي أنكر شرعية الأضاحي عن الأموات، ولم يتعقبه ابن محمود كما تعقب غيره، لاعترافه بعدم القدرة على ذلك، وله غيرها من الآثار العلمية.

وأما صفاته التي تميز بها، فهي: الذكاء والفطنة التي خصه الله بها، ويحصل ذلك لكثير من الذين فقدوا البصر في الصغر، بحيث يعرفون الأشخاص بمجرد الكلام، ويميزون بين الأصوات، فيعرفونهم أكثر من معرفة المبصرين إلا ما شاء الله، وهو قد تميز بذلك وتميز بالحفظ لكل ما يمر عليه أو ما يسمعه من النشرات وغيرها بحيث يستفيد منها زملاؤه ومنهم الشيخ ابن باز «رحمه الله»، فإنه إذا زاره لا يخوض معه في المسائل بل يعرضها عليه ويقتنع بكلامه، ومما تميز به عدم غفلته عما كان يطلبه، ولما سجلنا رسائل الماجستير سألني ماذا تكتب فيها فأخبرته أنني أكتب في أخبار الآحاد، فكأنه رأى أن الموضوع صغير، فأخبرته أنني وجدت فيه مباحث يمكن أن تكفي لهذه الرسالة، وبحثت عن ذلك لمدة أكثر من خمس سنين، حيث زرته بعد ذلك فسألني عن

الرسالة فأخبرته أنها نوقشت، فأصر على طلب نسخة منها، وكان الباقي عندي منها نسخة واحدة، ووعدته بها، وظننت أنه سيغفل عنها، ولكن بعد خمسة أيام أرسل إليَّ مندوباً يطلب تلك النسخة، مما يدل على فطنته وذكائه، والقصص التي تعبر عن ذلك كثيرة، يتناقلها الناس في المساجد والمجالس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والمتون التي شرحها كثيرة، نذكر أنه شرح الطحاوية، وقرأ عليه شرح ابن أبي العز، وشرح متن الزاد، ومتن البلوغ في المسجد الذي بجوار منزله في شارع آل فريان، ولا شك أنه شرح كثيراً مما فاتني حضوره.

وأما منهجه في الشرح فإنه درسنا في المعهد العالي للقضاء في أول سنة تسعين من القرن الماضي، فدرسنا عليه طرق القضاء من كتاب المقنع لابن قدمة، وحيث أن المقرر طويل، والمدة قصيرة، والحصص قليلة، فإنه مع ذلك أتى على كتاب القضاء وشروط القاضي وصفاته وكيفية مجلسه، وطرق الإثبات، والشهادات والإيمان إلى آخر ما يتعلق بالقضاء، واستعمل الاختصار وعدم التوسع في المسائل الخلافية، لكنه كان يوضح ذلك أتم إيضاح، ويذكر ما تيسر من الأدلة، ويشير إلى ما يشير إلى الخلافات المذهبية، ويذكر وجه الدليل من الآية أو الحديث أو الآثر، وهكذا حضرنا شروحاً له في المساجد التي يدرس فيها، وكذلك في الحرم المكي، فكان «رحمه الله» يوضح الشرح الذي يعرض عليه، ويبين ما في ذلك المتن من الغموض، مما يدل على أن الله وهبه ذكاء وفهماً تميز به عن كثير ممن يدعي العلم أو ينسب إليه.

وأما تلاميذه فكثير، لا أستطيع إحصاءهم، حيث قرأ عليه كثيرون عندما كان قاضياً في القصيم، ولما كلف القضاة باستعمال السجلات ودفاتر الضبط تثاقل ذلك وتفرغ للطلبة والمتعلمين، وتولى بعد ذلك

وظائف كبيرة شريفة.

وأما ثناء العلماء عليه فكثير أيضاً، من تلاميذ وزملاء ومشايخ وغيرهم، وبذلك تعرف مكانته «رحمه الله»، وما تميز به من الميزات الكاملة. والله أعلم.



الشيخ ابن حميد..
و٢٢ سنة قضاها في بريده

بقلم : الشيخ سليمان بن عبدالله الرواف [(١)]

كل نفس ذائقة الموت، لقد كان لنبأ وفاة سماحة الشيخ عبدالله بن حميد أثر أليم في نفوسنا، ولكن لا يسعنا إلا الصبر والرضا بقضاء الله وقدره.. فانا لله وانا إليه راجعون.

لقد تولى «رحمه الله» القضاء في القصيم في شوال عام ١٣٦٣هـ وكان مسكنه في بريده، باعتبارها قاعدة القصيم، ولقد جلس للقضاء فيها إلى شعبان ١٣٧٧هـ أي مدة خمس عشرة سنة الا بضعة شهور.. وقد مثل القضاء «رحمه الله» في أعلى مراتبه طيلة هذه المدة رغم كثرة سكان القصيم وكثرة قضاياه وتعقدها، ولقد تغلب عليها وادى مهمته بكل جدارة وحنكة مع أنه لم يكن معه كتاب ولا مساعدون عدا كاتباً واحداً فقط، بل أنه صار مضرب المثل في عدله ونزاهته وحزمه وذكائه،

---

(١) ولد الشيخ سليمان سنة ١٣٢٧هـ درس في كتاتيب بريده ثم سافر مع والده الشيخ عبدالله إلى عمان قاضياً لدى امراء جعلان آل حموده وقرأ على ابيه هناك واستفاد منه علمياً وقضائياً حيث كان معاوناً لأبيه في القضاء وظل على هذه الحال حتى توفى ابوه عام ١٣٥٩هـ ثم كلفه أمير جعلان بالقضاء فجلس للقضاء مدة سنتين وفي عام ١٣٦٢ هـ عاد إلى بريده أشتغل بالتجارة فسافر إلي سواحل أفريقيا الشرقية وبعض بلدان الخليج كالكويت ثم أخيراً أستقر ببريده وزاول بعض الأعمال الحكومية وأسس مزرعة في وسط بريده واحيل للتقاعد عام ١٣٨٨هـ له أهتمام وانشغال بالتاريخ فقد ألف تاريخاً عن بريده لا يزال مخطوطاً توفى رحمه الله عام ١٤١٥هـ انظر رجال في الذاكرة ج ١/ ٧٦-٧٧ للأستاذ عبدالله بن زايد الطويان - بتصّرف.

وكان «رحمه الله» طيلة بقائه في القضاء موضع الثقة والرضا من عموم أهالي القصيم، ولا يزال الناس يتحدثون عنه وعن قضاياه واحكامه باعجاب ورضا.. كما تحدث التاريخ عن نوادر اياس. بذكائه وسرعة بديهيته. وعن حذق شريح ونزاهته هذا هو عبدالله بن حميد وقضاؤه في القصيم لمدة ١٥ سنة.

والشيخ عبدالله بن حميد أيضاً مدرساً ومفتياً لمدة ٢٢ سنة في القصيم.

وعندما عين «رحمه الله» في قضاء القصيم جلس للتدريس في السنة التي عين فيها ١٣٦٣هـ وظل يدرس إلى عام ١٣٨٤هـ أي السنة التي غادر فيها بريده. نعم لقد جلس يدرس الفقه والتوحيد واللغة العربية في المسجد الجامع كما كان متبعاً في ذلك الزمن بنجد.. ولقد اجتمع عليه عدد كبير من الطلبة من بريده ومن خارج بريده من مدن القصيم وقراها للقراءة عليه، ولما كثر الطلبة رتب اوقات التدريس وجعل للتدريس موضعاً خاصاً بالدور الثاني من المسجد، وانشأ فيه مكتبة جمع فيها ما استطاع جمعه من كتب الفقه والحديث والتفسير والتوحيد واللغة، وناهيك بصعوبة حصول الكتب الكافية في ظرف مثل ذاك الظرف، وجعل عليها احد الطلبة، والقصد من ايجاد هذه المكتبة أنه لدى الاختلاف في مسألة ما وقت الدراسة تحضر الكتب وينظر ما ورد فيها من الخلاف، وبهذه المكتبة الصغيرة نسبياً، فقد استفاد الطلبة فائدة كبرى بحيث صارت في متناولهم وقت الدراسة ومرجعاً لهم للمطالبة في اوقات فراغهم وخاصة في ذلك الظرف الذي لا يوجد فيها مكاتب عامة غيرها. هذه الخطة التي رسمها الشيخ «رحمه الله» اعني البحث في الخلاف بينه وبين الطلبة في البحث عن الدليل أو الخلاف،

هذه الطريقة نمت روح البحث بين الطلبة أنفسهم وبينهم وبين شيخهم وكان لها اعظم الأثر في توسيع مدارك الطلبة.

ولقد بقى «رحمه الله» يدرس في المسجد بضع سنوات على المنهج الذي ذكرنا - ولما كثر الطلبة رأى «رحمه الله» ان المسجد غير كاف للتدريس نظراً لمضايقة المصلين ولعدم توفر موضع للمكتبة والمراجعين ولعدم توفر أسباب الراحة للدرس والمطالعة. لذا سعى «رحمه الله» لدى الجهات المسؤولة العليا وحصل على الموافقة على انشاء مكتبة على الطراز الحديث خارج المسجد، فاشترى «رحمه الله» ارضاً قرب مسجد الجامع، واقام عليها مبنى مسلحاً يحتوي على مكتبة كبيرة وقاعة للتدريس، وقاعات للمطالعة والبحث وجمع للمكتبة كتباً كثيرة حتى صارت من كبريات المكتبات الموجودة في المملكة حينذاك.. ونقل إلى هذا المبنى المكتبة والتدريس بدلاً من المسجد. فصار هذا المبنى مكتبة ومدرسة. ونادياً ثقافياً علمياً.. فهو طوال الوقت ممتلىء بالدارسين والمستمعين اوقات الدراسة.. وبالمطالعين والباحثين طوال الوقت في غير اوقات التدريس، وبذلك صارت هذه المكتبة أو على الاصح دار العلم نموذجاً قد لا يوجد لها مثيل في مدن المملكة في ذلك الوقت وظل «رحمه الله» - يدرس فيها ويجمع لها الكتب حتى صارت من كبريات المكتبات - وبقيت على هذه الحالة إلى أن غادر بريده «رحمه الله» عام ١٣٨٤هـ عندما عين في الحرم رئيساً للاشراف الديني عام ١٣٨٤هـ.

نعم وكما اسلفت لقد ظل «رحمه الله» طوال اقامته في بريده لمدة ٢٢ سنة يدرس بطريقته المتفوقة.. بالتدريس ولما يتصف به «رحمه الله» من تعمق في الفقه الحنبلي، وسعة اطلاع في مسائل الخلاف وانه نتيجة لهذا الجهد المكثف في التدريس وايجاد هذه المكتبة وخاصة في

المدة الأخيرة بعد أن تخلى عن القضاء مع حرصه «رحمه اللّه» على نشر العلم فقد نفع اللّه به نفعاً كبيراً وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة من أهالي بريده ومن خارجها ونالوا من العلم درجات متفاوتة فمن تلاميذه عدد تولوا القضاء في المحاكم. واخرون درسوا في المعاهد العلمية في أول انشائها في القصيم وكانوا متفوقين في التحصيل ولقد نفع اللّه بهم طلاب المعاهد في وقت كانت البلاد بأمس الحاجة إليهم.. ومن تلاميذه علماء تصدوا للتأليف في الفقه والتوحيد، واخرون الفوا في الأدب بتفوق، ومن تلامذته عدد اشتغلوا بالتدريس بالمدارس بالعلوم الدينية، ومن تلامذته طلاب صغار تتلمذوا عليه في اخر سنين اقامته في بريده إلا أنهم لم تكن لديهم المدة الكافية للحصول على ما يؤهلهم لتولي المناصب كمن سبقهم ولكنهم بسبب ما تلقوا عنه من مبادىء علمية ونصح وارشاد فقد اتجهت انظارهم إلى طلب العلم والتمسك بالدين فالتحقوا بالمعاهد عن رغبة فتخرجوا منها ونفع اللّه بهم.

هذا هو الشيخ عبداللّه بن محمد بن حميد واثنتان وعشرون سنة قضاها في بريده كلها جهاد وكفاح في سبيل اللّه وفي سبيل العلم والتعليم في القضاء والتدريس والافتاء والارشاد واصلاح ذات البين ولقد اثمرت جهوده «رحمه اللّه» ثمرات يانعة وها هو قد خلف على مدى ٢٢ عاماً جيلاً صالحاً من العلماء وطلبة العلم تفقهوا عليه ونفع اللّه بهم كما انه «رحمه اللّه» قد تسبب بجاهه وفكره وحسن ادارته لانشاء هذه المكتبة التي هي كما قلت إنفاً بمثابة دار للعلم في وقت ما كان احد يفكر بمثلها أو يقدر على انشائها، بالصورة التي هي عليه، ولقد استفاد الناس منها فائدة كبرى وها هي لا تزال تؤدي رسالتها على أكمل وجه، ويا حبذا لو سميت باسمه تخليداً لذكراه في بريده.

وختاماً اسأل الله أن يغفر للفقيد وأن يسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين جزاء ما قدمه من اعمال للإسلام والمسلمين.

وان بريده لتعتبر الفقيد مواطناً من مواطنيها العاملين المصلحين الذين ادوا لها خدمات جليلة لا تقدر، لذا فإنها في انصع صفحات تاريخها في سجل علمائها وقضائها البارزين اعترافاً بفضله لما أسداه إلى ابنائها من احسان.. فجزاه الله احسن ما يجازي به محسن على احسانه.



❖ مجلة الدعوة العدد ٨٦٣ تاريخ ١٤٠٢/١٢/٢٤.

عـــالم فـقـدنـاه

بقلم : الأستاذ إبراهيم بن محمد السيف [1]

المصـائب التي تحل بالأمم والشـعـوب، افـراداً وجـمـاعـات، تخـتلف باخـتـلاف انواعـهـا وباخـتـلاف وقـعـهـا على النفـوس، واسـتـمـرارها أو استـمـرار تـأثيـرها في المجتـمـعـات توجـد القلق، وتذهب الاطمـئنان من نفـوس البـشـر، وتـذهـب السـرور لتـحل مـحله، فـالمصـائب في المال، وفي الولد، وفي المراكـز المرموقة ذات الطابع المادي، كل هذه تبدو كبـيـرة ثم تخف حدتها من الأنفس شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى منها، وتتسـاها قليلاً قليلاً.

أما المصيبة بأعلام الهدى، بمن يضيئون الأرض نوراً، وبمن هم سرج الأرض فإنها مصائب لا تعادلها مصائب.

فبـالامس فقدنا سمـاحة شيخنا الشيخ عبدالله بن مـحـمـد بن حميد هذا العالم الجليل الذي عرفناه منذ عشرات السنين عـالماً عاملاً بعلمه، معلمـاً لأبناء أمتـه لا تـأخـذه لومـة لائم في قـول الحق والذود عنه، وكـان «رحمه الله» وغفـر له وجعـل البـركة في البـقيـة البـاقيـة من علمـاء هذه الأمـة وكان «رحـمه الله» يدافـع عن حياض الدين الإسـلامي بما اوتي من علم غـزير يؤلف الكتب في الرد على الخـارجين عن الحـدود، وتقرأ عليـه

---

(١) الشيخ إبراهيم بن محمد بن ناصر السيف له ترجمة لطيفة في مقدمة كتابه المبتدأ والخبر. وهو من مواليد الرياض سنة ١٣٥٤هـ شفاه الله وعافاه. وقد أفرد ترجمة للشيخ ابن حميد في كتابه ووضعتها في الصفحات القادمة.

المؤلفات، والرسائل، والمقالات التي تنشر في المجلات الأسبوعية والشهرية والدورية والصحف الأسبوعية واليومية فيملي على كاتبه ما يراه مناسباً على ما قد يرد فيها من افتراءات وشطحات مخالفة للدين أو فيها ضرر على المجتمع الإسلامي في مختلف المواضيع في الحدود والقصاص، والربا، والحج والعمرة، والصلاة والزكاة وغيرها، سواء أكانت أصولاً أو فروعاً، ويرسلها إلى الصحيفة أو المجلة الناشرة للموضوع المردود عليه، وكانت تلك الصحيفة تنشره فوراً، فيقرأه أفراد المجتمع، فيجدون فيه، لا سيما طلبة العلم اشراقة العلم، والقول الفصل، والرد المستنير، الرد الهادىء الذي لا يخرج عن الموضوع، بل يوضح الحق، فما يلبث صاحب الشأن أن يقتنع ويرجع عن قوله غير السليم إلى الطريق المستقيم، وهكذا كان «رحمه الله» سنوات طويلة منافحاً، ومدافعاً عن دين الله القويم، إلى جانب المؤلفات والرسائل والفتاوى العديدة في مختلف المسائل الفقهية والعقائد، وكان «رحمه الله» يجمع بين حفظه الغزير من العلم القديم، والكثير من العلم الحديث، وكان يلقى المحاضرات، فإذا علم طلاب العلم وسواد الأمة ان سماحة الشيخ عبدالله بن حميد سيلقى محاضرة في أي جهة هرعوا إليها، وحرصوا على حضورها، ولا برحوا مكان القائها حتى نهايتها وكانت محاضراته طويلة، وذات علم غزير، واسلوب مقبول، يود سامعها لو طالت اكثر من طولها، وكان سماحته «رحمه الله» وهو يلقي المحاضرة أو الدرس كأنه يقرأ من كتاب، سليم النطق، يركز على المواضيع الهامة، ولا يلحن، ولا يأتي بالغريب الذي لا يفهم، وكان يستشهد بأقوال علماء الغرب إذا ما تعرض للرد على المستشرقين وغيرهم الذين يحاولون النيل من الرسول ﷺ أو من دين الإسلام، ويحفظ العديد من اسمائهم وأقوالهم لصالح الإسلام، وكان «رحمه الله» حاد الذكاء يعرف اسم

صاحب الصوت الذي يسلم عليه من أول وهلة بالرغم من غيابه عنه مدة طويلة، له جلسة يجلسها منذ مدة طويلة، وبالتحديد منذ تولى رئاسة الشئون الدينية بالمسجد الحرام حتى العام الماضي ١٤٠١هـ، يجلسها بعد صلاة التراويح يلقى فيها محاضرة قيمة في مختلف الشئون الإسلامية، ويحضرها جمع غفير من المصلين، وبعدها يجيب على عشرات الأسئلة المقدمة من الحاضرين المتعلقة بالصيام والزكاة والحج وغير ذلك[١] ثم بعد ذلك يتوجه إلى غرفته بالحرم الشريف فيتوافد عليه الناس للسلام والاستفتاء، ومنهم الفقير الذي تعود المساعدة من الشيخ، وكانت ترد على سماحته الصدقات فرضاً ونفلاً فيقوم بتوزيعها احتساباً لوجه الله، وكانت ترد عليه الرسائل الكثيرة للاستفتاء والاستشارة فيجيب عليها اجابة وافية شافية دخل عليه «رحمه الله» احد المشائخ[٢] للسلام عليه، وكان معه احد الأخوان من بلد الشيخ المسلم، فتكلم احد الحضور بأن هذا الأخ يحمل الشهادة المسماة «الدكتوراه» فسأله سماحة الشيخ عن موضوع شهادته فذكر له انها عن «شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» «رحمه الله» وقد منحت له من احدى جامعات بريطانيا فضحك سماحته مستغرباً ان تمنح

---

(١) وكانت له طريقة فريدة لم اسمعها من علمائنا الآخرين وذلك انه إذا القى اليه السؤال يعيده فيذكر اسم السائل وسؤاله ثم يجيب عليه فيضفي على ذلك ما يرسخ السؤال والجواب في النفوس.

(٢) حقق العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة «رحمه الله» ١٤١٧هـ لفظة مشايخ وقال: ما ملخصه الصواب نطقها مشايخ فلا تهمز. وقد استطرد «رحمه الله» في بيان تصريف هذه اللفظة وقال «رحمه الله»:.... فهذه الجموع مفاوز ومصايد ومعايش ومكايد ومشايخ ومعايب وأمثالها تنطق منها الواويَّة في اصلها مثل مفازة بالواو في جمعها لأنها من فاز يفوز فالواو من بنية الكلمة أصلية فيها وتنطق منها اليائيَّة في أصلها مثل مصايد ومعايش ومكايد ومشايخ ومعايب بالياء في جمعها لأنها (من صاد يصيد وعاش يعيش وكاد يكيد وشاخ يشيخ وعاب يعيب) فالياء فيها أصلية بنية المفرد فيها، وعلى هذا فلفظة مكايد ومشايخ وأمثالهما لا تهمز أبداً لأن الياء في مفردها أصلية وليس بزائدة - أنتهى من كتاب إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبدالفتاح ص ٦٢٠ - ٦٢١ - والكتاب من تأليف الأستاذ الباحث محمد الرشيد.

احدى الجامعات الغربية شهادة الدكتوراه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولا شك ان استغراب سماحته ذلك في محله والاسباب لا تخفى على الجميع، ان في فقدنا لسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد لمصاباً جللاً على البعيد والقريب على الملايين من المسلمين الذين فجعوا بوفاته، وستفقد صوت سماحته الاسماع التي كانت تستفيد من اجوبته على اسئلة مستمعي برنامج «نور على الدرب» الذي تقدمه الاذاعة السعودية، آسفين على ذلك وداعين لسماحته بالرحمة والغفران، وسيفقد ابا محمد طلاب العلم والفقراء والمساكين وكل عارفي سماحة الشيخ علماً واخلاقاً وفضلاً.

وانني لاقدم العزاء للأمة الإسلامية عامة ولامتنا خاصة لا سيما صاحب الجلالة الملك المعظم وصاحب السمو الملكي ولي عهده وسمو النائب الثاني وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسائر المشائخ وابناء سماحته وانا لله وانا إليه راجعون [1].



(١) مجلة الدعوة العدد ٨٨٢ تاريخ ١٤٠٢/١٢/٣هـ

فليرحمك الله يـــا أبـــا محمـــد

بقلم : الأستاذ عبدالعزيز بن محمد بن حمد الفارس [1]

بالأمس القريب ودعت المملكة عالماً جليلاً من علمائها وهو بلا شك خسارة عظمى ليس بالنسبة لها فحسب وإنما لأمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ان رحيل سماحة الشيخ: عبدالله بن محمد بن حميد عنا لهو مصيبة كبرى نشعر بها وكأنها ستترك فراغاً قل ان يملأ وهذا مصداق لقول الهادي البشير محمدﷺ حينما قال « أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء لهم جهلاً فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» .

ان الراحل عليه رحمة الله ورضوانه ملأ هذه البلاد علماً ونوراً بما آتاه الله من العلم والحكمة وبما فتح الله عليه من البصيرة التي تجلت في تلك الندوات التي كان يلقيها في بيت الله الحرام منذ ان عهد إليه بالإشراف عليها وحتى بعد ما تولى منصبه الحالي وهو «يرحمه الله» له مساهمات عديدة الكل منا يدركها ويسمع عنها ومهما يقال فيه

(١) هو ابن الشيخ محمد بن حمد بن فارس رحمه الله وحفيد العالم الفلكي والنحوي حمد بن فارس الذي شجع الشيخ ابن حميد على طلب العلم رحم الله الجميع.

«رحمه الله» من عبارات التأبين والرثاء فهو قليل في حقه ولكن هناك ما هو أعظم وأدعى من هذا كله الا وهو الدعاء له وذكر مناقبه الحميدة التي تجلت عبر هذه الحقبة من الزمن يقول ابو الدرداء رضي الله عنه: (تعلموا قبل ان يرفع العلم ورفع العلم ذهاب العلماء) أجل أيها الأخوة في الله ليس هو مجرد فقد انسان فحسب بل ما هو كامن في هذا الإنسان من صنوف العلم والمعرفه التي قل ان يوجد من يملأ فراغها .

منذ أيام خلت فجعت هذه البلاد بوفاة امام المسلمين : خالد بن عبدالعزيز «رحمه الله» الذي كرس حياته ووقته لمعالجة قضايا أمته وما ينتابها من محن، قطع الليل المظلم وها نحن بعدها بوقت ليس بالطويل نفقد هذا العالم الذي أفل نجمه وحزن على موته كل من يقدر العلم ويجل العلماء عرفاناً بما حملوه وأفنوا عمرهم من أجله ابتغاء ماعند الله وليحظوا بالأجر العظيم في الدارين وصدق المصطفى عليه افضل الصلاة وأتم التسليم حينما قال: «ان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وأن العلماء هم ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم فمن أخذه اخذ بحظ وافر»[1].

فما أعظمه من وصف وما أدقه من تعبير نعم أيها الأخوه ما أحرانا أن نجد ونجتهد في طلب العلم ونتواصى به ونعضد من قام به ونقدم له كل ما من شأنه رفعته لكي يؤتى ثماره يانعة.. فليرحمك الله يا ابا محمد فلقد كان رحيلك عن هذه الدنيا الفانية خسارة وأي خسارة يا

(١) الحديث ضعيف كما ذكر ذلك المحدث والعالم الأثري الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنظر فوائد من دروس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ص ١١ للدكتور صالح الغامدي / الناشر مكتبة المعارف.

من كرست وقتك وانطلقت بقلبك ولسانك تعلم العلم وتنشره وتبصر به وتجيب من استفتاك وترد على من خالف الطريق السوي المستقيم وتلقنه الحجة التي غابت عليه حينما أبدى مقالته وغاب عنه الدليل عليها وان كان لنا عزاء فليس لنا إلا قول من مدحهم في محكم كتابه العزيز ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ صدق الله العظيم .

ولا ريب ان المؤمن الجدير هو من يتعظ بغيره ويعتبر متقلبات الأيام والسنين ويدرك ما بقى من عمره ويجعلها في الصالحات الباقيات ولا يغتر ببريق هذه الحياة الزائفة وليقم كل منا يصل رحمه ولا يقطع ذلك حيث أن الصلة في هذا الزمان بدأت الى الجفاء بسبب شغل الناس بمتاع الحياة وزخرفها بل هذا والعياذ بالله من الحسرات على القلوب نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وان يكرم نزله ويوسع مدخله ويسكنه فسيح جناته هو واخوانه المسلمين واجزل لهم المثوبة وبارك الله في ائمتنا وولاة أمورنا وحفظهم من كل شر أنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



(❖) جريدة الجزيره الموافق ١٤٠٢/١٢/١٦هـ العدد ٣٦٦٦

الشيخ
عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد
١٣٢٩-١٤٠٢هـ

بقلم: فضيلة الشيخ: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسام [(١)]

الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حميد، من آل حسين بن عثمان، وآل حسين بن عثمان هم أسرة من عشيرة آل

(١) توفى الشيخ عبدالله رحمه الله بتاريخ ٢٧/١١/١٤٢٣هـ له ترجمة مطولة في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون المجلد الأول المقدمة أشهر كتبه علماء نجد هذا وكتاب تيسيّر العلاّم شرح عمدة الأحكام وهو من أحسن الشروح المختصرة وقد قرأت هذا الكتاب عام ١٤٠٥هـ ولا زلت أرجع إليه بإجزائه الثلاثة أكثر من مرة وحدثني ابنه بسام عبر مكالمة هاتفيَّة بعد وفاة ابيه رحمه الله قائلاً: - أبي كان يقول لنا في أخر حياته أرجو من الله عز وجل أن يجعل كتاب تيسيَّر العلاّم مفتاحاً ليَّ إلى دخول الجنة - أنتهى كلام الأخ بسام - والكتاب بحق جعل الله له القبول لدى طلبة العلم خصوصاً وعامة الناس فقد طبع عشرات المرات وتنفد طباعته بوقت موجز وقد قرر تيسير العلاّم في المعاهد العلميَّة من احاديث البيوع حتى احاديث العتق وأول طبعة لهذا الكتاب النفيس عام ١٣٨٠هـ وطبع كذلك خلاصة الكلام على عمدة الأحكام بتاريخ ٨/٢/١٣٨٢هـ ولم أقف على هذا المختصر وكتاب تيسير العلاّم يدرس كذلك في معهد الحرم المكي وأظن كذلك في دار الحديث والشيخ عبدالرحمن العجلان المدرس بالمسجد الحرام حفظه الله يدرس تيسير العلاّم في الحرم المكي. نرجوا من الله عز وجل أن يحقق أمنيَّة الشيخ عبدالله أن يكون هذا الكتاب سبباً في دخوله الجنة. وللشيخ كذلك شرح على بلوغ المرام من أفضل الشروح التي قرأتها واستفدت منها فائدة كبرى وقد طبع في حياة الشيخ وبعد مماته والطبعة الأخيرة هي احسن الطبعات للكتاب. وكتابه نيل المآرب بتهذيب دليل الطالب فيه فوائد وتقريرات جيدة لكثير من مسائل الفقه المعاصرة ونقولات قيمة من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالرحمن السعدي وقررات مجمعي الفقه بمكة وجدة وقد طبع طبعته الثانية في العام الماضي ١٤٢٦هـ .. وقد أصدر ابن عم الشيخ عبدالله فضيلة الفقيه الفرضي الزاهد محمد بن سليمان البسام شفاه الله كتيباً لطيفاً عنوان (أرشاد ذوي الأفهام إلى الاستدراكات والتوضيح في تيسير العلاّم) تتبع الشيخ محمد مواضع متعددة من كتاب تيسير العلام وأبدى فيها ملاحظات فقهيّة وحديثيّة محررة وذات قيمة علمية جيّدة أبانت من دقة وفقه الشيخ محمد البسام ولا تغض من مكانة الشيخ عبدالله البسام رحمه الله وما زال العلماء في القديم والحديث يستدرك ويلاحظ بعضهم على بعض وقد اهدى ليَّ هذا الكتاب سعادة الصديق الأديب والباحث نجل الشيخ محمد منصور البسام فله مني ألف شكر.

حميد أحد أفخاذ قبيلة بني خالد، وآل حميد أسرة معروفة مشهورة من بني خالد، وبنو خالد هؤلاء أهل نجد وأهل المنطقة الشرقية، أما بنو خالد الحجاز فليسوا محل حديثنا هنا.

أما بنو خالد النجديون والشرقيون، فهم من قيس عيلان وقيس عيلان شعب عظيم من مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وآل حميد من بني خالد من القيسيني هؤلاء.

ومنازل بني خالد تمتد على ساحل الخليج العربي، وتتوغل غرباً إلى الصمان، وليس منهم الآن إلاَّ أسر متحضرة.

وكان منهم حكام الأحساء في الماضي من عام ١٠٨١هـ إلى ١٢٠٧ هـ وهم الذين استولوا على الأحساء من الأتراك الذين حكموه قبلهم، وزال حكم آل حميد عن مقاطعة الأحساء حينما استولى عليها الأمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود عام ١٢٠٧هـ في إمارة زيد بن غرير.

وأول أمير استولى على الأحساء من آل حميد هو براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد، وآخرهم زيد بن غرير.

والمترجم من عشيرة تضمها هذه الأسرة من آل حسين، وتضم غيرها من أسر آل حميد، كآل هزاع والجبور والمهاشير وآل شباط والقرشة وغيرهم من الأسر الحميدية الخالدية، والإمارة هي في آل غرير من آل حميد.

وإذا علمنا أن الأمير براك بن غرير بن عثمان هو أول أمير في (آل حميد) قد بدأت ولايته على الأحساء في عام ١٠٨١هـ يوجه عتابه إلى ابن عمه حسين بن عثمان آل حميد الذي هو في نسب الشيخ المترجم الأب (الرابع) وعادة علماء النسب يجعلون لكل مائة عام (ثلاثة آباء)، وهي طريقة في النسب لا تكاد تنخرم، إذا علمنا ذلك علمنا أنه قد

سقط ما بين (عبدالرحمن) وهو الأب (الثالث) للمترجم خمسة أو ستة آباء إلى (حسين)، وهو الجد الرابع في هذا النسب.

والذي أرجحه أن نصف هؤلاء الآباء الخمسة أو الستة من سكان الأحساء، وأما النصف الباقي فمن سكان نجد، ذلك أن حكم آل حميد قد انتهى عام ١٢١١هـ، والراجح أنهم لن يتركوا تلك البلاد الخصبة والحكم باق لهم، ويأتوا إلى نجد وجفافها إلاَّ بعد انتهاء حكمهم، والزمن ينصف بين حكمهم وانتقالهم.

وأسرة الشيخ المترجم القريبة جاؤوا من الأحساء، فنزلوا قرية معكال، وكانت معكال قرية مستقلة، ويقابلها بالأهمية قرية (مقرن) وكان بين القريتين عداء وقتال، وكان شاعر إحدى القريتين يقول متمنياً الفتنة:

يا ما حلا والشمس باد شعقها

ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال (١)

وقد توحدت القريتان - الآن - باسم (الرياض) فأما مقرن فلم يبق لها ذكر، ولا يُعرف أين موقعها، وأما معكال، فلا يزال اسمها باقياً على حي من أحياء الرياض.

كانت أسرة المترجم في بلدة معكال، ثم دخلت البلدة في مسمى الرياض، فولد الشيخ في هذا الحي من أحياء الرياض، وقد شهر أسرته الأدنين، وكان سبب علو ذكرها، وقد وُلد في ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ، سمعت ذلك من الملك خالد بن عبدالعزيز والشيخ عبدالعزيز بن باز وغيرهما.

(١) ذكر استاذنا الشيخ عبدالله بن خميس هذا البيت في معجمه معجم اليمامة ج٢/٣٨٠/ ولم ينسبه للقائل أنما قال، وقال أحد الشعراء الشعبيين والشيخ حريص تمام الحرص على نسبة الأبيات إلى قائليها ولعله لم يعرف له قائلاً.

وقد كف بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادىء العلوم الشرعية، فحفظ متونها، ومع اهتمامه بالعلم واجتهاده فيه كان من تقدير الله وجود صفوة من العلماء، اختصَّ كلٌّ واحد منهم في بابٍ من أبواب العلم وفنٍ من فنونه.

فكان من مشايخه

١- الشيخ محمد بن عبداللّطيف آل الشيخ، قرأ عليه في كتاب التوحيد.
٢ - الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، قرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث والفقه والفرائض والنحو.
٣ - الشيخ سعد بن عتيق، قرأ عليه في التوحيد والحديث ومصطلحه.
٤ - الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في الفقه.
٥ - الشيخ حمد بن فارس بالنحو.

ولكنه لازم الشيخ محمد بن إبراهيم ملازمة تامة حتى صارت له منه الفائدة الكبرى، وتخرج على يديه.

هذا مع ما وهبه الله تعالى من الذكاء المفرط، والفهم الجيد، والعقل الراجح، وبُعد النظر، والقوة في أعماله، فصار له ذكر حسن وصيت بعيد، واسم كبير، وهو مازال في شبابه.

وكان كل يعرف ذلك عنه، فقد قال في حقه الملك عبدالعزيز آل سعود: لو كنت جاعلاً القضاء والإمارة جميعاً في يد رجل واحد، لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد.

أعماله

١- عينه الملك عبدالعزيز قاضياً في العاصمة الرياض، وذلك في عام ١٣٥٧هـ هذا وليس له من العمر إلاَّ ثمان وعشرون سنة، وقضاء الرياض هو أهم قضاء في نجد.

٢- وفي عام ١٣٦٠هـ نقل إلى قضاء مقاطعة سدير، ومقامه في عاصمة المقاطعة المجمعة.

٣- وفي عام ١٣٦٣هـ نقل إلى قضاء القصيم، ومقره مدينة بريده، وهو جزء هام جداً في المملكة، لما فيه من العلماء ووفرة السكان، وكثرة الأعمال، وصار في هذه المقاطعة هو المرجع في القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة، وصار له القبول التام بين أهل المقاطعة.

وفي عام ١٣٧٧هـ طلب الإعفاء من القضاء ليتفرغ للتدريس والإفتاء، فأعفي .

٤ - وفي عام ١٣٨٤هـ تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، فاختاره الملك فيصل ليكون رئيساً لها، والملك فيصل هو من هو في معرفة الرجال وانتقائهم، فانتقل إلى مكة واستقر فيها وقام بالعمل، فهو أول رئيس لهذا العمل الهام.

٥ - وفي عام ١٣٩٥هـ عينه الملك خالد بن عبدالعزيز رئيساً لمجلس القضاء، فصار رئيس القضاة ومرجعهم في هذا المقام الكبير.

٦- ولما تأسس مجلس هيئة كبار العلماء اختير ليكون من كبار أعضائه، وبقي فيه حتى وفاته .

٧- كما اختير رئيساً لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي ، وهو مجلس يضم كبار العلماء من الأقطار الإسلامية لمناقشة القضايا المعاصرة المستجدة في أحكام الإسلام .

٨- كما اختير عضواً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي يعنى بأمور المسلمين ومشاكلهم، ولا سيما أمور الأقليات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أقطار المعمورة.

والمترجم أينما حلّ في بلدة، فهو المرجع للمكان الذي يحل فيه في الدرس والإفتاء والاستشارات، والتوسط في أمور الخير وغير ذلك، فهو مهتم بأمور المسلمين، وناصبٌ نفسه وعلمه وجاهه لخدمة الإسلام والمسلمين.

وهو صاحب الإشارة والكلمة النافذة، وكان ولاة الأمور يجلونه ويعرفون قدره ويحترمونه غاية الاحترام، لسعة علمه وبُعد نظره، ونصحه لعامة المسلمين وولاتهم، وما يقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين.

والشيخ عبدالله بن حميد من كبار علماء الإسلام وعقلائهم ووجهائهم.

وقال بعضهم: الشيخ ابن حميد قد رزقه الله عقلاً راجحاً، وسياسةً ليس لها نظير، وحكمة جعلته محل احترام، ومحل ثقة لدى الكبير والصغير، ويمتاز بالأناة والروية، كثير الصمت إلاَّ فيما ينفع، حادَّ الذكاء لا يمكن أن يُخدع، يحتاط في كل ما يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغره الدعاوى .

رزقه الله بصيرة نافذة، يعرف الدعاة الحقيقيين الناصحين

المخلصين، بحيث يميزهم من أهل التمويه والخداع، لا يمكن أن يُستغفل، فهو كيّس فطِن، يزوره الكثير من أهل العلم، وممن ينتسبون إلى جمعيات وأحزاب من الشرق والغرب، فيتعرف المصيبَ من غيره.

وكان يرى اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين، وأن الإسلام ليس فيه تحزب ولا تفرق، وهو بهذه النظرة البعيدة نال إعجاب المسلمين عامة، وثقة شعب المملكة خاصة.

وكان يحرص على توجيه الشباب ونصحهم بالتعقل والرزانة، فالشباب في الغالب تكون عندهم عجلة، وعدم تفكير في العواقب، مع حبهم للخير، حرصهم على الدعوة إلى الله، فكان «رحمه الله» يشجعهم، ولكنه ينصحهم بالتثبت والهدوء، وعدم العجلة، ويحذرهم من التهور، ويحثّهم على الاستقامة، والتأدب بآداب العلماء، وينصحهم بسلوك العلماء، وعلى ألا يأخذوا العمل إلاَّ عن أهله المعروفين، وألا يأخذوه عن الجهال والأدعياء .

وكان «رحمه الله» يكره الفتن، ويكره إثارتها، ويجعل قاعدة: «درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح» نصب عينيه.

ورزق الشيخ «رحمه الله» قوة الشخصية والهيبة والوقار.

أما علمه فهو فقيه لا يشق له غبار، فهو عالم من علماء الحنابلة الكبار.

ولي مع المترجم «رحمه الله» صلة وثيقة، ومودة أكيدة، وعلاقة علمية هي أقوى وأوثق من علاقة النسب.

وقد اشتركت معه في أعمال علمية منها:

أولاً: أننا اشتركنا في إلقاء دروس في المسجد الحرام فيما بين المغرب والعشاء، فله ليلة ولي ليلة أخرى.

ثانياً: كانت رابطة العالم الإسلامي في موسم الحج تعقد ندوات علمية، يختار لكل ندوة عالمين أو ثلاثة يناقشون موضوعاً علمياً من المواضيع، فاشتركت أنا وإياه في إحدى الندوات.

ثالثاً: اشتركت أنا وسماحته بمناقشة رسالة لحصول صاحبها على شهادة (الماجستير) في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وكان «رحمه الله تعالى» يجلّني كثيراً ويحترمني، وله فيَّ ظنٌّ حسن. رحمه الله تعالى.

مؤلفاته

رسائل ليست على قدر علمه ومقامه، فهو من العلماء الذين يرون الاكتفاء بما سطَّره العلماء السابقون في أسفارهم، ولكنه كتب رسائل يرى أن الحاجة داعية إلى تحريرها منها:

١ - «الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسنة».

٢ - «كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر».

٣ - «دفاع عن الإسلام».

٤ - «حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب».

٥ - «هداية الناسك إلى أحكام المناسك».

٦ - «الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع».

٧ - «تبيان الأدلة في إثبات الأهلة».

ومن ردوده

٨ - إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويز ذبح دم التمتع قبل وقت نحره.

٩ - «غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود»[(١)].

١٠ - «نقد نظام العمل والعمال.

١١ - «رسالة في حكم التلفزيون».

مجموعة مقالات في كتيبات منها :

١ - «الرسائل الحسان».

٢ - «توجيهات إسلامية».

٣ - «رسائل موجهة إلى المعلمين».

٤ - «رسائل موجهة إلى العلماء».

وما زال في أعماله من رئاسة مجلس القضاء، ورئاسة المجمع الفقهي، وعضوية المجلس التأسيسي الرابطة، وعضوية هيئة مجلس كبار العلماء، والتدريس والإفتاء.

---

(١) هو الشيخ العالم المحقق عبدالله بن زيد آل محمود من مواليد عام ١٣٢٩هـ .. في حوطة بني تميم جمع رسائله المشتملة على كثير من احكام الفقه والتوحيد والعقائد في مجلدين ونشرتها مكتبة العبيكان في ثلاث مجلدات أخيراً، له حياة حافلة بالدعوة إلى الله ونشر العلم في قطر، وقد تولى القضاء في قطر عام ١٣٥٩هـ حتى عام ١٤١١هـ حيث اعتزل الحياة الوظيفيَّة فبقي في منزله حتى توفى عام ١٤١٧هـ رحمه الله وقد كتبت عنه مقالاً في حياته بالمجلة العربية عام ١٤١٥هـ في شهر ربيع الثاني وقد زرت قطر في صيف عام ١٤١٠هـ وكان من نيتي أن ازوره ولكنه كان في هذ الصيف ذاهباً إلى مسقط راسه الحوطة فيبقى فيها طيلة أشهر الصيف وهذه هي عادته رحمه الله واسكنه فسيح جنانه وهو والشيخ ابن حميد زملاء دراسة على الشيخ محمد بن إبراهيم قد ولدا في سنة واحدة هي سنة ١٣٢٩هـ وقد كنت ارسلت له رسالة عام ١٤٠٩هـ اطلب منه ترجمة له خاصة فبعث اليَّ رحمه الله بترجمة حافلة فيها تفصيل عن حياته العلمية والقضائية، واذكر ان احد العلماء حدثني قائلاً:- ان الشيخ عبدالله آل محمود سأله شخص هل تقرض الشعر؟ فاجاب: جيّده لا أقوله. ورديئه لا يواتيني. قال عنه الداعية والمفكر والفقيه الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله: ...... وأشهد ان هذا الرجل كان صوّاماً قواماً كثير التلاوة لكتاب الله عز وجل مشغولاً بالعلم دراسة وتعليماً وتأليفاً وقضاء وكنت كلما زرته في مجلسه وجدته مشغولاً بقراءة كتاب مهم من كتب التفسير أو الحديث أو الفقه يقرؤ عليه أحد ابنائه أو أحد تلاميذه وهو يستمع ويعلق فهكذا كان يقضي وقته بين العلم قراءة وكتابة والعبادة والأفتاء والقضاء وشئون المساجد... انظر في وداع الأعلام ليوسف القرضاوي ص ١٥٠-١٥١- وحدثني الشيخ راشد بن حمد آل هملان ١٤٢٤هـ رحمه الله قائلاً: - لقد التقيت بالشيخ عبدالله آل محمود في مدينة الحريق وكان مدعواً عند رشيد بن تركي الهزاني عام ١٤٠٨هـ بمزرعته العويضيَّة وكان الجمع كثيراً فأستغل هذه الجلسة فأخذ يفسرّ سورة (ق) كأنه يقرأ من كتاب رحمه الله فهو إذا تحدث يتدفق علماً ومعرفة.

واستمر في برامجه الإذاعية في إذاعة المملكة العربية السعودية، وفي بذل جاهه وعلمه في قضاء حوائج المسلمين، حتى أصيب بمرض عضال سافر من أجله إلى - أمريكا - وأجريت له عمليات، ولكن المرض الخبيث يزداد معه، فأدخل مستشفى القوات المسلحة في الطائف، وبقي فيها حتى وافاه أجله فيه، وذلك في يوم الأربعاء (٢٠/١٢/٢-١٤هـ).

وصلى عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة، وحضر الصلاة وتشييعه أمم عظيمة، يتقدمهم العلماء والأمراء والأعيان، وصار مشهداً عظيماً، شعر المواطنون بفراغ كبير بعده، فانعكس ذلك على حزن عميق، ومصاب كبير، فرحمه الله تعالى.

عقبه

ترك عدداً من الأبناء والبنات، وأشهر أبنائه:

١ - الدكتور (صالح) إمام المسجد الحرام، وخطيبه وعضو مجلس الشورى.

٢ - الدكتور (أحمد) عميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى، ورئيس قسم الدراسات العليا فيها.

٣ - الشيخ (إبراهيم) أحد مدرسي دار الحديث بمكة المكرمة.

وقد رثى المترجم بمراث كثيرة، وكتبت عنه الصحف والمقالات الطوال، ونختار من ذلك قصيدة للشيخ محمد بن عبدالله السبيل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وهذه هي :[1]

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيِّل تعيّن في المسجد الحرام عام ١٣٨٥هـ والذي رشحه الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله ولا يزال أماماً وخطيباً.

عَلَى مِــــثْـل هَـذَا الخطب تهــــمي النـواظر
وتذري دمـــــاء مــــقلةٍ ومـــحـــاجـــر
ألا أيـهـــــا النـاعـي لنـا عِلْم الـهـــــدى
أصــــدقـــاً تقـــول أم مـــصــــاباً تحــاذر
لـئن كَــــانَ هَـذَا النعـي حــــقـــاً فــــإنما
نعـــيت الَّذِي يبكيـــه باد وحــــاضـــر
نعــــيت الَّذِي يبكيـــــه كـــهل ويافع
ويبكيـــــه شـــبـــان ويبكي الأكـــابـر
نعـيت الَّذِي يبكيـــه مـحــراب مَـسْـجِــدٍ
ويبكيـــــه تذكـــيـــــر وتبكي المنابر
وتبكيـــــــه دور للعُلُوْم ينـيــــــرهـا
بفـــهـم دقـــيق تجــتنيـــه المثــابر
ويبكيــــــه جل المشكلات إذا عـــــصت
وأعــــيـــا رجـــالاً وردها والمصـــادر
ويبكيــــه فـصل الحق بالعِلْم مـــدعـــمـــاً
ويبكيـــــه صــــاد للفـــتــاوى وحــــائر
بكتــه ذوو الحـــاجـــات إذ كَــانَ ملجـئــاً
يدافع عَنْ ملهــــوفـــــهم ويناصـــــر
هو الشَّــيْخ عَــبْــدالله نجل مُــحَــمَّــد
به أمــــة الإسْـــلام حـــقــــاً تفــاخــر

هـو الجــــبـل الـراسـي عـلـى كـل حـــــالـة
إذا زعـــزعـت أحـــلام قـــوم أعـــاصـــر

مـنـار عَلَـى درب الـتــــقـى فــــوق لاحـب
بـه يهـــتـــدي الســـاري وتـنـأى المخـــاطـر

قـــوى بفـــصـل الحـق قـــاض مـــوفق
بـه يـرتـضـي خـــصـم وتهــدا ضـــمـــائـر

هـو الحـــبـــر كم طاب نفس ومـــتـــعـت
قـلـوب وأبـصـــــار بـهِ أو بـصـــــائـر

لـه مَــــجْـلِـس يـرتـاده كـل عـــــالـم
فكم غـــمـــر الجـــلاس مِنْـهُ جـــواهـر

تـرى الـنَّـاس هَـذَا وارد مـــــتـــــعطـش
وذا نـاهـل مـن بـحـــر عِلْـم وصـــــادر

تـفــــرد فِـي عِلْـم وفِــــقْــــه وفـطـنـة
تقـــاصـــر عنهـــا باحـث ومـــذاكــر

فـكم كــشـف أبـحـــاثـه مـن غـــوامـض
ومـــن حـــكـــم تجـــنـــى وهـــن نـــوادر

نـــوادر عِـــلْـــم مـــن فـــنـــون تـــنـــوعـت
ينـمـى بِهَـــا عـــقـل وتـزكــــو ســـرائـر

قـــد اســتـــخـــرجـت مـن كنز عـــقل مـــؤيـد
ونـقـل صـــحـــيـح أسـنـدتـه عـــبـــاقـــر

ترى الحـــازم المشــغــوف فِي كل نيل حكمـــة
ينـافس فــي تـسـطيـــــرهـا ويـبـــــادر
ومـــــا الـعِـلْم إلا مــــا رواه أئـمــــــة
مـــشـــافـــهــــة أو دونتــــه دفـــاتـر
ســرى ذكــره فِي الأرْض شــرقــاً ومــغــرباً
وقـــــد أكــــبــــرته جلـة وأكـــــابـر
وعم الأســى عـــربـاً وعــــجـــمــــاً لموته
فـــيـــا حـــســـرتا إذ ألحـــدوه وغـــادروا
يـجـــــاهـد فِي ذات الإلـه بـحـكـمـــــــة
وبـالـقـــســط قـــوام ولـلـحق نـاصــــر
وفــي الله لَمْ تـأخـــــذه لـومـــــة لائـم
يـنـاصـح ســـــــراً تـارة ويـجـــــــاهـر
فـكـم ردعـت أقـــوالـه مـن مــــعــــانـد
وأذعـن مـن بَعْــــد الـعنـاد يـســـــايـر
لـه فِي قـلـوب الـعــــالمين مـــحـــبـــة
مـــحـــبـــة صـــدق قـــربة ومـــفــــاخـر
مـــحـــبـــة دين يرتجـــيـــهـــا أولو الـتـــقى
ويـحـــــرم مِنْهُـــــا جــــاهـل أو مـكـابـر
ســـــحـــــابة عِلْم روت الـروض والـربـى
فـــأخـــصب مِنْهُـــا مـــربـع ومــحــــاجــر

فيا أسفا قَدْ صوح النبت بعده
فأضحى هشيماً وهو بالأمس ناضر

وإن انتزاع العِلْم فِي موت أهله
كما جاء نص في الصَّحِيْحَيْن ظاهر

فيا لك من خطب جَلِيْل وحادث
به فقدت أنهار عِلْم زواخر

كما فقدت فِي حندس الليل أنجم
وقد سقط فِي الأفق وهي زواهر[1]

فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه
ويا لوعة الصادي إذا جف ماطر

فكم آسف يبكى بقلب مبرَّح
وكم واجم أضناه حزن مخامر

لقد مزق الأحشاء همٌّ بموته
تكاد لَهُ صم الجبال تناثر

فللَّهِ كم حاولت صبرى فخانني
أقلل حزني مرة فيكاثر

إله الورى ندعوك سراً وجهرة
تخفف عنا ما حوته الضمائر

(١) حندس الليل: ظلمته.

مـن الـروع والأحـــــزان يـوم فـــــراقـــــه
فـــيـــا ســيـــدي رحـــمـــاك إنك قـــادر
ســـيـــبــــقى لَهُ فِي قلب كل مـــوحــــد
ســـــــريرة حب يـوم تـبلـى الـســـــــرائـر
ســـقى الله قـــبـــراً ضـــمـــه وابل الـرضى
يمن بِـه رب رحــــــيـم وغـــــــافـــــــر
وبـوءه دار الـسَّــــــــــــلام مَـعَ الأُلـــى
هـمـــــو نصـــــروا حـــزب الإله وهـاجــــروا
فـــآل حـــمـــيـــد إنما الـصـــبـــر عـــزمـــة
فـــصـــبـــراً ينال الأجـــر من هُـوَ صـــابر
فـــإن مــــصـــــاب المرء فـــقـــــد ثـوابه
وأمــــا الـرزايا فـــالمهـــيـــمن جـــابر
ولســـــتم ذويه وحـــدكم في مـــصـــابه
شـــعـــوب بِـهِ قَـــدْ أفـــزعت وعـــشـــائر
وذي حلـة الدنـيـــا ســــرور وغــــبـطـة
وأيـام بـؤس فــــرقــــة وفــــواقـــــر
وقـــد خلق الإنســـان فِي كـــبــد فــمـن
يروم صـــفـــاء الـعـــيش لا شك قـــاصـــر
وإن قَــــضَــــاء الله حـكـم منـفــــذ
عـلـينـا الـرضـــا والأَمْـــر لله صـــائـر

وليس يرد الموت حصن ممنع
ولا شاهق أو قوة وعساكر
فما خالداً زيد وعمرو وخالد
سيوف المنايا مصلتات بواتر
كفى زاجراً للمرء أيامه التي
يمر عَلَيْهَا بالمَوَاعِظ زاجر
مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى
فلله عمر بالفضائل زاخر
جَلِيْل أتت فِي النظم أعوام عمره
وفي عَامَ غيث غيبته المقابر
وصل إلهي ما بكى السحب أو هوت
نجوم الدجى أو ناح في الدوح طائر
عَلى المصطفى بدر الدجى سيد الورى
وآل وصحب ما بكي العِلْم شَاعِر



(❖) علماء نجد خلال ثمانية قرون (الجزء الرابع). من ص ٤٣١-٤٤٥.

عبدالله بن حميد

بقلم : الشيخ عبدالله بن محمد بن عايض الزهراني

العالم الجليل الحبر الفهامة النبيل والمحقق المدقق سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حميد، ينتهي نسبه إلى قبيلة بني خالد، رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

من مواليد الرياض عام ١٣٢٩هـ، فقد بصره في طفولته وحفظ القرآن الكريم وشرع في طلب العلم بهمة وقرأ على علمائها والوافدين إليها ومنهم: الشيخ حمد بن فارس[١] قرأ عليه علوم العربية والحديث والشيخ سعد بن حمد بن عتيق[٢] قرأ عليه في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ[٣] ومحمد بن عبداللطيف[٤] آل الشيخ قرأ عليهما في أصول الدين وفروعه والحديث والتفسير ولازمهما ملازمة طويلة.

(❖) ملخصه من روضة الناظرين لمحمد بن عثمان القاضي ج٢ ص ٥٥ ترجمة ١٨٣.

(١) سبق التعريف به في هذا المجلد.

(٢) قاضي محكمة الرياض ترجمته بالمجلد الثاني.

(٤) محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ابن مجدد الدعوة السلفية شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من مواليد مدينة الرياض عام ١٢٧٣هـ من مشايخه اخوه عبدالله ومحمد بن محمود وحمد بن عتيق وحسن بن حسين آل الشيخ تعين قاضياً في الوشم ثم داعية بالمنطقة الجنوبية من المملكة من تلامذته سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم واخيه عبداللطيف وعبدالملك بن إبراهيم وحمد الجاسر وصالح بن سحمان توفي يوم الأحد ثاني جمادي الثانية عام ١٣٦٧هـ له أبناء وأحفاد.

علماء نجد خلال ستة قرون،ج٣ صحيفة ٨٤٩، ترجمة ٢٩٦.

وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم [1] في الأصول والفروع والحديث والتفسير وعلوم العربية ولازمه زمناً طويلاً وكان يستشيره في القضاء وفي حل ما يمر عليه من عويص.

عينه الملك عبدالعزيز[2] «رحمه الله» في محرم الحرام من عام ١٣٥٧هـ قاضياً في الرياض.

وفي ذي القعدة من عام ١٣٦٠هـ عين قاضياً في سدير [3] فسكن المجمعة[4] وفي آخر عام ١٣٦٣هـ تعين قاضياً في بريده وأصبح إماماً لجامعها والمرجع في الإفتاء والتدريس وطلب الإعفاء من القضاء والأحالة إلى المعاش في آخر عام ١٣٧٧هـ وبقى في بريده [5] للاقامة والتدريس إلى عام ١٣٨٤هـ حيث وقع عليه الإختيار من قبل جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز «رحمه الله» ليكون رئيساً للإشراف الديني على المسجد الحرام وفي عام ١٣٩٥هـ عينه الملك خالد بن عبدالعزيز [6] «رحمه الله» رئيساً لمجلس القضاء الأعلى وسماحته كان عضواً في هيئة كبار العلماء ورئيساً للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة كما أن سماحته يعتبر مثالاً عظيماً للنزاهة في القضاء.

---

(١) رئيس القضاة والمفتي للبلاد.

(٢) ملك وموحد المملكة العربية السعودية وجامع لوائها.

(٣) انظر التعريف بمحكمتها بالمجلد الثاني.

(٤) انظر التعريف بمحكمتها بالمجلد الثاني.

(٥) انظر التعريف بمحكمتها بالمجلد الثاني.

(٦) الملك الثالث للمملكة العربية السعودية بعد مؤسسها، ولد بالرياض سنة ١٣٣١هـ وهي السنة التي انتزع فيها ابوه المنطقة الشرقية من الاتراك كان رئيس الوفد السعودي في المفاوضات اليمنية السعودية التي جرت في الطائف. عام ١٣٥٣هـ ثم مستشار لأخيه فيصل، وفي عام ١٣٨٤هـ عين ولياً للعهد تولى الحكم بعد وفاة اخيه الملك فيصل وتوفي بتاريخ ١٤٠٢/٨/٢١هـ في الطائف ودفن بالعود.

وفضيلته صاحب فراسة فقد فقدّ البصر وعوضه الله بنور البصيرة محبوباً لدى الخاصة والعامة مثالاً حسناً لقوله وفعله، له نشاط عظيم وملموس في وقته، فيقيم المحاضرات، ويحضر الندوات، فوقته كله مشغول تناقله المؤسسات والجامعات الخيرية، فيتكلم ويعظ ويحدث فلا يكل ولا يمل وكأنما يغرف من بحر كل ذلك في كلام يفهمه الأمي ويدركه المتعلم في رصانة وحسن تعبير فإذا انتهى من القاء محاضرة أو درس توافد عليه الأعلام بشكل عام مقروءة ومسموعة، ومع انشغال وقته لم يثنه ذلك عن التأليف فله: الرسائل الحسان والرد على ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه ذبح دم التمتع قبل وقت نحره وغاية المقصود في الرد على ابن محمود وتبيان الأدلة في اثبات الاهله وهداية الناسك وكمال الشريعة ودفاع الإسلام والابداع شرح خطبة حجة الوداع وقد مرض في آخر حياته بمرض نوم على اثره في مستشفى الهداء، حيث وافاه الأجل يوم الأربعاء ٢٠ من ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ الموافق ٩ من سبتمبر عام ١٩٨٢هـ وصلى عليه في المسجد الحرام وخرج الناس في جنازته وصار لوقع مصابه صدى ورثاه الشعراء والعلماء.

وقد كان «رحمه الله» على خلق رفيع يرحم الصغير والأرامل والضعفاء فأوقف الأوقاف في سبيل الله وبناء المساجد ونفق على المحتاجين والمعسرين، كما أنه كلف من قبل ولي الأمر لحل بعض المنازعات والفصل في بعض القضايا. فجاء رأيه مسدداً وقوله فصلاً ونفع الله به كثير من العامة وكان سبباً في رد الكثير من الحقوق إلى أصحابها وقد خلف مكتبة كبيرة.

وخلف من الذكور: محمد[١] وصالح[٢] وأحمد[٣] وعبدالرحمن[٤].
وسعد[٥] وإبراهيم[٦] وعبد الوهاب[٧] وعبد المحسن[٨].

---

(١) من مواليد الرياض ويعمل بشئون الحرمين وهو أكبر الأبناء ويعمل بمراقبة التدريس بشؤون الحرم المكي والمدني.

(٢) من مواليد بريده بالقصيم عام ١٣٦٩هـ تخرج من الثانوية بمكة المكرمة واكمل التعليم بالجامعي بكلية الشريعة عام ١٣٩٢ هـ حصل على الماجستير ثم الدكتوراه أيضاً من نفس جامعته عين معيداً بكلية الشريعة حفظ القرآن الكريم وهو في السادسة عشر من عمره عمل رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية والمسائية ثم عميداً لكلية الشريعة ثم نائب الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي. وفي عام ١٤٠٣هـ تم تعيين فضيلته اماماً للحرم وصلى بالناس صلاة العشاء في التاسع والعشرين من ربيع الأول عام ١٤٠٣هـ وخطب في المسجد الحرام عام ١٤٠٤هـ في رمضان وفي عام ١٤١٤هـ وقعت عليه الارادة الملكية باختياره ليكون احد اعضاء مجلس الشورى. له: دفع الحرج في الشريعة ضوابطه وتطبيقاته تلبيس مردود في قضايا حية، أدب الخلاف مجموعة خطب. وفضيلته يقوم بالوعظ والارشاد وعمل المحاضرات متنقلاً من مدن المملكة وداعية إلى الله بأسلوب ومنهج خاص به.
البلاد: عدد ١٤٨١٣ ليوم الخميس ٧/ رمضان ١٤١٧ الموافق ١٦/يناير ١٩٩٧م.

(٣) زميلنا وشيخنا واستاذنا من مواليد ١٣٧٤هـ بالقصيم تخرج من كلية الشريعة بالرياض عام ٩٣/٩٤هـ وكان الأول على دفعته يمتاز بقوة الحفظ وبعد النظر والادب الجم وقر كريم الخلق محباً للخير والصلاح من صغره استفاد من والده استفادة عظيمة حيث لازمه مدة طويلة وكان محل اعجاب وتقدير شيوخه ومعلميه تنبأوا فيه النجابة أكمل الدراسات العليا وحصل على الماجستير والدكتوراة من كلية الشريعة بمكة المكرمة، عمل مديراً لمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية ووكيلاً لكلية الشريعة لفترة واحدة ويعمل الآن رئيساً لقسم الدراسات العليا الشرعية أشرف وناقش العديد من الرسائل العلمية وقام بمناقشة بعض الرسائل خارج الجامعة له مشاركات في بعض المؤتمرات والدورات في الداخل والخارج له: (القواعد لأبي عبدالله المقري) وبعض البحوث التي لا تزال مخطوطة قام بالتدريس بالحرم المكي الشريف مقابل الركن اليماني
– له من الأبناء: عبدالعزيز وعبدالله.
دليل خريجي الجامعة صحيفة ١٠٦، تسلسل ١.

(٤) من مواليد عام ١٣٦٦هـ في المجمعة، درس بثانوية الزاهر بمكة وعمل في الاشراف الديني، عمل بالتفتيش الإداري وفي التدريس والوعظ والارشاد. له من الأبناء: عبد المحسن ومحمد وحسين وعبدالله وزيد.

(٥) من مواليد عام ١٣٨٠هـ ببريده درس بالثانوية العزيزية بمكة وعمل في جامعة أم القرى بكلية الشريعة سكرتيراً ثم نقل عمله إلى المؤسسة العامة بالصوامع ومطاحن الدقيق، يعمل رئيساً لقسم الارشيف. له من الأبناء: عبدالله.

(٦) من مواليد عام ١٣٨٢هـ ببريده، درس بثانوية الملك عبدالعزيز بمكة ثم تخرج من ثانوية حراء الشاملة والتحق بكلية الدعوة وأصول الدين وتخرج من قسم الكتاب والسنة عام ١٤٠٩ هـ عمل كاتب عدل بكتابة عدل الأولى بمكة ثم انتقل عام ١٤١٢هـ إلى مجال التعليم بدار الحديث المكية التابعة للجامعة الإسلامية لا يزال يعمل ويعطي العطاء.

(٧) استاذ في وزارة التربية والتعليم يحمل الماجستير في الفقه.

(٨) يعمل كاتب عدل في مكة يحمل الماجستير في الإدارة من جامعة الملك عبدالعزيز«حـ» والبكالوريوس في الشريعة الإسلامية.

(❖) تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي ١٣٤٤هـ - ١٤١٦هـ.
هذه التعليقات والهوامش بقلم مؤلف الكتاب الشيخ عبدالله الزهراني وليست بقلمي.

الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد

(١٣٢٥-١٤٠٢هـ ١٩١١-١٩٨٢م) [١]

بقلم : عبدالله بن سعد الرويشد

في يوم الأربعاء العشرين من ذى القعدة عام ١٤٠٢ هـ - ١٦ من أغسطس عام ١٩٨٢م توفي إلى «رحمة الله» الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وهو من هو في العلم والفضل والقضاء والفتيا وعلوم الشريعة.

تخرج على يديه أجيال من العلماء.

وقد نعته رابطة العالم الإسلامي إلى العالم الإسلامي فقالت فيما قالت:

كان الفقيد «رحمه الله» من علماء المملكة العربية السعودية الأجلاء، وقد أسهم بعلمه وفكره في مجالات الدعوة الإسلامية، ونشر المعرفة والعقيدة، حيث وضع مؤلفات إسلامية عديدة وشارك بجهده وجهاده

(١) جميع المصادر والمراجع التي ترجمت لحياة الشيخ عبدالله وبخصوص مقالة د. صالح ابن الشيخ متفقة على ولادة الشيخ عام ١٣٢٩هـ وقد سألت الأستاذ عبدالله عن هذا التاريخ وانفراده به فقال أنني متأكد من هذا التاريخ وقد سألت الشيخ في حياته عن ميلاده فقال لي هذا التاريخ. والأستاذ عبدالله أكبر ابناء الأستاذ والوجيه الشيخ سعد بن رويشد وهو من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٥٥هـ ولديه العديد من المؤلفات والبحوث التاريخيَّة والأدبية زاول بعض الوظائف الحكومية وأشتغل بالتجارة وهو صاحب دار الفلاح للنشر والتوزيع وصناعة القرطاسية وعضو بمؤسسة الجزيرة الصحفية وله منسك عن الحج لطيف ومختصر قدّم له الشيخ عبدالله بن حميد وعنوان الكتاب (أرشاد الناسك إلى الحج والعمرة وزيارة المناسك) طبع عام ١٤٠٠هـ وله نشاط في كتابة المقالات في الصحف المحلية وخصوصاً في جريدة الجزيرة، وهو عضو مؤسس فيها.

منذ انتسابه لعضوية المجلس التأسيسي للرابطة ورئاسة المجمع الفقهي برغم تقدم سنه وضعف صحته، إذ كان «رحمه الله» مشهوداً له بحصافة الرأي والرزانة والحكمة.

وتوجهت الرابطة بالدعاء إلى الله أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

كما نعت الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد سماحة الفقيد رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية، وعضو المجلس الأعلى للمساجد.

كما نعته جميع الصحفً والمجلات السعودية والعربية والإسلامية، وقال الشيخ إبراهيم محمد سرسيق من مقال له نشر في جريدة (المدينة المنورة عدد السبت أول ذي الحجة عام ١٤٠٢هـ) :

كان علماً من اعلام الهدى، وصرحاً من صروح الخير، وكنزاً من كنوز العلم، ومنجماً من مناجم الفقيه، وحامل راية من رايات الجهاد، يناضل تحتها وفي ظلها حتى النفس الأخير.

وقد تولى الشيخ ابن حميد عدة مناصب دينية على جانب كبير من الأهمية:

ففي شهر المحرم من عام ١٣٥١هـ [١] عينه الملك عبدالعزيز آل سعود «رحمه الله» وأجزل مثوبته قاضياً في الرياض، ثم اختاره جلالة الملك عبدالعزيز في عام ١٣٦٠هـ ليكون قاضياً بمقاطعة سدير، ثم في عام ١٣٦٣هـ نقل إلى قضاء مقاطعة القصيم واستمر بها حتى طلب الإعفاء

(١) الشيخ كما هو معروف وثابت في المصادر أنه تولى القضاء عام ١٣٥٧هـ.

من منصب القضاء والإحالة إلى التقاعد وذلك في أواخر عام ١٣٧٧هـ.

وكان قد انتدبه عام ١٣٧٢هـ جلالة الملك عبدالعزيز لنظر القضايا المختلفة في كل من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة.

وفي عام ١٣٨٤هـ تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، واختاره جلالة الملك فيصل «رحمه الله» رئيساً لها من الأهمية البالغة، ومقابلة العلماء الوافدين على هذا البلد، وصار يدرس بعد المغرب بساحة الحرم المكي ويحضر درسه الجمع الغفير، وفي أواخر عام ١٣٩٥هـ اختاره جلالة الملك خالد «رحمه الله» رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء في المملكة، كما كان سماحته عضواً في هيئة كبار العلماء ورئيساً للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي وعضواً بالمجلس التأسيسي للرابطة.

ولد «رحمه الله» في شهر ذي الحجة عام ١٣٢٥هـ في مدينة الرياض وحفظ القرآن الكريم وهو صغير السن وتلقى مبادىء التعليم على يد مشايخ أجلاء من علماء الرياض، مثل الشيخ حمد بن فارس، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض في وقته، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس قضاة المملكة ورئيس قضاتها آنذاك، درس عليه مختلف العلوم في الفقه والحديث واللغة وغيرها، وانتفع بملازمته والقراءة عليه انتفاعاً كبيراً.

ولما كثر الطلبة على الشيخ محمد بن إبراهيم اختاره ليكون مساعداً له، وليقوم بتدريس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها في جانب من المسجد الجامع بحي دخنه بالرياض.

وكان «رحمه الله» كما ذكرنا من قبل رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء، إذ تولى رئاسته عام ١٣٩٥هـ بأمر جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز رحمهم الله.

كما كان رئيساً للرئاسة العامة للإشراف الديني على الحرمين الشريفين منذ عام ١٣٨٤هـ بأمر من جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله.

وتولى كذلك رئاسة المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وكذلك كان عضواً في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.
وعضواً في المجلس الأعلى للمساجد.

برغم مشاغله الكثيرة فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته القيمة التي لا يتسع المجال لحصرها، وأذكر بعضها للفائدة:

فقد كان من مؤلفاته (الرسائل الحسان)، و (تبيان الأدلة في إثبات الأهلة)، و (الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة) و (كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاج إليه البشر)، و (هداية الناسك إلى أحكام المناسك)، و (الإبداع شرح خطبة حجة الوداع،) و (لا اشتراكية في الإسلام)، و (حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب).

كما لا تزال بعض المؤلفات المخطوطة التي نرجو الله أن تظهر مطبوعة حفاظاً على هذا العلم النافع، ومنها نقد نظام العمل والعمال ومجموعة فتاوى مخطوطة.

وقد نشر له في جريدة الشرق الأوسط عدد السبت أول ذي الحجة

١٤٠٢هـ/١٨ سبتمبر ١٩٨٢م حديث جاء فيه قائلاً:

لا شك أن الشريعة الإسلامية جاءت بمصالح الخلق وحفظ حقوقهم على الوجه الأكمل، فلا يحتاجون معها إلى شيء آخر من القوانين االوضيعة ولا غيرها، إذ إن الشريعة الإسلامية كاملة في مصادرها، ولم تترك شاذة ولا فاذة إلا بينتها أحسن بيان، وأوضحتها أتم إيضاح، وبتطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم والقضاء وشئون الحياة يحصل العدل الكامل بين الناس، ويأخذ الضعيف حقه من القوي، والقوي حقه من الضعيف لا فرق بين هذا وذاك فالناس كلهم بالسوية.

وقد أوضحت الشريعة الإسلامية بتمامها وكمالها كل ما يحتاج إليه البشر، فبينت حقوق ولاة الأمور على الرعية، وبينت حقوق الرعية على ولاة الأمور، فأمرت الرعية بالسمع والطاعة في منشطها ومكرهها كما أمرت ولاة الأمور بأن يخفضوا جناحهم للمؤمنين، وأن يراعوا حقوق الناس كما قال النبي ﷺ: «اللهم من ولي أمراً من أمور أمتي فرفق لهم فارفق به ومن ولي أمراً من أمور أمتي فشق عليهم فاشقق عليه».

وبينت الشريعة الإسلامية السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، فأمرت بحفظ الأمن والاستقرار، وبينت كيف تعامل الأمم الأجنبية في حالة الحرب والسلم، وبينت الصالح وشروطه والسلم ووجوبه والاستعداد للأعداء كما في قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ سورة النساء الآية ٧١.

وبينت الشريعة الإسلامية كيف يجمع المال وكيف يصرف فأمرت بالضرب في الأرض، والسعي في مناكبها لطلب الرزق وجمع المال.

قال تعالى :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[1]. وأمرت بالاقتصاد في الصرف والاعتدال، ونهت عن التقتير والتبذير، قال تعالى في وصفه لعباد الرحمن :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[2].

وأمرت الشريعة باتخاذ الصناعات وإقامة المصانع النافعة كما قال تعالى في حق داود عليه السلام :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

وقد أمرنا نبينا باتباعه وسلوك منهجه ومنهج إخوانه من الأنبياء كما قال تعالى بعد ما ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوحاً ومن بعدهم من الأنبياء: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[4].

- (١) سورة الجمعة الآية ١٠
- (٢) سورة الفرقان الاية ٦٧
- (٣) صورة سبأ آآيتا ١٠، ١١
- (٤) صورة الأنعام الآية ٩٠.

الحكم من الحدود

• ما هي الحِكَم التي تراها فضيلتكم من إقامة الحدود التي شرعها الله والتي نجد نموذجاً تطبيقياً لها في السعودية؟

لقد شرع الله إقامة الحدود حفظاً للدماء والأعراض والأموالُ فأمر بقتل القاتل قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) وجاءت آيات كثيرة بتفصيل ذلك ووضحته السنة أيضاً.

وأمر الإسلام بجلد الزاني أو رجمه حفظاً للأنساب وللمجتمع قال تعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) . كما أمر بقطع يد السارق لإيذائه الناس بتعديه على أموالهم وهتك بيوتهم وممتلكاتهم بشروط مقررة ومعروفة في كتب أهل العلم قال تعالى :﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣)، فهذه اليد السارقة أصبحت بسرقتها عضواً فاسداً في الجسد، مضراً بالناس، فجاءت الشريعة بقطعها استصلاحاً لبقية الجسم، ومحافظة على حقوق الناس وأموالهم، وهذه اليد حينما كانت أمينة فإنها ثمينة ولما خانت سقطت وهانت.

فمن تأمل أسرار الشريعة وحكمها وبناءها للمصالح وجدها مصدر

❖ (١) صورة البقرة الآية ١٧٩.
❖ (٢) صورة النور الآية ٢.
❖ (٣) صورة المائدة الآية ٣٨.

العدل لمن طبقها، ومصدر الطمأنينة والراحة والاستقرار كما هو مشاهد في المملكة العربية السعودية التي تطبق شرع الله ودينه، فإنك تجد الأمن والطمأنينة وانشراح الصدر والاستقرار مخيماً بين أهلها، برغم أنها بلد واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، وأن الرجل ليسافر إلى المناطق النائية تاركاً أهله وأطفاله وماله في منزله لا يخشى عليهم أحداً إلا الله. وهم في غاية الأمن والراحة والطمأنينة، كل ذلك بسبب تطبيق الشريعة إقامة الحدود.

مخطوطات نادرة

ثم تحدث «رحمه الله» عن المخطوطات النادرة التي تضمنها مكتبته الخاصة، وذكر منها كتاب الأصول لابن مفلح في أصول الفقه، وأنه لا يوجد سواه إلا نسخة أخرى في ألمانيا، ولديه شرح عثمان بن منصور على التوحيد،[1] وهي نسخة فريدة، كما لديه حاشية الإمام ابن قندس على الفروع في الفقه الحنبلي إضافة إلى قطعة من مسند الإمام إسحاق بن راهويه الذي ليس له وجود.

وقد كان يستشار «رحمه الله» في طبعة الكتب الهامة، فطبع بمشورته، تنبيه الغافلين لابن النحاس، والمجموعة العلمية السعودية، وغاية الأماني في الرد على النبهاني، ومعارج الألباب في مناهج الحق والصواب، وصيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، وشرح مختصر الخرقي للإمام الزركشي الحنبلي[2].

---

(١) شرح الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله تعالى واسمه فتح المجيد - في شرح التوحيد طبع في اربع مجلدات بتحقيق الأستاذ/ سعود العريفي وحسين السعيدي الناشر دار عالم الفوائد.

(٢) قادة الفكر الإسلامي / الناشر رابطة الأدب الحديث بالقاهرة. وكتاب أصول الفقه لابن مفلح طبع والناشر مكتبة العبيكان. وحاشية ابن قندس كذلك.

عبدالله بن محمد بن حميد من الرياض

بقلم : الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي[1]

هو العالم الجليل والحبر والبحر الفهامة النبيل المدقق الشيخ عبدالله بن محمد ابن عبد العزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد من بني خالد.

ولد هذا العالم الجليل بمدينة الرياض عام ١٣٢٩هـ برمضان[2] وتربى تربية حسنة وفقد بصره في طفولته وقرأ القرآن وحفظه غيباً وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة فقرأ على علماء الرياض الوافدين[3] إليها ومن أبرز مشائخه الشيخ حمد الفارس قرأ عليه في علوم العربية والحديث والشيخ سعد بن حمد بن عتيق قرأ عليه في

(١) محمد بن عثمان بن صالح القاضي ولد سنة ١٣٤٦هـ بعنيزه قرأ على عدة مشايخ وعلماء وخصوصاً الشيخ المحقق الزاهد عبدالرحمن بن سعدي والعالم محمد بن صالح بن عثمين فهو زميله وشيخه أصبح أميناً للمكتبة الصالحية من عام١٣٧٣هـ حتى كتابة هذه الأسطر وعمره الآن اثنان وثمانون سنة، أشتغل بالتأليف ولعل أشهر مؤلف له (روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين) طبع ثلاث طبعات آخرها عام ١٤١٠هـ ثم طبع الجزء الثالث عام ١٤١٩هـ استدرك في هذا الجزء ما فاته في الجزئين والغريب ان هذا الجزء الأخير ترجم لعلماء على قيد الحياة، أما الأول والثاني فكل الذين ترجم لهم أموات وهذا هو الظاهر من منهجه في جزئيه بل قد صرّح في مقدمة الجزء الأول بانه لن يتعرض لتراجم الأحياء!! وكتابه هذا الذي نقلت ترجمة الشيخ ابن حميد لا يخلو من فوائد وفرائد وتراجم لا توجد إلا فيه لكن لا يخلو الكتاب من أوهام واغلاط وله العديد من المؤلفات في التفسير والأدب وله كتاب في الأنساب عنوانه (منهاج الطلب في مشاهير قبائل العرب) طبع طبعتان والطبعة الثالثة مهيأة للطبع وكذلك كتابه هذا لا يخلو من الأخطاء والأغاليط ومعظم الكتاب اشعار وقصائد والباقية من الأنساب لا تمثل إلا ٣٠٪ من الكتاب فهي في الحقيقة نبذة مختصرة.

(٢) في مقال الشيخ صالح بن حميد عن أبيه أنه ولد في ذي الحجة في التاسع والعشرين وهو الصواب.

(٣) جميع الذين قرأ عليهم الشيخ ابن حميد من أهالي الرياض سوى الشيخ سعد بن عتيق فانه من الأفلاج ومولده في حوطة بني تميم.

أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير كما قرأ على صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ومحمد بن عبداللطيف ولازمهما سنين في أصول الدين وفروعه والحديث والتفسير وقرأ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الأصول والفروع والحديث والتفسير وعلوم العربية ولازمه زمناً طويلاً وكان يستشيره في القضاء وفي حل ما يمر عليه من عويص ونبغ في فنون كثيرة واتسعت مداركه فقد وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاءً متوقداً وقوة في الإستحضار لا نظير لها وكان مشائخه يتفرسون فيه الذكاء ويقولون سيكون لهذا الفتى شأن عينه سماحة الشيخ محمد مدرساً للمبتدئين ومساعداً له فمتى غاب انتهى التدريس إليه.

أعماله

عينه الملك عبدالعزيز «رحمه الله» في محرم سنة ١٣٥٧هـ قاضياً في الرياض وظل في منصب القضاء نزيهاً عدلاً في أحكامه مثاراً للإعجاب في فراسته ومعرفته للمحق من المبطل فكانت لا تخطىء فراسته وفي عام ١٣٦٠هـ في القعدة عينه الملك عبدالعزيز قاضياً في سدير فسكن المجمعة ويتبعه ما حولها من المقاطعة وفي آخر عام ١٣٦٣هـ تعين قاضياً في بريده وما يتبعها وظل في قضائها وإمامة جامعها والمرجع في الإفتاء والتدريس فيها طيلة وجوده يمارس مهام القضاء محبوباً لدى الخاص والعام مسدداً في اقضيته وبالجملة فقد فقدت المملكة وحيد عصره وفريد دهره أحوج ما كانت إلى مثله، ففي أواخر عام ١٣٧٧هـ طلب الإعفاء من منصب القضاء وأن يحال إلى المعاش التقاعدي حينما أنشئت هيئة التمييز فتجرد للعبادة ونفع الخلق إفتاء وتدريساً وظل في إمامة الجامعة الكبير في بريده وفي عام

١٣٨٤هـ تأسس الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام فاختاره الملك فيصل «رحمه الله» رئيساً لها ومدرساً في المسجد الحرام بين العشاءين ومفتياً فكان يجلس للطلبة وقتين في الحرم ويرشد الإرشاد العام ثم يفد الناس إليه زرافات يستفتونه فيما يشكل عليهم ويناولون قارئه أوراقهم فيتلوها ويجيبهم عليها وله ندوات في وسائل الإعلام المقروؤة والمسموعة ونشاط في افتاء منقطع النظير.

وفي عام ١٣٩٥هـ عينه الملك خالد «رحمه الله» رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء وعضواً في هيئة كبار العلماء ورئيساً للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة وله مؤلفات كثيرة ومن أبرزها الرسائل الحسان، الرد على صاحب السر في سره من تجويزه ذبح الهدي قبل وقت نحره، وغاية المقصود في الرد على ابن محمود، وتبيان الأدلة في إثبات الأهلة، وهداية الناسك وكمال الشريعة، والدفاع عن الإسلام، والإبداع شرح خطبة حجة الوداع وله فتاوى لو جمعت لجاءت أسفاراً ضخمة يسر الله جمعها لتعم فائدتها ولم يزل على حالته المثلى حتى وافاه أجله المحتوم مأسفاً على فقده فحزن الناس لفراقه حزناً شديداً وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ الموافق ٨ من سبتمبر سنة ١٩٨٢م وصلى عليه في المسجد الحرام وخرج الناس في جنازته وصار لوقع مصائبه صدى في كافة أنحاء المملكة وخارجها «رحمه الله» وقد رثاه قلة من العلماء والأدباء فمنهم أحمد الغنام ساكن الكويت وهي رنانه ومطلعها:

عزاءً بني الإسلام قد عظم الأمر
وليس لنا إلا التجلد والصبر

فـــشـــيـخ المعـــالي غـــاب عنا مـــســـافـــراً
إلى ربه ضـــمـــه اللحـــد والقـــبـــر
فـــيـــا قـــبـــر رفـــقـــاً بالذي فـــيك راقـــد
هنيـــئـــاً لقـــد خـــصـــصت بالفـــضل يا قـــبـــر
لقـــــد أظلمت مـــــذ غـــــاب منا مـــــرابع
كـــمـــا ذهبت مـــذ غـــاب أيامـــهـــا الغـــر
لقـــــد كـــــان بدراً ضـــــاء في الكون نوره
ألا إنه الشـــــيخ المبـــــجل والحـــــبـــــر
قلوب من الخطب العظيم تصـــــــدعت
وفل قـــواها الرزء واســـتـــوحش الصـــدر
لقـــــد ثلمت في الدين ياصـــــاح ثلمـــــة
بموت حـــمـــيـــد الســـعى وانقـــصم الظهـــر
فـــســـمـــتـــه في الناس فـــهي فـــريدة
وســـيـــرته بيـــضـــاء مـــاشـــابهـــا غـــدر
وان هو أعـــمى العين فـــالقلب مـــبـــصـــر
يســـاعـــده في علمـــه العـــقل والفكر
فـــهـــا هي تنعـــاه الجـــزيرة كلهـــا
لقـــد مـــسـهـــا من فـــقـــده الحـــزن والضـــر
فـــهـــا نجـــد من مناه عنهـــا حـــزينة
مـــفـــتـــتـــة الأحـــشـــاء قـــد هالهـــا الأمـــر
فـــهـــا نجـــد من منآهُ عنهـــا حـــزينة
مـــفـــتـــتـــة الأحـــشـــاء قـــد هالهـــا الأمـــر

لقد فزت بعبدالله بالبر والتقى
فأنت الذي في الناس أضحى له قدر
فصوتك يدوي في البسيطة مرشداً
به قام معروف وزال به نُكر
بمذودك الداعي لكل فضيلة
تصول على أهل الغواية يا بدرُ
فيا شيخُ عبدالله هنئت بالذي
فعلت من الخيرات ولهينك الأجر
توليت أحكام القضاء بنزاهة
وأهلية ما أنت عن سرها غرٌّ
سلكت لعمر الحق في الحكم منهجاً
صحيحاً فلم يحلقك عار ولا وزر
فذكراك في كل القلوب مقيمة
وذكراك مع طول المدى كلها عطر
فإن غبت عنا أنت في القلب حاضر
مآثرك الجلي هي الطيب والذكر
قدمت إلى رب جزيل ثوابه
ونعماه طول الدهر ليس لها حصر
يجازيك بالإحسان جوداً ومنة
ويوم قيام الناس فهو لنا ذخر
عليك سلام الله يا ابن محمد
ورحمته تعدادَ ما أسفر الفجر

سـحـائب من عـفـو الـكريم هـو أطل
تسح على مـثـواك مـا سـحـت الـقطـر

أما تلامذة المترجم له في الرياض، وفي سدير، وفي القصيم، وفي الحجاز فلا حصر لعددهم فهم بالمئات، وقد خلف أبناءً بررة أعرف منهم: عبد الرحمن وصالح رحم الله الفقيد برحمته الواسعة وعوض المسلمين بفقد خيراً .

(❖) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (الجزء الثاني).

عبدالله بن محمد بن حميد

د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة
عضو مجلس الشورى (١)

نشأتـه:

هو العالم العلامة البَحْر الحَبْر الفَهَّامة الفقيه الحافظ الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن حسين بن حميد، ينتهي نسبه إلى بني خالد القبيلة المعروفة.

وُلد بمدينة الرياض في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية. توفى والده «رحمه الله» وهو في السنة الثانية من عمره، وتوفيت والدته وهو في السنة السادسة من عمره، كُفَّ بصره وهو صغير بسبب مرض الجدري، ودخل الكتاب حيث قرأ القرآن وحفظه على المقرىء علي بن محمد مديميغ(٢) وكان حافظاً له متقناً ضابطاً، ثم إنه فيما بعد استظهره وقرأه مُجوَّداً على إمام المسجد الحرام الشيخ عبد الظاهر أبي السمح «رحمه الله» (٣).

(١) وهو الآن رئيس مجلس الشورى حفظه الله ونفع به وعضو هيئة كبار العلماء.

(٢) علي بن مديميغ توفى سنة ١٣٥٠ هـ تقريباً وابنه عبدالله تولى التدريس بعده في مدرسته وتوفي عبدالله في أواخر الثمانينات للهجرة أخبرني بذلك الأستاذ: عبدالرحمن الرويشد.

(٣) هو من أوائل أئمة الحرم المكي في عهد الملك عبدالعزيز عينه الملك عبدالعزيز أماماً وخطيباً بالمسجد الحرام ومدرساً فرّغ حياته كلها للتدريس والدعوة إلى الله عز وجل وهو الذي أسس جماعة انصار السنة بالأسكندرية، فكانت بذرة خير وصلاح وآتت ثمارها في مصر فنشرت السنة وحاربت البدعة والخرافة ولا زالت تؤدي رسالتها السامية، وأسس كذلك دار الحديث بمكة المكرمة، وكان له درس يومي في الحرم ويخصص درس للنساء. لم أسمع احداً مما قابلت يذم هذا الرجل بل كل من رأيته يثني عليه وعلى سجاياه توفى في مصر عام ١٣٧٠هـ في شهر رجب. رحمه الله للمزيد عن حياته أنظر سير وتراجم ص ٢٢٧-٢٢٨ للأستاذ المربي والمؤرخ عمر عبدالجبار رحمه الله . الطبعة الثالثة - شركة تهامة. وجماعة أنصار السنة د. أحمد الطاهر.

وبعد حفظ القرآن في صغره أخذ في طلب العلم. فقرأ على الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض (ت ١٣٧٢هـ) - (كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية، والأربعين النووية، وزاد المستقنع، وشرحه الروض المربع).

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف (١٢٦٣-١٣٦٧هـ). (التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة).

كما قرأ على الشيخ حمد بن فارس (١٢٦٣-١٣٤٥هـ) مدة قصيرة، وذلك قبل وفاته بنحو عشرة أشهر قرأ عليه متن الآجرومية..

أما الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١-١٣٨٩هـ) علامة الجزيرة ومفتيها فهو شيخه الأكبر، فقد أخذ عنه جلّ علومه ومعارفه في كل الفنون وعلوم الآلة، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد: التدمرية، والحموية، وكتاب التوحيد، وردّ الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية، وفي الحديث: قرأ عمدة الأحكام، والمصطلح، وبلوغ المرام، وجلُّ هذه الكتب يحفظها الشيخ «رحمه الله» استظهاراً وسمع عليه صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والنسائي.

وفي الفقه: زاد المستقنع مختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، ونظم المفردات، وشرحها مستظهراً مختصر المقنع، ونظم المفردات، كما قرأ قطعة كبيرة من المنتهى وحفظ منه إلى باب الصداق. وفي الفرائض: متن الرحبية والبرهانية، ومراجعات كثيرة في شرح الترتيب: إذ له به عناية خاصة. وفي النحو: قرأ الآجرومية، وقطر الندى، وشرحه، وملحة الإعراب، وشرحها، وألفية ابن مالك، وشرحها لابن عقيل، وحاشية السجاعي، والخضري عليها. وهو يحفظ هذه المتون كلها.

وارتحل مع شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم إلى بلد الغطغط، وقرأ هناك كثيراً على شيخه.

وقد وهبه الله رغبة في العلم وحب التحصيل والاستزادة من العلوم والمعارف بشتى أنواعها وفنونها، من الشرعية، والعربية، والأدبية أصولاً وفروعاً فتأهل وبرز بين الأقران. مما جعل الشيخ محمداً يعينه مساعداً له في التدريس في المسجد الذي يدرس فيه الشيخ. وهو المسجد المعروف باسم مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في حي دخنه من مدينة الرياض وكان ذلك المسجد يمثل جامعة إسلامية تموج بالطلاب من مختلف المناطق، بل ومن خارج الجزيرة.

صفاته الخلقية والخلقية

كان «رحمه الله» معتدل القامة وهو إلى الطول أميل، مشرق الوجه، متوسط اللحية، مقرون الحاجبين، كثيف شعرهما، ربعة في الجسم مع ميل للنحافة، ضرير البصر، ولكن الله عوضه بحدة في الذكاء، وقوة في الحافظة، وسرعة الاستحضار ومعرفة الناس، وتمييز الأصوات في صورة نادرة كانت مثار الاندهاش لكل من عرفه أو اتصل به؛ يقول الدكتور عبدالعزيز الخويطر:

« لعل المستمعين يذكرون برنامجاً في الإذاعة، يفتي فيه الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» ويرد على بعض المستفتين فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملاً واسم بلدته، ثم يتلو السؤال وعند الرد يوجه الشيخ الرد على الشخص ذاكراً اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملاً قبل أن يبدأ بالفتوى، وكنا نندهش نحن المستمعين من مقدرته

عليه «رحمه الله» من تذكره للاسم كاملاً واسم البلد إذا ذكرت في السؤال، ثم يذكر السؤال بنصه، وليس بمعناه، ونحاول نحن أن نتذكر الاسم كاملاً فلا نفلح، وكان طموحنا لا يصل إلى الأمل في تذكر نص السؤال أو بعضه، ونكتفي بمحاولة استيعاب المعنى، وإذا تعددت أقسام السؤال فقد ننسى بعضاً منها، هو «رحمه الله» لا ينسى» (1).

وكان ذا هيبة ووقار، هادىء الشخصية، طويل التفكير، فيه أناة وحلم متميز، كما كان على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والمناقب الفاضلة، وكان يكره ألفاظ التفخيم وأسماء التعظيم، ويمقت من يناديه بها أو ينادي غيره، بل لقد كان يعقب على المتلفظ بها ولو كان ذلك في نادٍ أو محفل.

كما كان «رحمه الله» ديناً ورعاً صالحاً عفيف النفسً، غير متزلف لذي جاه أو نفوذ، شديد الاحتمال، وكان يربأ بالعلم أن تنال به حظوة أو يُسعى به إلى مرتبة. كما كان فصيح اللسان، قوي الجنان، طويل الصمت، ذا جواب حاضر وذهن متقد. تعجبه العبارات الأدبية الراقية، والمنطق الحسن؛ ومن أجل هذا فهو يحفظ في عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يزين به مجلسه ويجلب فيه السرور لجلسائه.

وكان حريصاً على حسن الملبس مع تواضع وعدم تكلّف، كما كان يحرص على التنظيف والرائحة الطيبة، فهو يحب الطيب ويعتني به جداً حتى إنك لترى المجالس التي يرتادها أو يمر بها تعبق رائحتها مما تعرف من أن الشيخ قد مرَّ من هنا.

ومن ذلك تدرك أن حب الطيب والحرس على إصلاح النفس لا يعارض ما هو عليه «رحمه الله» من زهد وتواضع وورع.

(1) جريدة عكاظ ١٣/٧/١٤١٣هـ

والخلاصة: إنه كان «رحمه الله» حلو الشمائل، من عرفه أحبه وتعلق به مع حفظ المهابة.

الشيخ أستاذاً ومدرساً

للشيخ «رحمه الله» جهود متميزة في التدريس، وطريقةٌ في التعليم، كان لها أثر بالغ في إفادة الطلاب، وتميز المتميزين، وتجلي المواهب، وظهور المواهب الفردية لنجباء الطلاب.

أول عهده بالتدريس سنة ١٣٥٦هـ حينما كلّفه شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم بمساعدته في التدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم - كما سبق - وذلك لما عرفه في المترجم له من نجابة وإدراك وكفاية، وذلك حين تكاثر الوافدون إلى الرياض فازدحمت حلقة الشيخ محمد. فكان الشيخ محمد يعقد حلقته في جانب والمترجم له يعقد حلقته في جانب آخر. وكان ذلك بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس. فدرّس كتب العقائد والتوحيد والفقه والعربية، ودرس عليه في تلك الفترة خلق كثير.

في شهر ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ حينما انتقل إلى بلد المجمعة من منطقة سدير عقد حلقاته العلمية في المسجد المعروف (بمسجد ناصر) فرتب للطلاب بعد صلاة الفجر في التوحيد والنحو والفقه ومصطلح الحديث إلى طلوع الشمس.

وفي بيته درّس في بعض المطولات مثل زاد المعاد في هدي خير العباد، وإعلام الموقعين كلاهما للعلامة ابن القيم، والآداب الكبرى لابن مفلح، وشرح منظومة الآداب ومجموعة الرسائل النجديَّة، وفتح المجيد

شرح كتاب التوحيد، وكتب أخرى، ثم يتوقف ليبدأ مجلس القضاء وينظر في قضايا الناس.

وبعد صلاة الظهر يعقد حلقاته العلمية الثلاثة في المسجد (مسجد ناصر) في قراءة التاريخ من كتاب (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير، وفي (منتقى الأخبار) لمجد الدين ابن تيميَّة.

وبعد صلاة العصر تكون الحلقة الرابعة إذ يدرس الطلاب فيها بلوغ المرام وكتباً أخرى كالأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية.

أما بعد صلاة المغرب فمخصص لعلم المواريث، حيث يدرس الطلاب الفرائض.

وبعد العشاء غالباً ما يخصصه الشيخ للمطالعات والمراجعات في بيته، أخذ على ذلك في المجمعة قرابة ثلاث سنين ونفع الله به خلقاً كثيراً.

وفي يوم الجمعة، ربيع الثاني عام ثلاث وستين وثلاث مئة وألف، انتقل إلى القصيم على ما سوف يأتي مفصلاً في الكلام على أعماله.

فما أن حلّ في مدينة بريده حتى عقد حلقاته العلمية في المسجد الجامع الكبير وقد زادت حلقات الشيخ كمّاً وكيفاً، ففي المنطقة راغبون في العلم كثير، وبخاصة أن طريقة الشيخ تستهوي طالب العلم، وتكشف المواهب، وتشحذ الهمم، كما سوف يأتي بيانه مفصلاً في طريقة الشيخ في التعليم إن شاء الله.

فقد أصبح يغشى حلقات الشيخ ودروسه الوحدان والزرافات من منطقة القصيم وخارجها، وأوقات انعقد الحلقات بعد صلاة الفجر، وبعد طلوع الشمس، وبعد الظهر، وبعد العصر، وبعد المغرب، فكانت: (دروس التوحيد، والعقيدة في كتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والدرة

المضية، ومجموع الرسائل النجدية، والصواعق المرسلة لأبن القيم).

وجلّ كتب الفقه المطبوعة آنذاك في الفقه الحنبلي كمختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، والإقناع، وغاية المنتهى، والمغنى، وكشاف القناع، وعمدة الفقه، واخصر المختصرات، والطلاب يستظهرون مختصر المقنع.

وفي النحو ألفية ابن مالك استظهاراً مع شرح ابن عقيل عليها، ومراجعة بعض الحواشي كالخضري، والسجاعي: كما أن له عناية بتوجيه بعض الطلاب نحو المطولات فيقرأونها على الشيخ في الحلقة، وقل أن يطبع في ذلك الوقت كتاب في الأمهات إلاّ ويكلف الشيخ أحد الطلاب بقراءته: ومن هذه المطولات: كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وتفسيره، وتفسير ابن كثير والمغني لابن قدامة ومروج الذهب للمسعودي، وزاد المعاد، وأعلام الموقعين، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، وسمط النجوم العوالي، وبعض كتب الشافعية، ناهيك بكتب الحديث من الكتب الستة وغيرها من كتب الدنيا والدين الحاوية للمعارف الإسلامية عقيدة وفقهاً ولغة وآداباً وتاريخاً.

وبعد الظهر يعقد الشيخ حلقة خاصة لمنسوبي وزارة المعارف[1] الذين لا يتمكنون من حضور الحلقات أول النهار، كما تشتمل حلقة بعد العصر على دروس في مصطلح الحديث، وما بقي من وقت؛ فإن الشيخ يقضيه في المكتبة العلمية التي قام على إنشائها، على ما سوف يأتي بيانه. في هذه المكتبة يعقد الحلقات في الضحى حين ترك القضاء.

أما بعد العصر وبعد الفراغ من حلقة المسجد؛ فإنه يقصد المكتبة من أجل المطالعة والنظر في بعض المطولات، وقد يرغب في النظر في بعض الكتب والمجلات العلمية المتخصصة كمجلة (المنار) للشيخ محمد

(١) أصبح اسمها: وزارة التربية والتعليم.

رشيد رضا. فقد كان الشيخ المترجم له واسع المدارك راغباً في الاستزادة من التحصيل والنظر في المتغيرات ومتابعة الأحداث من حوله.

وبعد المغرب حلقة القصيم فيه كحلقة المجمعة مخصصة للفرائض، وإن بقى وقت فيقرأ فيه شيئاً من التاريخ (كمروج الذهب للمسعودي)، و(المنتظم لابن الجوزي)، وما بين آذان العشاء وإقامة الصلاة فتكون من القراءة لتفسير (ابن كثير)، ويعلق الشيخ فيه بعض التعليقات المناسبة من إيضاح غامض، أو بيان لدرجة حديث، أو تعليق واعظ، ثم بعد العشاء يراجع الشيخ في منزله ما قد يكون أشكل من مسائل فقهية أو لغوية وأسماء رجال وتوثيقهم وأسانيد حديث، وقد تستمر المطالعة والمراجعة إلى ما بعد منتصف الليل.

وفي عام أربع وثمانين وثلاث مئة وألف انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة مجاوراً بيت الله العتيق فعقد حلقة بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم، كان يركز فيها على جانبي التوحيد والأحكام: ففي التوحيد حرص على إيضاح توحيد العبادة وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، وبيان البدع القادحة في التوحيد، والمعاصي المنقصة لثوابه، وتبصير الناس بأحكام دينهم؛ وبخاصة في مناسبتي رمضان والحج حيث يكثر العمار والحجاج. وفي هذه المواسم يطول عقد هذه الحلقات بعد العشاء ويجيب فيها عن أسئلة السائلين والمستفتين.

طريقة الشيخ في التدريس

الدروس عند الشيخ «رحمه الله» على نوعين:

النوع الأول: أمهات المتون (كمختصر المقنع)، و (زاد المستقنع)، و (ألفية ابن مالك في النحو)، و (البيقونية في مصطلح الحديث)،

و (الرحبية في علم الفرائض).

هذه يقرأها الطلاب: استظهاراً على الشيخ ويستمع منهم ثم يقرأ واحد منهم أحد الشروح وبخاصة الروض المربع شرح مختصر المقنع، فإذا ما بلغوا باباً أو بابين يعقد الشيخ جلسة يمتحن فيها الطلاب، ويسألهم عما مضى مسألة مسألة بأمثلتها وفروعها، ففي الفقه كثيراً ما يسأل عن الأحكام وصور المسائل، وفي النحو يسأل عن الإعراب ويورد الشيخ أمثلة ويكلف الطلاب بالإعراب واحداً واحداً، ولكل واحد مثال خاص، فإذا ما عجز نَقَل السؤال إلى صاحبه الذي يليه ونقله إلى مجموعهم.

وفي (المواريث) يسألهم عن الأحكام والأمثلة فيورد لهم مسائل حسابية ويكلفهم بقسمتها، ولا يطرح السؤال للجميع بل لكل واحد مسألة، فإذا ما عجز صاحب المسألة والذي يليه فقد يوجه السؤال للجميع ويطلب منهم الإجابة.

وللعلم؛ فإن الشيخ إذا أعطى الطالب مسألة فهو «رحمه الله» يحفظها، ولا تختلط عليه المسائل والأمثلة، ويظهر ذلك جلياً في المواريث، فإن الشيخ يوزع المسائل على الطلاب أولاً، وقد يكون في الحلقة ما يربو على ثلاثين أو أربعين طالباً، فيعطي لكل واحد مسألة ليقسمها، فإذا ما وزع المسائل عليهم عاد إلى الأول فسأله عن مسألته وما هي نتيجة قسمتها ونصيب كل وارث، فيحدث أن بعض الطلاب إما أن ينسى مسألته أو قد يستصعبها فيضع لنفسه مسألة أسهل، فما يكون من الشيخ وقوة حافظته وينبه الطالب إلى مسألته واصحاب الميراث فيها... فسبحان من يوزع المواهب.

النوع الثاني: (المطولات)

فقد يرغب بعض الطلاب، وبخاصة كبارهم والنابهون منهم، أن يقرأوا على الشيخ بعض الكتب المطولة في الحديث وشروحه والعقائد والفقه والتفسير والتاريخ والأدب، أو أن الشيخ «رحمه الله» يوجه بعض الطلاب لقراءة مثل هذه الكتب في الحلقة بقصد تعويدهم وغرس حب المطالعة فيهم.

وقد أمكن للشيخ وطلابه قراءة عدد كثير منها، بل إن بعضها قد تمت قراءته أكثر من مرة.

ومن هذه الكتب: (صحيح البخاري وشرحه فتح الباري وبقية الكتب الستة)، وشروح بعضها، وبعض كتب السنة الأخرى: (كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، والمغني لابن قدامة)، وجملة من كتب المذهب (كالكافي، والإقناع، وغاية المنتهى)، وأغلب المطبوع من كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة، (كالفتاوى المصرية وكتاب الإيمان، ورفع الملام، والإمام ابن القيم، كمدارج السالكين، وأعلام الموقعين، وإغاثة اللهفان، والصواعق المرسلة)، وكتب أئمة الدعوة؛ (كشروح كتاب التوحيد، والدرر السنية)، كما أن للشيخ وطلابه قراءة في كتب التاريخ: (كتاريخ ابن جرير، وابن كثير، ومروج الذهب للمسعودي، والكامل لابن الأثير، والمنتظم لابن الجوزي، وصفة الصفوة) له أيضاً وغير ذلك.

وكل ذلك لا يخلو من وقفات للشيخ من توضيح غامض أو استدراك أو تنبيه أو ترجيح.

ونظراً لهذه الكثافة العلمية والغزارة العميقة، فقد رحل إليه الطلاب

فأصبحت حلقاته تموج بالطلبة وتزخر بالمحصلين فتتلمذ عليه فحول وتخرج على يديه فطاحل من أعيان العصر وكبار الجيل مما سنأتي على ذكرهم إن شاء الله. سمعوا منه وتفقهوا عليه ونبغ منهم كثير فنفعهم الله ونفع بهم.

وقد كان الشيخ في تدريسه فصيح المنطق، واضح الكلام، جلي العبارة، يوضح المسائل، ويقعد القواعد، ويُقوِّم الأدلة، ويبسط المسألة ولا يأنف من أسئلة الطلاب، بل إنه ليثير المسألة بنفسه ويلقيها على الطلاب ويطلب منهم الإجابة، وقد يمهلهم للمراجعة في الجلسة القادمة وإذا استصعب الطلاب المسائل؛ فإنه يكرر الشرح.

شخصيته العلمية

كان للشيخ شخصية جذابة نظراً لما تجلى فيه من مهابة أهل العلم النابعة من تطبيقه لمسالكهم، واحترامه للعلم وأهله، وتقديره لكل من يظهر اهتماماً به أو تبدو عليه ملكة أو موهبة.

وبالنظر في تكوين الشيخ العلمي وفي تأمل الشخصية العلمية لديه يلاحظ أن العامل الأول الذي يسبق كل العوامل ويتقدمها؛ القرآن الكريم فبه ابتدأ علمه فهو أشرف العلوم وأجلها، وأعطاه كل عنايته، وكرس له همته، فكان صاحبه طول حياته، صاغ به بإذن الله نفسه فاستوحاه في سيرته، وترسم خطاه، وقطع به ليله، وتدبره، واسترشد به، وبنى عليه معارفه وعلومه، ليقينه بأنه غذاء القلوب وعلاج النفوس. أما في آخر حياته فقد كثرت منه تلاوته وتدبره والصلاة به آخر الليل، ويختمه تلاوة في أسبوع أو أقل من ذلك، كما كان يؤم به في صلاة التراويح في بعض السنوات، كما تميز الشيخ بشخصيته الفقهيَّة

الاستنباطية النادرة، فمع أن الشيخ «رحمه الله» تفقه في مذهب الإمام أحمد، وحفظ متونه، واستوعب شروحه، ودرسه ودرّسه، وانتسب إليه لكن ذلك لم يحمله على التعصب، أو الانغلاق في فقهه وفتاواه وأقضيته، بل كان يتحرى الدليل ويتمثل الوقوف بين يدي الله عز وجل، ولقد منحه الله بصر الفقيه، وأداة المجتهد، فهو يحترم مذاهب الحق ويحفظ لكل ذي حق حقه، ويقدر لكل ذي منزلة منزلته، فكان كثيراً ما ينظر في مختلف المذاهب وآراء أصحابها، ويطلع على حججهم وأدلتهم، ويأخذ ما يدين الله به مما يراه أسعد بالدليل، وأظهر في الحجة، وأوفق مع النص.

ومن أجل هذا تراه ماهراً في المذاهب والخلاف، وكل ذلك أظهر فيه ملكة تامة في حل معضلات المسائل، وسوف يأتي معنا في جملة أعماله انتداب الملك عبدالعزيز «رحمه الله» له إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف للنظر في قضايا متخلفة مستعصية لدى المحاكم فنظر فيها وأنجزها، وحمدت سيرته فيها، فكان مثار الإعجاب علماً وعقلاً، وحكمة وعدلاً.

لقد كان «رحمه الله» من كبار أهل العلم ذكاء، وحفظاً، واستقلالاً في الرأي، وقوة في الحق، لا يخشى من إبداء رأيه، واضحاً في كل مسألة يبحثها. ولهذا كان له مواقف ومحاورات ونقاش وردود بعض أهل العلم في مؤلفات ومقالات ومكاتبات هذا في جانب الفقه والأحكام والاستدلال.

أما في التوحيد والعقائد فكان سلفي المعتقد يتحرى بدقة وشدة مذهب السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين - وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان. حريصاً على نشر ذلك وبيانه والدفاع

عنه والرد على المخالف، يغار على ذلك غيرة شديدة، يصدع بالحق، ويرد على أهل البدع في خطابه وفي كتابه. بل كان يكاتب في ذلك من كان ذا وجاهة مكاتبة خاصة حتى كاتب الزعماء والرؤساء في بيان الحق وتصحيح المعتقد والتنبيه على ما يراه من انحراف.

إضافة إلى اهتمامه المميز في هذين الأصلين العقيدة والأحكام فقد كانت له مشاركات مهمة في كثير من العلوم؛ بل إنها لمشاركات متميزة فالشيخ نحوي لغوي بارع متمكن من اللغة ممسك بناصيتها خبير بالإعراب والآداب.

أما الفرائض فكان بها إماماً عَلَماً، دقيقاً في حسابها غاية الدقة. وله معرفة بالنجوم السيارة ومنازلها والأبراج وأفلاكها والعلم المشروع وهو علم التسيير كما أن له إحاطة بالقبائل والأنساب وأصول الأسر.

أما في الأدب والشعر فله فيه ذوق رفيع، فهو يحفظ من عيون الأدب ومقطعات الشعر ما يؤنس به الجليس ويدفع به الملل، كما يحفظ من النكت العلمية والطرائف الأدبية والألغاز ما يطرحه على طلابه شاحذاً هممهم فاتحاً لمغاليق أذهانهم مستثيراً لمواهبهم وقرائحهم.

أعماله

كان الملك عبدالعزيز «رحمه الله» شديد الإعجاب به وبغزارة علمه وسداد رأيه وصفاء ذهنه وقوة شخصيته حتى قال عنه: «لو أردت أن أولي بلداً فيها أمير وقاض في شخصية رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد».

لقد بلغ الشيخ «رحمه الله» في علمه ومعرفته ودأبه ومثابرته مكاناً سامياً ومنزلاً رفيعاً تأهل فيه لكل عمل جليل.

قضاء الرياض

ومن ثم فقد وقع نظر الملك عبدالعزيز «رحمه الله» على الشيخ ليوليه قضاء الرياض.

ففي شهر المحرم عام ١٣٥٧هـ استدعاه الملك عبدالعزيز ليكلفه بالقضاء فامتنع الشيخ امتناعاً شديداً حتى صار بينهما شد وجذب، وكان مما قاله الملك عبدالعزيز: «لئن لم تقبل لأبعثنك إلى منطقة نائية موبوءة» وكان مما قاله أيضاً «إن ابن زاحم - وهو الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم (١٣٠٠-١٣٧٤هـ) -، وهو أحد قضاة الرياض - رحمه الله رحمة واسعة - قد زحمته الأمور وليس لجماعتك إلا أنت» فلم يزل الشيخ مصراً على موقفه مما دعا الملك عبدالعزيز أن يقسم عليه بالله العظيم أنه إن لم يقبل ليبعثنه إلى تلك المنطقة النائية الموبوءة، والملك قادر على تنفيذ وعيده، فما كان من الشيخ إلا الانصياع، فباشر العمل وحمد الناس سيرته في القضاء نزاهة وتجرداً وحكمة وعدلاً، فظل في فض المنازعات بين الناس، وينظر في قضاياهم بعين الإنصاف وتحري الحق، واختص الشيخ ابن زاحم بقضايا البادية ومشكلات السوق، واختص الشيخ عبدالله بن حميد بما عدا ذلك من الدماء والأموال والعقار ونحوها، كما كان يقوم أيضاً بعمل الشيخ ابن زاحم[1] إذا سافر أو طرأ عليه طارىء. فظل على ذلك قرابة ثلاث سنين.

قضاء منطقة سدير

ثم خلف العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري (١٢٨٧-١٣٧٣هـ) «رحمه الله» في القضاء عام ١٣٦٠هـ حيث طلب الملك

(١) كما قلت سابقاً ان الملك عبدالعزيز عيَّن الشيخ عبدالعزيز بن بشر قاضياً في الرياض سنة ١٣٥٧هـ مع الشيخ ابن حميد ثم عيَّن الملك عبدالعزيز قاضياً ثالثاً وهو الشيخ عبدالله بن زاحم رحم الله الجميع.

عبدالعزيز من الشيخ التوجه إلى بلدة المجمعة ليحل محله في القضاء والتدريس،فما وسعه إلاّ الامتثال فتوجه إليها كما سبق في ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ فسار في القضاء سيرته المعهودة من النزاهة والقوة إضافة إلى قيامه بالتدريس في (مسجد ناصر) كما مرّ وصفه. وكان قضاؤه شاملاً لمنطقة سدير كلها.

قضاء القصيم

بعد وفاة علامة القصيم العالم الرباني الشيخ عمر بن محمد بن سليم عام ١٣٦٣هـ «رحمه الله» استدعى الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله بن حميد. وكان الملك مقيماً في الروضة الموسومة بـ (روضة خريم) شرق مدينة الرياض فبعث الملك للشيخ أحد رجاله وأمره بالتوجه إلى جلالته، وكان رأي الملك أن ثلمة عالم كالشيخ عمر بن سليم لا يمكن أن يسدها إلاّ من كان ذا كفاية عالية كالشيخ ابن حميد، فعند وصول الشيخ أبلغه الملك برغبته في أن يتوجه إلى بريده قاضياً ومدرساً في منطقة القصيم خلفاً للشيخ عمر بن سليم، فامتنع الشيخ امتناعاً شديداً، وأبدى مختلف الأعذار، ولكن الملك عبدالعزيز رفض اعتذاره وأصر على إلزامه، فقابل الشيخ الإصرار بإصرار مثله، ومما قاله الشيخ: (لو وضعت السيف على رأسي ما امتثلت).

ولما رأى الملك إصرار الشيخ قال، إذن سنجعل على القضاء الشيخ محمد بن حسين (١٣٠٨-١٣٨١هـ) [(١)]«رحمه الله» وتقتصر على التدريس فوافق الشيخ فشد رحاله إلى القصيم فوصل بريده يوم الجمعة في

(١) سقط اسم الأب ونسبه إلى جده حسين واسمه كاملاً محمد بن عبدالله بن حسين بن صالح ابا الخيل وهو صاحب الكتاب المشهور «الزوائد على متن الزاد» طبع في حياته وبعد مماته وللمزيد من ترجمته روضة الناظرين ج٢/٣٠٨-٣١٢ - علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٦ ومشاهير علماء نجد ص ٤٠٧-٤٠٨.

عشرين من ربيع الثاني عام ١٣٦٣هـ، ونصب نفسه للتدريس، وعقد حلقاته في جامعها الكبير كما سبق، إضافة إلى قيامه بالإمامة وخطبة الجمعة في جامع بريده الكبير؛ (جامع خادم الحرمين الشريفين حالياً).

وفي شعبان عام ١٣٦٣هـ صدر إليه التكليف بالقيام بالقضاء من قبل الملك عبدالعزيز، فلم يسعه إلا الامتثال لما رأى من الأحوال الداعية لذلك. فحمدت سيرته في القضاء قوة وعدلاً، وسماحة وفضلاً.

الانتداب إلى الحجاز

في عام ١٣٧٢هـ انتدبه الملك عبدالعزيز «رحمه اللّٰه» إلى الحجاز للنظر في قضايا متأخرة، إذْ كان يوجد في محاكم مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، قضايا عسر البت فيها من قبل قضاة سابقين وطال فيها النزاع وتشابك فيها الخصوم فرأى الملك بثاقب نظره أنّ ليس لها سوى الشيخ عبداللّٰه بن حميد لبعد نظره، ودقة فقهه، وقوة فصله، فانتدبه للنظر في هذه القضايا، فمكث هناك سنة كاملة متنقلاً بين هذه المدن يمكث في كل مدينة المدة الكافية للنظر في قضاياها، فأتى عليها جميعاً، وأمضى فيها حكمه، بتوفيق من اللّٰه وعونه، فحمدت له فيها السيرة ووصل الحق إلى أهله وخسر المبطلون، فكان له الثناء الجميل من قبل ولاة الأمر والمسئولين، ومن قبل العامة، مع ما يرجى إن شاء اللّٰه من ثواب جزيل عند المليك المقتدر[1]. ثم عاد إلى القصيم قائماً بعمله في القضاء والتدريس والنظر في أمور الناس وحل مشكلاتهم والسعي في قضاء حوائجهم مما سوف يأتي له مزيد بسط في أعماله من غير القضاء والتدريس.

---

(١) كان مع الشيخ في ذهابه إلى مكة الشيخ عبداللّٰه العجاجي «رحمه اللّٰه» والشيخ الرّحالة محمد بن ناصر العبودي أخبرني بذلك الشيخ الفاضل سليمان بن عثمان المنيعي حفظه اللّٰه.

ومكث في القصيم حتى عام ١٣٨٤هـ حين انتقل للعمل في مكة المكرمة رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام.

وقد أسف أهل القصيم لفراقه، فقد عرفوه أباً لصغيرهم، وأخاً لكبيرهم، فقدوا فيه المعلم ذا الحلقات العلمية المشهورة، المصلح ذا الإصلاحات الكبيرة، وقد كان يبادلهم الشعور نفسه، فقد أحبهم وأحبوه، ولكن وكما يردد أهل القصيم في رحيله، وبخاصة في بلدة مثل مكة المكرمة شرّفها الله التي تجمع أبناء المسلمين من كل صقع.

مستشار الملك للشئون الدينية

في عام ١٣٧١هـ استدعاه الملك عبدالعزيز «رحمه الله» وعرض على فضيلته منصباً رأى أنه لا بد من إحداثه حين توسعت الدولة وتشعبت أمور الحكم ورسخت دعائم الدولة، واحتاجت إلى مزيد من النظر في تراتيبها الإدارية فاستحدث منصب (مستشار الملك في الشئون الدينية).

ولكن ما إن علم أهل القصيم بهذه الرغبة الملكية حتى أرسلوا وفداً كبيراً منهم. لمقابلة الملك وطلب إبقاء الشيخ عندهم لما رأوه من نفع في البلاد والعباد؛ قضاءً وتدريساً وفتياً وجمعاً للكلمة، فألحوا على الملك في ذلك وهو يتأبى، فلما رأى إصرارهم العجيب رقّ لهم، وحمد لهم صدق تمسكهم، فما كان من الملك إلا أن جمع بينهم وبين الشيخ في مجلس واحد. ثم قال: هذا هو الشيخ عبدالله وها أنتم أيها الوفد.

ثم وجه الحديث إلى الشيخ قائلاً : «هؤلاء أهل القصيم يريدون عودتك إليهم وأنا إمامك ومحتاج إلى بقائك عندي، فإن اخترت البقاء عندي فأنا أمامك وواجبك الطاعة لي، وإن أبيت واخترتهم فالله ربنا وربك». فأجاب الشيخ: «أنا في السمع والطاعة إن أمرتني بالبقاء

بقيت وأن أمرتني بالذهاب معهم فلا يسعني إلاّ تنفيذ ما تأمرون به».

فسكت الملك قليلاً ثم قال: ما دام أنهم قد توجهوا من بلادهم وطلبوني فإني أوثرهم على نفسي، عندئذٍ عاد الشيخ إلى منطقة القصيم وقرت أعينهم بعودة شيخهم إليهم.

المكتبة العامة في بريده[1]

من مشاريع الشيخ العلمية في القصيم أنه استصدر الموافقة السامية لإنشاء مكتبة عامة لما يعرفه «رحمه الله» من قيمة الكتاب وبناء طلب العلم عليه، فلما كان عام ١٣٧٥هـ أنشئت المكتبة وخصص لها بناء على الطراز المعماري الحديث في وقته، فجلب لها أمهات الكتب في الحديث والتوحيد والفقه والتفسير والمصطلح والنحو والأدب والتاريخ والاجتماع والدوريات وغيرها من ألوان الفنون والمعارف.

ومن أجل أن يُعوِّد الشيخ والطلاب على ارتياد المكتبة صار يعقد فيها بعض اللقاءات العلمية كما مرّ معنا في تدريسه ودروسه.

كما كان يخصص لنفسه فيها وقتاً خاصاً به يرتادها مع بعض خواص طلابه مع بقاء المكتبة مفتوحة في الصباح والمساء ليعتاد الطلاب ارتياد المكتبة، وكان يتعاهدها بتزويدها بالكتب.

فلما غادر القصيم إلى مكة ضمت المكتبة إلى وزارة المعارف.

الجامع الكبير في بريده

من المعلوم ما عليه المساجد في الجزيرة العربية بعامة وفي نجد بخاصة؛ من بنائها باللبن والطين وسقفها بالجريد وجذوع النخيل، مما يجعل بناؤها ضعيفاً وعمرها قصيراً، فلا تستطيع الصمود طويلاً أمام

(١) انظر مقال د/ صالح الابداع والتحديث في فكر الوالد في أول الكتاب.

مياه الأمطار وعاديات الرياح.

وحينما بدأت تظهر في البلاد المواد الجديدة في البناء من الخرسانة المسلحة، كان الشيخ «رحمه الله» من أول المسارعين إلى الاستفادة من هذا الجديد المفيد فكان أول ما سعى إليه؛ إعادة بناء الجامع الكبير، فرفع الأمر إلى جلالة الملك سعود «رحمه الله» فبادر بالاستجابة فتمت إعادة بناء الجامع وتوسعته على نفقة الملك سعود «رحمه الله» وإشراف الشيخ، وفرغت عمارته عام ١٣٧٩هـ واستمر على ذلك حتى جاءت إعادة بنائه حديثاً على نفقة خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - عام ١٤١٦هـ.

مساجد ومشاريع أخرى

كما كان للشيخ «رحمه الله» مساع مشكورة في إعادة ترميم كثير من المساجد في منطقة القصيم، ووقف بعض البيوت على الأئمة والمؤذنين وصرف مرتبات لهم قبل أن ينتظم الحال لدى وزارة الأوقاف.

الإشراف الديني على المسجد الحرام

رأى الملك فيصل «رحمه الله» (١٣٢٤-١٣٩٥هـ) أن هناك حاجة لإنشاء جهاز خاص يدير شئون المسجد الحرام إذْ كانت المسئولية فيه موزعة بين عدة إدارات؛ من وزارة الأوقاف، ورئاسة القضاء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها فرأى أن يجمع ذلك في جهاز واحد فإن الرجل المناسب هو الشيخ عبدالله بن حميد؛ فهو يجمع بين العلم والديانة، وبعد النظر، وحسن التعامل مع أصناف الناس، ولعل حسن السمعة التي خلفها حين أنهى القضايا المتخلفة في الحجاز عام ١٣٧٢هـ كانت من وراء هذا الاختيار، فلما أبدى الملك فيصل رغبته ما وسع الشيخ إلا الاستجابة،

وبخاصة أنها أعمال ليست كأعمال القضاء فكان ذلك عام ١٣٨٤هـ. واسم الجهاز: الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام.

فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام، وباشر عمله، ورتب الإدارة، واتسعت دائرة اتصالاته بعلماء الحرمين الشريفين، وبخاصة علماء المسجد الحرام والمدرسين فيه، كما تكثفت اتصالاته بالوافدين إلى المسجد الحرام من أهل العلم والصلاح في مواسم الحج والعمرة. كما شرع الشيخ في التدريس في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم في درس وعظي، وحلقة مشهورة، وفتاوى رصينة، كما مرّ في الحديث عن التدريس.

وكان من أهم ما اهتم به الشيخ تنظيم شئون المسجد الحرام في أئمته ومؤذنيه.

فقد كان الآذان متعدداً إذ كان يوجد في كل منارة من منارات المسجد الحرام مؤذن يؤذن فألغى الشيخ ذلك وجمعهم على مؤذن واحد، إذ إن مكبر الصوت كافٍ في إسماع الأذان إلى جميع الأنحاء. وصار المؤذنون يأخذون نوباتهم من خلال جدول مرتب كل مؤذن يعرف أوقاته.

كما كان الشيخ «رحمه الله» يحب أهل العلم ويكرمهم ويدنيهم من مجلسه، وبخاصة علماء المسجد الحرام ومدرسوه فقد كانت لهم عنده منزلة خاصة وحظوة متميزة، فان يعتني بهم، ويسعى في تهيئة الجو المناسب لهم ليقوموا بمهمة التدريس على خير وجه، وسعى في صرف مكافأة لهم تشجيعاً لهم، واعترافاً بجهودهم وبفضلهم.

التكبير الجماعي في العيدين

كان من المعتاد في العيدين أن يقوم المؤذنون في المسجد الحرام

بالتكبير قبل صلاة العيد بصفة جماعية بحيث يتحلقون حول المكبر فيؤدون التكبير جماعياً. فلم يستحسن الشيخ «رحمه الله» ذلك وأمرهم بالاكتفاء بمؤذن واحد يقوم بالتكبير المشروع في العيد.

معهد الحرم المكي(١)

عرف عن الشيخ حبه للعلم، وسعيه في نشره، ورعايته لطلابه وحدبه عليهم وحبه لهم، وعلى الرغم من أن الشيخ تلميذ حلقة وشيخ حلقة ومشجع للحلقات العلمية، لكنه رأى بثاقب نظره ما عليه متغيرات العصر، وزهد الناس في التعليم الديني، وانصرافهم إلى التعليم النظامي بقصد نيل الشهادات، وتلمس وجوه الأعمال، فاقتضىٰ نظره إنشاء معهد داخل أروقة المسجد الحرام يقوم على طريقة الحلقات لكنه يأخذ من التعليم النظامي محاسنه من حيث الضبط في الحضور والأنصراف في المواعيد، واستقرار المواد العلمية التي يرغب تدريسها، ويأخذ من الحلقات تحلق التلاميذ حول الشيخ، واقترابهم منه، والتفافهم حوله في داخل أروقة المسجد الحرام، مما يعطي صفة خاصة لهذه الدروس ومما يرجى معه نيل بركة المكان وفضل العلم.

وبالفعل تم تأسيس معهد الحرم المكي عام ١٣٨٤هـ معادلاً مرحلتي المتوسطة والثانوية واختار له المعلمين العلماء الأكفاء فكان نبتة صالحة؛ يخرج نباته بإذن ربه، فتخرجت منه الأفواج تلو الأفواج، ولا يزال عطاؤه مستمراً وثماره متواصلة من أبناء البلاد وخارج البلاد من بلاد المسلمين كافة.

رئاسة مجلس القضاء الأعلى

حينما ترك الشيخ القضاء عام ١٣٧٧هـ في القصيم، لم يفتأ

(١) راجع مبحث التحديث والابداع في فكر الشيخ عبدالله بن حميد.

المسئولون - وفقهم الله - يعرضون عليه مناصب قضائية عليا ولكنه يأبى لما يدركه «رحمه الله» من شدة القضاء، وعظمة الوقوف بين يدي الله عز وجل، فقد عرض عليه رئاسة محكمة الرياض، ورئاسة محكمة مكة المكرمة، ورئاسة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، ورئاسة محاكم الأحساء ورئاسة محاكم القصيم، فأباها جميعاً طلباً للسلامة. ولكنه قبل أعمالاً إدارية، كرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام، ونظراً لسمعة الشيخ وبعد صيته في القضاء وقوته فيه فلم يفتأ المسئولون - يحفظهم الله - من بذل المحاولات لإقناع الشيخ بالقبول حتى كان عام ١٣٩٥هـ، حيث رغب منه الملك خالد بن عبدالعزيز «رحمه الله» أن يتولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء؛ وهو منصب جديد استحدثه الملك خالد «يرحمه الله» ليكون المرجع النهائي في القضاء وله مهمات أساسية من الفصل فيما يختلف فيه القاضي مع هيئة التمييز، والبت في أحكام القصاص والحدود، وتعيين القضاة وترقيتهم وإعفاؤهم وإحالتهم للتقاعد بعد استصدار الأمر السامي في ذلك، حسب ما نص عليه نظام مجلس القضاء ولوائحه، فما وسع الشيخ إلا الامتثال لطلب الملك فتولى رئاسة المجلس واستمر فيه حتى وافاه الأجل «رحمه الله» وهو في هذا المنصب مرجع لجميع قضاة البلاد، ينظر في أحكامهم وأحوالهم واستحقاقاتهم، فكان محمود السيرة، حريصاً على توجيه القضاة وتذكيرهم بمهمات أعمالهم، حافظاً لحقوقهم حامياً لجنابهم كما كان قوي الموقف فيمن يخالف.

سيرته في القضاء

لقد رزق الله الشيخ علماً وفطنة، وذكاء ودهاء، وقوة ودقة، يدرك مرامي الألفاظ، ولحن القول، وميل اللحظ، مهيباً في مجلس القضاء، لا

يطمع قوي في حيفه، ولا يخاف ضعيف من ظلمه، عرف بشدته في الحق، وصرامته في الحكم، ولي القضاء فقام فيه أحسن مقام بالعدل والقوة، وكان له فيه مجلس مرهوب وله في ذلك وقائع مشهورة وقصص غريبة.

من ذلك :

أنه حينما تولى رئاسة مجلس القضاء الأعلى، مرت به قضية كان قد[1] حكم بها في القصيم قبل ثلاثين عاماً، فلما كان القارىء يقرأ عليه الصك الذي دونت فيه القضية إذا هو يمر بعبارة فيها تحريف، فما كان من الشيخ إلاّ أن سبَّح الله واسترجع وقال: سبحان الله لقد قلت لهم في حينه أن يصلحوها بصيغة كذا فسامحهم الله ألم يصلحوها فانظر، كيف كان الشيخ مستذكراً للقضية برمتها وبعباراتها وألفاظها.

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها

- عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.
- رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- رئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية.
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي.
- عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

(١) هو ليس منصباً جديداً بل المجلس الأعلى للقضاء أنشىء عام ١٣٨٧هـ عندما صدر أول كادر للقضاء وتحديد مراتبهم وكان رئيس المجلس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» وكان المجلس بهيئته العامة فقط في شئون القضاة فقط لا القضايا وفي عام ١٣٩٥هـ أنشىء هيئة دائمة لمجلس القضاء الأعلى تنظر في شئون القضايا وعملها مثل عمل هيئة تمييز كمرحلة نهائية، وقد رأس ذلك كله الشيخ عبدالله بن حميد حتى ترك الهيئة الدائمة للمجلس وتفرّغ للهيئة العامة لمجلس القضاء الأعلى المتخصصة في شئون القضاة سواء تعيينهم أو عزلهم ولقاعدهم ومراتبهم - ذكر ليَّ ذلك الشيخ محمد السبيهين جزاه الله خيراً والشيخ ابن حميد هو رئيس الكل المجلس الأعلى للقضاء والهيئة الدائمة.

المعهد العالي للقضاء والرسائل العلمية

الشيخ «رحمه الله» له تعلق بحلقات التدريس في المساجد، فهو يحبها ويعلق عليها آمالاً كبيرة في التحصيل والأثر والثمرة، ويرى فيها بركة العلم وآثار الإخلاص، إذ إن صاحبها - في الغالب - لا يتطلع إلى شهادات، ولا يروم وظائف ومناصب كالتي تقود إليها غالباً الشهادات الممنوحة بالطرق النظامية، وإن كان «رحمه الله» يقدر لكل ذي علم علمه، ولكل ذي فضل فضله، ففضل الله واسع وفوق كل ذي علم عليم، فكم برز من ذوي الشهادات من يشهد لهم بالعلم والفضل وعظيم الأثر.

ومن أجل هذا؛ فإن الشيخ «رحمه الله» كان حفيّاً بالتعليم النظامي يقدر أهله، ويشجع على الانتساب إليه، والالتحاق به، بعدِّه فرصاً علمية متاحة، وصلاح النية وحسن القصد وتمحض الأخلاص مرده إلى العبد وذلك سر بينه وبين ربه.

ومن أجل هذا؛ فإنه حينما أنشىء المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٦هـ في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» طلبوا منه التدريس فوافق واستمر في التدريس فيه كل عام.

وكان المعهد يضم صفوة من كبار الطلاب وحملة الشهادات أمثال: الدكتور عبدالله التركي، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ صالح الأطرم، والشيخ عبدالله بن جبرين وغيرهم كثير.

وحينما بدأت الجامعات السعودية تمنح الشهادات العليا في الماجستير والدكتوراه وطلبوا منه الاشتراك في مناقشة رسائل الطلاب وافق على ذلك. بل إن أول رسالة علمية في الدكتوراه في الفقه

الإسلامي في المملكة نوقشت على يديه «رحمه الله» وهي رسالة فضيلة الدكتور شرف علي الشريف كما كان عضو مناقشة رسالة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حالياً.

وفي كل ذلك دلالة على حب الشيخ للعلم، وشدة تمسكه به، وتشجيعه لأهله في أي سبيل سلكوا في تحصيله ما دام طريقاً مشروعاً.

الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في قضاء حوائج الناس

لم يكن الشيخ «رحمه الله» ممن يؤثر الاحتجاب عن الناس، أو يحب العزلة بل كان شيخ عامة متصلاً بالحياة والمجتمع، متواصلاً مع الحكام، حافظاً حقهم، قائماً بواجب النصح لهم: ناهيك بأن من كان مثله في غزارة العلم والجرأة في الحق إلا ويلتفّ الناس حوله، وتعلق به العامة وأصحاب الحوائج، وقد تميز بقوة الشكيمة، وسداد الرأي، وصواب الفكر(١).

فتصدى للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشد أزر الدعاة ورجال الحسبة.

كان يقوم بالحق، ويأخذ به الناس العامة منهم والخاصة، لا يخص أحداً دون الآخر.

وكان يكره الظلم ويقاومه أشد المقاومة، وينتصر للمظلوم، ويجتهد في رفع ظلامته، وإيصال الحق إليه، وانتزاع الحق من الظالم، ومواقفه في القضاء والاحتساب في ذلك بارزة.

(١) قال لي شيخنا العالم حمد البراهيم الحقيل: أن شيخي ابن حميد رحمه الله ذو شهامة ومروءة لا توصف فقد قال ليَّ شيخنا يا شيخ حمد إذا كان له حاجة عند ولاة الأمور فأنا مستعد أن أشفع لك فشكرته على هذا الموقف وقلت له أنا بحمد الله في ستر وعافية.

وليس من المبالغة القول إنه أقام بلسانه وقلمه وعلمه وعمله أسلحة لحراسة الحق ونصرة الدين والصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الجوانب البارزة في ذلك بعض مكاتباته ورسائله وردوده وحواراته لإحقاق الحق، ورفض الباطل، لا يخشى من إبداء رأيه في مكاتبات خاصة أو من خلال وسائل الإعلام حسب ما تقتضيه الحال، ومن أظهر مواقفه التزام السنة وإنكار البدع والمحدثات في الدين، فقد كان له في ذلك قدم صدق وغيرة على سلامة المعتقد ونهج السلف الصالح، يقر ذلك ويناقح عنه في دروسه وحلقاته ومكاتباته ومؤلفاته وفي مجالسه ومناظراته.

أما في باب الحوائج وأمور الناس فكان ذا رفق وتؤدة، يحنو على الضعفاء، ويرفع من شأن المستضعفين، فهو كثير التودد لا يؤذي أحداً ولا يحسد أحداً. ويسعى في الشفاعة لمن لا يملك أن يبلغ حاجته بنفسه.

واقعة حوار

عرف عن الشيخ «رحمه الله» أنه حين يأخذ في إيضاح المسائل وتقعيد القواعد وتقديم الأدلة وإيراد الاعتراضات في المسائل تراه يلتزم بالأسلوب العلمي الهادىء الرصين مع وضاحة في اللفظ، وبلاغة في العبارة، ودقة في تخير الكلمات. ومن مزايا مناظراته أنه يتجنب الخوض في دقائق الجزئيات والتفصيلات التي يتسع فيها مجال الخصم والجدال؛ بل يعتمد على نصوص الوحيين : (قال الله وقال رسول الله ﷺ) ثم على البدهيات الجلية في الأدلة، والمسلمات، وعلى التناقضات الواضحة لدى المحاور التي لا تحتمل تأويلاً.

وشخصية مثل شخصية ابن حميد «رحمه الله» تميزت بعلمها وقوتها

كجبل شامخ لا يسلم من ارتطام الأمواج في قاعه وسفحه؛ وبخاصة في مثل موقعه في المسجد الحرام ومواسم توافد الناس في الحج والعمرة بما فيهم العلماء من كل الفرق والمذاهب، فلقد كان يتوافد فيما يتوافد المخالفون ويحاولون إثارة بعض المسائل العلمية والخلافات المذهبية، وقد يدفعهم إلى ذلك ما يظنون من عدم معرفة علماء الحرمين الشريفين بمذاهبهم ومصادرهم، فكان ذلك يحتاج إلى شجاعة علمية، وحمية دينية، وصبر ومصابرة، وحجة ناهضة ولقد وهب الله الشيخ كما سبق - سلاحاً مضاء في هذه المناظرات، ونفساً طويلاً في هذه المحاورات.

وهذا نموذجة من إحدى المناظرات التي عُقدت في المسجد الحرام واستمرت ثلاثة أيام.

في عام ١٣٨٨هـ وبينما كان فضيلته يلقي الدروس بعد المغرب في المسجد الحرام خلف مقام إبراهيم «عليه السلام» في موسم الحج، وفي حشد عظيم تغص بهم حلقة الشيخ من طلبة العلم والحجاج وغيرهم في عشر ذي الحجة، كان موضوع الدرس قوله عليه الصلاة والسلام: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله). - الحديث، فبين الشيخ معنى كلمة التوحيد، وما أثبتته من إخلاص العبادة لله وحده، وما نفته من عبادة ما سواه، وبيان شروطها، فبينما هو كذلك إذ تقدم رجل من علماء إيران مدرس في جامعة قم يسمى (السيد محمد) فسأل الشيخ قائلاً: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت، وسؤالهم تفريج الكربات، وإغاثة اللهفان نظراً لمكانتهم عند الله ومالهم من المنزلة السامية؟ فأجاب فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه، وهو الذي نفته كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» والذي بعثت من أجل النهي عنه رسل

الله. فقال السيد: محمد: لا أسلم لك هذا حيث إن طلب المدد منهم ليس هو عبادة وإنما هو شفاعة منهم لي عند الله فلا يصل إلى حد الشرك. فرد فضيلته هذا هو عين العبادة. وسمه ما شئت أن تسميه فما دام أن العبد يصرف إلى المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات، وطلب العون من غيره فهذا هو الشرك، مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات ولا من غيرهم وإنما تطلب من الله، فطلب الشفاعة من غيره شرك كما قال تعالى: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً**﴾ وما ذكرت عن أهل البيت وغيرهم رضوان الله عليهم من أنهم يملكون الشفاعة وأن طلب الشفاعة من غير الله ليس شركاً.. يرده قوله تعالى:

﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ سورة الزمر الآية (٣) فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوداتهم من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله زلفى لأنهم يعتقدون النفع أو الضر فيهم.

فقال المناظر: فهمت هذا كله ولكن ما تصنع في قوله ﷺ (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه). فرد عليه الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث ومن رواه. فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلاً. لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا باطل فاستمرت المناظرة ثلاث ليال متوالية. ثم انتهت باعتراف المناظر وتسليمه على مرآى ومسمع من الآلاف العظيمة من الحجاج في المسجد الحرام بأن ما قاله الشيخ هو الحق، وقد لمس الحضور انقطاع حججه وعجزه عن تأييد رأيه، ومد المناظر يده وقبل رأس الشيخ، وشكره عدد من الحضور القريبين منه ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية، فقال الشيخ إنني أقبل هديتك بشرط أن أثيبك عليها بهدية مثلها.

الصحافة والإذاعة[1]

قلنا إن الشيخ «رحمه الله» رجل عامة كما هو رجل علم ودعوة، ولهذا فهو لا يدع مجالاً.. يمكن أن يقول فيه كلمة حق أو دعوة خير أو أمراً بمعروف أو نهياً عن المنكر إلا وسلكه. والصحافة والإذاعة كانت في أوائل ظهورها وبزوغها، وكان الشيخ من المبادرين في الإسهام فيها وتبليغ الحق والعلم للناس من خلالها فله نشاط في الصحافة ملحوظ من كتابة المقالات والتوجيهات والردود على ما يرى من مخالفات وله في ذلك باع طويل سوف نذكر نماذج منه إن شاء الله.

أما الإذاعة فكان لديه إسهام كبير وبخاصة من الإجابة على فتاوى المستفتين في برنامج عام كان هو أحد أركانه وهو برنامج (نور على الدرب) وهو برنامج إذاعي له صيته، فكان الشيخ «رحمه الله» من أوائل من شارك فيه حتى توفاه الله.

وهناك برنامج خاص للشيخ عنوانه (اسألوا أهل الذكر)، يجيب فيه عن أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية. وقد عرف الشيخ بدقة الإجابة في الفتوى؛ بل إنه يعيد سؤال السائل كاملاً غير منقوص عن ظهر قلب لأنه كان كفيف البصر، وحين تسمع فتوى الشيخ أو تقرأها فإنك تدرك غزارة العلم، وأصالة الرأي، وعمق الفكر، ودقة العبارة، وقوة الدليل، وشمول المقارنة فيما يحتاج فيه إلى إيراد المقارنة بين أقوال العلماء ومذاهبهم.

(١) راجع مبحث التحديث والابداع في فكر الشيخ عبدالله بن حميد.

الشيخ مع زواره وضيوفه

لم يكن الشيخ «رحمه الله» من العلماء الذين يحصرون أنفسهم في ميادين ضيقة، أو يكتفي بمجالس العلم والتعليم؛ بل كان متصلاً بالحياة والأحياء والمجتمع في نواح شتى، ومن أهم أغراضه في ذلك: الدعوة إلى الله، والاستماع لحوائج الناس، والسعي في قضائها، ورفع المظالم عنهم، وإيصال الحقوق إلى أهلها، ومن أجل هذا كان بيته مفتوحاً ومقصداً للقاصي والداني والصغير والكبير، فترى في مجلسه العالم والأمير، والوجيه والأديب، والتاجر والفلاح، وكل طبقات المجتمع دون استثناء، وكل يأنس بمجلس الشيخ، ومن حكمة الشيخ ودماثة خلقه ولطف معشره أن خصه الله عز وجل بالقدرة على التحدث مع كل واحد بما يناسبه، فلو رأيته وهو يتحدث مع الأمي العامي ليسأله عن أحوال بلده أو طبيعة عمله بل لعله أن يسأله عن أهله وأسرته، فللشيخ إلمام كبير بمعرفة القبائل والأسر وأصولها مع ما تميز به من حفظ عجيب للأسماء والقبائل والأسر وتاريخها.

ولو رأيته في المطارحات الأدبية والمقطعات الشعرية في سردها، ونقدها، وإصلاح أوزانها، وحل غوامضها، واستحسان الحسن، ورد المعيب؛ بل إن بعضهم قد يخص مجلس الشيخ بما جادت به قريحته ليلقيه بين يدي الشيخ، راغباً في التصويب والتوجيه، فالشيخ في ذلك لديه حاسة ذواقة، ومعرفة واسعة باللغة وفقهها ودقائقها، فهو الخبير بالإعراب والآداب[1].

---

(١) ذكر الشيخ إبراهيم السيف شفاه الله أبياتاً نسبها للشيخ ابن حميد في مدح الشيخ محمد بن إبراهيم في كتابه المبتدأ والخبر عند ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم.

أما إذا جاءه أصحاب المقامات والمنازل من الأمراء والوجهاء، فإنه ينزلهم منازلهم، ويعرف لهم حقهم، مما يجعلهم يدركون ما يخصهم به الشيخ من الاحترام والتقدير الذي يتطلعون إليه، ومن ثم فإنهم يعاودون الحضور إلى مجالس الشيخ مما يفيد منه الشيخ في إيصال ما يريد من حق ودفع ضده.

كما كان كريماً ذا بذل فقلّ أن يأتي غريب زائر، أو عائد من سفر إلا ويدعوه الشيخ إلى مأدبة يقيمها في بيته، ويدعو لها جمعاً من الناس، مما يتناسب وطبقة الضيف فهو كريم مفضال قد أشرع بيته للضيوف والغرباء.

الشيخ في بيته

لعل ما مر من صفات الشيخ وطبائعه وأخلاقه في هيبته ووقاره، وانشغاله بالعلم، وكثرة أعماله الرسمية وغير الرسمية، وتعلق الناس به خاصتهم وعامتهم، كل ذلك قد يدعو المطلع على سيرته أن يسأل عن حال الشيخ في بيته ومع أولاده وأسلوبه في التربية.

الشيخ «رحمه الله» استطاع بتوفيق الله له - أن يجمع بين الهيبة والوقار وخصائص طالب العلم، والأب المربي الحاني الرقيق الشفيق؛ فإن شئته مهيباً وقوراً محافظاً على الانضباط في البيت فترى من ذلك العجب، وإن شئته أباً حانياً قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه ويأنسون بأحاديثه فإنك واجد في ذلك شيئاً كثيراً.

وإنك لتستغرب كيف يجد الشيخ الوقت لمثل هذا مع ما مر بك من وصف دقيق لأعماله وأيامه.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام، وله

جلسة بعد العشاء يتحلق حوله الأهل والأولاد، يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم، غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية وبيان بعض الأمور والأحوال لأبنائه وبناته مما ينبغي أن يستمسكوا به من أهداب الدين وكريم الأخلاق وما ينبغي أن يجتنبوه من سيّئ الأفعال وذميم الأخلاق والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يُجَمِّل مجلسه الأسري بشيء من الأدب، والحكايات التاريخية، والقصص ذات المغزى، والمقطعات الشعرية، وقد يطرح بيتاً من الشعر أو أبياتاً فيطلب من أولاده تقطيعه على أوزان بحور الشعر، وهو يلقي الشعر عليهم بطريقة خاصة، ذات تنغيم جميل موزون. ومن أجل هذا تعلق الصغار بأوزان الشعر وبحوره ووجد بينهم منافسة علمية جميلة.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل؛ فإن الشيخ ذو حرص ومتابعة وعناية فائقة في كل ما يجري حوله من شئون البيت والأهل والأولاد، غير أن له عناية خاصة بأربعة أمور:

أولها : المحافظة على الصلاة جماعة في المسجد: فإن الشيخ في ذلك يقف من أبنائه موقفاً صارماً لا يقبل فيه التساهل أبداً ويغضب غضباً شديداً ويؤدب أدباً رادعاً لو حصل تقصير أو تساهل. أجزل الله له المثوبة وتغمده بواسع رحمته.

الثاني : التعليم: فالشيخ كما سبق يحب العلم ويحرص عليه ويقدره، ومن ثم فقد كان حريصاً جداً على أولاده ليحصلوا من العلم قدر طاقتهم، ويبذلوا فيه غاية وسعهم. وقد انتظموا كلهم في المدارس، فكان يتابعهم متابعة عجيبة، ولا يرضى أن يتخلف أحد عن المدرسة، ولا

يتهاون في ذلك ويتساهل، كما كان متابعاً لهم في مسئولياتهم المدرسية، وواجباتهم المنزلية بشكل عجيب، مع ما أعطاه الله من هيبة في ذلك.

الثالث : القرناء والأصدقاء: لقد كان الشيخ حريصاً على معرفة قرناء أبنائه وجلسائهم وأصدقائهم ومن يرافقهم وله في المتابعة والمساءلة طريقة خاصة بالأسلوب المباشر وغير المباشر.

الرابع : توجيه أبنائه لحسن استقبال الضيوف والأدب معهم واحترامهم وتوقيرهم وتقديرهم والعناية بهم واللباقة في التحدث إليهم وله في ذلك حسن توجيه ومتابعة.

هذه إلمامات عن حال الشيخ في بيته، وللعلم فإن الشيخ خلف تسعة أبناء وأربع بنات، وأبناؤه هم : محمد وعبدالرحمن وعبدالعزيز وصالح وأحمد وسعد وإبراهيم وعبدالوهاب وعبدالمحسن.

تلاميذه وطلابه

تقدم الحديث عن علم الشيخ وفضله، وطرقه في التدريس، وحدبه على طلاب العلم وحبه لهم، وحرصه المتناهي على إفادتهم وشحذ هممهم، وغرس روح التنافس العلمي بينهم، ومن المعلوم لدى الخبير أن مثل هذه الأجواء العبقة بروائح الطيب النفاذة تجذب وتجلب الطلاب من كل مكان، ومن أجل هذا كان «رحمه الله» مقصداً للطلاب يفدون إليه، فتلقى العلم عليه جمهرة كبيرة، تعلموا منه، وتفقهوا عليه، وانتفعوا بعلمه فكم من طالب أرشده إلى السبيل السوي في الأدب والعلم، وهداه إلى المظان في المراجع والمطالعات، ناهيك بالكثير والكثير ممن يستفيد من مثل هذه المجالس بالواسطة في توجيه غير مباشر، ومن أجل ذلك كله فقد هيأ الله له جمهرة من الطلاب والتلاميذ يلتفون حوله وينهلون

من معين علمه، يسجلون أقواله، ويدونون آثره، ويتأثرون بفعاله، ويقيدون فوائده يزينون بها أنفسهم، ثم يبلغونها للناس في حلقات المسجد ومقاعد الطلبة في المدارس والكليات والمعهد العالي للقضاء وجامعة أم القرى ومن أشهر تلاميذه:

- الشيخ عبد العزيز بن صالح، إمام المسجد النبوي، ورئيس المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو مجلس القضاء الأعلى؛ «رحمه الله» [1].
- الشيخ محمد بن عبدالله بن عودة السعوي؛ عضو رئاسة القضاء، ورئيس محكمة الرياض، ورئيس محكمة الدمام، والرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ محمد بن عبدالله السبيل؛ إمام المسجد الحرام وخطيبه، والرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ووزير الأوقاف والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وعضو هيئة كبار العلماء والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم؛«رحمه الله».
- الشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين عام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ حمود بن عبدالله التويجري قاضي الدمام والزلفي وصاحب

(١) توفى «رحمه الله» عام ١٤١٥هـ له ترجمة في علماء نجد خلال ثمانية قرون ج٣ ٣٩٦-٤٠٥- وتتمة الأعلام ج ١ ص ٢٩٩ - روضة الناظرين ج ٣ ص ١٣٥-١٣٦.

المؤلفات المشهورة؛ «رحمه الله»[1].

- الشيخ صالح الأطرم عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن غصون رئيس محكمة الأحساء وقاضي التمييز بمحكمة التمييز بالرياض وعضو مجلس القضاء الأعلى. «رحمه الله»[2]
- الشيخ الدكتور صالح السدلان الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية عضو هيئة كبار العلماء،وخطيب يوم عرفة [3].
- الشيخ صالح البليهي صاحب كتاب السلسبيل والمدرس بالمعهد العلمي

(١) توفى «رحمه الله» عام ١٤١٣هـ له ترجمة في علماء نجد خلال ثمانة قرون ج ٢ وتتمة الأعلام ج ١ ص ١٥٤-١٥٥

(٢) توفى الشيخ صالح بن غصون عام ١٤١٩هـ «رحمه الله» وقد جمع الأستاذ طارق الخويطر ما كتب منه في الصحف والمجلات مع مقدمة للمؤلف عن حياة الشيخ صالح زرته في منزله عام ١٤٠٨هـ بصحبة الشيخ حمد بن عبدالله الراشد ت : ١٤١٤هـ رحمه الله وزرته مرة أخرى في شتاء ١٤٠٩هـ فعرفته أكثر فوجدته مرحاً مع زائريه دمث الأخلاق متمكناً من الفقه الحنبلي أمضى حياته كلها في القضاء ما يقارب من خمسين سنة دار بيننا نقاش في الزيارة الثانية حول مسألة غسل الجمعة هل هو واجب؟ فكان بجانبه كتاب (مطالب اولى النهى في شرح غاية المنتهى) للسيوطي الحنبلي وقال افتح ص كذا من الجزء الأول وفعلاً قرأت عنده سطور من الكتاب ثم قال الشيخ صالح قول جماهير العلم أو بعبارة أخرى عوّام أهل العلم أنه سنة مؤكدة والشيخ يرجح هذا القول «رحمه الله». قلت مع أن القول بالوجوب قوي جداً لظاهر الأحاديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم كما قال الرسول ﷺ. والحديث في صحيح مسلم. أصيب الشيخ صالح بتليف في الكبد فسافر إلى أمريكا وزرعت له كبد وتحسنت صحته وبدأ يزاول نشاطه العلمي ما يقارب من عشر سنوات ثم حصلت له انتكاسة واعتلت صحته «رحمه الله» وفاضت روحه في ١٤١٩/١٢/١٧هـ وللأستاذ المذيع عبدالكريم المقرن مؤلفاً عن الشيخ صالح كذلك.

(٣) سماحة الشيخ عبدالعزيز هو الآن المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء. والشيخ عبدالعزيز حفظه الله من المداومين على حضور درس الشيخ ابن حميد بحي دخنه. بارك الله فيه ونفع الله به، وهو من مواليد مدينة الرياض. وقد درس في المعهد العلمي امام الدعوة، ثم التحقق بكلية الشريعة وفي عام ١٤٠٨هـ عين عضواً بهيئة كبار العلماء وفي عام ١٤١٣هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه نائباً للمفتي وفي عام ١٤٢٠هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه مفتياً عاماً ورئسيا لهيئة كبار العلماء تشرفت بان كان سماحته مشرفاً على بحث تخرجي من كلية الشريعة عن احكام الحضانة عام ١٤١٢هـ والشيخ حفظه الله من الخطباء الذين جددوا مسار الخطب والخطبة في الجمع والأعياد بحيث وظف الخطبة بما يلائم الواقع ومشاكل العصر مع الألتزام باركان الخطبة الشرعيّة. نفع الله به الإسلام والمسلمين.

ببريده؛ «رحمه الله» [1].

- الشيخ صالح السكيتي المدرس بالمعهد العلمي ببريده؛ «رحمه الله».
- الشيخ الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الكليه رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ صالح بن عبدالعزيز الغصن مدير مكتبة الشيخ المترجَم له.
- الشيخ عبدالله السليمان الحميد قاضي جازان والبكيرية وغيرهما؛ «رحمه الله». [2]
- الشيخ عبدالعزيز الفوزان رئيس محكمة جازان وقاضي التمييز في المنطقة الغربية؛ «رحمه الله».
- الشيخ عبدالله المسعري رئيس ديوان المظالم.«رحمه الله». [3]
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري. [4]
- الشيخ عبدالرحمن بن دهش قاضي قبة.
- الشيخ سليمان بن أحمد قاضي محكمة بلجرشي. [5]
- الشيخ علي المشيقح مساعد رئيس محكمة بريده.
- الشيخ علي السالم مساعد رئيس محكمة بريده؛ «رحمه الله».
- الشيخ علي الضالع المدرس بالمعهد العلمي ببريده؛ «رحمه الله».

---

(١) توفي« رحمه الله» ١٤١٠هـ وقدمً د/ الثويني نيل درجة الدكتوراه عن حياة الشيخ صالح البليهي الدعوية والعلميَّة وقد طبعت هذه الرسالة عام ١٤٢٦هـ رحمه الله.

(٢) توفي الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد «رحمه الله» عام ١٤٠٤هـ له ترجمة في تتمة الأعلام ج ١ ص ٣٢٧-٣٢٨ - وعلماء آل سليم ج ٢ ص ٣٤٣.

(٣) توفي الشيخ عبدالله المسعري عام ١٤٢٦هـ «رحمه الله» له ترجمة في كتاب حوطة بني تميم للأستاذ سعود الصرامي ومعجم الشعراء السعوديين لعبدالكريم الحقيل.

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري شقيق الشيخ حمود التويجري توفي «رحمه الله» في ١٦/١٠/١٤١٦هـ له ترجمة في علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٣/ص ٩٠-٩٢ وهو مؤرخ ونسابة.

(٥) توفى رحمه الله في ٣٠/٥/١٣٨٤ هـ له ترجمة في علماء نجد ج ٢/٢ ٣٦/٣٦٣-

- الشيخ عبدالله الخضيري قضي محكمة عفيف والمدرس بالمعهد العلمي بالمدينة.
- الشيخ عبدالله المحسن المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الشيخ سليمان بن ناصر العبودي.(١)
- الشيخ عبدالله بن عثمان بن بشر قاضي محكمة التمييز في الرياض.
- الشيخ القاضي إبراهيم الجبيلي قاضي دخنه.
- الشيخ القاضي إبراهيم الزعيبي.
- الشيخ عثمان بن حمد الحقيل مدير عام رئاسة القضاء.(٢)
- الشيخ صالح القرعاوي القاضي بمحكمة التمييز بمكة المكرمة.
- الشيخ القاضي محمد بن جابر.
- الشيخ علي بن فايز الدغيري.(٣)
- الشيخ القاضي سعد بن إسحاق.
- الشيخ عبدالعزيز المسند رئيس تعليم البنات المكلف ووكيل وزارة التعليم العالي.(٤)
- الشيخ مقبل العصيمي قاضي الحريق.(٥)
- الشيخ سليمان الربيش قاضي التمييز في الرياض.
- الشيخ عبدالرحمن بن سحمان قاضي التمييز في الرياض.
- الشيخ محمد بن الأمير عضو مجلس القضاء الأعلى.

---

(١) هو أخ للشيخ محمد العبودي الرحالة المعروف والأديب والمؤرخ - توفي الشيخ سليمان في ١٤١٦/١/٤هـ له ترجمة في روضة الناظرين ج ٣ - ٤٤-٤٥ رحمه الله.

(٢) مدير مكتب وزير العدل سابقاً رجل فاضل وذو مكارم أخلاق وذو أطلاع في الأدب والتاريخ اهدى مكتبته القديمة إلى مكتبة الملك فهد ثم كوّن مكتبة أخرى وجليسه دائماً كتابه حفظه الله لا تفارق البشاشة محياه قرأ على الشيخ عبدالله العنقري والشيخ سليمان بن حمدان رحمهما الله تعالى.

(٣) له ترجمة في روضة الناظرين ج ٣ ص ٢٠٨-٢٠٠٩.

(٤) أحيل على التقاعد.

(٥) له ترجمة في روضة الناظرين ج ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢ توفي رحمه الله ١٤١٣هـ.

- الشيخ محمد المنصور.
- الشيخ صالح بن مطلق.(1)
- الشيخ القاضي أحمد بن علي الحميدان.
- الشيخ صالح بن عمر بن مرشد؛ «رحمه الله». (2)
- الشيخ عبدالفتاح حسن راوة المدرس بالمسجد الحرام.
- الشيخ علي السحيباني قاضي الحفر.
- الشيخ عبدالرحمن الجار الله القاضي في بريده.
- الشيخ عبدالله السليمان البطي القاضي في بريده.
- الشيخ عودة بن عبدالله بن عودة السعودي.
- الشيخ ناصر الهويمل.
- الشيخ صالح المقيطيب.

(1) له ترجمة في روضة الناظرين ج ١ ص ٢٠١-٢٠٢ وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٢ ص ٥٤٨ ونفح الطيب في سيرة الشيخ ابو حبيب ص ١٠٩-١١٠ وقد كتبت عنه مقالاً في جريدة الرياض عنوانه ابن مطلق رواية الأدب الشعبي والفصيح. توفى الشيخ صالح في ١٣٨٥/٩/٢٥هـ رحمه الله تعالى - وهو مؤرخ أديب وشاعر - ويكفيه ميزة امتاز بها حفظه لمقامات الحريري. وقد قال عنه العلاّمة الشيخ عبدالله بن جبرين في محاضرته قصتي في طلب العلم... ان الشيخ صالح بن مطلق كان يحفظ من الأشعار والقصائد ما عدده ٨٠ ألف بيت وكان يحثنا دائماً على حفظ القصائد الجيّدة، وقال عنه استاذنا عبدالله بن خميس في كتابه من القائل ج ٢ .... كان فكهاً مازحاً له نكت ونوادر وخاطر حاضر لا تغيب عنه النكتة ولا يغرب عنه الجواب، وذكر ابن خميس طرفة من احدى طرائفه قائلاً: ان ابن مطلق حدثه انه كان قاضياً في احدى البلدان وكان رجلاً أسمه عباس ملازماً لي ليلاً ونهاراً فاحتويته واستثقلته وفي مرة من المرات ناداني صباحاً بعد صلاة الصبح ففتحت له الباب وقلت له حين ما أستقر به الجلوس:

قـل لعبـاس أخـينـا	**يـا ثقيـل الثـقـلاء**
أنـت فـي الصـيف سـموم	**وجـليـد فـي الشـتاء**
أنـت فـي الأرض ثقيـل	**وثـقيـل فـي السـماء**

وكان يظن ان هذه الأبيات حديثاً فعجل يستغفر ويتلوم ويتاكا بما سمعه وهو لا يدري أنه المقصود بهذا الهجاء المرّ ص ٥٤٠/٥٤١ - وهذه الأبيات لم يعرف أستاذنا ابن خميس من هو قائلها، وقائلها هو الشاعر مطيع أياس الشاعر المخضرم الأموي العباسي، كما أخبرني شيخنا - حمد الحقيل. حفظه الله وأنظر المستطرف ٥٨/٢ ووقفات نقدية مع من القائل / ٧٦ للأستاذ إبراهيم الحقيل.

(2) له ترجمة في روضة الناظرين ج ٣ ص ٧٦-٧٧ توفى رحمه الله ١٤١٧ في الخامس من ذي القعدة، وقد رأيته في مسجده الذي يصلي فيه مسجد الشويعر عام ١٤٠٦هـ وهو ذو أطلاع جيّد في علم الحديث.

- الشيخ حمود الفائز رئيس ديوان المظالم سابقاً.(١)
- الشيخ عبدالعزيز الربيعة (٢).
- الشيخ محمد الأمير.
- الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود.
- الشيخ عبدالله بن زايد.
- الشيخ صالح النجيدي قاضي التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ غيهب الغيهب.
- الشيخ محمد بن إبراهيم الهويش.
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز القفاري.
- الشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي.
- الشيخ حمد الجنيدل.
- الشيخ سعود بن دريب.(٣)
- ابنا الشيخ صالح وأحمد.

مكتبته

من المعلوم ارتباط طالب العلم بالكتاب والمكتبة، ولكن الشيخ «رحمه الله» كان في هذا الباب نادراً من النوادر، فقد كان تعلقه بالكتاب شديداً، وكان شغوفاً بالكتب إلى حدٍّ عظيم، فكان كثير السؤال عن الكتب في شتى الفنون يسأل عنها وعن الجديد من مطبوعها، فإذا ما ذكر له كتاب فإنه يحرص على اقتنائه مهما غلا ثمنه ومهما بعد مناله، حتى إنه كان يسأل وفود الحجاج والعمار الذين يلتقي بهم عن الجديد

(١) رئيس ديوان المظالم وهو ابن الرواية المشهور وعلامة الأدب الشعبي أصمعي زمانه عبدالعزيز الفايز الملقب رضا توفي عام ١٣٩٢هـ رحمه الله.

(٢) توفي «رحمه الله» عام ١٤١٦ له ترجمة في علماء نجد ج٣ ص ٤١٠-٤١٧ وروضة الناظرين ج ٣ ص ١٣٩-١٤١.

(٣) توفي رحمه الله وهو من أهالي حوطة بني تميم. عام ١٤٢١هـ وقد تولى وكالة وزارة العدل له مؤلفات في القضاء وعضو بمؤسسة الدعوة الإسلامية.

مما طبع في بلادهم. وبهذا جمع منذ حداثة سنه، بعون الله، وحسن توفيقه، ولطف تيسيره، من نفائس المصنفات وذخائر الكتب في فنون التوحيد والتفسير والفقه والحديث وعلوم العربية والتاريخ والأدب وغيرها مما تكون به لديه مكتبة قيمة تحتوي تقريباً على خمسة عشر ألف عنوان مطبوع وعلى ثلاث مئة مخطوط.

مؤلفاته

لم تكن مؤلفات الشيخ «رحمه الله» مما يتناسب مع علمه الواسع وبذله الكبير وجهده في التحصيل والمطالعة والإقراء والتدريس، وقد يرجع ذلك إلى أمرين كبيرين:

أحدهما : ما نشأ عليه وما تلقاه من شيخوخه من عدم الاحتفاء بالتأليف تواضعاً واكتفاء بما وضعه العلماء الأقدمون؛ فإن الشيخ «رحمه الله» وشيوخه من أئمة الدعوة من المقلين في التأليف جداً؛ فإن الشيخ «رحمه الله»، وكأن لسان حاله وحالهم يقول: هل لدينا وقت كاف لنقرأ كل ما كتبوا أو نحيط ببعض ما دونوا.

ثانيهما : الانصراف التامّ للتعليم والتدريس، وقضاء حوائج الناس، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى أعماله الرسمية وعضويته، ورئاسته لكثير من المنظمات والمجامع والمجالس والهيئات، مما لا يدع له وقتاً للإنتاج المتناسب مع هذا العلم الغزير، والفهم العميق، ومع هذا فقد بارك الله في وقته فخلف من الآثار ما يبقى به الذكر ويمتد به النفع - إن شاء الله - من تحرير بعض المسائل والمشكلات

والنوازل الفقهية، أو التوجيهات من خلال وسائل الإعلام المتعددة، كما أنه له وقفات ومناقشات ومطارحات مع بعض أهل العلم في مسائل خلافية دونها في رسائل يرد فيها على بعض من اختلف معهم فيها، كما أن له فتاوى على نوعين:

الأول: فتاوى مكتوبة حررها بنفسه «رحمه الله» تمس المستجد في الوقائع النوازل، أو تحرير بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين المتقدمين فدلل فيها وعلل ثم رجَّح، ومن المطالعة فيها يتبين علم الشيخ «رحمه الله» ودقة فقهه، وعمق سبره لغور المسائل وفهم النصوص، ولعل الله أن ييسر نشرها قريباً فهي في طور الإعداد للطباعة إن شاء الله.

الثاني : فتاوى هي إجابات عن أسئلة السائلين إما من خلال دروسه في مواسم الحج والعمرة أو من خلال البرامج الإذاعية مثل نور على الدرب وبرنامج اسألوا أهل الذكر. وهذه متداولة بين الناس في أشرطة؛ وقد تم تفريغها ويجري تحريرها لعل الله أن ييسر نشرها. ومع ذلك فقد صدر له «رحمه الله» في حياته جملة من الرسائل والمؤلفات المختصرة والمقالات في الصحف والمجلات، وهذا إجمال لها:

١- إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل وقت نحره. (توضيح لمسألة حكم تقديم هدي التمتع قبل يوم النحر).

٢ - غاية المقصود في التنبيه على أوهام بن محمود. (تتعلق بحكم الأضحية عن الميت ووصول الثواب إلى الأموات).

٣ - تبيان الأدلة في إثبات الأهلة. (في حكم الأهلة واختلاف

المطالع بين البلدان).

٤ - الرسائل الحسان في نصائح الإخوان. (مجموعة مقالات توجيهية).
٥ - الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.
٦ - توجيهات إسلامية. (مجموعة مقالات توجيهية).
٧ - كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
٨ - هداية الناسك إلى أحكام المناسك.
٩ - دفاع عن الإسلام واشتراكية حرام. (في حكم الاشتراكية).
١٠ - الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
١١ - الاشتراكية في الإسلام.
١٢ - حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
١٣ - نقد نظام العمل والعمال.
١٤ - رسالة في حكم التلفزيون.
١٥ - فتاوى (مخطوطة - وهي تحت الإعداد للطبع).
١٦ - رسالة في التوحيد.
١٧ - تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتاً.

كتب طبعت بمشورته أو إشرافه أو تقديمه

١ - تنبيه الغافلين لابن النحاس[(١)].
٢ - المجموعة العلمية السعودية.

---

(١) هناك كتابان بهذا العنوان فقد ألف الواعظ المشهور والفقيه الحنفي ابو الليث السمرقندي رحمه الله كتاباً بهذا الأسم وهو المشهور لكن هذ الكتاب لا يخلو من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والقصص الخرافية التي تنافي العقل فضلاً عن الدين . حدثني الشيخ راشد بن حمد آل هملان ت ١٤٢٤هـ قائلاً كان الشيخ مبارك بن عبدالمحسن بن باز ت ١٣٨٥هـ «رحمه الله» قاضي الحريق آنذاك قد اطلق على كتاب ابن الليث السمرقندي «تغفيل المتبهين!!» لما فيه من الأحاديث الخرافية، أما الكتاب الثاني بنفس العنوان فهو الذي اشرف على طبعه الشيخ ابن حميد وقدّم له الشيخ صالح بن محمد اللحيدان وطبع على نفقة مريم العبدالعزيز الدعيج ولم يذكر تاريخ الطبع وهو لابن النحاس من علماء القرن الثامن وقد قتل شهيداً سنة ٨١٤ هـ رحمه الله وقد طبع الكتاب فيما بعد وطبعته رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعة كذلك غير محققة. وطبع كذلك طبعات أخرى تجاريّة

٣ - غاية الأماني في الرد على النبهاني.
٤ - معارج الألباب في مناهج الحق والصواب.
٥ - صيانة الألباب في مناهج الحق والصواب.
٦ - تهذيب الأثار للإمام ابن جرير الطبري.
٧ - منسك الإمام ابن تيميَّة.

مرضه ووفاته (١)

من طبيعة الشيخ «رحمه اللّٰه» أنه كان جلداً لا يشتكي ولا يتأوه، ويتحمل من الصبر مالا يتحمل غيره حتى كان يعتل العلل الشديدة ولا يكاد يبدو ذلك عليه أو يثنيه عن أعماله ومهامه، وقد عاش الشيخ «رحمه اللّٰه» ثلاثاً وسبعين عاماً. وأصيب في منتصف عام ١٤٠١هـ بمرض السرطان ورغب منه ولاة الأمر - يحفظهم اللّٰه - إليه في السفر إلى أمريكا مع أنه لم يخرج خارج البلاد طوال حياته قط فنزل على رغبتهم فسافر مرتين في مدة متقاربة، وقد كان على درجة من التحمل والصبر، وعدم الشكوى والأنين مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة ولكنه كان صابراً محتسباً، بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة، وكان يتابع أعماله الرسمية والبيتية بشكل عجيب؛ بل كان يهتبل الفرص لألقاء الكلمات التوجيهية والتذكيرية وبخاصة حينما يزوره كبار المسئولين؛ فإنه يذكرهم بمسئولياتهم ولا سيما فيما يتعلق بشأن الإسلام والتأكيد على الاستمساك بالعقيدة، وأن هذه البلاد لم تقم ولم يعزها اللّٰه إلاّ بالعقيدة. كل ذلك وهو يعاني ما

(١) حدثني الشيخ الفاضل محمد بن علي السبهيين سكرتير الشيخ ابن حميد بالمجلس قائلاً: عندما أكتشف الأطباء في الرياض أنه مصاب بالسرطان لم يخبروه ومضى على كذلك سنة وسافر إلى امريكا وبعدها أخبروه فكأنه غضب على الطبيب المرافق له في رحلة علاجه قائلاً له لماذا لم تخبرني بمرض أنا ولله الحمد مؤمن بقضاء الله وقدره واحتسب الأجر من عند الله عز وجل - رحمه الله.

يعاني من الآلام المبرحة، وحاله يقول:

(أنما أشكو بثي وحزني إلى الله)، حتى إن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده حتى قال أحدهم وهو أمريكي: إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل، إذ دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وبعد عيد الفطر عام ١٤٠٢ هـ اشتد عليه المرض، وهو صابر محتسب لا يظهر عليه شكوى ولا جزع، وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم ٢٠ذي القعدة من عام اثنتين وأربع مئة وألف هجرية في مستشفى الهدا في الطائف.

وصلي عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة وأخلفه في عقبه خيراً لقاء ما قدم لدينه وأمته وللعلم وأهله، وقد كان يوم وفاته يوماً مشهوداً ينطبق عليه قول الإمام أحمد «رحمه الله»: (موعدكم يوم الجنائز). كان فيه الأمراء والعلماء والوزراء والمسئولون وطلبة العلم ومحبو الشيخ من الخاصة والعامة. رحمه الله رحمه واسعة وأسكنه فسيح جناته.[1]

(١) مجلة الدارة - رواد في تاريخنا الحديث - عدد تذكاري بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية لعام ١٤١٩هـ / ٥ / شوال.

مكانة الشيخ ابن حميد العلمية ومدى تأثره بشيخه

بقلم: الشيخ / محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل

الشيخ ابن حميد هو بلا شك خليفة الشيخ محمد بن إبراهيم وراوية علمه. قال هذا كل من رآه أو جالسه أو أخذ عنه. نعم، لقد ترسم الشيخ ابن حميد خطى الشيخ محمد بن إبراهيم،؛ فقد رزقه الله عقلاً توزن به الجبال الرواسي، وسياسة ليس لها نظير، وحكمة جعلته محل احترام ومحل ثقة لدى الكبير والصغير، يمتاز بالأناة والروية، كثير الصمت إلاَّ فيما ينفع، حادّ الذكاء لا يمكن أن يخدع، يحتاط في كل ما يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغرّه الدعاوي.

رزقه الله بصيرة بحيث يعرف العالم من المتلبس، رزقه الله بصيرة نافذة يعرف الدعاة الحقيقيين الناصحين المخلصين بحيث يميزهم من أهل التمويه والخداع. لا يمكن أن يستغل؛ فهو كيِّس فطن، يزوره الكثير من أهل العلم وممن ينتسبون إلى جمعيات وأحزاب من الشرق والغرب ولكنه «رحمه الله» لا يؤيد التحزُّب ولا التفرُّق، بل يرى اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين وأنَّ الإسلام ليس فيه تحزُّب ولا تفرُّق، وهو بهذه النظرة البعيدة نال إعجاب المسلمين عامة، وثقة شعب المملكة وتقدير حكومة المملكة.

يحرص على توجيه الشباب ونصحهم بالتعقل والرزانة، فالشباب في الغالب تكون عندهم حدة وعجلة وعدم تفكير في العواقب مع حبهم للخير وحرصهم على الدعوة إلى الله، فكان «رحمه الله» يشجعهم، ولكنه ينصحهم بالتثبت والهدوء وعدم العجلة، ويحذِّرهم من التهوُّر، ويحثهم على الاستقامة والتأدب بآداب العلماء، وينصحهم بالتسلك بسلوك العلماء، وعلى ألاَّ يأخذوا العلم إلاَّ عن أهله المعروفين، وألاَّ يأخذوه عن المجاهيل.

وكان «رحمه الله» يكره الفتن ويكره إثارتها، ويجعل قاعدة «درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح» نصب عينيه.

ورزق الشيخ «رحمه الله» قوة الشخصية والهيبة والوقار.

أمَّا علمه فهو: فقيه لا يشق له غبار، فهو عالم من علماء الحنابلة، بل تفرد بالفقه الحنبلي فلم يكن في وقته أحد مثله في مذهب أحمد، فهو فقيه النفس، مطلع حافظ لفقه المذاهب الأربعة، مع تركيز على مقاصد التشريع وحكمته، فإذا ما سئل انحدر كالسيل، ينقل ما قاله السلف والخلف، وينص على الكتب التي ينقل منها، مع ذكره ما اختاره أو يميل إليه من الأقوال. وإن تكلم في النحو فهو سيبويه. وإن تكلم في الحديث فليس على طريقة الرواة، بل يُعَدّ من محدِّثي الفقهاء. وإن تكلم في التفسير والتاريخ فليس له نظير، يملك عليك سمعك وبصرك مع حل المعضلات والفصل في المسائل والمشكلات، يقصد بالأسئلة من كل مكان فيجيب عليها إجابات سديدة.

أمَّا تأثره بشيخه رحمهم الله واضح مثل الشمس في رابعة النهار ويتبين في :

١ - رزانته وثقله وهدوءه وثباته.
٢ - عقليته التي توزن بها الجبال الرواسي.
٣ - قوة شخصيته جعلت له هيبة في القلوب.
٤ حدة فراسته حيث إنه لم يعرف أنه خدع.
٥ - احترامه للسلف الصالح وتقديره للأئمة الأربعة وكراهة الخروج عليهم.
٦ - تمكنه من مذهب الإمام أحمد حيث لم يعرف له نظير.
٧ - كراهته للفتوى والتعجل فيها.
٨ - تركه ما كان على ما كان وكراهيته للتغيير والتبديل بحيث يكره الخروج عن منهج الفقهاء وسلف الأمة.
٩ - لا يحب أن ينفرد بالرأي.
١٠- لا يحب أن ينسب إليه قول يخالف السلف. وهذه كلها تدل على روعه وفقهه.
١١- يجتهد في نطاق ضيق إذا ما دعت الضرورة والحاجة.
١٢- يحرص على ربط الناس بمنهج سلفهم وتعريفهم بهم.
١٣- شديد على المتهاونين بالفتوى.
١٤- عنده غيرة وغضبة لله وفي الله إذا ما رأى الحرمات تنتهك.
١٥- يتتبع الكاتبين المؤلفين المحدِّثين ويتصدى للرد عليهم إذا ما انحرفوا عن جادة الصواب.
١٦- لا يجامل ولا يحابي ولا يداري في إنكار المنكر، ولكن مع حكمة واتزان، بحيث لا يفقد توازنه، فالمتتبع له في كتبه التي ألفها يعرف مدى قدرته وإطلاعه وسعة أفقه:

أ - ففي رده على ابن محمود بكتاب: «غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود» سلك مسلكاً أميناً وبين مشروعية الأضحية وما قاله السلف والخلف مع إحالته إلى المراجع والمصادر بحيث لا يبقى مجال لمتشكك أو مشكك به، واثبت في هذا الكتاب تمكنه من الاستدلال ورد الشبه وتزييفها.

ب - وبرده على صاحب «يسر الإسلام» حيث أجاز ذبح الهدي قبل وقته، فقد رد عليه ابن حميد، وبيَّن خطأه، وأنَّ الخير في اتباع الرسول ﷺ وأنه لم يهد إلاَّ يوم العيد وأنه قال: «خذوا عني مناسككم» وأظن أنَّ صاحب اليسر رجع عن فتواه تلك[1].

ج - رسالته في الذبائح والصيد، بين فيه زلة قدم من أجاز ذبائح الكفار على الإطلاق، وزلة قدم من أجاز ذبائح الشيوعيين.

د - كتابه «هداية الناسك في أحكام المناسك» مناسك الحج، كتاب شامل كامل في أحكام الحج وحكمه وأسراره، فصار الضالة المنشودة والجوهرة المفقودة، سلك فيه مسلك أهل التحقيق والتوثيق.

ومؤلفاته ورسائله كثيرة وهي مذكورة في آخر ترجمته

زرته حنيما كان في الإشراف على الحرمين - وقد عرَّفني به الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش رحمهم الله -، فلما زرته أعجبت بشخصيته وأعطاني كتابين: الأول : «كشاف القناع عن متن الإقناع»، والثاني :

(١) هو الشيخ عبدالله بن منيع وقد اطلعت على هذه الرسالة، وقد سألت الشيخ العالم الفقيه محمد بن عثمين «رحمه الله» في حج عام ١٤٠٤هـ هل يجوز ذبح هدى التمتع قبل يوم النحر؟ فقال لا يجوز واستدرك قائلاً «رحمه الله» لأنه لم يفعله الصحابة.

«المحرر» في الفقه. وبعدها توثقت صلتي به، فكنت أسترشد به وأرجع إليه فيما يشكل عليَّ، فأرى عنده ما ليس عند معاصريه، فهو بلا شكّ خاتمة محققي الحنابلة ومن كبار علماء الإسلام، فيأتونه بالمسائل العويصات في موسم الحج من مصر والشام والهند واليمن فيجيب إجابات موفّقة مسدّدة فلقد ألانَ الله له الفقه كما ألانَ لنبيه داوود عليه السلام الحديد.[1]



(١) الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية.

الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد

بقلم الأديب: عبدالله بن سالم الحميد [1]

تستيقظُ الذاكرةُ على أصوات نابضة في آفاق الوجود كان لحضورها نكهةٌ وبُعدٌ وإضافة، وفي غيابها تَتشكّلُ أطيافُ ذلك الحضور الأثير.

قسماتٌ وبصماتٌ وشواهد تبقى في صفحاتِ الوُجدان وأنسجة الذاكرة تستدعي وتستقطبُ الحضور.

العلماء، الحكماء، المفكّرون يغرسون شجرَ الوفاء والعطاء فتظلُّ ثمارهُ يانعةً يجني قطافَها الآخرون. ويشكِّل حضورهُم في الحياة إضاءاتٍ مشرقةً تُسهمُ في تنمية الوعْي والمعرفة والإصلاح والبناء. قال رسول الله ﷺ: «العَلماءُ ورثةُ الأنبيَاء».

وفي حضرة العلماء تتألقُ تجلّياتُ الحكمة والعلم والوفاء والوقار مسكونةً بالنُّبلِ والإيثار والإتقانَ متوزعة في حركة متجددة دائبة لخدمة العلم والتنمية والأخلاقِ والارتقاء باهتمامات النّاسٌ إلى ما يحققُ مصَالحهم ويرتقي بتوجُّهاتهم. علم من أعلامِ الفقْهِ والفَتوى والقضاء.

---

(١) أديب وشاعر وكاتب شارك بقلمه النثري والشعري في صحف ودوريات المملكة ولا يزال يعطي من انتاجه الأدبي والثقافي الشيء الكثير تخرّج من كلية الشريعة عام ١٣٩٣هـ ويعمل مديراً لإدارة الخدمات بإمارة منطقة الرياض. وله مشاركة في اذاعة الرياض بإعداد وتقديم بعض البرامج الثقافية وهو رجل يتسم بالهدوء والأناة في كلامه، وهو من الأصدقاء الذين نعتز بصداقتهم ورفقتهم له مجموعة من المؤلفات منها (شخصيات الذاكرة) طبع طبعتان (وشعراء من الجزيرة العربية) جزائين - وغيرها من المؤلفات وفقهه الله. له ترجمة بقلمه في باطن غلاف كتابه شخصيات في الذاكرة. وترجمة في معجم المؤرخين السعوديين لعبد الكريم الحقيل.

نبغَ في العلوم الشرعية، وتفقّه في الدّين لدى نُخبَةٍ من علماء الشريعة والفقهاء في عصرِه حتّى تأهَّل وبرزَ فيها.

تولّى التدريسَ في المسجدِ الحرام، وتولّى رئاسةً الإشراف الديني بالحرمِ المكّي الشريف.

اشْتركَ في عدد من اللقاءات والندوات الإسلامية.

وتدرّجَ في مناصب القضاء حتّى وصَلَ إلى منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء. إنّه العلاّمة الفذ فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

ولألقاء الضوء على شخصية الشيخ عبدالله بن حميد يتحدث الشيخ إسماعيل بن عتيق:[1].

(الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد العالم العلامة البحر المتلاطم حبر الجيل وعالم التأويل، أخذت بمشورة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وتوجهت إلى بريده قاصداً الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وكان إذ ذاك رئيس محكمة بريده وما يتبعها من القرى عدا مدينة عنيزه استقبلني الشيخ عبدالله استقبال الأستاذ لأبنائه وتلاميذه وشجعني على البقاء في بريده والانتظام في سلك الدراسة في معهدها العلمي مع ملازمة دروس المساجد في الفجر والمساء، وكان ما كان من قدرة الله وتدبيره أن أمضيت في القصيم ثلاث سنوات من ١٣٧٦هـ إلى ١٣٧٩هـ وكان من أبرز مشايخي فيها عالمنا الجليل الشيخ عبدالله فقد رتبت عليه بعد صلاة الفجر مع جملة من الأخوان متن الآجرومية، ثم يليها ملحة الإعراب، وبعد الانتهاء منها متن القطر ثم بدأنا بالألفيَّة لكنني لم

(١) الجزيرة، الجمعة ١٢/٨/١٤١٨هـ العدد ٩٢٠٧

أكملها معهم كما كنا نقرأ عليه بعد الفجر كتاباً في العقيدة وقد أنهينا عقيدة السفاريني كما أنهينا عليه متن الطحاوية ثم العقيدة الواسطية، أما بعد المغرب فندرس «الفرائض» وهو مستمر في كل ليلة بعد كل مغرب، كما قرأت عليه في المكتبة شرح مسائل الجاهلية للإمام الألوسي، المتن لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب واشتركت في قراءة متن زاد المستنقع حفظاً مع قراءة شرح الروض المربع وذلك في ضحى كل يوم في الأشهر التي تغلق فيها المعاهد. كنت أبقى في بريده زمن التعطيل والاجازة الصيفية مرابطاً وملازماً للعلماء فيها، أما وصف شيخنا فلا يلم بتبيانه البيان وهو العالم الأجل العبقري، لم تشهد الجزيرة إلا النادر من أمثاله في ذكائه ونبوغه وفطنته وفهمه. كان رحمه الله - يداعب تلاميذه ومحبيه وقد يتنازل في تعبيره إلى أقل المستويات للتفهيم وإيضاح المراد. من مداعبته «رحمه الله» أن قال لشيخ كبير السن - وهو يحمل سراجاً في صلاة العشاء والفجر لإنارة طريقه - قال له: لو حملت معك بدلاً من السراج كشاف البطارية اليدوي، فرد عليه: لا أريده لأنني لا أحبه. ان الشباب يحملونه أما أنا فأحب سراجي فقال الشيخ: هذا السراج من النار والقاز وربما يقترب من ثوبك فيحرقه وفي المسجد إن وضعته أمامك مكروه وإن وضعته خلفك لعب فيه الأطفال وربما اطفؤوه أما هذه البطارية فيمكنك أن تضعها في جيبك عند دخولك المسجد وعند الخروج تضيء لك الطريق، ومع هذا فإن الشيخ العجوز لم يقتنع بهذا الإيضاح والتبيين لمصلحة الإضاءة بالبطارية. بقي «رحمه الله» في القصيم قرابة ١٨ عاماً تخرج على يده خلالها الكثير من الطلبة البارزين وكان جل أوقاته في التدريس في المسجد والمكتبة بعد الفجر، وبعد الظهر وبعد المغرب وفي الضحى بعد أن ترك القضاء.عليه من الله شآبيب الرحمة والمغفرة والرضوان جزاه

الله عنا أحسن الجزاء).

أما الأديب : محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي فيتحدث عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله» من خلال مرافقته له في العمل وفي رحلة الحياة[1].

يعتبر شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله» وجزاه عنا خيراً من العلماء الأفذاذ المعروفين في المملكة العربية السعودية وقد تميز «رحمه الله» بميزات عديدة:

أوّلها وأهمُّها: حِرْصُه على تكثيف ثقافة علمية واسعة، فلم يكن يقتصر في التدريس على الفنون التي كان العلماء في ذلك الوقت يقتصرون عليها مثل علم الفقه والعقيدة فقط، بل كان يجعلهم يتبحرون في دراسة هذه العلوم ولكنه إلى ذلك يعلمهم أيضاً النحو والصرف والفرائض وحتى العروض، كان «رحمه الله» يحب أن يبحث فيه وأن يتعلم، ويعلم طلابه هذا العلم الذي يعتبر نادراً في ذلك الوقت.

وكانت له طريقة خاصة في البحث، وذلك أنه أول شخص أعرفه من العلماء الكبار كان يحرص على أن يحضر المرجع العلمي الذي يتناول المسألة التي تبحث، يحضره في حلقة الدروس ويمرن به الطلبة على استخراج المسألة من المرجع الذي أحضره. كانت دروسه على وجه الإجمال في الجامع الكبير في بريده وكانت في الجامع مكتبة لا بأس بالعدد الذي فيها من الكتب النفيسة، ولكن العدد ليس كبيراً بمستوى ما تعارفنا عليه الآن فكان يطلب إحضار المرجع من المكتبة إلى حلقة الدروس ويبحث أمام الطلبة هذه المسألة ويُربيِّهم على استخراج المسائل

(١) حديث الشيخ محمد بن ناصر العبودي، المسجل بالهاتف يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٩/١/٩هـ تسجيل البرازي، من إذاعة الرياض.

من المراجع. ولذلك تعلمنا عليه كيفية البحث وكيفية عدم ارجاء الموضوع الذي يستحق البحث إلى زمن لاحق لأنه كثيراً ما يتأخر البحث، وربما تفوت الفائدة منه إذا تأخر البحث فيه.

كان «رحمه الله» يشجع النابهين من الطلاب وكان يعلن ذلك لهم وللناس. أذكر أن أحدَ الطلبة من الذين كانوا يدرسون عليه وكنا ندرس معهم مع ذلك الشخص كنا ندرس ألفية ابن مالك ففرضت في الدرس مسألة عويصة تحتاج إلى بحث فالشيخ «رحمه الله» طلب من أحد الطلبة أن يبحث هذه المسألة بمعنى أن يبين للشيخ كيف نحل هذه المسألة وكيف نهتدي إلى الصواب فيها، فعجز واحد، وطلب آخر لم يستطع أن يعرف المسألة والشيخ كان يكلمهم واحداً واحداً، فالثالث حلها بسهولة وبوضوح، وقال له الشيخ امام الطلبة أنت ذكي يا فلان لأن النحو يحتاج إلى ذكاء ولا نعرف شخصاً متميزاً في النحو إلا وهو ذكي.

ويضيف تلميذه الشيخ محمد بن ناصر العبودي:

مما أعرفه عن شيخنا الجليل جزاه الله عنا خيراً معرفته معرفةً عجيبة بالناس ولو مضت على آخر محادثة له معهم سنين.

أذكر أني حضرت عنده في عيد الفطر فكان الناس من أهل بريده وما حولها يزدحمون على بابه للسلام عليه. وكل من سلم عليه رد عليه ويقول: كيف حالك يا فلان. علماً بأن بصره لا يساعده على ذلك ولكن بصيرته كانت مفتوحة وذاكرته كانت قوية.

ثم من مزايا شيخنا «رحمه الله» أنه يربي طلبة العلم الذين يدرسون عليه تربية كاملة، أو تستطيع أن تقول إنها كاملة بمعنى أنها لا تقتصر على تحصيل المعلومات. فقد كان بعض العلماء قبل وقته يقيسون العلم

والتعليم بالمعلومات فقط، ولكنه «رحمه الله» كان لا يقتصر على ذلك، وإنما كانت عنايته بطلبته تشمل ما ينبغي أن يكون عليه طلب العلم في حالاته وسلوكه وفي معاملته للناس، وأذكر «رحمه الله» أنه كان يرشدني حتى إلى طريقة الحديث مع الناس، بمعنى أن الإنسان إذا كان في مجلس علم ينبغي أن يتحدث، ليس كما يتحدث إذا كان في مجلس عوام، أو كان في مجلس ليس فيه كلفة، إلى آخره. ومن مزايا شيخنا الجليل - رحمه الله - وجزاه عنّا خيراً - أخذه بالحكمة التي هي قاعدة أصولية وتقول: إن الحكم يدور مع علّته وجوداً وعدماً فكثيرمن العلماء يأخذون بالشيء أخذاً حرفياً، بمعنى أنهم يعتقدون أن المصلحة في الأخذ بذلك الشيء دون النظر إلى الظروف المحيطة به، وهذه الظروف مثل ما ورد من بعض العلماء وهذه قاعدة أصولية ثانية وهو أن دفع المضار مقدم على جلب المصالح، بمعنى أننا إذ رأينا أمراً مّا يتعلق بتحصيل مصلحة ولكن إذا يترتب عليه مفسدة أكبر من تحصيل المصلحة فإننا نتركه لهذا السبب.

وكان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد يتمتع بذاكرة واعية في الحفظ والاستيعاب والدقة، وكان يتصدّرُ للفتوى بعد الانتهاء من إلقاء دروسه الفقهيةَ في المسجد الحرام ويجيبُ على تساؤلات طلبة العلم وَالمستمعين مورداً الأدلةَ والتفصيلات والأمثلةَ المقنعة وكان فضيلتُه «رحمه الله» أحد العلماء المهمين في الفتوى والإجَابةِ على أسئلة المستمعين في البرنامج الإذاعي (نورٌ على الدرب) وكانت له طريقتهُ الحكيمةُ وأسلوبه المميّز في الإجابةِ حيثُ يعيدُ اسْمَ السائل وسؤالَه ثم يجيبُ على السؤال مع بيانِ الدّليل.

نمــوذج

يقول في إحدى إجاباته على أحد المستمعين:[1]

(يا أخ محمد عيضه النّجراني من مكة : تقول: ما هي حدود السترة؟ المصلي إذ قدّم أمامه شيئاً يعتقد أنه سترة فإن ذلك كاف، حتى لو وضع خيطاً أمامه على أنه سترة له أو وضع نعليه على أنَّها سترة له أو عصا على أنَّها سترة له، كلُّ ذلك لا بأس به وكاف في السترة إلاّ أنّ الأولى أن تدنو إلى الجدار أو إلى سارية من سواري المسجد تكون سترةً لك، هذا هو الأولى، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : «ليستترْ أحدُكم ولو بسهم» وفي الحديث «لو بمثل مؤخرة الرحل»، وقدّرها العلماء بمقدار نحو ثلث ذراع.)

في كتاب بعنوان (قادةُ الفكر الإسلامي) تناول الأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد نماذج من العلماءِ والفقهاء منهم الشيخ عبدالله بن حميد فقال عنه:

(تولّى الشيخُ ابنُ حميد عدة مناصبَ دينيّة على جانب كبير من الأهمية، ففي شهر المحرّم من عام ١٣٥١ هـ[2] عينه الملك عبدالعزيز آل سعود «رحمه الله» وأجزلَ مثوبتَه قاضياً في الرياض، ثم اختاره جلالةُ الملك عبدالعزيز في عام ١٣٦٠هـ ليكون قاضياً بمقاطعة سدير، ثم في عام ١٣٦٣هـ نُقِلَ إلى قضاء مقاطعة القصيم واستمرَّ بها حتّى طلب الإعفاءَ من منصب القضاء والإحالة إلى التقاعد في أخر عام ١٣٧٧هـ وكان قد انتدَبهُ عام ١٣٧٢هـ جَلالةُ الملك عبدالعزيز للنظر في بعض

(١) مقطع من برنامج «نور على الدرب» من حلقات عام ١٤٠٠هـ بصوت الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله.
(٢) عينه عام ١٣٥٧هـ .

القضايا المختلفة في كلٍّ من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة).

أعمالُ الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» ومسئوليته في القضاء والدعوة والإفتاء لم تمكّنْهُ من التفرُّغ للتّأليف، ولذلك لم يصدرْ له غيرُ مجموعة من الرسائل الفقهيّة القصيرة منها (هدايةُ النّاسك إلى أهمِّ المناسك) وتحقيقُه ومراجعتُه لكتاب (المجموعةُ العلمّيةُ السعودية من دُررِ علماء السلف الصّالح)[1] الذي يتناولُ مجموعة تضمُّ جُملةٌ من عقائدِ السلف الصالح ألّفها عددٌ من أهل التحقيق والتدقيق من علماء السلف منهم الإمام محمد بن جرير الطبري، والطَّحاوي والإمام أحمد بن تيميَّة.

والأستاذ الدكتور ناصر بن سعد الرشيد أحد العارفين للشيخ ابن حميد من حيث التجربة والتعامل الأكاديمي. يقول عن هذا الجانب وعن دروس سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في الإتقان الفقهي المتمكن:

إن للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله تعالى» شأنه في ذلك شأن كثيرمن علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله تعالى»، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز قبولاً لا يدانيه قبول لما عرف عنه من علم وصلاح ومناصرة للحق ومجاهدة للباطل والبدعة.

لا أريد أن أعدد جوانب الشيخ فهي كثيرة بيد أني سأذكر بإيجاز اثنتين من هذه الذكريات التي لا تزال عالقة بذهني ومنها:

(١) كتاب (المجموعة العلمية السعودية).

أولاً: تعلّقت صلةُ الشيخ عبدالله «رحمه الله تعالى» بكلية الشريعة بمكة المكرمة في الفترة التي كنت واحداً من أساتذتها واتضحت هذه الصلة بدعوة الكلية للشيخ «رحمه الله» أن يكون مناقشاً خارجياً للرسائل العلمية لمادة الفقه وكنا نتعجّب لمنهج الشيخ في المناقشة ودقته وحرصه على انضباط العبارة وأسرها. وهو لم يتعلم هذه المناهج في أي جامعة لكنه الفقه بمعنَيَيْه العلمي والفهم الذي كان يتحلي به الشيخ، وقد لا يعرف كثير من الناس أن الشيخ «رحمه الله» كان أحد المناقشين لأول رسالة دكتوراه تُمنح في المملكة العربية السعودية في كلية الشريعة بمكة المكرمة.

ثانياً: عندما زرته في آخر أيامه في مستشفى القوات المسلحة في الهدا بالطائف وقد بدا «رحمه الله» شاحباً ناحلاً ضعيف الجسم والحركة، فكان أول ما سألني ما أخبار (تهذيب الآثار) وكان هذا الكتاب الضخم لابن جرير الطبري وكان قد أسند إليّ من قبل الشيخ مهمة تحقيقه بعد أن تبناه مجلس القضاء برئاسته «رحمه الله تعالى» فلما طمأنته بأن العمل في هذا الكتاب يسير على ما يرام سُرّي عنه وذكرني هذا السؤال من الشيخ بموقف البيروني وهو يحتضر حينما سأل أحد عائديه عن مسألة رياضيّة فقال له العائد: أتسأل عن هذه المسألة وأنت في هذه الحالة، وماذا ينفعك العلم بها؟ فأجابه البيروني: لأن أخرج من هذه الدنيا عالماً بها خير من أن أخرج جاهلاً بها.

ولقد هزني نبأ وفاته وصلينا عليه في مكة المكرمة في يوم قائظ شديد الحرارة ورثيته بهذه القصيدة:

مـــا عليكُنَّ يا ذوات الحــــجـــالِ ... أن تذرفن الدمــــوعَ في إجـــلال
أو فكفكفن من دمـــوع العـــذارى ... ثمَّ دعْن البكاء للأطفـــــال
فبكاء الرجال في محكم الخطب ... حـــريٌّ به مـــآقي الرجـــال
رحل الشـيـخ بعـد طول جـهـادٍ ... أتعب الخيل والعدا في القتـال
فـقـده لا أرى فـيـه فـقـد فـرد ... أنه فــقـــد أمـــة في النّضـــال
إن فــقـــد الشـــيـــوخ منّا لرزءٌ ... ليس فـــقـــد الرعـــاع والأذيال
كان في الحفظ والذكاء فريداً ... وهو في الفقه مضرب الأمثال
كـــان يفي بما يراه اتبـــاعـــاً ... بفـعـــال الرسـول في كل حـال
وإذا مـــا دُعـــاةُ ســـوء أتوْنا ... بنعـــيق الضّـــلال والضُّـــلالِ
قام يدعو لله في السرّ والجهر.. ... قـــويّاً بلوْمـــهم، لا يبـــالي
لا يداري بعلمــــــه أو يماري ... نصرة الحق قصدُه لا التّعالي
أنت فينا البصير في ظلم الشك ... ونعم الخـــبــــيـــر في الأهوال
نحن عُـــمْيٌ كم قُـــدْتنا بأمـــانٍ ... لصُـــوى النبع بارداً كـــالزلال
وإذا ما الهجير ألهب في النفس ... ســـمـــومـــاً أخـــذْتنا للظلال
سوف أرثي بك العلوم جميعاً ... أنت منها الدار أنت منها العوالي
مـوتة الشيخ ثغرة في حـمـانا ... وحـــمـــا الدين والدُّنا والمعـــالي
نحن في عـــالمٍ يموجُ ســـعـــيـــراً ... وظلام الشكوك مـــثل الجـــبـــال
فـــهنيـــئـــاً بشـــدِّك الرحل عنا ... ســـوف نعـيا غـداً بشـد الرحـال

الخاتمة

ونختم قراءتنا لشخصية الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» بشهادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي ولفتته المهمة عنه، التي يقول فيها:

(الشيخ «رحمه الله» من الشخصيات النادرة الباقية في الذاكرة، ولكن الذاكرة كثيراً ما تُستر أو تبيد في بعض الأحيان بفعل المعلومات الجديدة التي تردُ على الذاكرة فتوثّر على الأشياء الموجودة فيها، إنّما الشيخ - رحمه الله - باقٍ في ذاكرة تلامذته، وهو باق أيضاً في الصكوك والأوراق والوثائق التي خلّفها، وهي كثيرةٌ بحيث لو جُمعت لكانت مجلّدات، وطال ما راودتني فكرة القادرين على جمعها بأن يجمعوها حتى يستفيد منها القضاة ويستفيد الباحثون من الناحية العلمية ومن الناحية اللُّغوية والاجتماعية، لأنها تبيّن كيف يتعامل الناس وكيف كانوا يتخاطبون، ومزايا شيخنا «رحمه الله» وصفاته عديدة، وأعتقد أنه يجب أن تؤلَّف في سيرته المؤلفات، وقد عزمتُ - مع اعترافي بالضعف - على تأليف كتاب يتضمن ما أعرفه عنه وربما يسمّى (الشيخ عبدالله ابن حميد - كما عرفته).

ونأمل أن يصدر كتاب الشيخ محمد العبودي قريباً لتسليط الأضواء على جوانب لم نعرفها عن ابن حميد «رحمه الله»[1].



(١) شخصيات في الذاكرة.

الشيخ ابن حميد عرف بالقوة ونصاعة الرأي

بقلم: إسماعيل بن سعد بن عتيق

العلامة سماحة الشيخ عبدالله بن محمَّد بن حميد «رحمه الله» يتميز بالفهم لدقائق الأحكام الفقهية وما ركب في طبعه من الحزم والجزم، وإدراك أغوار الرجال، فقد عرف بالقوة ونصاعة الرأى وتقييم الرجال، بينما تميز زميله الأول بالبساطة وحسن العشرة مع حسن الظن واللطف والشفقة والرحمة، مع تضلعه في علم الحديث ومعرفة أحوال العالم الإسلامي. فأنَّ وجود الاثنين في ساحة العمل يكمل أحدهما الآخر، وذلك أنَّ طبيعة عمل كل واحد منهما يتفق مع جبلته وفطرته، وكلاهما من مدرسة العلامة الشيخ محمَّد بن إبراهيم، مع أنهما قد أخذا عن غيره كالشيخ سعد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبدالعزيز، والشيخ حمد بن فارس رحمهم الله...

والشيخ عبدالله بن محمَّد بن حميد: يعتبر من أخص تلامذة الشيخ محمَّد، وقد عينَّه في القضاء في سنِّه المبكر في الرياض، ثم المجمعة، وكان الشيخ عبدالله له مواقف صلبة وقوية وشجاعة، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ الأحكام الشرعية، وكان يطمح أن تكون محاكم القصيم تابعة له استقلالاً في بريده، إلاَّ أنَّ سماحة الشيخ محمَّد رئيس القضاة يرى ربط المحاكم برئاسة القضاء، تراجع نائب الرئيس وهو إذ ذاك

الشيخ عبدالعزيز بن محمَّد بن إبراهيم ومن هنا حصل الاختلاف، وتقدم الشيخ ابن حميد بالاستقالة عن أعمال القضاء وبقى في التدريس إلى أن رشح رئيساً للإشراف على الحرمين مكة والمدينة. [1]



(١) تاريخ من لا ينساه التاريخ / للشيخ إسماعيل العتيق. وقد أخذت مقاطع من هذا الكتاب.

الشيخ ابن حميد ومعرفتي به

بقلم: الأستاذ والباحث / منصور محمد البسام

هذا ما أعرفه عن الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» فهو رجل نحيف الجسم طويل اللحية بيضاء قليلة متوسط القامة متوسط الطول حينما كان الوالد يدرس في الحرم كنت أحياناً أذهب معه وأنا صغير لسلام عليه في مكان أمام المكبريَّة ويقول له الوالد هذا الأبن منصور فيسلم عليَّ ويقبل راسي [1] «رحمه الله» ويدعو لي.

ومن المواقف التي معه ذهبت إليه وهو في المستشفى في آخر حياته وسلمت عليه ولم اعرفه بنفسي وقال أهلاً بالأخ منصور بن محمد البسام فعجبت لذلك لقوة الذاكرة لديه وهذا والله لا يستغرب عليه إلا اني اسمع له الفتاوى في المذياع يعيد السؤال كما هو.. أما من ناحية علمه فهو يحفظ جميع المتون العلمية ولكنه «رحمه الله» لا يخرج عن المذهب ولكن الغريب في الأمر أنه خرج مرة عن المذهب حيث حصل قصة مع رجل لا يحضرني اسمه من أهل الرياض، كنت اصلي مع الوالد يوم الجمعة في الحرم فقام الرجل يصلي العصر أي يجمع معها قال له الوالد لا يجوز الجمع مع الجمعة فامتثل الرجل ثم بعد مدة أتى الرجل وقال أني سألت الشيخ ابن حميد وقال يجمع معها قال قل له يقول فلان أي الوالد ليس عندك دليل على ذلك، ثم بعد وقت جاء الرجل وقال يقول ابن حميد أن أحد علماء الشافعية يقول تجمع العصر مع الجمعة

---

(١) هذا من الشيخ احتفاء بصغار السن رحمه الله.

❖ لم تكن لحية بن حميد طويلة بل قد تكون إلى القصر اقرب منها متوسطة الطول والقصر الأقرب.

والمسألة في شرح المنهاج فتعجب الوالد من ذلك وقال عجباً للشيخ ابن حميد يخرج عن المذهب حيث يعرفه الوالد أنه لا يخرج عن المذهب قيد شعرة ثم بحث الوالد في هذا الموضوع ووجد ذلك عند ابن تُج وهو من أصحاب الشافعية لا يحتج به(١) أما علمه في المذهب فهو قوي جداً شديد الحفظ، ومع ذلك كان «رحمه الله» يقدر الوالد غاية التقدير ويجله(٢).

اسأل الله تعالى أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته وأن يجمعنا به في مستقر رحمته.

---

(١) المسألة خلافيَّة بين أهل العلم وليس هناك دليل صحيح صريح يمنع الجمع بعد صلاة الجمعة لكن الأولى أن لا يجمع الإنسان إلا إذا كان سيسافر بعد الجمعة مباشرة. كما سمعت ذلك من سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عندما سئل في الحرم المكي في درسه فاجاب بانه يجوز لكن إذا كان سيسافر مباشرة بعد الجمعة - وقال شيخنا المحدث الفقيه محمد عيد عباسي عندما طرحت عليه هذه المسألة أجابني بأن احاديث الجمع عامة لم تفرق بين جمعة ولا غيرها وخصوصاً حديث ابن عباس الذي في صحيح مسلم الذي هو عمدة الأحاديث في جمع الصلاة لأجل العذر والسفر من الأعذار المبيحة للجمع سواء تقديم أو تأخير.

(٢) الوالد هو الشيخ محمد بن سليمان البسام أحد تلامذة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي المقربين ومن أخص تلامذته ولد سنة ١٣٣٤هـ واستقر في مكة ودرّس بالمسجد الحرام ما يقارب أكثر من عشرين سنة وأخيراً نقل دروسه في منزله وله عدة مؤلفات أكثرها مطبوع وبرز الشيخ في علمي الفرائض والنحو. والأستاذ منصور هو المشرف على كتب ومؤلفات والده جزاه الله خيراً وقد أرسل ليَّ هذا المقال بعدما طلبت منه ان يشارك بقلمه في هذا الكتاب وفقه الله وختم لوالده بخير. والشيخ محمد له عناية خاصة ودقيقة بمؤلفات شيخه عبدالرحمن السعدي وقد اشرف على بعضها مثل تنبيهات الشيخ عبدالرحمن علي الواسطيَّة وله رسالة قيِّمة وهي ملاحظات على النجار العالم الازهري الذي صحح طبعة تفسير ابن سعدي. وله مؤلفات مفيدة محررة في الفقه والعقيدة والفرائض وهو بلا شك عالم مغمور وزاهد رشح للقضاء فكان يفر منه، لم يتول أي منصب حكومي، طلب منه الشيخ عبدالله بن حميد التدريس رسمياً في معهد الحرم المكي فلم يرغب بل أستمر في تدريسه في الحرم المكي متبرعاً عند باب العمرة من عام ١٣٦٧هـ حتى عام ١٤٠٤هـ ثم نقل درسه بالمسجد الذي بجوار منزله ثم بمنزله أخذ العلم عنه الكثيرون في عنيزه ومكة ومن أشهرهم في عنيزه الشيخ العالم محمد بن عثيمين رحمه الله وتلاميذه في مكة يبلغون العشرات من المقيمين والمجاورين ومن أهالي منطقة مكة وقرأت عليه متوناً كثيرة في الفقه والتوحيد والنحو يمتاز حفظه الله بالدقة في المعلومة وتبسيط المسائل بهدف إيصالها إلى ذهن التلميذ وأستيعابها فكان حسن التعليم وقد تأثر بشيخه الأول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله وأكتسب منه الأخلاق والعلم والطريقة الفذة في فن التدريس ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة تربو على العشرين كتاباً وله حاشية نفيسة على الروض المربع سوف تُطبع قريباً، كما أخبرني أبنه الباحث الشيخ منصور البسام وفقه الله.

أنا والأغاني والشيخ ابن حميد!

يبرحها: الشيخ عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[1]

كنت دعوت شيخي سماحة الشيخ عبدالله بن حميد بمنزلي في غبيراء.

وكان ذلك ليلاً، وكان ذلك قبيل وفاته بثلاث سنوات تقريباً.

وكان «رحمه الله» يأنس لي ويباسطني، وكنت أفضي إليه بما عندي مما قد أتهيب أو استحي من الإفضاء به إلى غيره.

وكان مع هذا عظيم التأثير عليَّ.

وقد أرجف بي من أرجف - ما بين شامت بي، وما بين مشفق عليّ - لما أظهرت التسمح في شأن الأغاني.

وكان يخبرني بأن الأمر لا يستحق أن يستعدي عليّ مستعد عنده، وكان يقول لهم: أبو عبدالرحمن أبننا ونتفاهم معه.

---

(١) اصدر الأستاذ محمد أمين سيدو بلوجرافيا عن المقالات التي كتبها ابو عقيل أو ما كتب عنه في صحف ومجلات المملكة وعنوان الكتاب شيخ الكتبه أبو عقيل الظاهري. وابو عقيل الظاهري موسوعة علميّة متنقلة فهو يقرأ كل شيء في الأدب العربي والغربي المترجم وبهذا تكونت لديه خزانة هائلة من قراءاته المتنوعة مع تدقيق وتمحيص وتحليل. كتب مئات المقالات في الصحف السيارة والشهرية والفصلية ويرأس تحرير مجلة (الدرعية) ذات الطابع التاريخي بشئون تاريخ الجزيرة العربية، وقد خصص يوماً من أيام الأسبوع يوماً بدارته العامرة بعد صلاة العشاء، يجتمع باصدقائه ومحبيه وطالبي الأدب والمعرفة لم أحظى بالجلوس معه والنهل من ادبه ومعرفته لكنني أقرأ مؤلفاته ومقالاته ذات الطابع التاريخي التراثي وما يتعلق بالأدب الشعبي متعه الله بالصحة والعافية.

وكان يقول لي - فيما يقول: - إن كان عندك حجة على إباحة واقع الأغاني الراهن في البلاد العربية فأخبرنا ومنك نستفيد.

وكنت ألُوذ بالحياء والزهد في علمي وفي نفسي.

وكان يقول لي : إذا كان شيخك ابن حزم يقول - كما تذكر أنت، وترك سماعه أفضل، فلماذا تنصب نفسك داعية إلى المفضول على أحسن الاحتمالات!!

وكان يقول ذلك على سبيل المداعبة. ولكن وقع السياط أرحم، وقد كانت مداعباته وسيلة تربوية أفدت منها، وكان بساط مشايخي جنتي لأنني استرحت فيه لسماع الحق، وحلق بي فيما بعد للأشواق الكريمة.

وأبلغني شيخي صالح بن غصون -متعني الله واياه بالصحة والعفو والعافية - أن الشيخ يسأل عني ويعتب لانقطاعي عن مجلسه، فحضرت وإذا به يطرح خلال الحديث ما هو بي القصيد حقيقة وهو مقالة نشرت لي بعنوان« بل تتقي أقلامنا» - واظنها نشرت في الجزء السادس من كتابي الفنون الصغرى.

وهذه المرة أطلت النقاش معه، وتمسكت بما انتهت إليه.

وكان «رحمه الله» لا يدخل في النقاش تفصيلاً، ويرى أن طالب العلم في هذا العصر لا ينبغي أن يستهلك بمثل هذا، وان في كلام القاضي أبي بكر ابن العربي كفاية بكتابه (العواصم من القواصم). قال أبو عبدالرحمن: ولهذا كنت أحرص إذا دعوته أو زرته أن استحضر شيئاً أختاره للقراءة: أما من بحثي، وإما من كلام ابن حزم.

راجع ترجمته.

وفي دعوة غبيراء كنت معجباً غاية الإعجاب بقصة كتبتها بعنوان «الذقن المزيف». وقد نشرت - فيما أظن - بهذه المجلة، ثم بكتابي، «هموم عربية»، ثم بكتاب ابن عمار عن شقراء.

وكانت القصة واقعية المدلول تكونت أمشاجها من مشاهداتي للدروايش[1] في صباي إذا تجولوا في القرى، ومن كتابات يقال إنها صدرت عنهم بالكويت تتهم بعضهم بالعمالة، ومن حكاية درويش عاش بالرياض وسمعت خبره في بعض المجالس.

وقد أعجب بها الشيخ أيما إعجاب، ورأى فيها ظرافة الأدباء وثعلبيتهم معاً.

وكان حاضراً أستاذنا الأديب المؤرخ النسابة الجغرافي الرحّالة محمد بن ناصر العبودي.

وكان إعجابه بالقصة أقل، وكانت دعوته أكثر إلى شيء سمعه مني في نفس الجلسة عن تاريخ القرية!!

ولذلك حديث يأتي، والله المستعان..[2]



(٢) هم الأعاجم الذين يأتون لأجل الحج من بلاد الأفغان وماحولها ولهم طرائف ونكات يتناقلها الرواة والعامة.
(٢) المجلة العربية / العدد (١٢٩). شهر شوال عام ١٤٠٨هـ

أهكذا البَدر
تخفي نوره الحفرُ

بقلم: د. توفيق بن عبدالعزيز السديري [١]

الموت حق والقضاء واقع لا محالة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٥.

أشهد ان الموت حق، نعم أنه لحق ونحن نؤمن أنه حق ولكن طبيعتنا البشرية تجعلنا نفاجأ عند سماع وقوع هذه الحقيقة وكأنها لم تقع قبل ذلك ولعل هذا من رحمة الله بنا أن جعلنا ننسى وقع هذه الحقيقة تدريجياً ولا نتذكرها إلا عندما تقع، ويزيد من وقع هذه الحقيقة على قلوبنا عندما يصاب بها حبيب أو قريب أو علم له الفؤاد مكان واكتب لكم هذه الأسطر ونحن نفقد شيخاً جليلاً وعالماً فذاً ومفكراً حصيف الرأي ذلكم هو سماحة والدنا الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» الذي فقده الكبير والصغير والعالم والمتعلم ليس في هذا البلد فحسب بل وفي بلاد المسلمين كافة، لقد دوى نبأ وفاته في أذني كالصاعقة حقاً أن الفراق أليم والوداع صعب وشاق ومرت في ذاكرتي مواقفه وكلماته ونبرات صوته وملامح وجهه التي توحي بالهيبة والوقار والقوة والصبر

---

(١) وكيل وزارة الشئون الإسلامية.

وأنا اردد ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ متذكراً قول الشاعر:

اهكذا البدر تخفى نوره الحفر
ويفقد العلّم لا عين ولا اثر
خبت مصابيح كنا نستضىء بها
وطوحت للمغيب الأنجم الزهر[1]

إننا إذ نفقد سماحته خاصة ونحن في حاجة إلى العلماء العاملين للظروف التي تعيشها الأمة نفقد فيه رجلاً اعطى واعطى الكثير وكافح وجاهد في سبيل الله عالماً ومتعلماً نفقد الجهود التي كان يبذلها في كل موقع وعلى كل ثغر كان يعمل فيه، فلقد اتصف «رحمه الله» بصفات قلما وجدت في غيره كالذكاء والقوة في جانب الحق لا تأخذه في الله لومة لائم وقوة الحجة والبرهان وعدم التسرع في الفتوى والحكم والذاكرة القوية التي يندران توجد في غيره كما يمتاز «رحمه الله» بسعة العلم والاطلاع والتحقيق في المسائل، بحيث لا يشق له غبار في التحقيق في مباحث الفقه وأصوله واللغة العربية وغير ذلك من فروع العلم، كما أنه «رحمه الله» له اطلاع واسع وكبير في أمور العصر وأفكاره فهو كثير الإطلاع على الجديد من العلوم والمعارف والمؤلفات حتى لاعداء الإسلام متابعاً لما يجري من أحداث أولا بأول وكان باذلاً نفسه لتعليم العلم حتى آخر حياته، فليت من يعرف الشيخ عن قرب كاولاده أن يدونوا تاريخه الحافل من خلال مواقفه الفذة واحكامه واستنباطاته الكثيرة فحياته سيرة كاملة وتجربة جديرة بالتأمل.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة واسكنه فسيح جنته وخلف الأمة من

(١) هذان البيتان من قصيدة للشاعر الكبير محمد بن عبدالله بن عثمين في رثاء الشيخ المحدث سعد بن حمد بن عتيق المتوفي سنة ١٣٤٩ هـ رحم الله الجميع.

بعده بعلماء عاملين ليأخذوا بيد هذه المجتمعات الحائرة والمضطربة التي ماجت فيها الأفكار من كل جهة فأصبح أفرادها بين غال منبث ومفرط مضيع وكسول خامل فينتشلونها من المستنقع الأسن إلى بر الأمان إلى الطريق المستقيم الوسط العدل.

فالعلماء هم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وأنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر فياليت شعري أين علماؤنا الذين يأخذون هذا الميراث ويعملون به مقتفين أثر اسلافهم من العلماء العاملين الذين سطر لهم التاريخ صفحات بيضاء في تصحيح مسار الأمة كلما انحرفت وان لا يكونوا كمن اخلد إلى الأرض وجذبته بجاذبيتها وثقلتها الطينية واتبع هواه فكان من الغاوين والله المستعان.



❖ الجزيرة/ الجمعة عدد رقم ٣٦٥٠ الموافق ١٤٠٢/١١/٢٢هـ.

يا من يعز على القلوب رحيله

شعر : الأستاذ إبراهيم المديفر[1]

امـعلـــم الأجــيـــال رســـم خطاهـــا
ومــبـصـــــر الألبـــاب فِـــي تـــقــواهـــا

أنـــت الَّـــذِي للعلم عـــشـــت مـــجـــاهـــداً
حَـتَّـــى بـــززت الصـــحب والأشـــبـاهـــا

اوقـــفـــت نفـــســـك للشَـــرِيْعَـــة حـــافـــيـــاً
لـــــم تـخش فـــي فـــتـــــواك إلا اللّه

يـــا مـــن يعـــز عَـــلَى القلـــوب رحـــيلـه
مـــا اعظـــم البلـــوى ومـــا أقـــســـاهـــا

تبكيـــك مَكَّـــة والمشَـــاعِـــر كـــلهـــا
وحـــمـــى المَـــدِينَـــة راعـــه مـبكـــاهـــا

ومـــن القَـــصِـــيم مَـــسَـــاجِـــد ومنـــابـــر
ســـمـعت بفـقـــدك فـاســـتـشـاط بكـــاهـــا

أمـــا الرَّياض فـــقـــد نعـــاك عـــبـــيـــرهـــا
حَـيُّـــث الجـــوامـــع قَـــدْ شـــكـت بـأســـاهـــا

(١) له ترجمة في كتاب معجم الشعراء السعوديين للأستاذ عبدالكريم الحقيل ص ٢٢٦ - وهو من مواليد سنة ١٣٤٦هـ ببريده.

حـــمـــداً لمـــن جـــعـل الـرحـيــل ضـــريـبــة
كـــل الخـــــلائـــق دافـــع إيـــــاهـــــا

إن الَّـــــذِي خـلفــت فـــينـــا لَـــمْ يـــزل
صـــبـــحــاً يشـــع عَلَـــى النفــوس هـواهـــا

نبـــع يفـــيض عَـلـى الجَـــزِيْـــرَة كـــلـهـــا
بـــل تـسـتـقـــي منه الـــدنى فـتـــواهـــا[1]



(١) جريدة الجزيرة - العدد ٣٦٥٠ بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٠٢هـ.

أهكذا ينسى الفقيد؟

بقلم: الأستاذ عمر بن محمد الغيهب
المعيد بكلية الشريعة بالرياض

أننا في هذا الزمن لفي زمن عجيب يُمجد فيه الأراذل ويعظمون ولا يجد شيئاً من ذلك أولئك الصالحون وإن وجد فهو شيء لا يذكر، بالأمس فقد المجتمع السعودي خاصة عالماً جليلاً من ابرز علماء الأمة الإسلامية في هذا العصر سماحة الشيخ عبدالله بن محد بن حميد وللأسف الشديد لم نجد له رثاء يليق بمقامه ومكانته فلم نجد على صفحات صحفنا اليوميَّة إلا رثاء قليلاً كتبه بعض محبيه وتلامذته في صحيفة الجزيرة فلهم شكري وشكر القرّاء وللجزيرة أيضاً. أنني اعرف من تلامذته ومحبيه أناساً كثيرين من علماء وأدباء وطلبة علم وفيهم الكاتب البليغ في كتابته والشاعر الفصيح بلسانه وكان من المنتظر من أمثال هؤلاء أن يؤدوا شيئاً من الواجب عليهم تجاه الفقيد من كلمة أو قصيدة يرثون فيها شيخهم ويذكرون شيئاً من مآثره وأعماله الجليلة ويواسون الناس بفقدهم له فمع الأسف لم نجد شيئاً من هذا إلا القليل فلعل القرّاء يسعدون قريباً بشيء منه مع عظيم أملنا في استجابة تلامذته ومحبيه، لقد كان فقد سماحته مصيبة عظيمة وجللاً فادحاً وكسراً لن ينجبر إلا أن يشاء الله رحمك الله فلقد عرفتك كثيراً وتتلمذت على يديك مدة ليست بالقصيرة فوجدت فيك المعلم الفذ في طريقة تعليمه والمربي العظيم في تربيته والداعي الحكيم في دعوته والفقيه الكبير الذي قد نبل في فقهه والأديب الأنيس الذي لا يمل

جليسه فلئن كنا قد فقدنا جسدك فإن علمك وذكرك لا يزال في الوجود ما دام الوجود.. فرحمك الله واسكنك فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وجزاك عن أمة محمد خير الجزاء على ما قدمت لها في حياتك فرحمك الله وإلى جنة الخلد إن شاء الله [1].

(١) تعليق محرر الجزيرة.

هذا لا يعني حكماً شاملاً لقد قامت «الجزيرة» بتحرير صفحة كاملة عن الفقيد أتسمت على مراث واضاءات على حياته وانجازاته الكثيرة ونحن لا نشك أن هذا ليس كثيراً عليه فالشيخ ابن حميد «رحمه الله» كان مثالاً للداعية المؤمن برسالته ولكن ما قامت به الجزيرة كان رائداً في حد ذاته.



❖ الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٤ هـ عدد ٣٦٦٦.

فجيعة المسلمين في شيخ جليل

بقلم: الأستاذ عبدالعزيز بن حمد المشعل [1]

فجع المسلمون في فقيد الإسلام سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد الذي كرّس حياته لخدمة دين الله والتفقه فيه وكان «رحمه الله» طوال نصف قرن من الزمان منبراً من منابر الهدى والعلم حيث مارس مهنة التعليم والقضاء والإشراف الديني على المسجد الحرام وخلال هذه الفترة الطويلة التي هي بمثابة عمر كامل قضى فيها بمئات الأحكام وكان من القضاة النجباء الذين استكملوا شروط القضاء فكانت احكامه من الدقة والسلامة بمكان وإلى جانب هذا العمل الذي جعله مضرب المثل. وكان يعلم الناس العلم ويركز على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس، وهو في هذا الفن يعتبر من القلة القليلة في العالم الإسلامي، أجمع حيث كان على معرفة تامة بعقيدة السلف الصالح اضافة إلى أشراقة اسلوبه ووضوح فكرته ودقة عبارته، وهنا أشير إلى نقطة مهمة وهي انه أثرّ في هذا الجانب على طائفة كبيرة من الناس خاصة ابان وجوده في مكة مشرفاً على المسجد الحرام فقضى على كثير من البدع فيه وكان «رحمه الله» فقهياً دقيق الفهم وله آراء مستقلة في كثير من المسائل الفقهّية المعاصرة والتي لم تكن معروفة من قبل وله عدة مؤلفات طبع منها البعض وما زال البعض

(١) الأستاذ عبدالعزيز المشعل ممن قرأ على الشيخ عبدالله بن حميد في مسجد ابن رضيان وهو عمل معيداً بجامعة الإمام محمد بن سعود ثم حصل على درجة الماجستير والدكتوراه فأصبح استاذاً فيها ثم طلب الإحالة على التقاعد المبكر، فأحيل بناء على طلبه.

مخطوطاً ينتظر النور ولو تركت البراعة العنان لما توقف من وصف هذا الرجل والثناء عليه ولكن حسبنا انه قدم على رب كريم عالم بكل شيء نسأل الله أن يجازيه على أفعاله أكرم الجزاء واوفره ومن المؤسف حقاً هنا أن موته مر وكأنه حدث ليس له أي أثر أو أهمية ولو أن رياضياً أو فناناً أو غيرهما مما لا يعطون المجتمع فائدة تذكر إلا المشغلة فيما لا ينفع لرأيت الصفحات تكتب عنه مجيداً وذكراً لمحاسنه بل حتى لو كان صحفياً صغيراً لرأيت المقالات تلو المقالات تدبج في مدحه والثناء عليه ووصف ساعاته ولحظاته واذكر مثالاً على ذلك حيث مات منذ وقت قريب أحد الصحفيين فملأت الصفحات عنه حتى وصف مكتبه وبيته وليت الأمر أقتصر على ذلك ولكن الأمر وصل إلى وصف كيفية شربه للسيجار وكيف كان يستنشقه وهذا هو موضع العتب، أما حين تفقد الأمة رجلاً عظيماً من عظمائها فإن ذلك من الأمور التي لا يستحق أي أهتمام الفراغ الذي تركه الشيخ ابن حميد ليس فراغاً سهلاً كيف لا وقد مات احد العلماء الأفذاذ والجهابذة النقاد. إن موت العالم من أعظم المصائب على الأمة وقد قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا» رواه البخاري ومسلم.

نسأل الله أن يجبر مصيبة المسلمين فيه وان يتغمده بواسع من رحمته و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.



❖ الجزيرة ١٤٠٢/١٢/٤ هـ عدد رقم ٣٦٦٦.

إلى رحمة الله

بقلم: الشيخ / حمد بن محمد بن فريان

مما لا شك فيه أن ما يفقده الناس ويأسون على فراقه ويحزنون أشد الحزن لفرط تأثرهم بفادح خسارتهم فيه يتفاوت بين فقيد وفقيد آخر كما يتفاوت الناس أنفسهم في تقديرهم ومدى عمق تفكيرهم واحساسهم بما ينطوي عليه الأمر في حقيقته وأكثر الناس فهماً وتصوراً لعواقب الأمور يكون الأشد كرباً والأكثر تأثيراً والأعمق أسى وحزناً حينما يكون قدره أن يعيش تخرّم الأجال بعظماء الرجال وعباقرة الفكر ووجوه القوم وحملة العلم والحكمة وذوي المواهب الفذة والذين قرنوا العلم بالعمل ونصحوا وناصحوا وأحبوا الناس وأحبهم الناس وكانت حياتهم مثالاً مشرفاً لرجال العلم وسجلاً حافلاً بمكارم الأخلاق وعظيم المزايا وكريم السجايا ولقد كان فقيدنا سماحة العلامة عبدالله بن محمد بن حميد أحد أولئك الأفذاذ فلقد كان «رحمه الله» علماً بارزاً وطوداً شامخاً وركناً ثابتاً اكرمه الله بالفقه في دينه ونفع الله الأمة بعلمه وبارك الله له في وقته وكان التوفيق حليفه في أموره وكان «رحمه الله» من ذي الهمم العالية وقوة التحمل والجلد وكان قدوة في سلوكه عميق التفكير دقيق الملاحظة موجهاً من الطراز الأول وناصحاً أمينا مخلصاً يتمتع بصفاء ذهني وحس مرهف وذاكرة نادرة وإذا كان العلم لا ينتزع انتزاعاً من صدور الرجال فإن فقد حملته وموت العلماء انتزاع له لا محالة من هنا كان الخطب جللاً والمصاب فادحاً والحيِّز الذي تركه والفراغ الناتج عن وفاته والصوت الذي صمت والشعلة التي انطفأت بسبب فقيد العلم والعلماء سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن

حميد كل ذلك كان محركاً للمشاعر ومؤثراً على النفوس وباعثاً على التدبر والتفكر، فقد جبلت النفوس على الرغبة في بقاء من يحبه وتطمئن إليه والحزن على فقد من هو عزيز وغال مع العلم المتيقن بأن قضاء الله نافد وان الآجال بيد الله وإن كل نفس ذائقة الموت. وإذا كان الفقيد «رحمه الله» يمثل خلقه في سلسلة مشرقة من العلماء الأفاضل الذين ابلوا بلاء حسناً في خدمة دينهم وأمتهم ووطنهم وفي مقدمة الجميع امام الدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن جاء بعده خلفاً عن سلف حتى سماحة مفتي الديار السعوديَّة ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم « رحمه الله» ومن سيلحق بهم بإحسان.

نقول إن لهؤلاء حقوقاً ونحن مدينون لهم بما تركوه من مأثر علميَّة وما وضعوه من قواعد وما ألفوه من كتب وما نقل عنهم من فتاوى. ولا شك ان من اولى الناس بتقديرهم وتخليد ذكرهم من لهم علاقة بالجامعات وبالعلم والتعليم فيا حبذا لو سميت قاعات الاجتماعات وقاعات المناقشة للرسائل في كليات الشريعة وأصول الدين وكليات الحديث وعلوم القرآن ومعاهد الدعوة ومعهد القضاء وغيرها باسماء أكابر العلماء تخليداً لذكراهم وتقديراً ممن جاء بعدهم لجهودهم في خدمة العلم والتعليم والقضاء والإفتاء والدعوة والأرشاد أننا نأمل أن نسمع بذلك في القريب العاجل.

وختاماً نتوجه إلى الله العلي القدير بالدعاء أن يتغمد الفقيد برحمته وإن يسكنه فسيح جناته وان يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

(❖) صحيفة الجزيرة يوم الجمعة الموافق ١٤٠٢/١١/٢٢ - العدد ٣٦٥٠.

كان أستاذ جيل

بقلم: الشيخ صالح بن سعد اللحيدان [1]

أتيت إلى زيارة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في بيته الكائن في دخنه للسلام عليه كما جرت عادتي فدعاني إلى الجلوس بجواره وقال لي : أنك كتبت فتوى في الجزيرة وانك اخطأت فيها.. قلت له ما هذه الفتوى؟ قال لي الرخصة في الجمع بين الظهر والعصر قلت له هذا ثابت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: لكن الحنابلة يقيدون هذا بالخوف أو المطر قلت له لكن الحديث الذي أعتمدت عليه لم أجده مقيداً أو مخصصاً بحديث أو قاعدة فقال استغفر الله ثم دخلنا في موضوع آخر وتحدث عن الشيخ صالح بن عبداللطيف [2] والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ محمد بن إبراهيم وكان وقت المغرب فودّعته ولكنه استوقفني وقال: اسمع يا شيخ .. قلت نعم قال راجع المسألة التي كنا تحدثنا فيها. قلت ما يكون ألا خير وراجعتها فوجدت ما قاله الشيخ صحيحاً فأخبرته بذلك فسره هذا فأدركت ان الرجل عظيم وسبق عقله

(١) الشيخ صالح بن سعد اللحيدان من مواليد مدينة البكيريَّة عام ١٣٦٩هـ. حصل على شهادة الدكتوراه في القضاء وعمل مستشاراً قضائياً بوزارة العدل وشارك في العديد من المؤتمرات داخل المملكة وخارجها له كثير من المقالات في جريدة الجزيرة إسلامية وثقافية وخصوصاً علم النفس الإسلامي زرته في منزله عام ١٤٢٢هـ وحضرت درسه بمنزله وهو باحث متمكن من البحث العلمي وقارىء جيِّد للتراث وخصوصاً كتب التراجم والسير وكتب علم الجرح والتعديل له مؤلفات متنوعة أشهرها الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع. له ترجمة في كتاب موسوعة اسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية ج/١/ص ٣٨٦/٣٨٧.

(٢) ليس من مشايخ الشيخ ابن حميد من اسمه صالح بن عبداللطيف وأنما الشيخ صالح بن عبدالعزيز قاضي الرياض المتوفي سنة ١٣٧٢هـ

علمه. ومرة قال لي : يا شيخ صالح أنت ألفت كتابين وتفتي لمدة طويلة تنبه لأمرك فإن الحسد ما زال موجود فقلت له من يحسد يرد القضاء والقدر... قال لي لكن إيمان الناس الآن ضعيف فادركت من كلامه انه أمة في رجل وشيخ لعلماء وأستاذ لجيل «رحمه الله وغفر له».

ومن الصفات الفريدة التي عشتها معه أنه دخل عليه خصم وكنت حاضراً فسلمّ عليه وقال يا شيخ لدى دعوى وأنا داخل على الله ثم عليكم فالتفت اليَّ يضحك ثم أقبل على الرجل وقال هذا وقت زيارة وسلام وإن كان لك دعوى فتأتيني في المكتب، فخجل الرجل وادرك خطأه. حينما كان قاضياً في بريدة دخلتٌ عليه امرأة تشتكي بعلها حتى سقطت عباءتها فقال لها إن كان هذا عملك فما أدري ماذا أقول وإن كنت محقة فلا أن يأتي ذو محرم وارتدت عباءتها فوراً ولم تأت فقال لمن بجواره عالجوا الأمور بمثل هذا.



❖ جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١١/٢٢هـ العدد رقم ٣٦٥٠

كان مثالاً للورع والتقوى

بقلم: عبدالرحمن بن فايز الحربي

نقلت إلينا وسائل الأعلام المختلفة نبأ وفاة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وانتقاله إلى رحمة الله بعد مرض الزمه الفراش طويلاً[1] وقد كان لهذا النبأ المفزع اثره الكبير في نفس كل مواطن عرف هذا الشيخ أو سمع به حيث كان سماحته علماً من اعلام هذه البلاد أفنى شبابه وشيخوخته في خدمة العلم وطلابه وخدمة المسلمين والإسلام في كل مكان فكان له دور كبير في انارة الطريق أمام الأخرين وكان له دور أيضاً في التوجيه والأرشاد وحل قضايا المسلمين من خلال الأعمال القضائية التي تولاها إلى أن وصل إلى أعلى مركز قضائي في البلاد فاستحق بذلك ثقة ولاة الأمر والمواطنين فيما يصدر عنه من توجهات وفتاوى. وكان سماحته أضافة إلى ما منحه الله من علم غزير مثالاً في الخلق والورع والتقوى فكان دمث الخلق بشوش الوجه منبسط الأسارير يعامل الناس على حسب مستواهم الفكري والخلقي فاستحق بذلك ثناء وتقدير كل من عرفه، ولقد ساهم سماحته بدور ضليع في التوجيه والأرشاد، وذلك من خلال حلقات الذكر والدروس التي يلقيها في المسجد الحرام، فكانت حلقته ملتقى لكثير من طلاب العلم وقاصدي هذا البيت الآمن حيث تخرج على يديه كبير من طلبة العلم والدين والذين ساهموا في دور كبير في انارة الطريق وتوجيه الناس إلى ما يصلحهم في دينهم ودنياهم ولم يقتصر سماحته في بذل العلم على ما

(❖) لم يكن مرض بن حميد طويلاً لم يجاوز سنة واحدة.

يلقيه من دروس وما يجيب به من اسئلة داخل المسجد الحرام بل كان يبذل العلم بكل من يطلبه في كل مكان وزمان حيث يعتبر سماحته العلم حقاً مشاعاً للجميع فكان منزله ومكتبه مفتوحاً لكل طالب علم وصاحب حاجة فيقصده الناس من كل مكان فيقضي لهم حاجاتهم ويحل مشاكلهم ولم يتوقف عند ذلك بل كان له مؤلفاته القيّمة يدافع بها عن الإسلام ويدحض كل دعوى تقام ضده ويرشد بها الناس إلى أمور دينهم وكل ما يتصل بحياتهم الدينيَّة والدنيويَّة وكانت هذه الكتب والمؤلفات توزع بالمجان لمن يرغب الأطلاع عليها فتساهم باثراء المكتبة الإسلاميّة بكتب ومؤلفات قيّمة.

أيها الأخوة ان المصاب لجلل وأن الخسارة الكبيرة في فقد هذا العالم الجليل الذي قلما يجود الدهر بمثله لما يتمتع به من حفظ وأتقان للعلم، ولكن عزائنا فيه انه ما أنتقل إلى رحمة الله إلا بعد أن ساهم بدور كبير في خدمة المسلمين والإسلام، في كل مكان وبعد أن خرج على يديه عدد كبير من العلماء والذين سيرثون عنه علمه وخلقه، وهذا هو عزاؤنا فيه ولن نستطيع في كلمة كهذه ان نحصي سجايا ومأثر هذا الرجل فهي أكثر من أن تحصى أو تستقصى، ونحن إذ ننحاه نتوجه إلى الله العلي القدير أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته ويعمه برحمته وعلوه وغفرانه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقاً، وان يحسن عزائنا بفقده ويلهمنا الصبر والسلوان ويخلفه علينا بخلف صالح انه ولي ذلك والقادر عليه و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.



(❖) جريدة الجزيرة ١٤٠٢/١١/٢٢هـ - العدد رقم ٣٦٥٠.

ومات عالم من خيرة الرجال

بقلم: الأستاذ/ بدر أحمد كريمً

فجع العالم الإسلامي بعد مغرب يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة بوفاة عالم من أجلاء علماء المملكة والأمة الإسلاميَّة ومن ابرزهم تفقهاً في الدين وأكثرهم أخلاصاً في الدعوة إلى الله والتوعية الإسلامية آمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ومجادلة بالتي هي أحسن ذلك هو سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء ورئيس المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي وعضو المجلس التأسيسي للرابطة.

ان الموت حق والموت نهاية كل حي والموت يدركنا ولو كنا في بروج مشيدة والأله الحدباء تحمل كل أبن أنثى ولو طالت سلامته [1] والله يخاطب نبيه بقوله «**أنك ميت وأنهم ميتون**» كل هذه الحقائق الأزليَّة نؤمن بها كمسلمين حق الإيمان ونسلم بقضاء الله وقدره ولكن القلب يحزن والعين تدمع وانا على الفراق لمحزونون وكل أمة تحزن أشد الحزن حينما تفقد رجلاً عالماً جاهد في الله حق جهاده وعمل على اعلاء كلمة الله في العالمين وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» أحد هؤلاء الرجال العلماء الذين قالت عنه رابطة العالم الإسلامي في بيانها

(١) يشير إلى البيت المشهور : من قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه في قصيدته العظيمة في مدح خير البرية (ﷺ) وهو :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حدباء محمولُ

الذي نعته فيه أن الشيخ اسهم بعلمه وفكره في مجالات الدعوة الإسلامية ونشر المعرفة الإسلامية بعد انتسابه لعضوية المجلس التأسيسي ورئاسة المجمع الفقهي رغم تقدم سنه وضعف صحته إذ كان «رحمه الله» مشهوداً له بحصافة الرأي والرزانة والحكمة. ولعل هذه الصفات والمزايا هي التي جعلت من الشيخ ابن حميد عالماً مبرزاً وعلماً في كل مجمع أو ملتقى إسلامي يرجع إليه في أمور الأمة الإسلاميّة. كان «رحمه الله» قوي الحجة مستنداً في ذلك على ما جاء في كتاب الله وسنة رسول ﷺ وعلى ما أجمع عليه السلف الصالح من أجتهادات وكان في قضائه يتحرى العدل وفي ساحات التدريس استاذاً ومعلماً حصيفاً وفي مؤلفاته وفتاويه حجة يركن إليها وميسراً لا معسراً تجلت عظمة هذا الرجل العالم العلامة في حفظه للقرآن وهو صغير السن وفي تلقيه مبادىء التعليم والعلم على ايدي مشايخ اجلاء من علماء الرياض البارزين وفي ملازمته سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللّطيف آل الشيخ مفتي الديار السعودية في حينه ومن هنا تمكن الرجل من علمه واسهاماته المتواصلة وفي مجالات الدعوة الإسلامية والقضاء والفقه والتدريس والأشراف الديني في المسجد الحرام.

ان خسارة العالم الإسلامي بوفاة سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد خسارة كبيرة، فهو أحد ورثة الأنبياء كما قال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» وهو الذي أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من مؤلفاته القيمة، التي تعتبر مرجعاً لكل طالب علم وباحث ودارس، وهو الذي قضى أكثر من أربعين سنة من حياته في الدعوة إلى الله، وهو الذي كما قال سمو الأمير ماجد بن عبدالعزيز: من خيرة الرجال الذين أمنوا بالرسالة وادوا الأمانة ونذروا أنفسهم لخدمة الدعوة الإسلامية. ولقد

ادركت القيادة السعوديَّة مدى خسارة العالم الإسلامي والمملكة بفقده فأديت صلاة الغائب على روح الفقيد بعد صلاة الجمعة أمس. في جميع مساجد المملكة بناء على توجيهات صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائب جلالة الملك، كما أدى صلاة الجنازة على جثمان الفقيد عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء والعلماء والمواطنون، يتقدمهم سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز وسمو الأمير ماجد بن عبدالعزيز وسمو الأمير عبدالله الفيصل وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ومعالي الشيخ محمد علي الحركان ومعالي د.محمد عبده يماني، وفي هذا يسجل وفاء القيادة وتكريمها للعلماء الذين كان لهم قصب السبق في ارساء دعائم الدعوة الإسلامية على أسس سليمة وواضحة، اللهم تغمد الفقيد بواسع رحمتك واسكنه فسيح جناتك وأخلف على الأمة الإسلامية بخلف صالح أنك على ما تشاء قدير وصدق الله إذا يقول :

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ سورة الفجر.



(❖) جريدة عكاظ العدد ٥٩٤٧ السبت ٢٣/١١/١٤٠٢هـ.

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

بقلم فضيلة الشيخ :
عبدالله بن عبدالغني خياط
الخطيب والإمام بالمسجد الحرام «رحمه الله» (١)

عندما تجدب الأرض ويضربها المحل نتيجة لأنقطاع الوابل الصيب عنها يصوح النبت وتذوي الزروع ويكون وراء ذلك الكساد وتدهور الوضع في المجتمع وتدهور الوضع في المجتمع هذا مثل نضربه للعلماء في المجتمع إذ هم في الواقع كالوابل الصيب في تتابع هطوله وكثرة انصبابه فإذا من المجتمع منهم واقفرت الأرض من عدم تعاهدها بسقيهم وأمتداد اروائها بغيثهم. ساد الجهل وامتد رواقه ومشى الناس في ظلام

(١) الشيخ المربي الفاضل المقرىء هو عبدالله بن عبدالغني خياط ولد سنة ١٣٢٧ هـ بمكة المكرمة درس وتعلمَّ في المسجد الحرام وأخذ عن علمائها واجازوه وقد عينه الملك عبدالعزيز أماماً للحرم المكي عام ١٣٤٦ هـ بالأشتراك مع العالم عبدالظاهر ابو السمح ثم عينه مديراً لمدرسة الإنجال بالرياض «أبناء الملك عبدالعزيز» عام ١٣٥٦ - وفي عام ١٣٧٣ هـ أنتقل إلى مسقط رأسه مكة وعاود الخطابة بالمسجد الحرام، وفي عام ١٤٠٥ هـ ترك الخطابة بعدما أرهقته الشيخوخة ولكنه لم ينقطع عن افادة الناس والكتابة في الصحف وقد كانت له زاوية جميلة عنوانها لمحات من الماضي بجريدة عكاظ دوّن فيها الكثير من السيرة الذاتية وذكرياته في مكة والرياض. وكان له صوت رخيم في قراءة القرآن يتأثر سامعه بالخشوع والروحانية ولا زالت اذاعة القرآن الكريم بالرياض تبث قراءته التي رفض رفضاً باتاً ان يأخذ عليها مكافأة. وقد سجلت هذه القراءة عام ١٣٨٩هـ مع زملائه أئمة المسجد الحرام الشيخ عبدالله الخليفي - رحمه الله والشيخ محمد بن سبيّل حفظه الله، بل إن الشيخ - رحمه الله - رفض جميع مظاهر الدنيا الزائفة وقد عرضت عليه أعلى المناصب في الدولة ولكنه أبى كل هذه العروض مكتفياً براتبه التقاعدي - رحمه الله - واسكنه فسيح جناته وأن ادعو ابناءه وخصوصاً نجله امام وخطيب المسجد الحرام د. اسامة بن عبدالله خياط ان يلم شتات تراث ابيه المتفرق في الصحف وان يظهر سيرة هذا الرجل المعطاء. صدر كتاب في حياة الشيخ عبدالله خياط بعنوان الشيخ عبدالله خياط الخطيب في المسجد الحرام. للأستاذ محمد الجفري - طبعته جريدة عكاظ عام ١٤١١هـ

وأخيراً.. قامت دارة الملك عبدالعزز مشكورة بطباعة مقالات الشيخ عبدالله خياط كلها ويقع الكتاب في أكثر من ٤٠٠ صفحة.

دامس وتخبط دون الوصول إلى المهيع ودون الحصول على ركيزة يتخذونها رصيداً للسعادة وعدة لقطع أشواط الحياة على هدى وبصيرة. هذه المقدمة نكتبها لموت العلماء والحرمان بسبب ذلك من ميراث العلماء ثم اتخاذ خلف لا يرتقي إلى مثل ما ارتقى إليه العلماء الموهوبون والهادون بهداية الله إلى سبيل الله السوي ومن ثمَ كان في موت العلماء خسارة وبعدهم نكبة لا تعدل لها آية نكبة مصداق ذلك الحديث النبوي الشريف الذي رواه الشيخان والترمذي مرفوعاً عن ابن عمر «ان الله لا يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وأي خسارة أعظم من الضلال وأي مصيبة تقع في حساب المجتمع لا يجد لها عزاء ولعلنا في الكثير من الأحيان نجد هذا الحديث الشريف يصور الواقع المؤلم المرير، وذلك حين يمشي السائل باحثاً عن مسألة من مسائل العلم فلا يجد من يظفره بطلبته أو يسعفه بحاجته بل قد يجد العكس يجد من يفتيه بغير علم ولا درايَّة فيعمل بفتواه وهي لا توصله إلى الله بل تبعده عن الحق الذي يتوخاه وإنه من النذر التي تطالع كل من يتلو كتاب الله الإشارة إلى موت العلماء حيث يقول رب العز ة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ سورة الرعد الآية (٤١) جاء في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية خرابها بموت علماءها وفقهائها وأهل الخير منها وكذلك قال مجاهد هو موت العلماء. قال أحد الشعراء في هذا المعنى:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها

متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيــا إذا مــا الغيـث حـل بهـا
وأن أبــى عــاد فــي أكتــافها التلــفُ

أجل كيف يهنىء بالأستقرار من أنتقص من أرضه وبقى في وجل من هذا الأنتقاص الذي لا يقف عنده، فكلما طال الزمن هوى من كان نور وبهاء لها ومهما ظن الناس أنهم أمنوا من خطر الأنتقاص عادوا فروأ إعادة الكرة المرة بعد المرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. بالأمس القريب كان بيننا عالم من أبرز العلماء وأكثرهم اضطلاعاً بمهمة العالم الموجه الهادي بهداية الله والداعي إلى سبيل الله أنه سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، بكته القلوب قبل العيون، وشيعته إلى مثواه الأخير العارفون بقدره المقدرون لعلمه الواقفون على مواهبه الذين قضوا امداد في ظلال توجيهاته سواء ما كان منها في حلق الدروس يتصدرها أو عبر موجات الأثير أو في المواعظ العامة أو الكتب ووسائل الاعلام، ولقد كانت الخسارة بفقده عظيمة وكان لطلاب العلم صدمة عنيفة بل وللمجتمع اجمع ذلك لأن الفراغ الذي تركه كبيراً وعزاء للجميع بفقده الصبر فالصبر عدة للمسلم في كل شدة، واجراً عظيماً اعد الله للصابرين من حسن الجزاء يصوره قول رب العزة:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ - سورة البقرة.

لقد ضمتني بسماحته «رحمه الله» اجتماعات وإن كانت محدودة إلا أنه من خلالها سبرت غور سماحته وقدرت سعة علمه وأكبرت فيه سماحة نفسه وعظيم تواضعه وكريم خلقه وانتصاراته للحق وانتفاضاته

نحو ردع الباطل بكل ما يملك وشخصيَّة كهذه من الواجب الأعتراف بفضلها والاشارة بالتوفيق الذي صادفته في كل المحاولات الهادفة والمجالات الهادية، وإذا كان في الناس من لا يذكر ذلك في حياته فان علينا وقد التحق بربه «رحمه الله» أن نأخذ بالتوجيه النبوي الكريم: «أذكروا محاسن موتاكم»[1] فلا نترك مزية من مزاياه ألا واشعناها فذلك حق واجب في عتق كل من عرف سماحته وعاصره وافاد من علمه أو لمس كريم خلقه ونبل مقاصده.

رحم الله الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وأكرمه بمنازل الصالحين وجبر مصاب الأمة جمعاء في مصابها بفقده ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.



(١) الحديث مختلف في صحته بين العلماء وقد رواه ابو داود والترمذي والطبراني والحاكم عن ابن عمر رفعه وقال الترمذي غريب وقال الحاكم صحيح الأسناد أنظر كشف الخفاء ومزيل الألباس ص ١١٤ ج - ١ - أما الشيخ العالم المحدث الألباني فقد ضعف الحديث في مشكاة المصابيح وضعيف ابي داود - وضعيف الترمذي وضعيف الترغيب والترهيب.

(❖) الجزيرة ٣ ذو الحجة ١٤٠٢ هـ عدد رقم ٣٦٦.

الشيخ العلاّمة
عبد الله بن محمد بن حميد

١٣٢٩ هـ - ١٤٠٢هـ

بقلم: راشد بن عثمان بن أحمد الزهراني

اسمه ونسبه

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد. وُلِد في مدينة الرياض خلال حج عام ١٣٢٩هـ.

طلبه للعلم وشيوخه

حفظ القرآن الكريم مبكراً، ثم بدأ في تلقي العلم، وقد تلقى العلم على أيدي مشايخ أجلاء منهم:

١ - الشيخ حمد بن فارس.
٢ - الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.
٣ - محمد بن عبداللّطيف.
٤ - الشيخ سعد بن عتيق.

يقول الشيخ العلاّمة صالح بن عبدالله بن حميد - وفقه الله - «بعد هذه النشأة الدينية لوالدي «رحمه الله» استطاع أن يعزز انطلاقته الدينية وذلك عندما لازم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس القضاء سابقاً

ودرس عليه مختلف العلومَ في الفقه والحديث واللغة وغير ذلك من العلوم الإسلامية وقد انتفع والدي من ملازمته والقراءة عليه انتفاعاً عظيماً حتى صار من كبار المدرسين منذ صغره وعندما تزايد عدد الطلاب الذين يدرسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ اختاره ليكون مساعداً له ويقوم بتدريس الفقه والتوحيد واللغة وغير ذلك من العلوم في المسجد».

اهتمامه بالوقت

كان «رحمه الله» حريصاً على وقته فلا يضيعه فيما لا يفيد بل يستثمره في المجالات التي يمكن أن يفيد بها نفسه أو غيره.

يقول ابنه الشيخ صالح: «فقد استفاد من وقته الذي حرص على تنظيمه منذ الصغر، وقد كان تنظيمه محل تقدير جميع من يعرفه، فقد حرص على عدم اضاعة أي وقت أو فراغ فإذا وجد متسعاً من الوقت استغله في القراءة ليغوص في أمهات الكتب ليزيد من حصيلته العلمية والمعرفية من خلال اطلاعه على كتب ابن تيميَّة وابن كثير وغيرهما بالإضافة إلى اهتمامه بالمطالعة العامة للصحف والكتب والدوريات والنشرات ليكون مدركاً للأحداث الدولية».

البرنامج اليومي

بعد أداء صلاة الفجر يبدأ في تدريس مجموعة أفراد في حلقة دينية بالقصيم يدرسهم علوم الدين وتعاليمه السمحة والتوحيد والنحو يستمر في ذلك حتى طلوع الشمس، وبعد الظهر يبدأ سماحته حلقة دينية في الفقه.. ثم هناك قراءة خاصة لبعض الطلاب في الكتب المطولة والتاريخ والتفسير وبعد صلاة العصر تبدأ حلقة خاصة في بلوغ

المرام بالإضافة إلى ذلك فإنه يقدم موعظة قصيرة بعد صلاة العصر للمصلين ثم بعد صلاة المغرب يبدأ حلقة الفرائض التي تستمر حتى صلاة العشاء وبين الآذان والإقامة تفسير ابن كثير وبعد صلاة العشاء يقوم بتحضير قراءته الخاصة.

وعندما أحيل إلى التقاعد عام ١٣٧٧هـ أفرد «رحمه الله» جلسة خاصة في الفقه والتفسير والدروس المطولة حتى أذان الظهر في مدينة بريده.

المناصب التي تقلدها سماحته

١ - عينه الملك عبدالعزيز «رحمه الله» قاضياً في الرياض وذلك في شهر المحرم عام ١٣٥٧ هـ واستمر في هذا المنصب فترة لا بأس بها اتصف خلالها بالقوة والعدل والسيرة الحسنة.

٢ - ثم اختاره في عام ١٣٦٠هـ ليكون قاضياً في سدير.

٣ - وفي عام ١٣٦٣هـ نقل إلى القصيم للعمل قاضياً فيها واستمر هناك حتى طلب الاعفاء من منصب القضاء وبالفعل تمت احالته إلى التقاعد.

٤ - وفي عام ١٣٧٢ هـ كلّفه الملك عبدالعزيز «رحمه الله» بالنظر في القضايا التي كانت موجودة في المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة واستطاع متابعة هذه القضايا حتى تمكن من استكمال النظر فيها جميعاً.

٥ - وفي عام ١٣٨٤ هـ عندما تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٨٤ هـ اختاره الملك فيصل «رحمه الله» ليكون رئيساً لهذه الرئاسة التي تشكل أهمية خاصة، فباشر عمله

في هذه الرئاسة واصبح يقابل العلماء الوافدين إلى المملكة من مختلف أنحاء العالم ويتباحث معهم في شؤون الإسلام والمسلمين.. وبعد ذلك بدأ يلقي درساً دينياً بعد صلاة المغرب في ساحة الحرم المكي يحضره غفير من المستمعين الذين يحرص الشيخ «رحمه الله» على الإجابة على جميع استفساراتهم واسئلتهم وحل جميع مشكلاتهم بإجابة صريحة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٦ - وفي عام ١٣٩٥ هـ اختاره الملك خالد «رحمه الله» رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية إلى جانب عمله رئيساً للإشراف الديني على المسجد.

٧ - وبالإضافة إلى هذه الأعمال والمناصب التي كُلف بها فقد كان عضواً في هيئة كبار العلماء.

٨ - وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٩ - وعضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

١٠ - وعضواً في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

١١ - ورئيساً للمجمع الفقهي بمكة المكرمة.

١٢ - ورئيساً للجنة جائزة الدولة التقديرية.

مـؤلـفـاتـه

ساهم «رحمه الله» في اثراء المكتبة الإسلامية بكتبه القيمة والتي منها :

١ - الرسائل الحسان.

٢ - ايضاح ما توهمه صاحب الميسرة في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل وقت نحره.

٣ - غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود.
٤ - تبين الأدلة على اثبات الأهلة.
٥ - الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.
٦ - توجيهات إسلامية.
٧ - كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
٨ - هداية الناسك إلى أحكام المناسك.
٩ - دفاع عن الإسلام والاشتراكية حرام.
١٠ - نقد نظام العمل والعمال.
١١ - رسالة في التليفزيون.
١٢ - الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
١٣ - لا اشتراكية في الإسلام.
١٤ - حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
١٥ - فتاوى مخطوطة.

وقد أخبرني ابن المترجم له الشيخ الفاضل صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو مجلس الشورى أنه يقوم هو والشيخ أحمد بن عبدالله بن حميد بجمع فتاوى والدهم تمهيداً لطبعها فاسأل الله أن يعينهما على ذلك.

صفاته الخُلقية

يقول الشيخ محمد السبيل - وفقه الله - «أما الصفات التي كان يتصف بها - سماحته فهي صفات حميدة فقد كان «رحمه الله» ذكياً ذا فطنة ولباقة وحضور ذهني دائم وبديهة فائقة وكان يمتاز بالاناة والتروي، لا يندفع أبداً في أي مشكلة وإنما يعالجها بكل تروي لكيلا يظلم أحداً أبداً».

ومن الصفات التي تميز بها «رحمه الله» ذلك الوقار الذي يحس به من رآه، وكان «رحمه الله» حازماً في الأمر وخاصة فيما يتعلق بحقوق الآخرين.

يقول ابنه الشيخ الفاضل صالح - حفظه الله - الحزم عند والدي «رحمه الله» لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعتبر بطشاً أو ظلماً أو قسوة إلا أنه يعني حرص والدي على وضع الشيء في نصابه الصحيح وليس ذلك لصالح نفسه فقط وإنما لصالح جميع الناس.. ومما يؤكد ذلك أنه كان لا يتنازل عن أي حق من حقوق الأخرين خاصة وأن طبيعة عمله القضاء الذي كان نزيهاً فيه».

تربية الشيخ لأبنائه

لقد كان «رحمه الله» حريصاً على تربية أبنائه التربية الصحيحة علماً وسمةً ووقاراً وتواضعاً.

يقول الشيخ صالح - وفقه الله - : «صحيح أن الوقت لا يتوفر لدى والدي إلا أنه رغم ذلك يخصص وقتاً معيناً لأبنائه يرعاهم ويلاطفهم ويحرص على تربيتهم التربية الإسلامية إن والدي عندما يكون في المجلس اجده ذلك الشيخ الوقور المتعلم الذي يكسوه العلم هيبة ومكانة كبيرة أما عندما يكون والدي في البيت مع أطفاله فهو الأب الرحيم الرقيق الحنون ولا يعني ذلك أنه كان يربينا بأسلوب يفتقر الحزم أبداً.

فقد كان والدي مهيباً جداً رغم أنه كفيف البصر وكان حازماً وصارماً خاصة في الأمور التي لا تقبل المساومة كالصلاة والتعليم، وقد استفدنا من الوالد كثيراً في تأثرنا بوقاره وأدبه في المجالس العامة واحترام الآخرين».

طريقته في الافتاء

يقول الشيخ محمد السبيل[1] - حفظه الله - «كان لسماحته منهج مميز في سماع أي سؤال من أي سائل حيث إنه قبل أن يشرع في اجابة السؤال يحقق أولاً من السائل ليستوضح منه الموضوع والتأكد منه قبل أن يجيب..».

وفاته

توفى «رحمه الله» بعد حياة مليئة بالكفاح والجد والصبر وذلك يوم الأربعاء لعشرين يوماً خلت من شهر ذي القعدة من عام ١٤٠٢هـ وصُلي عليه في المسجد الحرام فرحمه الله رحمة واسعة واسكنه الفردوس الأعلى وحشرنا وإياه مع الأنبياء والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

ثناء العلماء عليه

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام[2] - حفظه الله: «شخصيَّة سماحة الشيخ عبدالله تتميز بعدة صفات يصعب اجمالها فإذا أردنا أن نعدد صفاته ومميزاته لاحتجنا لعدة مؤلفات فهو كبير في أشياء كثيرة، كبير في شخصيته وعلمه الغزير فهو يتميز عن الآخرين بعدة صفات وسمات تجعله مميزاً عن غيره. فهو يتميز بالذكاء والدهاء والعقل الحكيم وقوة الرزانة وغير ذلك من الصفات العديدة التي كنت ادعوا الله عز وجل أن احصل على أية صفة منها».

---

(١) الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وإمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة الشيخ محمد السبيِّل تقاعد عن عمله من رئاسة المسجد الحرام والمسجد النبوي ولا يزال في امامة وخطابة المسجد الحرام.

(٢) «رحمه الله».

ويقول أيضاً - حفظه الله: «استفدت من هذا الرجل الكثير من علمه الجم.. فقد اشتركت وأياه في مناقشة عدة رسائل في جامعة أم القرى، كما اشتركت معه في العديد من الندوات التي اقامتها رابطة العالم الإسلامي، وكذلك في إعداد الدراسات والدورات التي تعقد بالمجمع الفقهي بالإضافة إلى استفادي من علمه الغزير الجم، فقد استفدت منه في مجال الدعوة إلى الله فقد كان سماحته من المشايخ الذين قاموا بدور فعال في مجال نشر الدعوة، وكان تأثيره عليَّ في هذا المجال تأثيراً فعلياً وواضحاً.. وكثيرون من الذين استفادوا من علمه الآن في مواقع ومناصب متميزة».

وقال أيضاً -حفظه الله: «كثيرون كانوا يعجبون به وبمواقفه الكثيرة، فقد كان الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه شديد الاعجاب به وكان يقدره لغزارة علمه وحكمته ودهاءه في الأمور التي يتولاها، فقد قال عنه الملك عبدالعزيز : «لو أردت أن أولى بلداً فيها أمير وقاضي في شخصية رجل واحد لكان الشيخ عبدالله بن حميد».

هذه الحكمة التي أشار إليها الملك عبدالعزيز تؤكد قوة سياسة الشيخ ابن حميد الحكيمة وعلمه».

رثــــاؤه

توفي رحمه الله - بعد حياة اتسمت بالعلم والعمل والتضحية فأخذ العلماء والأدباء في رثاء ذلك العالم الهمام (١).

---

(١) أكتفينا بذكر المراثي الشعريَّة للشيخ ابن حميد السابقة وخصوصاً مرثية الشيخ محمد بن سبيِّل.

(❖) إتحاف النبلاء بسير العُلماء.

حديث الذكريات

مــع
إمام وخطيب المسجد الحرام
فضيلة الدكتور صالح بن حميد

لقاء / توفيق عمر حلواني

وكان لمجلة (التضامن الإسلامي) السبق أيضاً في الالتقاء بفضيلة الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى وسؤاله عن ذكرياته مع والده سماحة الشيخ عبدالله بن حميد «يرحمه الله» بصفته فقيه العصر وقدوة طلبة العلم الحكيم الحليم البعيد النظر الثاقب الرأي الذي تتلألأ الحكمة في دروسه وفتواه في جانب من أهم الجوانب المتلئة بالعلم والحكمة إلى جانب الفقه والفتوى:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه وبعد:

فلا أدري كيف تكون ذكريات ابن مع أبيه فهو عاش معه طوال حياته وكثيراً ما تعني الذكريات مواقف معينة وانطباعات لأحداث معينة لكن حياة الأبناء مع آبائهم في العادة طبيعية كما هو في سائر البيوت، ولكني أذكر ترجمة لحياته «رحمه الله» لعل فيها ما يفيد القارىء:

ولد «رحمه الله» في شهر ذي الحجة من عام ١٣٢٩ هـ في الرياض وحفظ القرآن منذ الصغر وتلقى العلم عن علماء الرياض منهم الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض في وقته، والشيخ حمد بن فارس والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية رحمهم الله أجمعين. وبعد أن لوحظ عليه النبوغ والتحصيل أُلزم بتولي القضاء بعد تمنع شديد فتولى القضاء في الرياض عام ١٣٥٧هـ ثم انتقل إلى منطقة سدير فمارس القضاء والتدريس وفي عام ١٣٦٣هـ انتقل إلى قضاء القصيم على التدريس وفي عام ١٣٨٤ هـ تولى الإشراف الديني على المسجد الحرام بمكة المكرمة مع ممارسة التدريس في المسجد الحرام وفي عام ١٣٩٥ هـ صدر الأمر الملكي بتعينه رئيساً لمجلس القضاء الأعلى فاستمر حتى وافته المنية في ١٤٠٢/١١/٢٠هـ رحمه الله رحمة واسعة. وقد قضى حياته في العلم والتعليم والقضاء والتدريس ونفع الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه وقلمه. وشارك في كثير من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية داخل المملكة العربية السعودية فقد كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وعضواً في المجلس الأعلى للمساجد في الرابطة وعضو هيئة كبار العلماء وساهم في الكتابات في الصحف والمجلات والإذاعة.

كان يتصف «رحمه الله» بالأدب وحسن المعشر وله اطلاع واسع في التاريخ والأدب والسير والتاريخ لا يمل جليسه من حديثه مع ذكاء نادر وسرعة بديهة ودقة ملاحظة، كما كان مهيباً وقوراً. وقد تلقى العلم عنه تلاميذ كثير منهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النبوي وفضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام وفضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين عام

رابطة العالم الإسلامي المساعد وفضيلة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم وفضيلة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي وغيرهم كثير. وكان يهتم بتلاميذه ويحبهم ويرعاهم ويتفقدهم ويحنو عليهم ويعتني بتعليمهم ويشجعهم. وله طريقة في التدريس طريفة حيث إنه بعد انتهاء الطلاب من موضوع في الفقه مثلاً أو اللغة أو التوحيد أو الفرائض يسألهم فيه قبل الانتقال إلى الموضوع الآخر. وقد يستغرق السؤال أياماً. وقد ترك آثاراً علمية طيبة وقد كان لانشغاله في الأعمال الرسمية وغير الرسمية وتفرغه لأمور الناس وقضاء حوائجهم سبب في قلة إنتاجه المكتوب نسبياً.

ومع هذا فله رسائل وكتب مطبوعة كما أن له فتاوى دوَّنها بنفسه وكان عازماً على إصدارها ولكن وافته المنية قبل انجازها والعمل جار إن شاء الله على ضمها إلى ما صدر عنه من فتاوى من خلال دروسه وفتاواه المسجلة في الاذاعة وفي الدروس العامة.

وبالمناسبة فقد كانت له دروس عامة في المسجد الحرام في شهر رمضان بعد التراويح وفي الحج بعد المغرب يبدأها بحديث مناسب في العقيدة أو الأحكام أو بعض القضايا الهامة مما يدور في المجتمع ثم يتلو ذلك الإجابة على اسئلة الحضور. ولدينا منها مجموعة طيبة سوف نسعى في إخراجها ونشرها بعد تحريرها وحذف المكرر منها إن شاء الله.

هذا ما يتعلق بحياته العلمية والعملية والاجتماعية أما في البيت فكان مثالاً للأدب المنزلي الحريص على صلاح أولاده وأهل بيته في الدنيا والآخرة فقد حرص على تعليمهم وتوجيههم وكان يتابع تحصيلهم العلمي ولا يتهاون في تأخر أحدهم عن المدرسة سواء في الحضور أو

المستوى العلمي كما كان متابعاً لهم في إداء الصلوات في أوقاتها.. دقيقاً في ذلك كل الدقة، وعلى الرغم من كثرة مشاغله وارتباطاته وكثرة الزوار في البيت، إلا أنه كان يخصص أوقاتاً يجلس فيها مع أولاده للمسامرة والتوجيه ويطعم هذه الجلسات بشيء من النكات الأدبية والقصص التاريخية ذات المغزى، وكان يحفظ في هذا كثيراً سواء في التاريخ القديم أو المعاصر ولا سيما في أحداث الجزيرة. وقد كان في هذه المجالس لطيفاً رقيقاً مع مهابة ووقار.

هذه بعض الملامح عن شخصيته «رحمه الله» واسكنه فسيح جناته. لعل فيها فائدة ومتعة وشكراً.



(❖) مجلة التضامن الإسلامي السنة ٤٩ ج ٧ محرّم ١٤١٢هـ

ابـــن حميـــد... ومـــوقـــف الصحافـــة

بقلم:
الأستاذ / عبدالرحمن عبدالعزيز التركي

عزيزتي الجزيرة..

بعد التحية...

كل مسلم مخلص لدينه ووطنه - واقولها بملء فمي - قد بكي أو على الأقل قد تحجرت عيناه بالدموع عندما قرأ كلمات الأستاذ حمد القاضي المنشورة في الجزيرة عدد ٣٦٥٣ وتاريخ ١٤٠٢/١١/٢٥هـ . كما فعل هذا المسلم عندما فجع بنبأ وفاة فقيد الإسلام سماحة الشيخ الجليل عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى.

ان ما اشار إليه الأخ الكاتب من موقف صحافتنا المخزي من هذا الخطب الجلل لهو شيء غير مستغرب منها.. فما هو الشيء الذي قدمته في الماضي عن العلم والعلماء حتى ننتظر منها شيئاً الآن. هل احد يعلم عن أهم نظام متكامل تقوم عليه مصالح الناس وهو نظام القضاء.. هل عقدت اللقاءات الصحفية مع القضاة ليطلع الناس على الأعمال والمسئوليات الجسام التي يضطلعون بها كما تفعل صحافتنا مع المطربين والنحاتين؟ هل احد يعلم عن الدروس شبه اليومية التي كان يعقدها الفقيد «رحمه الله» أو سماحة الشيخ ابن باز حفظه الله

وغيرهما لا يبتغون من ذلك اجراً إلا من الله.. لا يعلم ذلك إلا القليل والقليل من الناس.

لقد رحل سماحته بعد أن ظل خمسين عاماً تقريباً يعطي هذا البلد الطيب كل ما وهبه الله من سعة في العلم وتعمق في الفقه ودراية بالسنة ودقة في الفتوى.. حيث كان محل ثقة قادة هذا البلاد ابتداء من جلالة الملك عبدالعزيز «رحمه الله» وانتهاء بجلالة الملك فهد حفظه الله.

لقد عاد من أمريكا بعد اجراء العملية الأولى وباشر عمله والمرض يمزق احشاءه فلم يترك العمل حتى قهره المرض، لقد سافر إلى أمريكا مرتين للعلاج - حسب علمي - واخيراً اقعده المرض في المستشفى العسكري بالطائف بضعة أشهر ولم يمنعه من حمل هموم المسئولية فكان رحمه الله حسب ما نقل إليَّ - يسأل عن بعض الأمور فيما يتعلق بالعمل وباستمرار حتى منعت عنه الزيارة في الأيام الأخيرة فهل سمعنا من صحافتنا المسكينة شيئاً عن ذلك.

لقد رحل «رحمه الله» وهو نقي الجانب كنقاوة (القماش) الذي لف فيه فلم يدنسه مما وقع فيه من وقع من اختلاس للمال أو استغلال لمنصب.

لقد عرفته «رحمه الله» مفتياً في برنامج (نور على الدرب) ومؤلفاً لبعض الكتب المفيدة وكاتباً لمقدمات قيمة مفتتحاً بها بعض كتب السلف ككتاب مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكتاب تهذيب الآثار (في الحديث) للإمام بن جرير الطبري. وناقداً وموجهاً لبعض ما ينشر مما فيه من مخالفة لآداب الإسلام وغير ذلك كثير وذلك بالاضافة إلى الأعمال الرسمية المناطة به كرئاسته لمجلس القضاء الأعلى والمجمع الفقهي والمؤتمر العالمي للمساجد وغير ذلك.. ولم اره «رحمه الله» وجهاً

لوجه إلا مرة واحدة من شهر رمضان من عام واحد واربعمائة وألف في المسجد الحرام. وهذه حقيقة مرة لا مفر من الاعتراف بها.

سنفقده «رحمه الله». ومعنا العالم الإسلامي .. في رمضان في المسجد الحرام وفي أيام الحج وفي اجتماعات رابطة العالم الإسلامي والمؤتمر العالمي للمساجد والمجمع الفقهي. وغير ذلك. أما خسارتنا فيه كرئيس لمجلس القضاء وموجه للقضاء فهي كبيرة جداً ولكن سيعوضنا الله بمن يملأ هذا المنصب وهم كثر ولله الحمد.

لقد اكتفت بعض الصحف بايراد نتف متناثرة عن الفقيد. (الندوة والمدينة والجزيرة) وان كانت الأخيرة قد تميزت عن غيرها، أما صاحبة الأمجاد الفنية فهي في شغل شاغل لتذكير الناس بما قد نسوه من عهود الوثنية والأصنام فمرة تعرض علينا تمثال سعد زغلول ومرة تمثال السيدة مريم وابنها عليهما السلام وامثال ذلك ولا تدري - بل بالاصح - تتجاهل ما حصل وما يحصل. ولكن هل من رقيب؟! وهذا بلا شك انحدار مستوى المسئولية ينذر بعواقب وخيمة.

إن للصحافة التي من هذا النوع ينطبق عليها المثل السائد: (فاقد الشيء لا يعطيه) أما إذا نظرت إلى القائمين عليها فستذكر معي المثل العامي الذي يقول (مع بعض التعديل): انظر إلى وجه العنز واحلب (لبناً).

وأخيراً تحية من الأعماق لصاحب الخلق الرفيع سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي جاء مشاركاً العلماء في مصيبتهم وكأنه فاقد قريب. وحفظ الله لهذا البلد قيادته الرشيدة. ورحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته أنه سميع مجيب.. وصلى الله على محمد واله وصحبه.

(❖) الجزيرة / الأحد ٢٣ ذي الحجة ١٤٠٢هـ عدد ٣٦٧٣

الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد

(١٣٢٩-١٤٠٢ هـ = ١٩١١-١٩٨٢م)

بقلم: الأستاذ والداعية عبدالله العقيل

مولده ونشأته

هو العالم الجليل والقاضي الفقيه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد، ولد بمدينة الرياض في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ، ١٩١١م، وقد كُفَّ بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية وهو صغير السن.

ومن مشايخه الذين تتلمذ عليهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس وغيرهم.

ولكن أكثر ملازمته كانت للشيخ محمد بن إبراهيم الشيخ، وكان ابن حميد ذا ذكاء مفرط، وعقل راجح، ونظر بعيد، وفهم عميق، جعل له الذكر الحسن والصيت الطيب برغم أنه في سن الشباب.

رُوي عن الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، أنه قال في حق الشيخ ابن حميد: (لو كنت جاعلاً القضاء والإمارة جميعاً في يد رجل واحد، لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد).

تولى القضاء في الرياض عام ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م، وعمره ثمان وعشرون سنة، ثم نقل إلى مقاطعة «سدير» حيث ولي قضاءها، ثم إلى منطقة

«القصيم» حيث ولي القضاء فيها وأقام في مدينة «بريده»، وكان يتولى الإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة، إلى جانب القضاء، ثم انتدبه الملك عبدالعزيز لمحاكم مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والمدينة المنورة.

وفي عام ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م طلب الإعفاء من القضاء ليتفرغ للتدريس والإفتاء فأجيب إلى طلبه.

وفي عام ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م تولى الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام بقرار من الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز، كما تولى التدريس بعد المغرب في المسجد الحرام كل يوم.

وفي عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م عيَّنه الملك خالد بن عبدالعزيز رئيساً لمجلس القضاء، فصار رئيس القضاة ومرجعهم، كما كان عضواً في هيئة كبار العلماء، ورئيساً لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة، وعضواً في المجلس الأعلى للمساجد، ورئيساً للجنة جائزة الدولة التقديرية.

يقول عنه الشيخ المحقق عبدالله البسام صاحب كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) والذي اعتمدنا عليه كثيراً في ترجمة الشيخ ابن حميد:

«لقد كان الشيخ عبدالله بن حميد، محل إجلال وتقدير من ولاة الأمور، وصاحب الإشارة والكلمة النافذة، حيث يجلِّونه، ويعرفون قدره، ويحترمونه غاية الاحترام، لسعة علمه، وبُعد نظره، ونصحه لعامة المسلمين وولاتهم، وما يقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين، وهو من كبار علماء الإسلام وعقلائهم ووجهائهم، يمتاز بالأناة والرويَّة، كثير الصمت إلاّ فيما ينفع، حادّ الذكاء لا يمكن أن يخدع، يحتاط في كل ما

يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغره الدعاوى، كان يرى أن اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين.

هو عالم فقيه لا يشق له غبار، وبخاصة في فقه الحنابلة، ولي معه صلة وثيقة، ومودة أكيدة، وعلاقة علمية، هي أقوى وأوثق من علاقة النسب.

وقد اشتركت معه في أعمال علمية، كإلقاء الدروس في المسجد الحرام والندوات العلمية في موسم الحج..» انتهى.

مؤلفاته

من أهم مؤلفاته: (الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسنة، كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر، دفاع عن الإسلام، حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب، هداية الناسك إلى أحكام المناسك، الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع، تبيان الأدلة في إثبات الأهلة، إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويز ذبخ دم التمتع قبل وقت نحره، غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود، نقد نظام العمل والعمال، الدعوة إلى الله: وجوبها توجيهات إسلامية، رسائل موجهة إلى المعلمين، رسائل موجهة إلى العلماء، المجموعة العلمية السعودية - تحقيق ومراجعة -... إلخ).

كما كانت له دروس ومحاضرات، وندوات، وأحاديث إذاعية، وفتاوى كثيرة لا يحصرها العدّ، ونأمل من أولاده: صالح، وأحمد، وإبراهيم، وإخوانهم أن ينهضوا بمهمة جمعها واخراجها ليستفيد منها طلبة العلم.

ولقد بدأت صلتي به من خلال المراسلة حيث كتبت له - حين كنت بلجنة الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية - طالباً مشاركته في

بحوث الموسوعة الفقهية التمهيدية، كما كنت ألتقيه حين ذهابي إلى الحج أو العمرة أو مؤتمرات الرابطة بمكة المكرمة وأستفيد من علمه وتوجيهاته، وكنت معجباً غاية الإعجاب بصراحته في قول الحق، وإسداء النصح لولاة الأمر، كما كنت مشدوداً إلى قوة حجته في الترجيح بين الأقوال الفقهية، وباعه الطويل في المناظرة المعززة بالدليل النقلي والعقلي، وغيرته على أوضاع المسلمين.

وكان يرى أن العودة إلى منهج الكتاب والسنة والاقتداء بسيرة السلف الصالح من القرون الأولى هي المخرج من الضياع الذي يعيشه شباب المسلمين اليوم، ويرى أن المسؤولية على المسلمين بعامة، ولكنها تتأكد على الأمراء والعلماء والأغنياء بخاصة، فالأمراء عندهم قوة السلطان، والعلماء عندهم قوة العلم، والأغنياء عندهم قوة المال، ومن هنا فلا بد من تضافر كل القوى للوقوف أمام الباطل، ونصرة الحق، والدعوة إلى الله على بصيرة.

وحين توليت الأمانة العامة للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وثقت صلتي بالأخوين الكريمين أبناء الفقيد ابن حميد، وهما الدكتور صالح، والدكتور أحمد، وتعدَّدت لقاءاتي بهما، وكانت محاورات وأحاديث ذات شجون عن أحوال العالم الإسلامي، وكيفية النهوض بالأمة الإسلامية، لتستعيد مكان الصدارة بين الأمم، كما كانت من قبل، وواجب العلماء في التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال الكلمة المسموعة والمقروءة والمشاهدة.

شخصية عالمية

إن أستاذنا الشيخ عبدالله بن حميد، كان شخصية عالمية، تعيش مشكلات المسلمين، وتتحسس قضاياهم، وتشارك في تخفيف وطأة

الظلم عليهم، حيث كانت له مجالس مع القادمين من العالم الإسلامي، أثناء موسم الحج أو العمرة، أو المؤتمرات الإسلامية بمكة المكرمة، تُبحث فيها كل المشكلات، وتطرح الحلول المناسبة لكل منها، وينهض الشيخ ابن حميد بنفسه في عرض الأمر على ولاة الأمر، ليقوموا بدورهم بما أوجبه الله عليهم، من رعاية شؤون المسلمين وخدمة قضاياهم وتقديم العون لهم.

إن هذا الدور الكبير الذي قام به الشيخ ابن حميد كان له أبلغ الأثر في نفوس أبناء المسلمين في العالم الإسلامي، الذين يبحثون عن علماء الصدق، ورجال المواقف، الذين يقودونهم إلى مواطن العز والسؤدد، ويرفعون راية الإسلام ويعلون مكانة العلم والعلماء، وينصحون الحكام لما يصلح دينهم ودنياهم، وقد كان الشيخ ابن حميد أحد هؤلاء العلماء، الذين اضطلعوا بحمل المسؤولية ونهضوا بتبعات الدعوة إلى الله، على منهج الكتاب والسنة، وإسداء النصح للحكام، وتقويم العوج والخلل في المجتمعات الإسلامية، وتصحيح المفاهيم عن الإسلام وأحكامه، وتثبيت أسس العقيدة الصحيحة.

ولقد كان الشيخ ابن حميد وإخوانه وزملاؤه من العلماء في العالم العربي والإسلامي، نماذج صادقة لهذا الإسلام العظيم، أعلوا مكانة الدين الإسلامي، ورفعوا قدر العلماء والدعاة، ووقفوا إلى جانب الشعوب المسلمة، وتبنّوا قضاياها، وأفتوا لعامة الناس أحكام دينهم، ووجّهوهم للالتزام بالإسلام، عقيدة وشريعة ومنهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

إن حاجة العالم الإسلامي اليوم، تتمثّل في وجود مثل هذه النماذج الفذّة من الرجال، الذين يؤثرون ما عند الله على ما عند الناس، ويصدقون

مع الله ويخلصون نيتهم له، ويبذلون قصارى جهدهم لأداء الواجب المنوط بهم.

كان ابن حميد يُزيّنه التواضع مع الجميع، وحسن الإنصات لفهم مشكلات الناس، والعمل الجاد لتقديم المستطاع من الجهد لحلّ مشكلاتهم ومعضلاتهم، دونما ضيق أو ضجر.

صورة صادقة

كما كان صورة صادقة، للعالم المسلم المعتز بدينه، الواثق بنصر الله وتأييده برغم كل العقبات التي توضع في طريق الدعاة إلى الله، لأن الابتلاء والامتحان سنّة من سنن الله عز وجل، ولن يستطيع أحد، كائناً من كان أن يحول دون انتشار الإسلام وغزوه القلوب والنفوس والعقول، فهو الدين الخالد، وهو خاتم الأديان، والمسلمون هم الأمة الوسط والشهداء على الناس، والجهاد هو ذروة سنام الإسلام والفريضة الماضية إلى يوم القيامة.

والإسلام نظام شامل كامل لكل شؤون الحياة، والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام.

ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسّف. ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات، وعلماء الفقه الأثبات.

لقد استمر الشيخ ابن حميد في دروسه ومحاضراته وفتاواه وندواته واستفاد من هذه الدروس والفتاوى خلق كثير والحمد لله.

حدثني الأخ الحبيب الشيخ عبدالله المطوع رئيس (جمعية الإصلاح الاجتماعي) بالكويت، عن همة الشيخ ابن حميد ونشاطه العلمي

والدعوي والخيري وصحبة الناس له وتقديرهم لعلمه وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين من خلال المهمات التي اضطلع بمسؤوليتها في سائر المواقع التي تولاها وأثنى عليه جميل الثناء حيث حضر جنازته.

قال الشيخ ابن حميد في تصديره لكتاب (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة) التي قام بجمعها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وطبعت على نفقة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود:

«من نعم الله على عباده أن جعل العلماء ورثة الأنبياء يُعلِّمون الناس الخير، وينيرون لهم طريق الحق وسبل الرشاد، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، يبينون لهم الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والسنة من البدعة.

وشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله ورفع درجته في العليين، أحد هؤلاء العلماء الذين نفوا عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، لقد بارك الله في أوقاته، ونفع بعلومه في حياته وبعد مماته، فترك من بعده آثاراً عظيمة وعلوماً جمة استفاد منها وتلقاها الناس بالقبول وصارت منهلاً عذباً، ومعيناً صافياً، ومرجعاً معتمداً للعلماء والباحثين.

أثنى عليه العلماء وذكروا عن قوة حفظه وذكائه شيئاً عجيباً لا يتسع المقام لبسطه. وبين يدينا الآن هذه الموسوعة الضخمة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة يعاد نشرها على نفقة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود بعد أن تكاثر الطلب على هذه الفتاوى من علماء المسلمين في كل مكان...» انتهى.

وقد كان الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، يجلِّ العلماء،

ويقربهم من مجلسه ويستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، وفي أحد الأشرطة المسموعة والمشاهدة المحفوظة لدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض يخاطب الشيخ ابن حميد الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز آل سعود في المجلس الذي ضم العلماء كأبن باز وابن حميد وغيرهما قائلاً: «أعتقد ان الشعوب فيها خير ولكن البلاء في القادة، والشعوب فيها الخير بالجملة».

فيجيب الملك الشهيد: «إن المشاكل تجيء من القادة... وربنا سبحانه وتعالى أوجد هذا التشريع لمصلحة البشر في دنياهم وآخرتهم، ولا شك في أن القادة هم المسؤولون عن تطبيق الشريعة والتمسك بالتشريع الإسلامي، وهذا من فضل الله عليهم.»

وقد شاء الله عزّ وجل، أن يبتليه بمرض عضال، لم يمهله طويلاً، كان فيه صابراً محتسباً، راضياً بقضاء الله وقدره، أخذاً بالأسباب المأمور بها، لأن قضاء الله لا بد أن ينفذ، وقد وافته المنية وهو بمستشفى الهدا في الطائف يوم الأربعاء ١٤٠٢/١٢/٢٠هـ ١٩٨٢م. وقد صُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة.

وقد حضر التشييع جماهير غفيرة من طلبة العلم ومحبي الشيخ وعارفي فضله وفي مقدمتهم العلماء والأمراء والأعيان وغيرهم.

رحم الله أستاذنا الجليل الشيخ عبدالله بن حميد، وغفر الله لنا وله، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.[١]

---

(١) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة للشيخ عبدالله العقيل الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي سابقاً.

١٧٢ - الشيخ عبد الله بن حميد(١)

١٣٢٩-١٤٠٢

بقلم : الأستاذ إبراهيم السيف

نشأته ودراسته

العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد ينتسب إلى بني خالد.

ولد في ٢٩ ذي الحجة من سنة ١٣٢٩هـ وتوفي والده في السنة الثانية من ميلاده. وقرأ القرآن أولاً في الرياض على المقرىء علي بن محمد بن مديميغ، ثم استظهره ثانياً وقرأه مجوداً على الشيخ الفاضل عبدالظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي ثم تدرج في طلب العلم فأخذ عن الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ «كتاب التوحيد» و «كشف الشبهات» و «العقيدة الواسطية» و «الأربعين النووية» و «شرح الزاد».

وقرأ على الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ «التدمرية» و«الحموية» و «كتاب التوحيد» و «رد الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية».

---

(١) قرأت الكتاب على الشيخ ابن حميد جزءاً كبيراً من هذا الكتاب، وأما هذه الترجمة فقد أملى جزءاً منها الشيخ ابن حميد بنفسه، قال ذلك إبراهيم السيف.

(١٧٢) «روضة الناظرين» (٥٥/٢) و «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤٣١/٤) و «تتمة الأعلام» (٣٣٨/١) و«علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم» (١١٣) و «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٢٧٣) و «رجال وراء جهاد الرابطة» (ص٨٥) و «موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين» (٢٧٨/١) و «من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر» (٩٥/١) و «رسائل الأعلام» (ص٥٠) و «قادة الفكر الإسلامي» (ص٥١٣).

وقرأ عليه في النحو «الآجرومية» و «القطر» و «شرحه»، و «الملحة» «وشرحها»، و «الألفية» و «شرحها»، و «حاشية السجاعي والخضري» عليها.

وفي الحديث «عمدة الأحكام»، لعبد الغني المقدسي والمصطلح، وفي الفرائض «الرحبية» و «البرهانية» ومراجعات كثيرة في «شرح الترتيب للشنشوري» و «بلوغ المرام» وقطعة كبيرة من «المنتقى».

وفي الفقه «مختصر المقنع» و «شرحه الروض المربع» و «نظم المفردات» و «شرحها» وحفظ «منتهى الإرادات» إلى باب الصداق وسمع عليه «صحيح البخاري» ومسلم وأبي داود والنسائي.

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ «التوحيد» و«آداب المشي إلى الصلاة».

كما أخذ عن الشيخ حمد بن فارس «الآجرومية» مدة قصيرة قبل وفاته بنحو عشرة أشهر وسافر مع شيخه الشيخ محمد بن إبرهيم إلى بلد الغطغط[1] من نجد وقرأ عليه هناك كثيراً، وأخذ «رحمه الله» كثيراً غير ما ذكر من العلوم الشرعية واللغوية والأدبية أصولاً وفروعاً، حتى تأهل وبرز مما جعل شيخه العلامة محمد بن إبراهيم «رحمه الله» يجعله مساعداً له في التدريس في مسجد آل الشيخ المعروف بالرياض الجامعة الإسلامية وقتذاك.

أعماله وملازمته للتدريس

في سنة ١٣٥٦هـ عهد إليه شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية «رحمه الله» بوقته بأن يساعده في التدريس في جامع آل الشيخ المعروف كما أسلفنا وذلك حينما كثر الوافدون إلى الرياض

(١) من قرى المزاحمية من إمارة الرياض.

لطلب العلم فدرس كتب العقائد والتوحيد واللغة العربية وذلك من صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، وكان شيخه هذا يقوم بالتدريس في جانب والشيخ عبدالله في جانب آخر، فدرس على يديه خلق كثير من أهل الرياض ومن غيرهم من طلاب العلم الوافدين إليه وقد استمر ذلك مدة أربع سنوات.

وفي عام ١٣٥٧هـ ألزمه الملك عبدالعزيز «رحمه الله» بالقضاء بالرياض، فكان وقع ذلك عليه عظيماً، ولم يقبل الشيخ ذلك ومانع ممانعة شديدة ولكن الملك عبدالعزيز لم يقبل من الشيخ هذا الامتناع وتأثر منه، حتى أنه توعده لئن لم يلتزم بالقضاء ليبعثنه إلى إحدى البلاد غير المرغوبة، لانها موبوءة «يحسن عدم ذكر أسمها».

وقال له: إن ابن زاحم «يقصد القاضي بالرياض» زحمته الأمور وليس لجماعتك إلا أنت، فأصر الشيخ على الامتناع وأبدى أعذاراً كثيرة كالتي يبديها لولاة الأمور القضاء الزاهدون بمناصب القضاء وأبدى الشيخ عدم قدرته على تولي القضاء، فما كان من الملك عبدالعزيز الذي إذا قال فعل إلا أن أقسم عليه بأن يلتزم بذلك فالتزم بالقضاء مستعيناً بالله على هذه المسؤولية التي كلف بها، وباشر القضاء بنزاهة وتجرد فظل يحل مشاكل الناس وينظر قضاياهم بعين الإنصاف، واختص الشيخ ابن زاحم للبادية والأسواق والشيخ عبدالله لما عدا ذلك كقضايا الدماء والأموال والعقار ونحوها.

وكان الشيخ عبدالله إذا سافر يقوم الشيخ ابن حميد بعمله إلى جانب عمله واستمر في ذلك حتى عام ١٣٦٠هـ.

ثم كان خلفاً للشيخ عبدالله العنقري في قضاء سدير والتدريس

هناك ونفع الله به.

وفي آخر عام ١٣٦٣هـ تولى قضاء مدينة بريده خلفاً للشيخ عمر ابن سليم رحمه الله، بعد أن تعذر عن القيام بذلك ولكن الملك عبدالعزيز أكد رغبته به فالتزم بعد مشادة بينه وبين الملك عبدالعزيز.

وقد عقد حلقات للتدريس في كل من المجمعة وبريده، ففي المجمعة رتب التدريس للطلبة في المسجد المسمى مسجد ناصر بعد صلاة الفجر في التوحيد والفقه ومصطلح الحديث، ثم ينتقل إلى بيته فيدرس في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد وأعلام الموقعين، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد وكتب أخرى، ثم يجلس في المسجد بعد الظهر فيدرس كتاب البداية والنهاية، وكتاب منتقى الأخبار، وذلك بعد أن يكون قد فرغ من القضاء والإفتاء والمسائل المعروضة عليه.

أما حلقته التي يجلس لها بعد العصر في المسجد فيدرس فيها كتاب بلوغ المرام وكتباً أخرى في الأصول وكشف الشبهات والعقيدة الواسطية، وله جلسة أخرى بعد صلاة المغرب في المسجد يدرس فيها الفرائض.

أما ما عدا هذه الأوقات فمخصص للمطالعة والمراجعة في المنزل.

وفي مدينة بريده يجلس للتدريس في الجامع الكبير ويلتف حوله جمع كبير من الطلبة شيباً وشباناً من بريده وضواحيها وطلاب من مدينة الرياض، وكانت جلساته هنا طويلة لكثرة الطلبة.

وقد درس فيها في العقيدة كتاب التوحيد ولمعة الاعتقاد والدرر المضيئة، وفي النحو ألفية ابن مالك استظهاراً، وشرح ابن عقيل عليها مع مراجعة الحواشي كالخضري والسجاعي، وفي الفقه الروض المربع، وشرح زاد المستقنع، يحفظ الطلبة المتن، وقراءة أخرى في كتب المغنى وكشاف القناع والصواعق المرسلة والآداب الكبرى، ومجموع الرسائل

النجدية، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، وبعض كتب الشافعية وغيرها من الكتب الحاوية للمعارف الإسلامية عقيدة وفقهاً ولغة وأدباً وتاريخاً.

وتبدأ الدراسة من بعد صلاة الفجر حتى الساعة الرابعة ضحى بالتوقيت الغروبي، وقد تتأخر إلى الساعة الخامسة «غروبي».

ثم هناك جلسة خاصة يعقدها رحمه الله بعد صلاة الظهر لعدد من المدرسين التابعين لوزارة المعارف الذين لا يتمكنون من حضور حلقة الدرس أول النهار.

ثم بعد صلاة العصر يعقد «رحمه الله» جلسة وفيها يقرأ الطلبة في مصطلح الحديث وأصول الفقه، وما إن تنتهي هذه الجلسة بالنداء لصلاة المغرب وتؤدي الصلاة ويمضي وقت قصير حتى يعقد الشيخ جلسته الثالثة وهذه مخصصة للفرائض وشيء من التاريخ مثل كتاب مروج الذهب، والمنتظم حتى بعد العشاء الذي هو وقت الراحة فتتم فيه المراجعة في بعض الدروس ومراجعة ما يشكل فيها من مسائل فقهية، وكلمات لغوية وأسماء رجال الحديث وتستمر هذه المراجعة حتى الساعة الرابعة ليلاً بالتوقيت الغروبي وإلى جانب ذلك كان رحمه الله يسعى في مصالح البلد ويوفق في سعيه المبارك، ومن أهم ذلك عمارة المسجد الجامع الكبير في مدينة بريده، وقام «رحمه الله» بتطوير المكتبة السعودية القائمة في بريده الآن ثم ضمت إلى وزارة المعارف بعد أن انتقل الشيخ رحمه الله من بريده.

وتحدث الشيخ عبدالله البسام في ترجمة الشيخ فوزان السابق الموجود له ترجمة في هذا الكتاب، قال الشيخ عبدالله في كتابه[1].

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون»)٥/٣٨٢).

وله مكتبة «أي للشيخ فوزان» من أكبر المكتبات في بريده فقد طلب منه العلامة الشيخ عمر بن سليم أن يضعها في جامع بريده، وقد وضعت هي ومكتبة الشيخ عيسى الرميح في مبنى أعده الشيخ عمر في شرق بريده، وكلف الشيخ عمر «رحمه الله» الشيخ علي العجاجي بالإشراف على المكتبة، وهي أول مكتبة أسست في بريده، وهي الأساس للمكتبة السعودية القائمة الآن، والتي طورها فيما بعد الشيخ عبدالله بن حميد ثم ضمت لوزارة المعارف بعد سفره... إلخ

وفي عام ١٣٧٧هـ آثر الراحة وطلب من الملك سعود «رحمه الله» الإذن له بالتفرغ للتدريس، وبعد إلحاح شديد وافق على طلبه بعد أن عرض عليه مناصب عالية، هي رئاسة محكمة التمييز بمكة المكرمة، ورئاسة محكمة مكة الكبرى، ورئاسة المحكمة الكبرى بالرياض ورئاسة محكمة الإحساء ولكنه أبدى العذر وطلب العافية، ولما سافر إلى الحجاز أسف لفراقه أهالي القصيم وكذلك الوافدون عليه من غيرهم حيث فقدوا حلقته العلمية الكبرى وإصلاحاته.

وما إن حط رحاله بمكة المكرمة الا ونصب نفسه للتدريس بالمسجد الحرام.

وكتب الأخ محمد بن إبراهيم الفاسي في جريدة البلاد السعودية بتاريخ ١٣٧٨/٣/٢٥هـ[1] عن حلقة التدريس التي كان يعقدها الشيخ رحمه الله ما يتضمن أن الشيخ عقد حلقته خلف مقام إبراهيم عليه السلام يدرس التوحيد وبيان ما بعث الله به الرسل عليهم وعلى نبينا

(١) الصحيح ١٣٨٧هـ لأن الشيخ كان في هذا التاريخ الذي ذكره الكاتب لا يزال في القصيم ولم يأت مكة الشيخ إلا سنة ٨٤ وبعدها الشيخ كان يأتي مكة في فترة الصيف، حيث ينتدب مجلس الأعلى للقضاء إلى الطائف فيأتي إلى مكة زائراً والشيخ لم يترك الأشراف الديني حتى عام ١٣٩٦هـ وكذلك أيام الحج حتى عام ١٤٠١هـ وانعقاد مؤتمر مجمع الفقه والرابطة.

محمد أفضل الصلاة والسلام، من التوحيد وما ينافيه من الشرك، أو ينافي كماله وبيان البدع القادحة في التوحيد والمعاصي، وتبصير الناس في أحكام حجهم من بيان ما يجب وما يستحب وما يحرم وما يجوز، وتستمر الجلسات بصفة أطول في مواسم الحج، وفي شهر رمضان المبارك لكثرة النَّاس في رمضان، والحجاج والمعتمرين والوافدين للاستفتاء والاستماع ودروس الشيخ عبدالله «رحمه الله» غالباً تكون بعد صلاة الفجر مباشرة وذلك في علوم العقائد والتوحيد وعلوم اللغة العربية إلى قبل طلوع الشمس ثم يشرع في دروس التفسير والحديث والفقه وغيرها من كتب الرجال ثم يصلي ويشرع في دروس صحيح البخاري وأعلام الموقعين وبعد أن يصلي العصر يدرس بلوغ المرام، وبعد صلاة المغرب يدرس الفرائض وتلاوة القرآن مع تفسير الآيات.

وقال: حضرت دروسه في حصوة باب الصفا[١] «قلت: آنذاك يوم كان هناك حصوات في الحرم أما اليوم فجميع أرض الحرم مبلطة ضمن توسعة المسجد الحرام التي لم يسبق مثلها، التي قامت وتقوم بها الدولة السعودية نرجو الله تعالى أن يعزها بالإسلام ويعز الإسلام بها ويدمر أعداءه آمين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد».

وكان موضوعه «أي موضوع الدرس» التوجه بالعبادة إلى الله ودعاء الله وحده لا دعاء الأضرحة لا بواسطة ولا شفاعة، وزيارة القبور سنة للعظة والاعتبار لا للتوسل والاستشفاع ولا بالذبح والنذور للقبور ولا الإستغاثة بها والسجود عندها كل ذلك شرك لا يرضاه الله وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام من أساسه، ومثل ذلك تجصيص القبور وبناء الأضرحة عليها وتشييد الأبنية عليها وكسوتها بالحرير المذهب.

وقال: واستمعت إلى حديث هذا العام ١٣٧٨هـ[٢] وهو يعظ الناس في

(١) درس الشيخ في حصوة باب السلام خلف مقام إبراهيم (٢) كما قلت سابقاً عام ١٣٨٧هـ

المسجد الحرام في شهر رمضان بعد المغرب بواسطة مكبر الصوت فكان ينصحهم ويرشدهم، ويحثهم على المحافظة على الصلاة ويحذرهم من عاقبة تركها، ويبين لهم فضل الصوم والزكاة ومقدارها بالعملة السعودية، وينهاهم عن دعوة الجاهلية العصبية ويدعوهم إلى التمسك بالوحدة الإسلامية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الحجرات الآية ١٠.

وقد حضرت مجلس جلالة الملك عبدالعزيز في العشر الأواخر من رمضان بحضور الشيخ عبدالله بن حميد ومما قاله الشيخ: (الدين والملك أخوان لا يستغني أحدهما عن الآخر فالدين يشرع الحدود والمعاملات والأنظمة والقوانين وهو أساس الملك الذي عليه يبنى والملك ينفذ ما شرع ويحمي ما سنه، وإنا نحمد الله على ما نحن فيه من أمن شامل ودين قائم وعدل منتشر).

ولقد سئل أحد المستشرقين الرحالة عن وجهة نظره في الأديان؟ فقال: لو بعث موسى عليه السلام وشاهد اتباعه اليهود لأنكر عليهم ما هم عليه لمخالفتهم التوراة ولو بعث عيسى عليه السلام وشاهد أتباعه لأنكر عليهم مخالفتهم للإنجيل وتجاوزهم حدوده، ولو بعث محمد ﷺ وسأل عن أتباعه لقالوا له إنهم هناك.. هناك في البلاد السعودية وهذا ما شهدت به الأعداء والشيخ عبدالله بن حميد وغيره من العلماء يعتقد أن العلم ما حواه الصدر بالحفظ وأن حلقات التدريس مظهر جميل للعلم والمعرفة يستطيع الطلاب فيها فهم ما يلقيه المدرس.أهـ.

مكانته العلمية

في عام ١٣٧١هـ وبينما كان يتولى القضاء والتدريس في مدينة

بريده، استدعاه الملك عبدالعزيز وعرض عليه منصباً رأى إحداثه، بصفة جلالة الملك عبدالعزيز يحكم بأوامر الإسلام ولا يخرج عن تعاليمه وهو منصب «مستشار الملك للشؤون الإسلامية».

ولما علم أهل القصيم بسفره إلى الرياض سافر وفد منهم إلى الرياض، وقابلوا الملك عبدالعزيز وطلبوا منه إبقاء الشيخ عندهم للعلم وطلابه والمصالح التي تتحقق على يديه، وألحوا بالطلب عليه في ذلك فامتنع عن الموافقة على طلبه، ولكنهم لما أكثروا الإلحاح والرجاء رق الملك لهم وما كان منه إلا أن احضر الشيخ عبدالله بحضور وفد القصيم ثم قال للجميع هذا الشيخ عبداالله وأنتم ثم وجه الحديث إلى الشيخ عبدالله.

قال الملك: هؤلاء أهل القصيم يريدون عودتك إليهم وأنا إمامك ومحتاج إلى بقائك عندي فإن اخترت البقاء عندي فأنا إمامك وواجبك الطاعة لي، فإن أبيت واخترتهم فالله ربنا وربك.

فقال الشيخ: أنا في السمع والطاعة إن أمرتني بالبقاء بقيت، وإن أمرتني بالذهاب معهم فلا يسعني إلا تنفيذ ما تأمرون به.

فقال الملك بعد أن سكت قليلاً: ما دام أنهم قد توجهوا من بلادهم وطلبوني فإني أوثرهم على نفسي ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سورة الحشر: الآية ٩، عندئذ عاد الشيخ إلى منطقة القصيم وقرت أعين أهل القصيم بعودة الشيخ إليهم.

وفي أثناء عمله عام ١٣٧٢هـ في بريده وما حولها قاضياً ومدرساً انتدبه الملك عبدالعزيز للنظر في القضايا المتأخرة في المحاكم الكبرى في

كل من مكة والمدينة وجدة والطائف، والتي ظلت عدة سنوات دون حل، وكانت معقدة وكثيرة فكان موفقاً إذ أعانه الله على حلها فلم يمض عام واحد حتى أنهاها، فحمد الناس عامة وأربابها خاصة عظيم عمله، ودعوا له.

وقال الأخ الفاسي أيضاً حول ذلك: فحمد الناس نشاطه وبعد نظره وسرعة حله للمشاكل التي كادت أن تهمل، ولقد ساعدني الحظ للاجتماع به فرأيت أمامه أوراق القضايا والمعاملات بعضها فوق بعض مرتبة بتاريخ ورودها، فأنجزها بمدة وجيزة، وبكل دقة وعناية، وكان في ذلك مثال العدل. اهـ.

وفي عام ١٣٨٤هـ تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، فاختاره الملك فيصل «رحمه الله» رئيساً لها، لما لها من الأهمية البالغة، ومقابلة العلماء الوافدين على البلد الأمين، فقام بذلك إضافة إلى التدريس بالمسجد الحرام، فلم يأل جهداً في الإصلاح في ذلك، وأنشأ معهد الحرم المكي عام ١٣٨٦ ومستوى التدريس فيه مقررات المتوسط والثانوي على نظام الحلقات، وهو داخل الحرم ويلتحق خريجوه في الجامعات السعودية، وتخرج منه أعداد كثيرة ولا يزال قائماً - والحمد لله.

وفي عام ١٣٩٥هـ اختاره الملك خالد «رحمه الله» رئيساً لمجلس القضاء الأعلى ومقره الرياض وهو أعلى سلطة قضائية بالمملكة، إلى جانب ذلك كان عضواً في هيئة كبار العلماء ورئيساً للمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وكان يدرس في المعهد العالي للقضاء منذ افتتاحه عام ١٣٨٦هـ.

وإضافة إلى ما ذكر يجيب على أسئلة المستمعين لبرنامج «نور على الدرب» كل يوم من الأسبوع، هذا البرنامج الذي يذاع كل يوم من إذاعة

القرآن الكريم من المملكة السعودية، وكان إذا ألقي عليه السؤال يحفظ السؤال ثم يعيده ثم يجيب عليه، وقد سجلت فتاواه وأجوبته على أشرطة وتوزع لدى عدد من جهات توزيع الأشرطة.

تلاميذ الشيخ

أخذ العلم عن سماحة الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» وتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة الذين يعتبر الكثير منهم في عداد العلماء، منهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح الذي كان إماماً للمسجد النبوي ورئيساً لمحكمة المدينة وعضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في مجلس القضاء الأعلى «رحمه الله»، والشيخ محمد بن عبدالله السعوي عضو رئاسة القضاة ورئيس محكمة الرياض ورئيس تعليم البنات بالمملكة والأمين العام لهيئة كبار العلماء سابقاً حفظه الله، والشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي البكيرية[1] وغيرهما رحمهم الله والشيخ عبدالعزيز الفوزان رئيس محكمة جازان وقاضي التمييز في محكمة التمييز بمكة المكرمة «رحمه الله» والشيخ صالح بن غصون رئيس محكمة الإحساء وقاضي التمييز بمحكمة التمييز بالرياض وعضو مجلس القضاء حفظه الله والشيخ عبدالله المسعري رئيس ديوان المظالم سابقاً، حفظه الله والشيخ حمد الحقيل رئيس محكمة الخرج سابقاً حفظه الله والشيخ حمود التويجري صاحب عدد من المؤلفات المعروفة «رحمه الله» وأخوه عبدالرحمن والشيخ عبدالرحمن بن دهش قاضي قبة[2] سابقاً والشيخ سليمان بن أحمد «رحمه الله» قاضي محكمة بلجرشي[3]

(١) من مدن القصيم المعروفة.

(٢) في إمارة حايل وفيها مركز إمارة.

(٣) مدينة في سراة غامد بمنطقة إمارة الباحة.

سابقاً والشيخ صالح الخريصي رئيس محكمة بريده سابقاً «رحمه الله» والشيخ علي المشقح مساعد رئيس محكمة بريده حفظه الله والشيخ علي السالم مساعد رئيس محكمة بريده سابقاً رحمه الله والشيخ صالح البليهي صاحب كتاب «السلسبيل» «رحمه الله»، والشيخ صالح السكيتي المدرس بالمعهد العلمي ببريده «رحمه الله»، والشيخ علي الضالع «رحمه الله»، والشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي حفظه الله والشيخ عبدالله الخضيري قاضي محكمة عفيف[1] سابقاً، والشيخ عبدالله المحسن المدرس بالجامعة الإسلامية، والشيخ سليمان بن ناصر العبودي القاضي بمحكمة بريده «رحمه الله»، والشيخ عبدالله بن سليمان البطي القاضي بمحكمة بريده، والشيخ عبدالله بن بشر قاضي محكمة تربة[2]، والشيخ إبراهيم الجبيلي قاضي دخنه والخبراء «رحمه الله» والشيخ القاضي إبراهيم الزغيبي «رحمه الله» والشيخ عثمان بن حمد الحقيل مدير عام رئاسة القضاة سابقاً والقاضي الشيخ صالح القرعاوي والقاضي الشيخ محمد بن جابر والشيخ محمد بن جبر رئيس مجلس الشورى، والقاضي الشيخ علي بن فايز الدغيري والقاضي الشيخ سعد بن إسحاق والشيخ عبدالعزيز المسند وكيل وزارة التعليم العالي سابقاً، والشيخ القاضي مقبل العصيمي قاضي الحريق سابقاً «رحمه الله» والشيخ سليمان الربيش قاضي التمييز بالرياض سابقاً والشيخ عبدالرحمن بن سحمان قاضي التمييز بالرياض سابقاً والقاضي الشيخ محمد المنصور والشيخ القاضي محمد بن الأمير عضو مجلس القضاء الأعلى والقاضي الشيخ صالح بن مطلق والشيخ المقرىء صالح بن عمر المرشد «رحمه الله»

(١) بلدة ذات إمارة من إمارات الرياض يتبعها موارد للبادية وقرى.
(٢) من قرى منطقة حايل، سُكانها من شمَّر فيها مركز من مراكز الإمارة.

والقاضي الشيخ أحمد بن علي الحميدان وغيرهم بلا شك أن من بين تلاميذه إبناءه الدكتور الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد إمام المسجد الحرام ونائب رئيس الإشراف الديني بالمسجد الحرام وعضو مجلس الشورى والمدرس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة والشيخ أحمد بن محمد بن حميد المدرس بجامعة أم القرى.

مؤلفاته رحمه الله

للشيخ عبدالله «رحمه الله» مؤلفات وفتاوى ورسائل وردود بعضها مسجلة على أشرطة وبعضها مطبوعة وبعضها مخطوطة، صدرت منه منذ قيامه بالتدريس إلى قبيل وفاته.

ولقد حضرت إحدى محاضراته في مدينة الرياض في مسجد آل فريان جنوب حي دخنه، فكان واضحاً في محاضرته عزير العلم إذا أخذ يتحدث فكأنه يقرأ من كتاب سليم النطق من اللحن سهل الأسلوب، من يستمع حديثه يود أن يطول أكثر من المقرر، أما مؤلفاته فهي:

١ - الرسائل الحسان.
٢ - إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل وقت نحره.
٣ - غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود.
٤ - تبيان الأدلة في إثبات الأهلة.
٥ - الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.
٦ - توجيهات إسلامية.
٧ - كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
٨ - هداية الناسك إلى أحكام المناسك.

٩ - دفاع عن الإسلام واشتراكية حرام.
١٠ - الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
١١ - لا اشتراكية في الإسلام.
١٢ - حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
١٣ - نقد نظام العمل والعمال مخطوط.
١٤ - رسالة في التلفزيون مخطوطة.
١٥ - رسالة في التوحيد.
١٦ - تنبيهات على أن جدة ليست ميقات.
١٧ - فتاوى مخطوطة.

وقد اطلعت على كتابه «رحمه الله» المذكور هنا برقم (١٢) وهو حكم اللحوم المستوردة إلخ، فإذا هو رد على ما ألفه الشيخ عبدالله ابن زيد بن محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر «رحمه الله».

قال الشيخ ابن حميد في كتابه أما بعد: فهذه رسالة وجيزة نبهت فيها على ما جاء في رسالة الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر من الأخطاء والأغلاط، فإن قصد الجميع معرفة الحق بدليله، وذلك أن ابن محمود ألف رسالة سماها «فصل الخطاب في إباحة ذبائح أهل الكتاب» غير أنه لم يقتصر على إباحة ذبائح أهل الكتاب، بل تجاوزها إلى غيرها من ذبائح الشيوعيين والصابئة والمشركين وعباد الأوثان وغيرهم من ملل الكفر، وتكلم على تذكية المسلم وقال: إنه ليس عندنا ما يدل على قصر التذكية وحصرها في قطع الحلقوم والمرىء حسبما شرطه الفقهاء، إلا أنها جرت العادة بذلك في الإسلام وزمن الجاهلية» إلى غير ذلك مما سيمر بك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

قال ابن محمود في مقدمة رسالته: «إن في هذه الرسالة من دقائق الفقه وحقائقه ما عسى أن لا تجده موضحاً في غيرها، لكنها تحتاج إلى علم واسع ودراسة عميقة وتحرر عن تقييدات فقهاء المذاهب».

أقول في هذه الجملة من الملاحظات ما يلي:- مع قطع النظر عما دلت عليه عبارته من الإشادة بسعة علمه - صدق فيما قال من عدم وجود ما ذكره من عدم اشتراط التذكية في الحلقوم والمريء، وإباحة ذبيحة من لا يدين بدين إلى غير ذلك، فإنك لا تجده في غير هذه الرسالة، لأن المسلمين مجمعون على خلاف ما قرره ابن محمود مما سيمر بك مفصلاً إن شاء الله.

وأوضح في رده عليه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، كما أوضح الحكمة في اختصاص الذكاة في هذا المحل، وبيان أنه يشترط في إباحة ذبائح أهل الكتاب التذكية الشرعية، ورد على ما ذكره الشيخ ابن محمود عن استدلاله بحديث عائشة على إباحة كل ما يجلب إلى أسواق المسلمين من لحوم مجهولة لا يعلم من ذبحها ولا كيفية ذبحها، فرد على ذلك وبين عدم صحة هذا الاستدلال من حديث عائشة الذي رواه البخاري «أنهم قالوا: «يا رسول الله إن قوماً حديثوا عهد بجاهلية يأتوننا باللحوم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال: سمو الله وكلوا»[1]، وبين أن ليس في حديث عائشة ما يدل على إباحة أكل الحيوانات من دجاج وذبائح ونحوها مما يجلب من بلاد الكفر، كالشيوعية والوثنية وأمثالهم، لأن حديث عائشة في قوم مسلمين إلا أنهم حديثو عهد بكفر، وذبيحة المسلم الأصل فيها الحل، وعائشة رضي الله عنها لم تسأل الرسول ﷺ عن الذبائح ولا عن صفة الذبح لعلمها

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٨).

أنهم مسلمون، وإنما سألت عن التسمية فقط إلخ، وبين أن ما يجلب إلى أسواق المسلمين له ثلاث صور:

١ - ما ذابحه مُسلم فهو حلال.

٢ - ما ذابحه كتابي فهو أيضاً حلال.

٣ - ما هو مجهول الأمر لا يدري ذابحه فهو حرام تغليباً لجانب الحظر، وذكر فضيلة الشيخ ابن حميد الأدلة على ذلك من الأحاديث.

أما استدلال الشيخ ابن محمود من إطلاق القرآن على إباحة ذبائح أهل الكتاب فرد عليه الشيخ بعدم صحة ذلك الإطلاق، وبين أن العلماء متفقون على أنه يشترط في ذبائحهم ما يشترط في ذبائح المسلمين، وذكر كلام الإمام ابن تيميَّة وابن قدامة وغيره.

كما أوضح رحمه الله ضمن رده على رسالة الشيخ ابن محمود: أن تغيير اليهود والنصارى لأديانهم مقتضى لتغيير الحكم في إباحة ذبائحهم.

إلى أن قال الشيخ ابن حميد «رحمه الله» ولمزيد من الإيضاح في هذه المسألة نظراً لأهميتها والحاجة إليها وابتلاء المسلمين بها، نقول: إن الأصل في الأبضاع والحيوانات التحريم فلا يحل البضع إلا بعقد صحيح مستجمع لأركانه وشروطه، كما لا يباح أكل لحوم الحيوانات إلا بعد تحقق تذكيتها من أهل للتذكية، فإن الله سبحانه وتعالى حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وحرم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع إلا ما ذكي، فهذا يدل على أن الأصل في الحيوان التحريم إلا ما ذكاه المسلمون أو أهل الكتاب بقطع الحلقوم وهو مجرى التنفس والمريء وهو مجرى الطعام والماء مع قطع الودجين في قول طائفة من أهل العلم، فما يرد من اللحوم المعلبة إن كان

استيراده من بلاد إسلامية أو من بلاد أهل الكتاب وعادتهم يذبحون بالطريقة الشرعية فلا شك في حله، وإن كانت تلك اللحوم المستوردة تستورد من بلاد جرت عادتهم أو أكثرهم يذبحون بالخنق أو بضرب الرأس أو بالصاعقة الكهربائية ونحو ذلك، فلا شك في تحريمه، وكذلك ما يذبحه غير المسلمين وغير أهل الكتاب من وثني أو مجوس أو قادياني أو شيوعي ونحوهم، فلا يباح ما ذكوه، لأن التذكية المبيحة لأكل ما ذكي لا بد أن تكون من مسلم أو كتابي عاقل له قصد وإرادة وغير هؤلاء لا يباح تذكيتهم.

أما إذا جهل الأمر في تلك اللحوم ولم يعلم عن حالة أهل البلد التي وردت منها تلك اللحوم هل يذبحون بالطريقة الشرعية أم بغيرها ولم يعلم حالة المذكين وجهل الأمر: فلا شك في تحريم ما يرد من تلك البلاد المجهول أمر عادتهم في الذبح تغليباً لجانب الحظر، وهو أنه إذا اجتمع مبيح وحاظر فيغلب جانب الحظر سواء كان في الذبائح أو الصيد، ومثله النكاح كما قرره أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة والعلامة ابن القيم والحافظ ابن رجب وغيرهم من الحنابلة وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام النووي وغيرهم كثير، مستدلين بما في «الصحيحين» وغيرهما من حديث عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل فإن وجدت معه كلباً آخر فلا تأكل»[1].

فالحديث يدل على أنه إذا وجد مع كلبه المعلم كلباً آخر أنه لا يأكله تغليباً لجانب الحظر، فقد اجتمع في هذا الصيد مبيح وهو إرسال الكلب المعلم إليه، وغير مبيح وهو اشتراك الكلب الآخر، لذا منع الرسول

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٥) ومسلم (١٩٢٩).

ﷺ من أكله، وقال أيضاً ﷺ «إذا أصبته بسهمك فوقع في الماء فلا تأكل» متفق عليه[1].

وفي رواية عند الترمذي[2]: «إذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل» عن عدي بن حاتم. انتهى ملخصاً.

ومن مطالعة هذا الكتاب اتضح لي أنه يتضمن قسمين:

الأول: ملخصه ما ذكرنا.

والثاني: الرد على الشيخ ابن محمود في رسالته المتضمنة فتواه جعل مدينة جدة ميقاتاً للحجاج القادمين من جهة البحر بناءاً منه على الضرورة المقتضية لذلك على حد زعمه «رحمه الله»، نرجو الله أن يعفو عن أخطاء الشيخ ابن محمود وأخطائنا، وكل مسلم ومسلمة في القول والعمل، ولعله اطلع على رد الشيخ ابن حميد «رحمه الله» في كتابه هذا، حيث أنه طبع عام ١٤٠٠هـ وبين طبعه ووفاة الشيخ ابن محمود «رحمه الله» في العشر الأواخر من رمضان عام ١٤١٧هـ أكثر من ١٦ عاماً وثمانية أشهر.

وقد تضمن رد الشيخ ابن حميد «رحمه الله» بعد أن أشار إلى ما ذكر الشيخ ابن محمود من أن رسول الله ﷺ لو كان حياً ويرى كثرة النازلين من أجواء السماء إلى ساحة جدة يأمون هذا البيت للحج والعمرة، لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها، وعلى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد إلى غير ذلك إلى آخر ما تضمنته رسائل الشيخ ابن محمود من أمور رد عليها الشيخ ابن حميد.

وقد أورد في رده الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، وملخص ذلك ما تضمنه الرد من أن تعليل الشيخ ابن محمود أن الطائرات مكلفة

(١) أخرجه البخاري (٥٤٨٤) ومسلم (١٩٢٩). (٢) (١٤٦٨).

حسب النظام بالنزول في مطار جدة لجواز الإحرام فيها ليس بشيء، ثم أن ادعاءه أن مرور الطائرات فوق سماء الميقات وهي محلقة في السماء لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم، ادعاء باطل، فإن السماء حكمها حكم الأرض التي يقابلها سواء بسواء.

وذكر الشيخ ابن حميد حول ذلك ما جاء في كتاب «الدر المختار»[1] وما قال الإمام النووي وما قال في كتاب «المغني»[2] وكتاب «مطالب أولي النهى» وما قاله الملا علي قارئ في «منسكه»، وقال: فالفضل الذي يقابل المواقيت هو في حكم المواقيت لها من الحكم ما للمواقيت الأرضية.

وعلى قوله: فمتى كان الأمر بهذه الصفة وأن القضية هي موضع اجتهاد وتطلب من العلماء والحكام تحقيق النظر في تعيين الميقات لهؤلاء القادمين على متون الطائرات لحجهم وعمرتهم، ولا أوفق ولا أرفق من جعل جدة هي الميقات. اهـ.

قال الشيخ عبدالله: في هذا نظر من وجوه:

الوجه الأول: أن القضية (أي الميقات) هي موضع اجتهاد، فمن يقول أن الميقات موضع اجتهاد، فهل لأحد أن يعين ميقاتاً من قبل نفسه وقد عين رسول الله ﷺ المواقيت، كما في «الصحيحين»[3] وغيرهما فلا مساغ لأي اجتهاد مع النص، فقد وقت لأهل المدينة ومن يأتي من جهتهم براً أو بحراً أو جواً: ذو الحليفة.

كما وقت ما يقابلها لمن يأتي من جهة اليمن براً أو بحراً أو جواً: ذو الحليفة.

(١) «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» للحكفي (١٢٥/٣). (٢) «المغني» للشيخ ابن قدامة المقدسي (١٨٤/٣).
(٣) انظر ما أخرجه البخاري (١٥٢٦) ومسلم (١١٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن النبي ﷺ وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة.

كما وقت ما يقابلها لمن يأتي من جهة اليمن براً أو بحراً أو جواً يلملم.

ووقت لأهل المشرق من أهل نجد وغيرهم: قرن المنازل.

ووقت ما يقابلها لأهل المغرب ومن يأتي من جهتهم: الجحفة.

وقال: «هن لهن ولمن أتى عليهم من غير أهلهن»[1].

فإنشاء مواقيت وتحديد أمكنة يحرم منها المسلمون خطأ على الشريعة وجناية عليها، فقد كفانا رسول الله ﷺ وبين المواقيت، الواجب على من مر بها أو بمحاذاتها أن يحرم متى كان مريداً للنسك.

الوجه الثاني: إدخال الحكام في المسائل العلمية التي للاجتهاد فيها مساغ: في غير محله فإن الاجتهاد لا يكون من الحكام ولا من غيرهم وإنما الحكام منفذون، والمسائل الاجتهادية مرجعها إلى العلماء العارفين بأصول الشريعة وقواعدها، العالمين بإلحاق كل فرع بما يناسبه والحكام ليسوا من أهل هذا الفن، فإدخال الحكام مع العلماء فيما يسوغ فيه الاجتهاد مما لم ير فيه نص من كتاب الله وسنة رسوله: في غير محله.

الوجه الثالث: قوله: «ولا أوفق ولا أرفق من جعل جدة هي الميقات»، فالأوفق والأرفق ما عينه رسول الله ﷺ وما درج عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا ما استحسنته الآراء والعقول بدون دليل يصار إليه، فأي عقل يعارض به سنة رسول الله ﷺ؟ فكناسة الآراء وزبالة الأذهان ونحاته الأفكار لا تقابل بما جاء به النبي الأمين ﷺ الذي أمرنا باتباعه والتمسك بهديه، قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ

(١) جزء من الحديث المتقدم في التعليق السابق.

عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الحشر : الآية ٧.

قوله: «وقد صارت جدة طريقاً لجميع ركاب الطائرات، ويحتاجون بداعي الضرورة إلى تعيين ميقات أرضي يحرمون منه لحجتهم وعمرتهم فوجبت إجابتهم، كما وقت عمر لأهل العراق ذات عرق». اهـ.

لا إله إلا الله، ما أعظم شأنه، فهل لو كان طريق ركاب الطائرات غير جدة، هل يكون ميقاتاً؟ ماذا لو كان المطار في بحرة أو الحديبية أو مكة؟ وهل يتغير هذا الميقات كلما تغير طريق ركاب الطائرات؟ لا أظن أن أحداً يقول بهذا القول.

أما ما وقت عمر لأهل العراق ذات عرق فإنه قال «انظروا حذوها من طريقكم» فمن يأتي براً أو بحراً أو جواً ولم يمر في طريقه بميقات فيقال له انظروا حذوها من طريقكم. ولأثر عمر رضي الله عنه هذا، اتفق العلماء على أن من سلك طريقاً لا يقع فيها ميقات مما عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يحرم من موضع يحاذي أقرب المواقيت إليه.

وقد بحثت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية موضوع رسالة فضيلة الشيخ عبدالله بن محمود في حكم جواز الإحرام من جدة فأصدرت القرار رقم ٧٣ في ١٣٩٩/١٠/٢١هـ والذي هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، ففي الدورة الرابعة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف من ١٣٩٩/١٠/١٠هـ حتى ١٣٩٩/١٠/٢١هـ نظر المجلس في الرسالة التي بعثها الشيخ عبدالله ابن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر إلى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز المتضمنة جواز جعل جدة ميقاتاً لركاب الطائرات الجوية والسفن

البحرية، وقد استعرض المجلس تلك الفتوى فوجد أنها تستند على:

١ - أن الفتوى تتغير بتغير الأحوال والأزمان.

٢ - أن القضية موضع اجتهاد وتتطلب من العلماء تحقيق النظر في تعيين الميقات لهؤلاء القادمين على متون الطائرات.

٣ - أن مرور الطائرات فوق سماء الميقات وهي محلقة في السماء لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم لغة ولا شرعاً.

٤ - ما يزعمه من أن فتواه تشبه ما فعله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين وقت لأهل العراق ذات عرق.

٥ - قوله «لو كان رسول الله ﷺ حياً ويرى كثرة النازلين من أجواء السماء إلى ساحة جدة يأمون هذا البيت للحج والعمرة لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه». اهـ.

وإن المجلس بعد دراسة هذه الأمور الخمسة وغيرها مما ورد في الرسالة، يرى أن المسوغات التي استند إليها مردودة بالنصوص الشرعية وإجماع سلف الأمة، فقد روى البخاري(١) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة».

ولا يصح الاستناد في هذه المسألة إلى تغيير الفتوى بتغيير الأحوال والأزمان لأنها من العبادات وهي مبنية على التوقيف، كما أنها ليست من مواضع الاجتهاد لتحديدها بالنص من رسول الله ﷺ ومن المعلوم

(١) تقدم تخريجه قريباً.

عند أهل العلم أن الهواد تابع للقرار، كما هو مبسوط في موضعه وإنكار ذلك منه غير مسلم.

أما احتجاجه بجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات عرق ميقاتاً لأهل العراق فهو مردود، لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يجعل لأهل العراق ميقاتاً في الجهة الغربية أو غيرها من مكة يحرمون منه بدلاً من ميقاتهم الذي يمرون به في الجهة الشرقية منها، بل قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنظروا حذوها من طريقكم».

وأما قوله: «ولو كان رسول الله ﷺ حياً - إلى قوله - لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها، لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه» فهو قول باطل لأن الله أكمل الدين في حياة رسول الله ﷺ وانتهى التشريع بوفاته كما قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة المائدة: آية ٣. وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ سورة مريم: آية ٦٤. وإنه ليترتب على هذا القول أمور كثيرة خطيرة.

وبناء على ما تقدم وبعد الرجوع إلى الأدلة وما ذكر أهل العلم في المواقيت المكانية ومناقشة الموضوع من جميع جوانبه فإن المجلس يقرر بالاجماع ما يلي:

١ - أن الفتوى الصادرة من فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر، الخاصة بجواز جعل

جدة ميقاتاً لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية: فتوى باطلة لعدم استنادها إلى نص من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع سلف الأمة، ولم يسبقه إليها أحد من علماء المسلمين الذين يعتد بأقوالهم.

٢ - لا يجوز لمن مر بميقات من المواقيت المكانية أو حاذى واحداً منها جواً أو بحراً أن يتجاوزه من غير إحرام، كما تشهد لذلك الأدلة وكما قرره أهل العلم رحمهم الله تعالى.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

«هيئة كبار العلماء: رئيس الدورة: عبدالله بن محمد بن حميد، أعضاء هيئة كبار العلماء: عبدالله خياط، محمد بن علي الحركان، عبدالعزيز بن عبدالله الباز، سليمان بن عبيد، عبدالرزاق عفيفي، راشد بن خنين، محمد بن جبير، عبدالله بن منيع، صالح بن لحيدان». اهـ.

ومما لا يخفى أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي بالباطل.

وفاة الشيخ «رحمه الله»

مرض الشيخ عبدالله «رحمه الله» مرضاً خطيراً وعولج بواسطة عدد من الأطباء باهتمام أولياء الأمور، ولما لم يجد العلاج صدر الأمر بعلاجه خارج المملكة، فعولج في أمريكا ولكن دون جدوى، فعاد إلى المملكة وتوفي يوم الأربعاء ١٤٠٢/١١/٢٠هـ، وتمت الصلاة على جنازته بالمسجد الحرام وصلى عليه جموع من الأمة فيهم الأمراء والوزراء والرؤساء، إضافة إلى العلماء الذين في مقدمتهم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز بن باز ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد الحركان ثم ذهبوا لمنزله وعزوا أولاده وأسرته.

ونشرت الصحف والمجلات مراثي في الشيخ «رحمه الله» نثراً وشعراء من عدد من العلماء وغيرهم وأثنوا عليه وأشادوا بسيرته

ومكانته العلمية وغزارة علمه.

وننشر فيما يلي ملخص ذلك بعنوان ما قالوا في الشيخ ورحيله وعلمه وسيرته، نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ويجزيه خير الجزاء على ما قام به من أقوال وأعمال من تدريس وغيره وما ألفه من كتب لخدمة الإسلام والمسلمين وأن يكثر من أمثاله في مجتمعنا وينفعنا بعلمه.

ما قالوا عن الشيخ «رحمه الله»

تحدث سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة لجريدة البلاد بحديث نشرته في عددها رقم ٧٢٢٤ عن الشيخ عبدالله «رحمه الله» فقال الشيخ عبدالعزيز حفظه الله «ترك أثراً كبيراً وفراغاً عظيماً وذلك بسبب غزارة علمه وكثرة فضله واهتمامه بأمور المسلمين وتوجيههم للخير عن طريق الكتابة والخطابة والوعظ العام».

لقد كان «يرحمه الله» زميلاً لي في طلب العلم والتحصيل، ودراسة المتون، ومراجعة الشروح والمعاني والأحكام وحل الإشكالات، ومن هنا ربطني بالشيخ عبدالله «رحمه الله» علاقة متينة ازدادت على مر الأيام في المذاكرة والتعاون على البر والتقوى والنصح العام لولاة الأمور والمسلمين».

كما تضمن حديث الشيخ ابن باز: أنه تأثر بوفاة الشيخ عبدالله كثيراً وقال: «لأنه من أخص أحبائي ومن أخبر أهل العلم الذين تعاونت معهم، خصوصاً وأن أغلب ما كان يدور بيني وبينه يتعلق بالمصالح العامة للمسلمين، وتذكيرهم بالحق، ودعوتهم إلى الالتزام بأحكام الشريعة والحذر مما يخالف ذلك.

كان «رحمه الله» غاية في تحري الحق والعناية بالأدلة في ترجيح ما

يوافق الحق من مسائل الخلاف، ولعل هذا ما جعل أبناءه يتأثرون بشخصيته ليصبحوا من خيرة شباب المسلمين، وأخص منهم بمزيد من العناية الشيخين صالحاً وأحمد فهما على مستويات علمية عالية. اهـ.

وأصدرت رابطة العالم بياناً نعت سماحة الشيخ عبدالله «رحمه الله» وأشارت إلى كونه من علماء المملكة العربية السعودية الأجلاء، ومساهمته بعمله وفكره في مجالات الدعوة إلى الله ونشر معارف الإسلام ومشاركته بجهوده منذ انتسابه لعضوية المجلس التأسيسي «لرابطة العالم الإسلامي» ورئاسة المجمع الفقهي رغم تقدم سنه وضعف صحته، وكونه رحمه الله مشهوراً بحصافة الرأي والرزانة والحكمة. اهـ.

ولقد تحدث أيضاً عن سيرة الشيخ وعلمه وأثنى عليه عدد من المشائخ، فبالإضافة إلى حديث الشيخ ابن باز المار ذكره، تحدث عنه كل من المشايخ محمد بن سبيل، ورثاه بقصيدة، كذلك حمد بن فريان وكيل وزارة العدل رثاه بكلمة، وعبدالرحمن بن فايز الحربي والأستاذ توفيق السديري والشيخ أحمد الطاحون والشيخ صالح المزروع والأستاذ عبدالله رجب، ورثاه الأستاذ إبراهيم المديغر بقصيدة، وتحدث ابنه المترجم له الشيخ أحمد عن والده، وكذلك ناصر السويد الذي عمل عند الشيخ عبدالله موظفاً في مجلس القضاء الأعلى تحدث عما يعرفه عن الشيخ «رحمه الله»، وكذلك الأخ عبدالله ابن سعد الرويشد، وقد نشرت هذه الأحاديث والمراثي في كل من جريدة الجزيرة وجريدة الرياض وجريدة البلاد ومجلة الدعوة ومجلة اليمامة.

وفيما يلي أمثال من البحوث التي كان يمليها ونشرها «رحمه الله» «مضار الخمر ومفاسدها» حرم الإسلام الخمر تحريماً قاطعاً ولم يستثن حالاً من الأحوال، ولا أباحه ولا أجازه لهضم الطعام، ولا رضيه لتقوية شهوة عليه، ولا لإكثار دم في جسم، ولا لغير ذلك، بل عمم التحريم فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة الآية ٩٠.

وقد سأل طارق بن سويد رسول الله ﷺ عن الخمر؟ فقال: إنا نصنعها للدواء، فقال: «لكنها داء»[1]، فأخبر النبي ﷺ بأنه لا دواء فيها وأثبت ضررها بما فيها من الداء، فكم فيها من رذائل ومفاسد شرحها غير واحد من الأطباء وغيرهم، فقال بعضهم: إن شرب الخمر مضر جداً وقد ثبت طبياً بأن الخمر يسبب الأمراض الآتية:

١ - التهاب المعدة وسوء الهضم.
٢ - القرحة.
٣ - سرطان المعدة.
٤ - التهاب البنكرياس.
٥ - أمراض الكبد.
٦ - أمراض القلب، ولقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة أن الخمر يشكل خطراً على المصابين بمرض شرايين القلب التاجية لأنها تزيد من تجلط الدم داخل الأوعية الدموية وتسبب السكتة القلبية.
٧ - الاستسقاء.

(١) أخرجه أحمد (٣١١/٤، ٣١٧) وابن ماجه (٣٥٠٠) وغيرهما من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه، وهو صحيح.

٨ - الأمراض الناشئة عن نقص الفيتامينات.

قال بنتام الإنجليزي: «من محاسن الشرعية الإسلامية تحريم الخمر، فإن من شربها من أبناء أفريقيا يؤول أمر نسله إلى الجنون، ومن استدامها من أهل أوروبا زاغ عقله، فليحرم شربها على الأفريقيين، وليعاقب عقاباً صارماً الأوروبيون وليكن العقاب مقدراً بمقدار الضرر».

وقال هنري الفرنسي في كتابه «خواطر وسوانح في الإسلام»: إن أحد سلاح يُستأصل به الشرقيون، وأمضى سيف يقتل به المسلمون هو الخمر وإدخالها عليهم، ولقد جربنا هذا السلاح على أهل الجزائر حين دخلناها فأبت شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه فتضاعف نسلهم وكثر عددهم، ولو أنهم استقبلونا كما استقبلنا قوم من منافقيهم بالتهليل والترحيب وشربوها لأصبحوا أذلاء لنا كتلك القبيلة التي تشرب خمرنا وتحملت إذلالنا».

وكان كليوج الطبيب الأمريكي يمنع التداوي بالخمر، إذ بان له أن ضررها في الجسم عند التداوي أكثر من نفعها بالشفاء المؤقت، لما تفعل بالأمعاء وباقي الأحشاء من الضرر قال: «ولما فشت الخمر في بلادنا أغرم بها قوم حتى خربت البيوت وأذهبت العقول، ونحن نرقب من الله الخروج من مأزقنا».

وكلام الأطباء من الألمان والروس وغيرهم في الخمر ومضاره وما يترتب عليه من الأدواء أكثر من أن يحصى، ولكن هجمت على المسلمين المدنية الزائفة بخيلها ورجلها، وشاركتهم في الأموال والأولاد، وبهجومها لم يبق للدين في النفوس أثره، ولا في القلوب سطوته، فانحسر عن المدن إلى القرى ثم انحاز إلى الأطراف وهي تطارد الدين، ولكن المدنية

بلا علم ضلال، والعلم الناقص عناء ووبال، والبلاهة كما قال بعضهم خير من الفطانة البتراء، والجهلاء أفضل من الأذكياء المغرورين، فإما الدين كله وإما العلم كله، ونحن أخذنا من الديانات أسماءها، ومن العلوم قشورها، فخسرنا الصفقتين وربحنا الرذيلتين، وسبقنا المتدينون، وفاتنا من الفرنجة العلماء العاملون، فويل ثم ويل لمن لا دين له ولا علم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ سورة الكهف الآية ١٠٤.

ثم أن الشارب يصير ضحكة العقلاء فيلعب ببوله وعذرته، حتى رؤى بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول: اللهم اجعلني من المتطهرين، ورؤى بعضهم والكلب يلمس وجهه وهو يقول: «أكرمك الله» فانظر إلى مطابقة ما قاله هؤلاء الغربيون لما أخبر به النبي ﷺ من أن الخمر ضرر ومفاسد بقوله: « إنها داء» والله الهادي إلى سواء السبيل».

وقد كان يستشار «رحمه الله» في طباعة الكتب الهامة، فقد طبع بمشورته:

١- تنبيه الغافلين لابن النحاس.
٢- المجموعة العلمية السعودية.
٣- غاية الأماني في الرد على النبهاني.
٤- معارج في مناهج الحق والصواب.
٥- صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان.
٦- شرح مختصر الخرقي للإمام الزركشي وغيرها. اهـ.

وكان «رحمه الله» شغوفاً بشراء الكتب من حين نشأ فكان يشتري الكتاب مهما كان ثمنه مرتفعاً وكان يسأل وفود الحجاج الذين يلتقي بهم عن آخر ما طبع في بلادهم ومع مرور الزمن تكونت لديه مكتبة قيمة

تحتوي على خمسة عشر ألف كتاب مطبوع، وعلى ثلاثمائة مخطوط، بالإضافة إلى ذلك كان «رحمه الله» يحتفظ بأغلب الخطابات التي ترد إليه حينما كان في قضاء سدير والقصيم.

آخر الترجمة

وآخر الترجمة أذكر ملخصاً لما ذكره عن الشيخ بعض معارفه وبعض من لهم صلة قربى أو عمل من أمور متنوعة تتعلق بسيرته وعلمه «رحمه الله رحمة واسعة»، كان «رحمه الله» أحب قراءة إليه قراءة القرآن، حيث كان في سنواته الأخيرة يختم القرآن كل أسبوع مرة تقريباً، عدا شهر رمضان، فله وضع خاص، وأوقات قراءته للقرآن كانت قبل النوم وقبل الفجر، وإذا استيقظ في أثناء الليل كان يقرأ حتى يغلبه النوم، وبعد قراءة القرآن كان رحمه الله يميل إلى قراءة كتب الفقه والحديث والأدب.

وقد صدرت له فتاوى على نوعين، نوع مكتوب وهذا محتفظ بصورته، قام «رحمه الله» فدونه بدفاتر وصححه ورتبه على أبواب الفقه وهذه الفتاوى موجودة لدى أولاده ومعدة للطبع، والنوع الثاني الفتاوى التي لم تكتب التي صدرت من الشيخ أثناء تدريسه في الحرم أو في برنامج «نور على الدرب» من إذاعة القرآن الكريم أو برنامج «اسألوا أهل الذكر»، فهذه مسجلة على الأشرطة منها ما هو موجود لدى الإذاعة ومنها ما هو مع الناس ولدى الجهات التي تقوم بتوزيعها على الجمهور، وقد جمعها أبناء الشيخ وسيتم طبعها إن شاء الله.

عن ذاكرته وذكائه

كانت دراسة الشيخ «رحمه الله» في صغره وشبابه، إلا أنه «يرحمه الله» كان قوي الذاكرة مما يساعده على استحضار المسائل العلمية

وتذكرها وإن بعد العهد عنها، وقد حصل له «رحمه الله» مواقف تدل على أن له «رحمة الله» قوة ذاكرة، منها أنه كان مسافراً من القصيم إلى مكة لأداء العمرة وتعطلت سيارتهم في الطريق، وبينما الشيخ جالس إذ أقبل شخص فجلس وسلم على الشيخ، فرد عليه السلام وقال: وعليكم السلام يا منير فاندهش هذا الشخص كيف عرفه الشيخ، فقال له الشيخ ألست منيراً الذي تخاصمت مع فلان الفلاني في قضية الجمل الأصفر، وكان هذا قبل عشرين عاماً تقريباً.

وكان «رحمه الله» يحفظ عشرات أرقام التلفون في عدة مناطق من المملكة، وكان «رحمه الله» يفضل في أسفاره أن يكون عن طريق البر داخل المملكة ولم يسافر خارج المملكة قبل مرضه مع أنه تلقى دعوات من المؤتمرات الإسلامية والجمعيات ولكنه يعتذر، وكان يحرص على هوايته المفضلة وهي المشي على الأقدام، ويحرص على هذه الرياضة كل يوم بعد العصر، وإذا لم يتمكن من ذلك، فيمشي بعد العشاء وكان يمشي على قدميه كل يوم خمسة كيلوات ويمارس هذه الرياضة في أي مكان ينتقل إليه.

«قلت: وقد رافقته في خروجه إلى إحدى ضواحي مدينة الطائف ومزاولته هذه الرياضة».

كان حريصاً على مصلحة الدولة

أما الأخ السويد الذي كان يعمل في مجلس القضاء الأعلى لمدة سبع سنوات تقريباً بجانب الشيخ عبدالله، الذي كان رئيساً للمجلس فنذكر ملخص ما قاله مما يعرفه عن الشيخ قال:

إن الشيخ عبدالله كان غيوراً جداً على مصالح الدولة ويعتبرها فوق

كل شيء، هذا ما لمسناه منه في كل مجلس يكون موجوداً فيه، بالإضافة إلى ثنائه على الدولة لما تقدمه للمواطنين ومساعداتها ودعمها للقضايا الإسلامية، وكان «رحمه الله» لا يألو جهداً في مساعدته للمواطنين ومساعدتهم في حل مشاكلهم.

وكان نافذ الكلمة في الدولة، حريصاً على إيصال الحق لصاحبه وإنصافه عن طريق اتصالات الشيخ الرسمية والشخصية، وكان «رحمه الله» مخلصاً متصفاً بالوقار الديني، مدققاً في إصدار فتاواه، ويقوم بالرد على المشكلات المتعلقة بهذا الصدد بالمراسلة أو الهاتف.

وكان صبوراً في تلقيه أو استماعه للأسئلة.

وقد تميز بذاكرة حادة وذكاء خارق، ومن ذلك أن أحد الأشخاص سأله عن كتاب لأحد المستشرقين الإنجليز قرأه هذا الشخص بالأمس القريب فما كان من الشيخ عبدالله إلا أن أسعفه بنبذة قصيرة عن الكتاب مع أنه قرأً منذ ست سنوات.

ومن ذلك أن شخصاً صافحه في الحرم فسأله الشيخ عن صحته باسمه، وسأله عن حال أهله وأعاد إلى ذهنه قضية قام بعرضها عليه هذا الشخص في القصيم قبل سنين كثيرة، فقد عرفه من صوته وكثيراً ما يتكرر ذلك مع عدد من الأشخاص.

وكان يقرأ عليه مرة واحدة ثم يعطي بعدها خلاصة شاملة عما قرىء عليه، وهذه ظاهرة قلما توجد في الناس، وكان يحب جميع القراءات من دينية وتاريخية واجتماعية وثقافية وكانت له قدرة عظيمة على استيعاب ما يقرأ عليه.

حرصه على مسئولياته حتى أثناء مرضه

وكان «رحمه الله» أثناء مرضه يحث على عدم تأخير المعاملات المعروضة على مجلس القضاء، ويستفسر عن العمل وهو بعيد عنه حتى أن المجلس لم يفقده أثناء مرضه لاستفساراته التي لم تنقطع.

وكان «رحمه الله» لا يحب الروتين وإهمال المعاملات وإنما يحب البت فيها، وكان ينهيها أولاً بأول ويحرص على قراءة مسودات المكاتبات قبل أن تختم بختمه، وكان رحب الصدر مع المراجعين والاستماع إلى شكاواهم، وباب مكتبه مفتوح لاستقبالهم في بيته، وفي الحرم تجده بينهم يجيب على أسئلتهم ويستمع لشكاواهم.

وقال الشيخ السويد: كان من أقرب أصدقاء الشيخ عبدالله فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي قال عنه: لقد تركني الشيخ عبدالله وحيداً أجابة المواقف وحدي، فقد كنت أستشيره إذا عجزت عن شيء، وإذا كان هناك موضوع تعقيب أو مراجعة للدولة أجده الساعد الأيمن. أهـ.

وقال الشيخ أحمد الطاحون أحد علماء الأزهر: كان الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله تعالى» ملجأ للناس في أمور دينهم، يكتبون إليه أو لإذاعة المملكة العربية السعودية بما يصادفهم من مشكلات وقضايا يحتاجون فيها إلى حكم الإسلام وإلى توضيح ينير لهم الطريق، وكم استمعنا إليه كما استمع إليه الألوف في رده عن هذه الأسئلة بواسطة الإذاعة بطريقة مرتبة واضحة، وكان من أهم مميزاته عند الجواب أنه يسمع السؤال من المذيع ثم يأتي الشيخ عبدالله «رحمه الله» يتلو السؤال[1] بعد تلاوة المذيع له إما بنص السؤال أو معناه وذلك لربط

(١) ينبغي التنبيه إلى أن الشيخ «رحمه الله» كان كفيف البصر.

الجواب بالسؤال بتلاوتهما من قبله في الحال.

وكان يجتهد مستنداً على الكتاب والسنة أو ينتخب من آراء الفقهاء في المسألة المعنية ما يستند على الكتاب والسنة، وإن كان يخالف مذهب الإمام أحمد «الذي كانت دراساته منذ شبابه فيه» وهو بذلك يعد من رجال العلم المحققين الذي أكدوا في نفوس الناس ونفوس طلبة العلم ضرورة الأخذ بالكتاب والسنة، فإذ وجد الدليل في المذهب الذي أخذ به أخذ به وإن كان عند غيره الدليل أخذ به، وهذا هو ما كان عليه الفقهاء الأجلاء أمثال الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي والإمام مالك وأمثالهم، فكلهم قد بينوا بأن الواحد فيهم إذا اجتهد في مسألة وأبدى فيها رأياً ثم ظهر لغيره أو لتلاميذه دليل من الكتاب والسنة، وفتوى الفقيه لا تتفق مع هذا الدليل فعليه أن يأخذ بالدليل ويطرح فتوى الفقيه.

إننا لن ننسى دقته «رحمه الله» في الفكر ودقته في التعبير مع الحرص على وضوح المعنى ودعم الحكم بالدليل، فتلك ميزة للعالم المتمكن، وهذا إلى جانب اطلاعه الشامل ومعرفته الدقيقة بآراء أهل العلم والفقهاء، خصوصاً في المسائل المتعلقة بالمعاملات والأسرة وغير ذلك من فروع الفقه.

إن ما تركه شيخنا الجليل من علم ينتفع به وأثر جليل في كل الأعمال التي قام بها «رحمه الله» وأسكنه فسيح جناته، وسيجد ثوابه عند الله عز وجل بفضله ومشيئته، «فابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» «تضمن ذلك حديث صحيح عن رسول الله ﷺ»[1] وإننا من قلوبنا ندعو للفقيد العظيم أن يتغمده الله برحمته وأن يعلي منزله وأن يجزيه عنا وعن

(١) يُشير إلى ما أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

الإسلام خير الجزاء. أهـ.

أما الشيخ صالح المزروع رئيس محاكم مكة المكرمة المساعد فيقول عن سماحة الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله»: إنه من العلماء البارزين في المملكة بل والعالم الإسلامي، فهو يتمتع بعلم واسع في الشريعة الإسلامية، وذو عقل كبير، اشتهر بذكائه الخارق وقوة ملاحظاته، وقد كرس حياته لتدريس ونشر العلم الصحيح وفي الإفتاء والقضاء، وكان قوياً في إحقاق الحق وهو من العلماء المجتهدين، وكانت مجالسه العلمية مفتوحة للخاص والعام وفي كل الأوقات، ومناصبه التي تقلدها ومؤلفاته التي كتبها معروفة ويعتبرونه خسارة. أهـ.

أما الأستاذ عبدالله رجب فقال: ما ذكر أن سماحة الشيخ عبدالله «يرحمه الله» قد عارض المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في إحدى دوراته، ولعلها دورة ١٣٩٢هـ حيث أقر الأعضاء طلب الحكومات الإسلامية توحيد الأهلة بينها، والاعتماد على رؤية البلد الذي تتحقق فيه الرؤية والعمل بها دون النظر في الاعتبار باختلاف المطالع، ووجه الشيخ المجلس إلى أن هذا فيه مخالفة لاعتبار المطالع، وأن لكل أهل بلد مطلعه الخاص به، وهذا هو الذي عليه العمل به منذ القرن الهجري الأول، وفعلاً ترك المجلس قراره بهذا الشأن، ثم إن الشيخ أصدر رسالة في الموضوع طبعت عدة مرات اسمها «تبيان الأدلة في إثبات الأهلة» فرحمه الله رحمة واسعة آمين(١).



(١) المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر الهجري وبعض تلاميذهم ج٤/٢٥٠-٣١٠ للشيخ إبراهيم بن محمد السيف شفاه الله. وللمؤلف ترجمة بقلم أبنه حسان في الجزء الأول.
❖ «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤٣١/٤)

ذكريات الدراسة على يد الشيخ بن حميد

محمد بن عثمان المنيعي(١)

لقد وفق الله سبحانه وتعالى ويسر أن درست على صاحب السماحة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وكانت دراستي عليه في بداية تعليمي بين (١٥سنة إلى ١٦ سنة) من ١٣٧٦هـ إلى ١٣٨٢هـ وكانت على فترات متقطعة.. ومن الدروس التي كنا ندرسها عليه منها: زاد المستنقع في الفقه في مكتبته، ثم بعد الظهر يقرأ عليه الشيخ صالح الغصن في كتاب الروض المرضع ويقوم بشرحه شرحاً وافياً وبعد المغرب متن الرحيبة في الفرائض من كل ثلاثاء. وبعد العصر كان يُقرأ عليه في بلوغ المرام يُقرأ عليه حديث ثم يقوم بشرحه شرحاً مفصلاً مطولاً، يذكر الخلاف فيما يرد في الحديث من مسائل فقهية ويذكر الأدلة ويستوعبها «رحمه الله»، وكذلك كان يُقرأ عليه في المكتبة من المطولات وكنا نحضر دروسه وقت العطلة الصيفية.

---

(١) الشيخ محمد بن عثمان المنيعي أحد الدعاة الذين له حضور في الساحة الدعوية المحليَّة درس بالمعهد العلمي ببريده ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض والتحق بهيئة الرقابة والتحقيق ثم برئاسة البحوث العلمية والإفتاء قسم الدعوة بالداخل حتى طلب التقاعد المبكر عام ١٤١٤هـ وتفرّغ للتدريس بمسجده بحي الربوة وهو أخ شقيق للشيخ سليمان.

والشيخ له صفات كثيرة بارزة منها: الذكاء والفطنة وقوة الحفظ والدهاء فكان ذا دهاء وسياسة واسعة، وكان يستوعب المسائل. وكان من دهائه «رحمه الله»، أنه كان يأتيه الخصوم فيقضي بينهم، وكان لا يدع لأحد مجالاً أن يكذب، فكان يبين ما يتناقض فيه الخصم بسرعة فكانوا يهابونه أن يأتي أحد من شيء يناقض كلامه.

وكان يعتني بطلبته عناية جيدة، وكان يحبهم ويقدرهم ويعاملهم حسب مراتبهم وحسب مقاماتهم ويقدر طلبة العلم، وخاصة إذا سألوه يتبسط معهم ولا يبدي لهم هيبة حتى لا يتقاصروا عن السؤال والمناقشة، وكان حافظاً ومبرزاً في الحفظ ويروي عنه قصص كثيرة، منها ما رواه عنه إبراهيم بن سيف في ترجمته، من أنه كان مسافراً من بريده إلى مكة فجاءه شخص وسلّم عليه وقال عليكم السلام يا منير فتعجب هذا الشخص وقال ألست الذي تخاصمت أنت وشخص آخر في قضية الجمل الأصفر، وكذلك أثناء سفرهم وصلوا إلى طريق مسدود فقال لهم ارجعوا إننا فرقنا من عند القصة الفلانية التي كنا نتكلم فيها ووصفهم الطريق السليم.

وإذ جاءه وسلم عليه شخص ولم يتقابل به منذ مدة طويلة كان يذكر اسمه.

وكان قضاؤه في بريده ثم ترك القضاء وفرغ للتدريس في المكتبة العلمية ببريده والجامع.

وكانت فكرة المكتبة أنها قديمة ولكن الشيخ حرص أن يجمع فيها أمهات الكتب والمراجع، وقد كان يكتب للبعض ويشارك في شراء الكتب ويجمع بعض كتب المتوفين.

وكان معنا الشيخ صالح بن غصن وأخي الشيخ سليمان والشيخ صالح الطامي والشيخ عبدالله الحميدان التركي واخي عبدالرحمن والشيخ علي العثمان وهو من خواص مشايخي.

وقد تأثرت بشخصيته كثيراً فهو كان ذا خلق وتواضع وفطنة وهو يؤثر على الطلبة تربوياً وعلمياً، وكان يشجع الطلبة وأولاده ومعارفه على أن ينتظموا بالدراسة في المدارس النظامية لينتفعوا بالعلم والشهادات، وكان له مواقف طيبة في هذا المجال.



حوار ولقاء
مع فضيلة الشيخ الأديب الرّحالة محمد العبودي
عن شيخه ابن حميد

فضيلة معالي شيخنا الفاضل العلامة محمد بن ناصر العبودي حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

هذه بعض الأسئلة والاستفسارات عن العلامة الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله» أمل التكرم بالإجابة عليها ولكم فائق التحية:

• ما هو الأثر العلمي والتربوي والنهضوي الذي تركه الشيخ ابن حميد في المنطقة؟

- يمثل الأثر العلمي والتربوي الذي تركه الشيخ عبدالله بن حميد في كثرة تلامذته وفي القضاة والمرشدين الذين عينهم ووجههم إلى أعمالهم ثم تابع ذلك واتخذوه قدوة.

• هل من الممكن أن تروي لنا ما هي طريقة التعامل الذي كان الشيخ ابن حميد يسلكها مع تلاميذه؟

- أهم ذلك أن الشيخ عبدالله كان يناقش تلاميذه وطلبة العلم الذين يتلقونه عليه بطريقة السؤال والجواب، ويحثهم على البحث في المراجع بأنفسهم فكان كثيراً ما يطلب منا أن نرجع إلى أمهات الكتب لاستخراج

المسائل موضوع البحث. كما كان «رحمه الله» يتابع تلاميذه فإن تخلف أحد من الطلبة النجباء سأله عن سبب غيابه فيستحي الطالب من شيخه فلا يغيب مرة ثانية إلا لعذر ظاهر.

● البرنامج التربوي والتعليمي للشيخ ابن حميد أقصد ما هو البرنامج الذي وضعه للتلاميذ والطلبة؟

- دروس الشيخ عبدالله بن حميد التي يلقيها على تلاميذه وطلبة العلم الذي يتلقون العلم عليه تتألف من أنواع عدة أولها: حفظ المتون في العلوم المهمة كالفرائض والفقه والنحو والتوحيد. لهذا يقرأ الطلبة على الشيخ حصةً منها غيباً عن ظهر قلب فيشرحها الشيخ عبدالله لهم ويوضح معانيها ويناقش ما قاله العلماء فيها وما فهمه الطلبة وتعلموه منه فيها. وهذه يصح أن تسمى دروساً جماعية لأنها لأكثر من طالب واحد.

والثانية طريق الإمرار وهي أن يقرأ كل شخص كتاباً من أمهات الكتب في الفنون المختلفة من العقيدة والتفسير والحديث والفقه والتاريخ فيعلق الشيخ على ذلك أو يصحح ما قد يكون في الكتاب مما يحتاج إلى تصحيح. فيستفيد من ذلك القارىء ويستفيد أيضاً طلبة العلم، والمستمعون للدروس الذي كانوا كثرة يجيئون لحلقات العلم للاستماع إلى الدروس والاستفادة منها من دون أن يكونوا من التلاميذ القارئين على الشيخ.

والثالثة أن للشيخ درساً عاماً يقرأه قارىء خاص يكون ذلك بعد صلاة العصر مباشرة وقبل صلاة العشاء مباشرة، وهذا الدرس يستمع إليه طلبة العلم والعوام وكل من حضر للصلاة في الجامع.

• ما هو الفرق الذي رآه الشيخ محمد العمودي في الشيخ ابن حميد وطريقته في التعليم وطريقة غيره من الذين سبقوه؟

- لا يمكن الحكم على العلماء الذين سبقوا الشيخ ابن حميد حكماً عاماً لأن طرائقهم تختلف وطريقة تعليمهم لطلبتهم تختلف أيضاً. ولكن كان السائد عند بعض العلماء في نجد أن تكون الدروس بطريقة الإمرار أي يقرأ واحد على الشيخ ويعلق الشيخ على ما يراه يحتاج إلى تعليق أو إيضاح مما يقرأه القارىء ثم ينتهي الأمر ولكن الشيخ ابن حميد - كما قدمت - يناقش الطلبة ويعودهم على البحث عن المسائل العلمية في الكتب بأنفسهم.

• هل كان الشيخ «رحمه الله» ابن حميد يتبنى النابهين والأذكياء وينمي مواهبهم وميولهم العلمية والفكرية؟

- نعم، هذا صحيح فالشيخ يتبنى النابهين ويشجعهم لكن قد يحصل أن بعض العامة يحكمون على طالب العلم بمدى عمله بما حصله من العلم فإذ كان ورعاً كثير العبادة فإنهم قد يفضلونه على من هو أكثر فهماً وذكاءاً بل ومعرفة بالمسائل العلمية إذا كان أدنى منه في العبادة فالشيخ عبدالله يتبنى النابهين من دون أن يؤثر ذلك على مكانة العبادة والعاملين من طلبة العلم.

• النقاش العلمي في الحلقة وتحريك الذهن للطالب وعدم التركيز على الحفظ فقط بدون استعمال التفكير لو تحدثت عن هذه الصفة في الشيخ «رحمه الله» وكيف كان يجعل التلميذ يتدرب على المناقشة وشحذ الذهن.

- ذكرت شيئاً من ذلك فيما سبق، وأزيد هنا أنه كان يكلف بعض

الطلبة إحضار مرجع من الكتب التي تتعلق بالدرس ويطلب منه أن يستخرج المسألة منه ويرى طلبته كيف يستطيعون أن يفعلوا مثل ذلك.

● كيف كانت معاملة الشيخ «رحمه الله» وأسلوبه وسياسته مع جميع طبقات المجتمع وفئات الناس؟

- يمكن أن يوصف الشيخ عبدالله بن حميد في باب العلاقات العامة بأنه عبقري فهو قد رزق من حسن السياسة ومراعاة أحوال الناس ومعرفة ما في نفوسهم مما يطيب به خواطرهم ما لم يستطعه كثير من المشايخ. فحتى العوام إذا جلس إليه أحد منهم في غير مجلس الحكم فإنه يتكلم معهم بما يتعلق بما يعرفه ذلك العامي، من دون أن يظهر الشيخ أنه قد عرف منه أكثر منه مما عرفه لذلك قد تراه يسأل محدثه عن شيء يعرفه الشيخ عبدالله من أجل أن يعرف مدى مطابقة قول المتكلم منه للواقع ومن أجل أن يشجعه على مواصلة الحديث الذي قد يذكر فيه ما لم يكن الشيخ يعرفه عنه من قبل فيزداد علماً به ومعرفة بما يكون حوله.

ومما يثير العجب أننا كنا نجلس عنده فيدخل عليه طوائف من الناس مجتمعين وبعضهم متفرقون فيتكلم مع كل أناس بما يناسبهم، وليس معنى ذلك أنه يقول شيئاً غير ناصح وإنما رزق حسن الاختيار في الكلام حتى يستفيد منه الجميع.

● عندما استعمل الشيخ «رحمه الله» جهاز مكبر الصوت بالمساجد أو جامع بريده بخصوص، كيف كان ردة فعل طلبة العلم في ذلك الزمن وعموم المتدنين وما هي الطريقة التي أقنع بها الشيخ هؤلاء؟

- كان بعض طلبة العلم يمانعون في استعمال مكبر الصوت وتركيب

سماعاته في المسجد الجامع، فكان الشيخ عبدالله في أول الأمر يرفق بهم إلى درجة أنه أجّل تركيب (الميكروفون) فترة ثم أمر بتركيبه واستعمله أول ما استعمله في خطبة الجمعة، مما جعل بعض المتشددين الذي لا يعرفون حقيقة الأمر في مكبر الصوت ينتقدون ذلك، ولكنهم ما أن رأوا فائدته وأن الأذان والذكر والموعظة تنطلق منه وتصل إلى ما تصل إليه بدونه غيروا رأيهم.

• تعليم الفتاة السعودية.. تعلمون حفظكم الله أن تعليمها قوبل بالرفض والامتناع وبالذات من أهالي بريده وغيرهم من أهالي نجد وليس كلهم والقصة معروفة، حينما أتوا إلى الرياض محتجين على هذا القرار، فما كان موقف شيخنا ابن حميد في هذه القضية؟

- اعتبر الشيخ عبدالله بن حميد أن تعليم الفتاة في ذلك الوقت كان يثير خصومات وانشقاقات وفتنة بين الناس لأنهم لم يكونوا يتصورون فائدته فكان «رحمه الله» يجيب على ما يسأله عن ذلك بمقتضى الشرع، وهو أن المهم هو نوع التعليم وما يكشفه من أمور، وأما تعليم الدين والأخلاق للفتاة فإنه أمر مطلوب ومع ذلك كان ينصح كل من يأتي إليه باتخاذ الحكمة وأخذ الأمر بالذي هو أسهل مستحضراً بأن الأمر سيكون طبيعياً فيما بعد وقد كان كذلك بالفعل.

• التزمت والتنطع والتشدد في الدين في غير موضعه كانت موجودة لدى البعض - كيف استطاع أن يتعامل مع هؤلاء؟ وهل هناك أشخاص أو فئة كانوا على هذه الصفة والشيخ أزال عنهم هذه الشوائب والأمراض؟

- ذكرت جواب ذلك في الجواب الذي قبله.

• الشيخ ابن حميد كانت له السلطة القضائية والكلمة المسموعة في

المنطقة مع هيبة الشخصية، فما هو دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو بمعنى آخر كيف كان يفعِّل هذا الركن الأساسي من أركان التربية الإسلامية في المجتمع؟ وفي الدعوة إلى الله ويربي عليه تلاميذه؟

- صاحب السماحة الشيخ عبدالله بن حميد كان هو رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحقيقي، وإن كان يوجد رئيس فعلي يباشر العمل، فإنه هو الذي عينه، وهو الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي «رحمه الله» وقبل ذلك أي قبل أن يعين لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رئيس، فإن الشيخ عبدالله كان مرجعهم وكانوا يسمون النواب والقاضي وهو الشيخ عبدالله بن حميد، كان يعين النائب وهو الذي يلاحظ كيفية أداء عمله ويرجع إليه النائب فيما يتعلق بعمله سواءً كان ذلك من الناحية العلمية الدينية أو من النواحي الأخرى المتعلقة بهذا الأمر.

• **الكتاب وعشقه كان الكتاب هو الصديق لشيخنا ابن حميد «رحمه الله» لو تحدث بالتفصيل عن اهتمام وحب وحرص الشيخ على القراءة وما هي كانت قراءات الشيخ؟ وكيف كان يجيب تلاميذه إلى القراءة وما هو برنامج الشيخ في القراءة؟**

- أحسنتم التعبير بعشق الكتاب فالشيخ عبدالله بن حميد لا يفارقه كتاب أو أكثر من كتاب واحد حتى في سفره، أما إذا كان مقيماً فإن مكتبته كانت حافلة بالكتب. وكان الشيخ عبدالله إذا خرج إلى نزهة أو كان في سفر حمل معه كتباً من عدة فنون تجد فيها كتاباً في التاريخ وآخر في الأدب وثالثاً في الفقه... الخ.

واذكر أن الشيخ عبدالله كان يبعث إليه أكثر المؤلفين إن لم يكونوا

كلهم بمؤلفاتهم حتى يقرأها ويصحح ما قد يحتاج إلى التصحيح منها وكنا نقرأ عليه ذلك، فكان لا يمل ولا يسأم من الاستماع إلى ذلك.

• خطبة الجمعة كانت ارتجالية لا شك بالنسبة للشيخ لأنه أعمى فهل أحدث الشيخ تجديداً في أسلوب الخطبة ومضمونها؟

- للشيخ عبدالله بن حميد طريقته في إلقاء الخطبة وهي ارتجالية كما ذكرتم، ولكن كان العلماء من آل سليم وهم قضاة بريده قبله يلقون خطبة الجمعة من دون ورقة، وأخص وبخاصة خطبتي العيدين، أما خطبة الجمعة فقد كان عين خطيب الجامع عبدالله بن رشيد الفرج «رحمه الله» فكان يخطب من ورقة وكانت الخطابة في ورقة هي الأمر الشائع في أكثر البلدان النجدية في تلك العصور.

• عندما بدأت النهضة العمرانية وضع البنية التحتية للبلد في عهد الملك سعود «رحمه الله» من مدارس وانشاء مستشفيات وتوسيع الطرق ورصفها داخل المدن وخارجها وتأسيس شبكة الكهرباء والماء. هل كان للشيخ «رحمه الله» دور من خلال طلب من المسئولين في الدولة، فيما تحتاجه المنطقة؟

- نعم، كان دور الشيخ عبدالله في مثل هذه الأمور دور المشجع، بل الذي يحث عليها ويبين مصالحها للبلاد.

• الإعلام والصحافة بخصوص والإذاعة أيضاً هل كان الشيخ «رحمه الله» متابع لما ينشر في الصحف والمجلات الداخلية وغيرها من الصحف الخارجية؟

- للشيخ عبدالله بن حميد عناية بالإعلام والصحافة لا أعرفها لعالم من علماء المملكة غيره فكان «رحمه الله» يستمع إلى الإذاعة في

كل يوم تقريباً ويقرأ الصحف المتنوعة حتى كنا نقرأ عليه ما يستطيع الوصول إليه من الصحف التي تصدر في البلدان العربية خارج المملكة، مع ذلك كان يسأل المتتبعين للأخبار العالمية عن آخر الأخبار إذا جاؤا إليه يريد أن يعرف ما قد يكون فاته منها.

وكان يقرأ الصحف ويوازن بين الكتاب فيها، فأذكر أنه كان قال لي مرة إن الكاتب الفلاني هو أرقى أسلوب من الكاتب الفلاني ولأن فكرته ضحلة بالنسبة إلى الأول ولكن يصح القول بأن قراءة الصحف لدى الشيخ عبدالله بن حميد رغم مسؤولياته الواسعة هي فقرة ثابتة في برنامجه اليومي.

• القضاء لدى الشيخ ابن حميد فيروي عن الملك عبدالعزيز «رحمه الله» أنه قال: (لو كان هناك رجل أوليه الإمارة والقضاء لوليت ابن حميد) وهذه الرواية ذكرها الشيخ ابن بسام في ترجمته للشيخ. ومن ضوء هذه الشهادة الكبرى من أعظم شخصية سياسية ظهرت في جزيرة العرب في القرن الرابع عشر الهجري فإن لها أعظم دلالة على مكانة وشخصية ابن حميد القضائية وكمال الأخلاق والمزايا التي جمع بين الشخصيتين (شخصية القاضي الذكي وشخصية الأمير المهاب).. ما هي الصفات والسجايا التي رآها شيخنا العبودي في الشيخ ابن حميد كقاضي؟

- سمعت ما ذكرتموه عن الملك عبدالعزيز كما سمعتموه سواء أصح في تلك الجملة أم لا فإن معناها صحيح لأن الشيخ ابن حميد قد جمع الله له بين العلم الواسع والتفكير السليم وحسن المعاملة للناس والبراعة في السياسة إلى درجة الدهاء.

• لا شك أن الشيخ ابن حميد «رحمه الله» كانت تعرض عليه قضايا ليس فيها بيّنة لكنه توصل إلى حل في هذه القضايا بذكائه وحنكته

الدهائية، فهل تذكر قضايا وردت إلى الشيخ بدون ذكر أسماء؟ مع ذكر الجوانب الجيدة التي وضعها الشيخ في مسيرته القضائية بالقصيم وحيث أصبحت قضاياه مضرب المثل للقضاة؟

- يصح أن يسلك الشيخ ابن حميد في سلك الدهاة من القضاة التاريخيين مثل: (إياس بن معاوية) و (شريح القاضي)، لأنه يعرف كيف يستخرج الحقيقة من أقوال المدعي والمدعى عليه، ومن الشهود الذي يحضرونهما، وله في هذا المقام مواقف ولذلك شواهد كثيرة، وللشيخ ابن حميد فيه أعمال بعضها معروف.

● عندما انتدب الملك عبدالعزيز الشيخ ابن حميد للنظر في قضايا متأخرة في الحجاز كنتم بصحبته والشيخ عبدالله علي العجاجي «رحمه الله» فما هي نوعية القضايا التي باشرها الشيخ، وهل كل القضايا أوجد لها حلاً؟ وهل تذكر أعقد القضايا وأصعبها وأكثرها تعقيداً قام الشيخ بحلها؟

- نعم، كنت في صحبة شيخنا الشيخ ابن حميد عندما انتدبه الملك عبدالعزيز آل سعود «رحمه الله» لإنهاء القضايا القديمة في محاكم المنطقة الغربية.

وقد تجلت طبيعة الشيخ ابن حميد في الصبر على تلك القضايا الحافلة بالأوراق التي مضت على بعضها وهي تحت النظر في المحاكم مدة قد تصل إلى عشرين سنة.

وكان من أصعب ما علينا قراءة الصكوك الطويلة الموجودة في ملفات القضايا والتحقيقات التي لا داعي لها، فكان الشيخ عبدالله يستوعب ذلك كله بصدر رحب وصبر عجيب حتى كنا نحن المرافقين له والقارئين

عليه تلك القضايا نتعب إذ كان يقرأ بعضها في الليل مع النهار وهو لا يتعب ولا يمل حتى يفهم ويدرك جميع محتويات الملفات المتعلقة بالقضايا رحمه الله وأثابه الثواب الجزيل.

أما نوعية القضايا فإنها تشمل جميع القضايا المتأخرة في المحاكم ومن ضمنها قضايا تتعلق بعقارات وأراض ثمينة.

• ما هي أسباب استقالة الشيخ من القضاء عام ١٣٧٧هـ

- لا أذكر التفاصيل المتعلقة بذلك الآن.

• عندما افتتح المعهد العلمي ببريده كنت مديراً لهذا المعهد، هل شارك الشيخ ابن حميد بالتدريس وهل طريقته في التدريس بالمعهد نفس طريقته بالمسجد، هل استمر يدرِّس حتى تعيينه بمكة المكرمة؟

- رجوت صاحب السماحة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد أن يلقي دروساً في المعهد لأجل استفادة الطلاب من علمه وبهدف أن يقبلوا على الدراسة في المعهد، وقد فعل «رحمه الله»، غير أنه حضر عنده بعض طلبة العلم الذين كانوا يحضرون دروسه في وقت الضحى في المسجد الجامع وغيره، رجوه بعبارات مؤثرة أن يعود إلى التدريس في الجامع في وقت الضحى، وقالوا من أجل أن يجلس إلى هذه الدروس من يريد الإستفادة منها فيصلي في المسجد صلاة النافلة ويحضر الدروس وقد استجاب الشيخ عبدالله إلى ذلك ولكن بعد أن ألقى دروساً في المعهد لمدة قصيرة.

• هل استمرت علاقتكم بالشيخ في يوم كان في مكة وهل بينكم مراسلات ودية وعلمية؟

- نعم، ودامت صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد كما تكون الصلة بين

الوالد وابنه وهي أكبر من أن تعبر عنها الرسائل.

• الفراسة نعمة من نعم الله عز وجل يهبها الله لمن يشاء وقد أنعم الله بها على الشيخ ابن حميد فهل تحدثت عن فراسة الشيخ وخصوصاً في القضاء ومعاملة الناس وكشف صدقهم من كذبهم؟

- هذا داخل في موضوع أداء الشيخ عبدالله عمله في القضاء فكانت فراسته في معرفة المبطل والمحق من الخصوم لا تخطىء رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خيراً.(1)

(١) زرت شيخنا محمد بمنزله بالرياض يوم الأحد بتاريخ ١٤٢٧/٨/٢٤هـ فكان حفظه الله حفياً بهذا اللقاء وتحدث في بداية علاقته والتلمذة على شيخه ابن حميد.

لقاء مع الشيخ سليمان المنيعي حول حياة شيخه ابن حميد

لا يمكن أن يخرج الشخص من مجلس الشيخ ابن حميد إلا بفوائد عدة(١)

• متى بدأت تقرأ على الشيخ ابن حميد؟

- بدأنا في طلب العلم على سماحة الشيخ المرحوم عبدالله بن حميد في بريده عام ١٣٨٠هـ

---

(١) حدثني الشيخ سليمان بن عثمان المنيعي عبر الهاتف أيضاً قائلاً... ان شيخنا عبدالله بن حميد «رحمه الله» يتمتع بذكاء فطري حاد منذ صباه وشبابه، فلقد حدثني شيخي «رحمه الله» قائلاً: عندما كنت اتلقى العلم على شيخي الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله» في مسجده بالرياض إذ دخل علينا رجل من أهل العراق أو من أهل الشام وجلس مستمعاً في حلقة الدرس، ثم لما أنتهى الدرس استأذن هذا الرجل ان يسأل الشيخ محمد فأذن له الشيخ فسأل الشيخ عن مسألة نحويَّة معَّقدة فاطرق الشيخ محمد صامتاً ولم يجبه. فاستأذنت الشيخ ان ارد عليه فأذن ليَّ فقلت لهذا الرجل هل علم النحو وسيلة أم غاية، فقال وسيلة فقلت ما دام أنه وسيلة وليس غاية فالتعمق فيه بما لا يفيد لا يثمر ومسألتك هذه من هذا النوع ثم قلت له أيضاً هل تعرف شروط كلمة التوحيد؟ فقال لا، فقلت له إذا عرفت شروط كلمة التوحيد فلا مانع ان تعمق بمسائل النحو وأمثالها هذه، فبهت الرجل وأفحم.

وحدثني أيضاً شيخي عبدالله بن حميد «رحمه الله» قائلا... عندما كنت في المسجد الحرام ندرس على فضيلة عبدالظاهر أبو السمح القرآن وتجويده إذ سألني طالب علم من المالكية، وكان في حلقة الدرس وقال: أنتم في المذهب الحنبلي عندكم مسألة بيَّن فيها الخطأ وهي باب الجنائز وذكرها فقال: الشيخ ابن حميد وهو إذ ذاك صغيراً كل مذهب فيه من الأقوال المرجوحة بل الشاذة والضعيفة فمثلاً في المذهب المالكي عندكم اباحة أكل لحم السباع وهو رواية مشهورة في المذهب المالكي فأفحم شيخنا عبدالله هذا الرجل المالكي «رحمه الله».

❖ الشيخ سليمان بن عثمان المنيعي من مواليد بريده. وقد صحب الشيخ ابن حميد إلى مكة وتعين بالإشراف الديني مراقباً على مدرسي الحرم وأستمر موظفاً بالرئاسة حتى تقاعد حفظه الله وهذه الأسئلة اجاب عنها عن طريق الفاكس.

• ما هي الكتب التي قرأت فيها على الشيخ؟

- قرأنا عليه عدة متون في التوحيد كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد وكشف الشبهات والفقه زاد المستقنع وشرحه لروض المربع وعمدة الفقه وفي الحديث بلوغ المرام وشرحه سبل السلام والمنتقى للمجد وعمدة الأحكام وفي الفرائض الرحبية وفي النحو الآجرومية وملحة الإعراب وألفية بن مالك وفي العقائد العقيدة الواسطية وعقيدة السفاريني.

• هل وجدتم فرقاً كبيراً بين تدريسه وتدريس غيره من المشايخ؟

- نعم هناك فرق كبير بين تدريسه وإيصال المعلومات وتفهم الطلبة، حيث يستوعب شرحه لجميع جوانب الموضوع شرحاً وافياً مفصلاً يطرق فيه الخلاف بأدلته ويناقشها ويرجح بالدليل الأقوى والاصح، وهذا شيء معلوم عنه عند جميع تلامذته، وكما هو معلوم عنه في أجوبته على مسائل السائلين في الإذاعة وغيرها بأكمل بيان وأتمه.

• ما هو الأسلوب الذي كان يتبعه في حث التلاميذ على طلب العلم وطريقته في إيصال المعلومة؟

- كان «رحمه الله»، حريصاً على ايصال المعلومات إلى الطلبة بأبسط الأساليب وأيسرها وكان ذا هيبة كبيرة ويحرص على الحث على طلب العلم بأساليب متنوعة وعلى اخلاص النيات في طلب العلم والحرص على تحصيله وحفظه وفهمه والعمل به ولذلك كانت عنايته في حفظ المتون وقراءة جميع الطلب للمتون عن ظهر قلب، وكان يذكر القصص التي تحث على طلب العلم وأخلاصه.

• كيف كانت مجالس الشيخ ابن حميد الخاصة والعامة؟

- كانت مجالسه العلمية بمنتهى الهيبة والوقار والأدب والسكينة

حتى مجالسه في منزله، وعند الغير وحتى في النزهة مجالس علمية وأدبية واخلاقية لا يخلو مجلس إلا والحاضرون يستفيدون فوائد علمية وادبية واخلاقية.

● **ما هو الأثر العلمي الذي خلفه الشيخ في منطقة القصيم؟**

- الأثر العلمي الذي خلفه الشيخ طيلة أقامته في القصيم شيء كبير، فقد درس عليه الاكابر من طلبة العلم والمتوسطون والأدْنَون، حيث صارو مدركين مكان مسجد الجامع والمكتبة التي أنشأها في جوار الجامع تعج بطلاب العلم اوراداً اوراداً صباحاً ومساءً ينهلون من جميع العلوم.

● **لو تحدثت عن ذكاء الشيخ ودقته في كل شيء؟**

- أما ذكاء الشيخ ودقة فهمه وقوة حفظه فهذا شيء لا يحصى ولا يخفى، ومن ذلك إذا دخل شهر رمضان وأيام الحج أو سافر ثم رجع بعد ذلك فعند ابتدائه بالدروس عامة الطلبة لهم كتب يقرؤنها عليه نظرياً، فقد يتقدم الطالب أو يتأخر عن الموقف الذي وقف عليه من قبل ويرده إلى حيث وقف وله ملاحظات في ذلك كثيرة ومن قوة حفظه وادراكه أنه إذا سلم عليه احد لأول مرة وعرفه بنفسه ثم يمضي عليه الوقت الطويل كالسنين ثم إذا لقيه وسلم عليه يرد عليه السلام ويقول: كيف حالك يا فلان، كيف فعلت في كذا وكذا يميز صوته ولا ينسى اسمه وهذه خصوصية للشيخ.

● **كيف كانت معاملة الشيخ للتلاميذ أثناء الدرس؟**

- كان الطلب عليه من جميع الطلبة متفاوتين تفاوتاً بعيداً، فمنهم من هو على مستوى عال في العلم ومنهم المتدني، ومنهم المتوسط على طبقات من العلم ويميزهم «رحمة الله عليه» حتى في الأسئلة التي يلقيها عليهم ويعطي كل على حسب مستواه.

• الشيخ «رحمه الله» يعد من أبرز القضاة في المملكة وأصبح مضرب المثل بذلك، فكيف رأيت ذلك وشاهدته؟

- أما سيرته في القضاء، فهذا شيء اشهر من أن يذكر منذ توليه القضاء في الرياض وفي المجمعة ثم في القصيم في سرعة البت في جميع القضايا بالعدل وروية، وله فراسة في هذا المجال مع ما اعطاه الله من العقل والذكاء والدهاء في هذا المجال وغيره، ولذلك انتدبه الملك عبدالعزيز رحمهما الله إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لمدة عام وذلك في مهمة، وقد انهى جميع القضايا التي مضى عليها سنين طويلة، وكذلك لما كان في مكة المكرمة رئيساً على الاشراف الديني، تحال عليه من المقام السامي المعاملات المعقدة التي مضى عليها سنين طويلة فيبت فبها وينهيها باكمل حكم وارضاه للطرفين ومن ثم اختير رئيساً للمجلس الأعلى للقضايا إلى أن توفاه الله، ولذلك أنه لم يحكم في قضية إلا ويكون لدى الخصم الرضا والتسليم والقناعة بالحكم، وهذه مزية خص بها، ولذلك إذا تعقدت القضية وطالت طلب اصحابها من المقام السامي احالتها إلى سماحته، وما يحكم به فهو المسلم به من كلا الطرفين.

• ما هي الأعمال والإصلاحات التي قام بها الشيخ عندما تعين رئيساً لشؤون المسجد الحرام؟

- حينما تولى «رحمه الله» الاشراف الديني على المسجد الحرام وذلك في عام ١٣٨٤هـ ضم إلى الرئاسة الأئمة والمدرسين والمؤذنين ومكتبة الحرم وكان مشرفاً عاماً على جميع أعمال المسجد الحرام الدينية والعملية وقد اصلح اشياء كثيرة من ذلك: منع التكبير الجماعي في عيد رمضان، وكذلك منع الذين يصلون من صلاة الوتر منفردين في شهر رمضان ومنع من لم يصلح للتدريس ومن ليس أهلا لذلك وأنشأ

معهد الحرم العلمي بمنهجه النظامي ومقرراته العلمية ومرحلته المتوسطة والثانوية واختار له المدرسين الاكفاء.. ولا يزال المعهد في تقدم وتطوير حتى الآن، وقد فتح فيه قسم جامعي.

• ما هي المعايير والأسس التي يختار فيها المدرسين في المعهد وفي المسجد الحرام؟

- كما اسلفنا كان يختار المدرسين الأكفاء عقيدة وعلماً سواء من يتولى التدريس بالمعهد أو يلقى الدروس في اروقة المسجد الحرام بعد الصلوات ومن يلاحظ عليه يوجهه التوجيه الحسن، وكذلك في أيام المواسم يجتمع بالمدرسين ويوجههم لما فيه مصلحة الدعوة بالحسنى ومراعاة الحجاج والمعتمرين والتيسير عليهم في مناسكهم، وكان لتوجيهه الأثر الملموس المفيد في تجنب الفتاوى الشاذة ومخاطبة الحجاج بالحسنى وتجنب التشديد والتنفير إلى بيان التوحيد الخالص والعقيدة الوسطية عقيدة أهل السنة والجماعة.

• الشيخ حينما أنتقل إلى الحجاز من القصيم كانت العادات والتقاليد تختلف. كيف تعامل الشيخ مع المجتمع المكي؟

- حينما انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة وذلك في عام ١٣٨٤هـ كان سلساً سهلاً ذا خلق حسن مع أهالي مكة وغيرهم وكان يحترمهم ويقدرهم ويكرمهم، وذلك احبوه كثيراً وله المنزلة العالية عندهم، سواء منهم طلبة العلم والمشايخ الأكابر والوجهاء وعامة الناس، وكان كبار المشايخ وسائر طلبة العلم وعامة الناس والوجهاء يزورونه في بيته دائماً ويعرضون عليه مشاكلهم ويشفع لمن له مشكلة ويخلص لهم النصح وقضاء حوائجهم ما امكنه ذلك.

كذلك كانوا يدعونه إلى منازلهم ويجيب دعوتهم وكانوا يحضرون دروسه في الحرم ويستفيدون منها وله تركيز في حسن توجيههم وتنوير بصائرهم لما فيه صلاح عقائدهم وقد اصلح اللّٰه به طيلة بقائه في مكة المكرمة.



كلمة وفاء وعزاء

بقلم / عبدالله سالم الحميد

فجعنا عند سماع نبأ وفاة سماحة الشيخ الفاضل / عبدالله بن محمد بن حميد احسن الله اليه وتغمده بواسع فضله ورحمته.

فقد كان «رحمه الله» حبيباً إلى القلوب.. عزيزاً على النفوس.. عاش حياة زاخرة في طلب العلم والعمل به في الدعوة والارشاد واسداء النصيحة، والجلوس للفتوى والقضاء بين الناس بالاضافة إلى عمله الاساسي الذي كان يضطلع به في عدة مناصب تولاها «رحمه الله».

كان «رحمه الله» دقيقاً في بسط الادلة في الاجابة على الاسئلة التي توجه إليه من المستفتين على مختلف مستوياتهم.. وفي اجابته وفتواه احاطة وشمول بالموضوع الذي يسأل فيه مما جعل السائل «المستفتي» يقنع وينشرح بالاجابة الشاملة على استفساره عن مشكلته.. وتلك من صفات المفتي المتمكن من علمه في مجال تخصصه.

ولست هنا بصدد تعداد محاسن شيخنا الفاضل «رحمه الله».. فهو ذو مكانة وشخصية معروفة لدى الكثير من المسلمين.. وله (كرسي) في الحرم المكي الشريف كان يجلس فيه في شهر رمضان المبارك وفي موسم الحج وغيره للوعظ والارشاد والافتاء.... كما سجلت له (الاذاعة) حلقات عديدة من الفتاوى.. وبعض الاحاديث الدينية.. ولما تتميز به فتاوى سماحته من الدقة والشمول نطرح اقتراحاً لجمعها وطباعتها في

كتاب يستفيد منه المسلمون وينشر على نطاق واسع من قبل الجهات المعنية بنشر (الكتب الإسلامية) مثل الرئاسة العامة لإدارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد، ورابطة العالم الإسلامي، ووزارة الحج والاوقاف ووزارة الاعلام.

ولا اعتقد انه يصعب على الاوفياء المخلصين تحقيق هذا الأمر وفاء لهذا العالم الجليل الذي قضى حياته في خدمة العالم والعمل به وتلبية لرغبة ابنائه ومحبيه.[1]



(١) مجلة الدعوة / ١٤٠٢ عدد ٦٨٣.

الشيخ عبدالمحسن العبيكان يقول.... ابن حميد جمع بين غزارة العلم والفطنة

سماحة الشيخ عبدالله بن حميد عندما عرفته كان يلقي الدروس في المسجد الحرام ورئيس الاشراف الديني في المسجد الحرام. وقد كان قبل ذلك قاضياً في القصيم. وكنت اسمع دروسه ونستفيد منه وكان الوالد «رحمه الله» صديقاً لسماحة الشيخ بن حميد وكان بينهما تزاور، وكثر التصاقي به لما عينت في القضاء، وكان هو رئيساً لمجلس القضاء الأعلى، وكانت الاستفادة منه كثيرة، حيث الدروس في مجلسه، وكنت أقوم بزيارته تكراراً. إما في الرياض أو في الطائف وكان يكرمنا ويقدرني كثيراً.. لا أرى ابتسامته إلا عندما اتحدث معه وهذا ما لاحظته، فانه كان مهاباً والناس يهابونه ولا يستطيعون أن يكلموه إلا بحذر. وإذا كلمته كنت أحس بأنه يحبني ويقدرني كثيراً ويبتسم أيضاً إذا ذكرت له بعض المسائل، فكان يبتسم «رحمه الله» وكان يجمع بين غزارة العلم والحفظ والذكاء والفطنة وبعد النظر والهيبة والورع والتقى.

وينقل أن الملك عبدالعزيز «رحمه الله» قال: لو كنت جامعاً لرجل بين القضاء والإمارة لجمعتها للشيخ عبدالله بن حميد.. فهو يجمع بين الصفتين القضاء والامارة لأنه اتصف بصفة الأمير الحازم والحاكم المهاب القوي البعيد النظر وأيضاً العالم الجليل الفقيه والقاضي الذي يتفرس في الناس وله قصص وهو في القصيم:

كان هناك أسرة فقدت ولدها وهو صغير فكان هناك بدوي لا يوجد له أولاد فرأى هذا الولد فاختطفه وأخذه ومضى وقت من الزمن، فنزل في السوق ومعه الولد، فرأته أمه فصاحت وضمت الولد إليها فذهبوا إليه فقال:

اتركوا الولد في بيتي إلى الغد فأخذ الولد وادخله عند أهله ولما انتهى من مجلس القضاء الذي يقضي فيه فنادى الولد وقال له: أنت في البادية ماذا يسمونك، فقال الولد يسموني الحضري فعرف أنهم ما قالوا الحضري إلا أنه من الحضر فهذا قرينة قوية تدل على ذلك، فلما جاء الغد وحضروا أخذ الشيخ يعاتب ويقرره حتى أقر البدوي أنه فعلاً اختطف الولد وهو ليس بولده،

فالشيخ «رحمه الله» يتصف بصفات عجيبة والحقيقة يعجز اللسان عند ذكر مآثر هذا الشيخ الجليل، فقد فقدنا أماماً علامة.

وهناك قصة أخرى تدل على شدة الذكاء لدى الشيخ. كل من دخل على الشيخ وسلم وسبق أن سلم عليه سواء كان يعرفه أو لا يعرفه قال أهلاً بفلان. وكلما دخلت عليه وقلت السلام عليكم قال أهلاً بالشيخ عبدالمحسن.. هذه تعتبر بسيطة بالنسبة ما ينقل عليه.

وهناك أحد المشايخ وهو الشيخ الوهيبي كاتب عدل بالطائف «رحمه الله» يقول :

اجتمعت بالشيخ فترة وبعد أربعين سنة زرت الشيخ بن حميد لما تولى مجلس القضاء الاعلى، فلما قلت السلام عليكم قال: أهلا بالشيخ الوهيبي فكد أسقط من العجب.

وعندما كان الشيخ بن حميد في الرياض جاء شخص على الشيخ

وهو ذاهب للمسجد فسرق هذا الرجل غترة الشيخ وهرب بها وبعد تقريباً عشرين سنة. لما صار الشيخ قاضي في القصيم عُرضت قضية بين هذا الرجل وشخص آخر فلما انتهت القضية وحكم فيها قال للرجل تعالى أريدك.

قال: ما تتذكر أنك في يوم ما مشيت مع رجل كفيف وتكلمت معه ثم سرقت غترته. فبهت الرجل. قال ما يعرف هذا إلا أنا وهذا الرجل فقال له الشيخ بن حميد أنا هو الرجل الذي سرقت غترته. فكيف حفظ الصوت طوال هذه المدة الطويلة.

وهناك حكاية أخرى حدثت مع الشيخ بن حميد ومعه جمع من النفر في سيارة وذاهبين من مكة إلى القصيم فضاعوا وضلوا الطريق وهو طبعاً كفيف البصر. فقال أنتم ضايعين فقالوا لسنا بضائعين فأحس هو بحركة السيارة على الطرق فانتبهوا بالفعل أنهم ضلوا الطريق.

فهو مع العدل والانصاف لا يعلم أنه ظلم أحداً لما تولى مجلس القضاء أحسن في الناس وكان اجراؤه فيه رحمة ، وكان يلتمس الاعذار ولا يتعجل في الأمور ويتأكد وهذه صفة العالم.. وكنت احب أن أناقشه في المسائل واعرضها عليه وكان ينصت ويستمع حتى أنتهى من عرضه، ولكن ما ذكرت له رأياً إلا وافقني عليه من الآراء التي كنت أراها ووافقني عليها هي: أنني اختار ما رآه شيخ الإسلام بن تيميَّة في مختصر الفتاوى المصرية من أن ما يؤخذ من بيت المال ليس بأجرة ولا عوض وإنما هو رزق مثل كسب الموظفين يعتبر رزق وليس أجرة، وقد وافقني على ذلك وعرضت عليه عدة قضايا ووافقني عليها برغم أن بعض القضاة في محكمة التمييز خالفوني في ذلك، ولكن وافقني عليها وقد تأثرت به من خلال سمته وذكائه وفطنته وتعامله الحسن ودقة فقهه.

وهو أكثر من تأثرت به من العلماء والقضاة.

ولم يكن متعصباً أبداً لمذهب وقد يخرج على المذهب إذا رأى رأياً آخر من مذهب آخر أشد دقة وتثبيتاً.

وكان دقيقاً جداً في استخراج الحكم في الفقه لغزارة علمه، وكان ينصح القضاة ولطيفاً معهم ويسمع منهم مع الهيبة، فلم يرد قاضياً أراد مقابلته أو التحدث معه.(١)



(١) سجلت هذا اللقاء مع الشيخ عبدالمحسن العبيكان بمسجد الجوهرة بالرياض بعد صلاة العشاء الموافق ١٤٢٧/٦/١٥هـ والشيخ عمل في القضاء منذ ان تخرج من كلية الشريعة وتعين ملازم قاضي بالسيل الكبير ثم تعين قاضياً بالمحكمة العامة بالرياض ثم نقل إلى التفتيش القضائي بوزارة العدل ثم صدر الأمر الملكي بان يكون عضواً بمجلس الشورى، والشيخ عبدالمحسن له اطلاع قوي في الفقه ومتبحر فيه وله آراء واختيارات فقهية جيّدة وتلاوته للقرآن تشبه إلى حد ما قراءة الشيخ عبدالله الخليفي «رحمه الله» وهو يقول انه تأثر بقراءته وشرحه لمغني ذوي الإفهام الموسوم غاية المرام يدل عمق ودقة في الادلة وكلام أهل العلم وقد أستفدت من هذه الموسوعة القيّمة.

ذكريات واحاديث خاصة عن حياة الشيخ ابن حميد رحمه الله يرويها ابنه صالح

الوالد «رحمه الله» نشأ يتيماً وتوفى ابوه وهو طفل وعمره في حدود السنتين «رحمه الله» وتولت أمه طرفة بنت صالح آل صالح تربيته واسرتها آل صالح من الأسر المعروفة في الرياض، ولهم مزارع معروفة في بلدة العينية شمال الرياض. وقد تزوجت أمه رحمها الله بعد وفاة ابيه وهو محمد بن بكر وآل بكر من الاسر المعروفة وهم يمتون بصلة للوالد من جهة جدته موضي بنت بن بكر ومحمد بن بكر «رحمه الله» كان رجلاً شهماً كريماً يلقب (بأبي الأيتام) لأنه كان يكفل ايتاماً كثيرين من ذوي قرابته.. من ضمنهما الوالد «رحمه الله»، مع أنه لم يكن ذا يسار بل مستور الحال، ولكن يبارك الله له على قدر نيته وحسن عمله.

وقد أدركت من أخوال الوالد آل صالح أثنين: عبدالعزيز بن صالح وقد توفى قريباً وأدركت كذلك، خالة الوالد لأبيه نورة وقد توفيت عام ١٤٢٥هـ ونصف وقد عُمرت.

ومن أخوال الوالد الذين لم أدركهم عبدالله بن صالح ومحمد بن صالح.

وللوالد كذلك اخوال: عبدالعزيز وعبدالرحمن، وهؤلاء اخوال ليسوا أشقاء لأم الوالد (طرفة).

ويتحدث معالي الشيخ صالح عن ذكريات الطفولة لسماحة والده الشيخ عبدالله بن حميد أنه حدثهم عن طفولته قائلا:

أنه فقد بصره وهو صغير لم يتجاوز سن التمييز بسبب مرض الجدري، وكانت أمه طرفة تدعو له دائماً بان يكون من حفظة القرآن الكريم وان يكون إمام مسجد، ونظراً لعموم الأحوال المعروفة في نجد من الشدة والفاقة في كثير من الاسر، فإذا كان في الاسرة اعمى او ذو عاهة فان أهله يضيقون به ذرعاً ويزيدهم عبئاً إلى اعبائهم اذ أن مستقبل مثل هؤلاء في تحصيل العيش وبلوغ الكفاف مقلق، ومن أجل هذا فإن هذه الوالدة الرقيقة كانت تشعر بالقلق الشديد نحو مستقبل ابنها، وقد كف بصره في مقتبل عمره، فكان طموحها يقف أن تتمنى أن يكون امام مسجد ليستكفي في عيشه، وما كانت تعلم ما قد ادخره الله لهذا اليتيم من الخير والفضل وما منحه من المواهب والقدرات وتوفيت رحمها الله ولم تدرك ذلك الابن الطمّوح.

وكانت تحبه كثيراً رحمهما الله، وقد حقق الله دعوتها واستجاب لأمنيتها فأصبح أعظم مما تأمل وترجو صار علماً من أعلام الإسلام ووعاء من اوعية العلم ورجلاً من رجالات الأمة والدولة وبحراً من بحور المعرفة.

توفيت والدته وهو في السنة السادسة فأصبح يتيم الأب والأم، ولكن الله هيأ له من يكفله، كما قلنا سابقاً الشهم الكريم الملقب (أبا الأيتام) محمد بن بكر «رحمه الله تعالى»، وكان في ذاك الزمن الفقر الشديد، فعاش «رحمه الله» في هذا الزمن العصيب مع ابناء جيله وكان الأعمى في ذلك الزمن، وخصوصاً إذا كان طفلاً ليس له مستقبل سوى إمامة مسجد فدخل «رحمه الله» مدرسة المقرئ علي بن محمد بن مديميغ

«رحمه الله» فحفظ القرآن كاملاً. وكانت هناك امرأة فاضلة وخيّرة هي الأميرة الجوهرة بنت أحمد السديري زوجة الامام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود والد الملك عبدالعزيز «رحمهم الله جميعاً» كانت هذه المرأة الكريمة تهتم برعاية الأيتام والمساكين وذوي الحاجات وخصوصاً من حفظة كتاب الله الكريم أو المبتدئين في طلب العلم، فكان الوالد وكذلك الشيخ ابن باز ممن شملتهم عناية ورعاية هذه المحسنة الأميرة الجوهرة رحمها الله،

وكان الوالد «رحمه الله» فيما بعد وبعدما علا شأنه على تواصل وزيارات متصلة للأميرة الجوهرة، وبعد ما توفيت رحمها الله كما تواصل مع بناتها شيخة ومنيرة ابنتي الإمام عبدالرحمن.

وقد حصل ان الشيخ الوالد والشيخ ابن باز رحمهما الله كانا يؤمانها في صلاة التراويح والقيام في رمضان.

بدأ الوالد يطلب العلم في اواسط الأربعينات من القرن المنصرم بعدما تجاوز سن العاشرة، فقد قرأ على الشيخ حمد بن فارس «رحمه الله» والشيخ حمد توفي سنة ١٣٤٥هـ.. ويحدثنا الوالد «رحمه الله تعالى» قائلاً... إنني صليت في مسجد دخنه صلاة الفجر، فلما أنصرفت من الصلاة بدأت أقرأ وردي وأنا ذلك صغير أعمى، وكنت بجانب الشيخ حمد الفارس وفي أثناء الورد قلت بهذا اللفظ لفظة الشهادة وحده لا شريك لُه فنطقتها هكذا بضم اللام لُه ثم صححتها من قبل نفسي وفتحت اللام لَهُ. فسألني «رحمه الله» لماذا ضممت أولاً ثم فتحت الهاء فقلت له إن اللام لما اتصلت بالضمير فتحت، فاستغرب مني هذا الكلام الذي لا يصدر إلا من طالب علم كبير متمكن. فقال لي الشيخ حمد من أنت، فقلت له عبدالله بن حميد من أسرة آل حميد من

أهالي الرياض فأخذ يعدد ليَّ عدداً من اسر الرياض الذين يتوافقون في اسم اسرتنا، ويذكر الأحياء التي يسكنون فيها وأبي يجيبه بالنفي. ثم قال الشيخ حمد أين تسكنون فقال الوالد في حي الدحو... فاطرق قليلاً ثم قال: سامحني يا ولدي أعتقدت أن اسرتكم أنقرضت لأن اسرتنا لم يبق منها إلا الوالد واخوه عبدالعزيز ثم ان اخاه عبدالعزيز توفي وهو شاب واعقب ولداً واحداً. والشيخ حمد «رحمه الله» هو المسؤول عن بيت المال في الرياض، وكانت عنده الكتب التي تطبعها الحكومة، فقال للوالد أئتني غداً اعطيك نسخة من زاد المستقنع، وكانت الكتب في ذلك الوقت شحيحة ويصعب اقتناؤها. ولا تعطى إلا للمتميزين المستحقين، ولكن الوالد «رحمه الله» لم يأت من الغد لصغر سنه فرأه الشيخ في المسجد بعد أيام، فقال له معاتباً: لماذا لم تأتني فإني ناصح لك وأريد مصلحتك، فخجل الوالد «رحمه الله» أمام حرص الشيخ حمد «رحمه الله» وكبر منزلته فما كان من الشيخ الا أن ذهب إلى الشيخ حمد «رحمه الله» وتسلم النسخة منه.

وقد قرأ الوالد على الشيخ حمد في النحو ما يقارب التسعة اشهر، ثم ان الشيخ الوالد لازم الشيخ محمد بن إبراهيم ملازمة تامة وكان من ابرز تلامذته، ولما تأهل وارتوى من العلم عينه الشيخ مدرساً في مسجده للتلاميذ الذين يحتاجون إلى اعادة شرح وتوضيح فكأنه بمثابة المعيد، علماً بأن هذا المصطلح (المعيد) موجود عند المتقدمين، حيث يقوم بعض كبار الطلاب النابغين بإعادة الدرس للطلاب والمراجعة معهم.

وقد عانى الوالد «رحمه الله» في حياة شبابه شيئان شظف العيش والفقر وتزوج «رحمه الله» عام ١٣٥٦هـ من أسرة الوهيبي وهي أمي نورة بنت محمد الوهيبي من أهالي منفوحة وهي أم أخي محمد ابن

الوالد البكر والمكنى به وهو شقيقي، وكذلك شقيقي عبدالرحمن وقد توفيت أمي عام ١٤١٥هـ رحمها الله تعالى واسكنها فسيح جناته.

وكان قد تزوج قبل أمي لكن هذا الزواج لم يدم طويلاً، وأعتقد أنها من أسرة الوهيبي «بالتصغير» أما اسرة والدتي من وهيبي «بفتح الواو» وهيب على وزن فعيل.. فأنا غير متأكد هل هذه المرأة التي تزوجها أبي أنجبت اولاداً وتوفوا؟ ثم لما عيّن الوالد قاضياً في منطقة سدير تزوج من أسرة الزكري من حوطة سدير، ولم تنجب اولاداً، وقد توفيت في السنة التي تزوجها فيه الوالد رحمها الله. ثم لما عين قاضياً في بريده تزوج من أسرة القفاري وهم أخوال أخي الدكتور أحمد الأستاذ بجامعة أم القرى، وعبدالعزيز وسعد وإبراهيم مع اختين كريمتين احداهما تحمل الماجستير في الفقه وتُدرس بجامعة الأمام.

ثم ان الوالد تزوج عام ١٣٩١هـ وهو في مكة زوجته الثالثة من أسرة آل رقيبة، وقد انجبت له أخوتي عبدالوهاب وعبدالمحسن واختين كريمتين. وهاتان الزوجتان لا تزالان على قيد الحياة حفظهما الله وامد في عمرهما واحسن لهما حسن الختام وهن في مكة مع بقية إخواني واخواتي.

أما أسلوبه في التعامل مع اولاده وأهل بيته رحمه الله تعالى فهو عالم بكل صغيرة وكبيرة في البيت، بالرغم من أشغاله الكثيرة وأنشغاله بالقضاء والتدريس، هذا فضلاً عن علاقاته الاجتماعية الدائمة وتواصله مع الدولة والناس. فهو دائم الصلة بأولاده وقد رزقه الله الذكاء الحاد والذاكرة القويَّة والقدرة على المتابعة الدقيقة، فهو ليس قاسياً مع اولاده لكن كان «رحمه الله» حازما وذا شخصيَّة مهابة في المنزل وشخصيته هذه ليست منفرّة بل استطاع بذكائه ان يوظفها في ما

ينفع في تربية أولاده فكان له جلسات أسرية مع ابنائه وبناته وأهل بيته منتظمة. يتحدث معهم في شتى الموضوعات الأسرية، ويسود هذا الجو العائلي الكثير من الحكايات والملح والفوائد الممتعة، هذا مع التركيز دائماً على التوجه والارشاد المباشر وغير المباشر والمتابعة في المحافظة على الصلوات الخمس في المسجد ومواصلة التعليم، وهذه الأمور دائم المتابعة بها، وإذا حصل بعض التقصير في شأن الصلوات غضب غضباً شديداً على المقصر فإن احتاج الموقف إلى تأديب فإنه يؤدب، لكنه لم يكن يضرب مطلقاً، سواء في شأن الصلوات والتقصير فيها، أو إذا حصل خطأ من بعض الأبناء واحياناً إذا اراد ان يعاقب الوالد احداً قد قصّر فإنه أما أن ينهر نهراً شديداً مؤثراً وإذا كان الأمر اشد فقد لا يكلمه ويهجره هجراً غير طويل قد يمتد إلى يوم أو يومين ولا يزيد.

وهي عقوبة أعظم تأثيراً على العقوبة البدنية، لأن هذا الذي قد عوقب بالهجر يرى بقية أخوانه يكلمهم الوالد ويتلاطف معهم ويظهر لهم مزيد عناية مدركاً بثاقب بصيرته ان الأبن المهجور مدرك لذلك كله ولهذا فهو يرتقب الفرصة المناسبة لطلب الصفح والعفو والمسامحة.، لا سيما أنه وحيد لا يكلمه الوالد والوالد بطبعه أنيس في مجلسه وجذاب في احاديثه وكلامه، فهنا لا يستطيع هذا الذي عوقب بالهجر وعدم الكلام ان يتحمَّل هذا العقاب، وما هي إلا أيام قلائل لا تتجاوز يوماً أو يومين ثم يقول لأمه ادعي الأبن فلان ليأتي ويطلب الصفح والعفو. وهنا يفرح الأبن فرحاً عظيماً ويأتي ويقبل رأس الوالد ويطلب العفو والمسامحة.

فهذا نوع من العقاب. الذي ينفع ولا يؤثر في نفسية الأبن لكنه في المستقبل يعلم أنه إذا قصرّ أو أهمل فسوف يعاقب بهذا العقاب فلا

يعود إلى هذا الخطأ.

كما كان الوالد «رحمه الله» متابعاً لأبنائه في دراستهم، فيسأل ابناءه عن دروسهم ويسأل المدرسين عن ابنائه، وقد يرسل أحد موظفيه أو معارفه للسؤال عن الأبناء في المدارس.

كما أنه في متابعته وتربيته لا يحاسب على كل صغيرة وكبيرة بل إنه يجعل الأم تشارك في عملية المراقبة والمتابعة، فيكون الأبناء والبنات بين الأم والأب، وبهذا ينضبط البيت وهذا كله من حكمته ورجاحة عقله الرزين، كما أنه «رحمه الله» لا يستعمل الهجر أو الأسلوب القاسي ألا في حدود ضيقة جداً. فلذلك تجد الأبناء والبنات من النادر أن لم يكن من المستحيل أن يلفظ أحدهم بكلمة نابية أو سلوك مشين. والوالد «رحمه الله» يعرف أن هذا الطفل أو الصبي يريد أن يلهو بعض اللهو المباح فلا يمنع من هذا ابداً.

وأذكر أنني لما كنت في بريده وكنت أقرأ عليه «رحمه الله» في زاد المستقنع وشرحه الروض المربع مع مجموعة طلبة العلم الذين في الحلقة وأحياناً أقرأ عليه في كتب مطوّلة تاريخيَّة كسمط النجوم العوالي في المسجد في الضحى وعندما أخرج من المسجد أجد اقراني يلعبون بجوار المنزل فأضع الكتاب الذي معي، والكتاب ملفوف بقماش يسمى «البقشه» وألعب مع الزملاء، وحينما يخرج الوالد ومعه بعض كبار التلاميذ متوجهاً إلى المنزل، وحينما اراه مقبلاً اتوارى عنه بجوار عتبة المنزل وملصقاً جسمي إلى الجدار، حتى أن التلاميذ الكبار يرونني ويتبّسمون والوالد طبعاً يعلم بهذا الأمر ويعرف من هم جلساء ابنائه وأين يلعبون؟ وكان للوالد برنامج شبه يومي يخرج خارج البلدة كنزهة قصيرة يزاول فيها رياضة المشي وكثيراً ما يصحبنا معه فنفرح بذلك

فرحاً شديداً، والذي قد صدر منه تقصير أو خطأ فمن العقوبة ان يُحرم من الذهاب في هذه النزهة اليومية فيكون هذا العقاب عليه شديداً.

أما في مكة فيختلف البرنامج، فكان في الدوام الرسمي في الصباح، وبعد العصر يستقبل الناس في منزلة وبعد المغرب الدرس اليومي بالمسجد الحرام سوى يومي الثلاثاء والجمعة، وإذا اراد الخروج في نزهة خرج قبيل صلاة المغرب حتى صلاة العشاء، لكن هذا ليس دائماً. وكان معه جلساء خاصون أمثال عبدالله البقيشي «رحمه الله»، وفهد المزيد الخطاف وصالح الغصن ومحمد الربيش ومحمد العبودي، وعلى العجاجي هؤلاء يأنس بهم الشيخ الوالد، وهناك جلساء غيرهم من كبار السن الرواة الذين يحفظون من التراث الشعري والقصص فيسمع منهم ويبادلهم المطارحات الأدبية والقصص والتراث.

أما برنامج الوالد الشيخ اليومي العلمي فهو البرنامج المعتاد لمشايخ وأئمة الدعوة يصلون الفجر وبعد صلاة الفجر درس إلى طلوع الشمس غالباً ما يكون في التوحيد والنحو، ثم بعد ذلك يأخذ راحة قصيرة في المنزل ويتناولون القهوة، ثم يعقدون درس الضحى، وغالباً ما يكون في الفقه والكتب المطولة من الشروح والتاريخ والتفسير والحديث وغيرها، وحينما كان في القضاء فيبدأ بمباشرة القضاء، قبل أن تكون هناك محاكم كان يقضي في المنزل أو في السوق، ولما أنشئت المحاكم أصبح الوالد الشيخ يباشر القضاء في المحكمة بعد درس الضحى. ثم بعد صلاة الظهر هناك درس في الفقه والمطولات، وبعد الدرس يتناولون القهوة وبعد صلاة العصر درس في بلوغ المرام وفي المكتبة التي قام الوالد بإنشائها في بريده على الطريقة الحديثة رتب فيها دروساً في

الضحى في المختصرات والمطولات وبعد العصر للقراءة الحرة، وبعد صلاة المغرب درس في المواريث، وبين اذان العشاء والاقامة درس في تفسير ابن كثير، وقد يعلق فيه الشيخ التعليقات المناسبة. اما للعامة وعظاء تذكير وإما علمية تعليقاً على التفسير نفسه في شرح غامض أو تصحح حديث أو تضعيفه أو استدراك على بعض العبارات، وبعد صلاة العشاء تكون مراجعة وتحضير للدروس في المنزل. ولما استعفى من القضاء عام ١٣٧٧هـ أصبح يعقد درس الضحى في المكتبة حتى عام ١٣٨٤هـ بعدها أنتقل إلى مكة: ولم يكن هناك دروس متخصصة في المسجد الحرام بل كان يلقي دروساً عامة غالباً ما تكون في الفقه وفي الحديث والتوحيد ثم يجيب على أسئلة السائلين، ولما عين رئيساً لمجلس القضاء بالرياض جلس لطلاب العلم بمسجده الذي بجوار منزله في حي ذخنه وألتف عليه طلبة كثيرون وأصبحت حلقة علميَّة يُقرأ عليها كثير من المتون في التوحيد والفقه والحديث واللغة.. وقد سجلت هذه الدروس ولله الحمد وهي محفوظة. ثم بعد ذلك أصيب بالمرض عام ١٤٠١هـ ونصحه الأطباء بالسفر إلى أمريكا فسافر ومعه الشيخ صالح الغصن وأخي عبدالرحمن وأخي عبدالعزيز، ولما رجع كانت حالته الصحية جيّدة وبدأ يزاول عمله القضائي، وقد دعاه مجموعة من المشايخ إلى منازلهم بمناسبة عودته من رحلة العلاج. واستمر على هذا أشهراً ثم بدأ المرض يزداد فسافر مرة ثانية إلى أمريكا وكنت مرافقاً معه وأخي أحمد، لكن رحلته هذه كان المرض قد أشتد عليه وكان طوال الوقت على السرير وقد أجرى عملية جراحية لكنه لم يستفد منها «رحمه الله» وبعدها رجع إلى الطائف في مستشفى الهدا وكان متعباً جداً لكنه كان كامل الوعي ويستقبل الزوار

قبل وفاته بأربعة أيام ثم دخل في غيبوبة وتوفي يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٢/١١/٢٠هـ في الساعة الثالثة عصراً «رحمه الله» رحمة واسعة وجعل مقره الفردوس الأعلى.(١)

(١) سجلت هذه الأحاديث والذكريات الممتعة بمنزل شيخنا معالي د. صالح بن عبدالله بن حميد بعد صلاة العشاء الموافق يوم الأحد ١٤٢٧/٦/١هـ. بالرياض.

كلمة موجهة
بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى كافة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهم من أخواننا وفقنا الله واياهم للعمل بما يرضيه وجنبنا أسباب سخطه ومناهيه آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن من المتعين علينا وعليكم التناصح في دين الله، والتذكير بنعم الله وأيامه، فإن في ذلك من المصالح النافعة العامة مالا يحيط به علماً إلا الله وقد رأيتم ورأينا كما رأى غيرنا من انتقاص عرى الإسلام عروة عروة، ويبدو اختفاء معالمه وما غلب على أكثر الخلق من الأعراض عما خلقوا له واشتغالهم بالفاني عن الباقي وظهور سلطان حب الدينا واستيلائه على القلوب وفشو المنكرات وتتابع ظهورها بدون مغير لها ولا منكر وهذا مما يدل على ان الإسلام قد بدا مرضه في هذه الديار وان أوامره ونواهيه خف وقعها في النفوس، فالواجب على كل مسلم ان يهتم بهذا الأمر اشد الأهتمام ويبذل كل ما يقدر عليه في سبيل اصلاح دين المسلمين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يختص بواحد دون آخر فإن جميع بني آدم لا تتم مصالحهم في الدينا ولا في الأخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح.

في حين ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يبق فيه إلا رسوم قليلة وهو باب عظيم به قوام الأمر وملكه وإذا لم يؤخذ على يد الظالم اوشك ان يعمهم الله بعقابه، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ سورة النور. وأنه لمن أكد قواعد الأديان وأعظم منافع الإسلام وهو مقام الرسل، حيث يثقل صاحبه على الطباع وتنفر منه نفوس أهل اللذات ويبغضه أهل الخلاعة وبه تحى السنن وتموت البدع. فلو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعود النشء ما شاهدوا وانكروا ما لم يشاهدوا فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل ان يعتني بهذا المقام فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص لله نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿**ولينصرن الله من ينصره**﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت الآية ٦٩.

وأنما الأجر على قدر النصب فلا يتركه لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب عليه حرمة وحقاً ومن حقه ان ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته وان ادى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وان حصل بسبب ذلك نفع في دنياه وأنما. كان أبليس عدواً لنا لهذا وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح اخراهم وهدايتهم اليها والأمر بالمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله وتقرب إليه واحسان إلى الناس وكل ما ندب اليه الشرع وحث عليه ورغب فيه، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه صلاح للعباد في المعاش والمعاد، ولا يتم ولا يستقيم لهم حال بدونه

وهو أن أمور الناس لا تستقيم ولا تنتظم أحوالهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بطاعة الله ورسوله بالامتثال لاوامره والانتهاء عن زواجره وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمت هذه الأمة وارتفعت على غيرها من الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة آل عمران الآية ١١٠. ومراتبه ثلاث باليد واللسان والقلب وثالثها اضعفها إيماناً فعدم انكار المنكر بالقلب دليل على ذهاب الإيمان.

قال ابن مسعود: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بالقلب ويشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن احد فمن لم يعرفه هلك ومتى سكت الانسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطلب لرضا الخلق واستجلاباً لمودتهم فهو اخبث حالاً من الزاني والسارق وشارب الخمر.

قال: ابن القيم «رحمه الله» ليس الدين بمجرد ترك المحرمات بل والقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله عز وجل كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيله والنصرة لله ورسوله ولكتابه ودينه والنصح لعباده واقل الناس ديناً وأمقتهم لله من ترك هذه الواجبات وان زهد في الدنيا جميعها والداعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة طلب الثواب من الله عز وجل متقرب إليه بذلك وتارة خوف العقاب والأثم في تركه وتارة الغضب لله إذا انتهكت محارمه وتارة النصيحة للمسلمين والرحمة بهم والشفقة عليهم ورجاء انقاذهم مما اوقعوا فيه أنفسهم من التعرض لسخط الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وانه أهل ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال

فمن لاحظ ما ذكرناه هان عليه ما يلقاه من الأذى في الله عز وجل، كما قال بعض السلف (وددت ان الخلق كلهم اطاعوا الله ورسوله ولو قرض لحمي بالمقاريض).

فالنهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الأداب والفضائل، فإذا ترك تجراء الفساق على اظهار فسقهم وفجورهم وحتى صارت الدهماء يرون المنكرات بأعينهم ويسمعونها بآذانهم تزول وحشتها وقبحها في قلوبهم ثم يتجرأ الكثيرون أو الاكثر على اقترافها فيعظم البلاء ويشد الخطب وناهيك لو قام كل واحد منا بنصيحة الآخر دعوة وامراً ونهياً لامتنع فشو الشر فينا والمنكر واستقر الخير والمعروف بيننا: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ سورة الأنفال الآية ٢٥. غير ان الناصح الداعي والآمر الناهي ينبغي ان يوطن نفسه على الصبر ويثق بالثواب من الله لم يجد مس الآذى وهان عليه كل ما يلاقيه في سبيل ذلك وحيث لم يرد بعمله إلا وجه الله والدار الآخرة فإن الله يحفظه من بأس الصائلين والمعتدين وذلك ببركة اخلاصه وحسن مقصده وقوة توكله على الله فإن من اخلص لله النية اثر كلامه في القلوب القاسية فلينها وفي الألسن الذربه فقيدها وفي يد السلطة فعقلها ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم. وصلى الله على محمد.



(١) نشرت هذه النصيحة بجريدة (حراء) بتاريخ ١٣٧٨/٢/١٩هـ.

حكم مكبر الصوت (المايكروفون)

وسئل عفا الله عنه عن حكم استعمال مكبر الصوت في المساجد للآذان وخطبة الجمعة وغيرها هل هو جائز شرعاً أم لا ؟

فأجاب لا شك أن ارشاد الناس ووعظهم وتعليمهم ما يحتاجونه من أمور دينهم أمر لازم وحق واجب دل عليه الكتاب والسنة واجمعت عليه الأمة، فالقرآن اكثر من ذكر الدعوة إلى الله والحث عليها والترغيب فيها والآيات في ذلك اكثر من آيات الصوم والحج الذين هما ركنان من اركان الإسلام الخمسة والرسول ﷺ إذ قام يخطب الناس احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه فعلو الصوت مقصود لاسماع الناس العظة والتذكير والانذار بسوء العاقبة وصوت الخطيب والواعظ يقصر عن اسماع الجمع الكثير ولا يتوصل إلى الغاية المقصودة من ارشاد الناس واسماعهم العظات والخطب الا بواسطة مكبر الصوت وهي مصلحة محضة فالشريعة الإسلامية هي ابلغ الشرائع حكمة واوفاها اصولاً واوسعها للمصالح رعاية وقد اشتملت بنصوصها واصولها على بيان احكام مالا يتناها من الوقائع وانها لأصلح وانفع ما يقضى به عند التباس المصالح، وقد انبنت الشريعة على رعاية حفظ المصالح ودرء المفاسد ولا يختلف علماء الإسلام في ذلك يقرر أهل العلم رحمهم الله ان كل ما كان مصلحة محضة فمأذون فيه قطعاً وما كان مفسدة محضة فحكمه النهي قطعاً وما كان فيه مصلحة من ناحية ومفسدة من ناحية أخرى فالشارع الحكم ينظر إلى الأرجح منهما ويفصل الحكم على قدر الأرجحية فما رجحت مصلحته على مفسدته أذن فيه على وجه الاباحة

أو الندب أو الوجوب وما رجحت مفسدته على مصلحته نهى عنه على وجه الكراهية أو التحريم فعلم من هذا أن استعمال مكبر الصوت في المجامع العامة للعظة والتذكير والأرشاد وغيرها مصلحة راجحة لا تتنافى مع الشريعة الإسلامية بل ولا يقف عند حدود الاباحة عند من عرف اسرار الشريعة ومقاصدها، حيث أن استعماله مصلحة محضة لم تقترن بأي مفسدة ما والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

---

(١) أخبرني أحد كبار السن من أهالي بريده قائلاً لما وضعت مكبرات الصوت في المساجد في بريده كان بعض طلبة العلم قد توقف في جوازها وبعضهم حرَّمها لكن الشيخ عبدالله بحكمته وحسن تدبيره أقنع الكثيرين بجوازها وضرب لهم مثالاً حياً وقال : مثل مكبرات الصوت «المكرفون» مثل عدسة العين النظارات فهي مكبّرة للرؤية وتستعملها في قراءة القرآن وقراءة الكتب العلميَّة. وقد طرح هذا السؤال على بعض علماء المملكة في ذاك الوقت فأفتوا بالجواز من أشهرهم الشيخ المحقق الزاهد عبد الرحمن السعدي ت - ١٣٧٦هـ رحمه الله تعالى فقد سئل رحمه الله سؤالاً وهو ما رأيكم في استعمال مكبر الصوت للخطيب؟

جـ - رأينا أنه لا بأس به وهنا فائدة نافعة لهذه المسألة وغيرها وهي أن الأمور الحادثة بعد النبي ﷺ قسمان: عبادات وعادات. أما العبادات فكل من احدث عبادة لم يشرعها الله ورسوله فهو مبتدع.

وأما العادات فالأصل فيها الإباحة فكل من حرم عادة من العوائد الحادثة، فعليه الدليل فإن أتى بدليل يدل على المنع والتحريم من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أو قياس على أصل شرعي فهو محذور وممنوع وإلا فالأصل الإباحة... ثم قال : رحمه الله فهذه الآلات الحادثة من هذا الباب الأصل فيها الإباحة والمباحات كلها إن أعانت على خير فهي حسنة وإن أعانت على شر فهي سيئة والله أعلم / الفتاوى السعدي ص. ١٨١. ويذكر الشيخ إسماعيل العتيق في كتابه هذا هو العالم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي... أن الشيخ صالح الخريصي لا يرتاح إلى مكبر الصوت «أي في المسجد» ولا اظن أنه يحرمه إذ كان في الحرمين وفي مساجد أخرى غير أن الشيخ لا يصلي في مسجد فيه ميكرفون ألا اضطراراً وحدث أنه بعد أن عمّر مسجد بريده وفي أول جمعة أتى الشيخ صالح ليصلي في المسجد الجامع والخطيب هو الشيخ عبدالله بن حميد فلَّما تأكد الشيخ الخريصي «رحمه الله» من وجود مكبَّر صوت خرج من المسجد الجامع وبخروجه خرج عدد كبير من الإخوة التابعين للشيخ صالح ومن أخص تلامذته ثم أقيمت صلاة الجمعة في مسجده وبدون مكبرات الصوت، وسمعته ذات يوم يذكر في مسجده وقد اصخت الأذان صوت الميكروفون من مسجد مجاور فقال نعوذ بالله من البدع وهو يتألم لما يسمعه من ضجيج وأصوات غير اضطرارية خاصة باداء الصلوات في مبكرات الصوت، هذا ما أعلمه منه في الأعوام التي عاشرته فيها ١٣٧٦هـ فما بعد لا أدري هل بقي على رأيه في آخر حياته أم أن الوضع قد تغيَّر واذعن الشيخ للواقع - رحمه الله رحمه واسعة / كتاب هذا هو العالم ص ١٦-١٨.

كلمة توجيهية إلى رجال التعليم

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى كافة العلماء من اساتذة الكليات والمعاهد وغيرها من مدارس الحكومة حفظهم الله ونفع بعلومهم آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

تعلمون وفقكم الله ونفع بكم، ان هذه النابتة المتربية في المدارس على تنوعها هي أمانة تحت أيديكم اوجب الله عليكم رعايتها وصيانتها بتعليمها العلوم النافعة وتربيتها التربية الصحيحة فمتى صحت علومهم واستقامت انتجت رجالاً مخلصين لدينهم وبلادهم والعكس بالعكس فإن العقيدة متى اعتراها شيء من الانحراف صارت مصدراً للأخلاق المرذولة ومعالجة مثل هذه اصعب بكثير من الأنحراف الناشيء عن طغيان الشهوة وحدها لأن الأول يستهين ببعض محاسن الأدب بدعوى انها ليست من الحسن في شيء ويخرج عن حدود المكارم بزعم ان هذه الحدود لم تكن على حكمه والمغلوب للشهوة وحدها قد ينصرف عن الحسنة إلى السيئة معترفاً بخطئه وينتهك حرمة الحق بدون شك منه على أنه ارتكب جريمة ونصيحة هذا وموعظته التأثير عليه أيسر وابلغ من مُنحرف العقيدة لأن مثل هذا يصير الحق باطلاً والباطل حقاً فلا حيلة فيه وصلاح الأمة وفلاحها ناتج عن صحة أعمالها وصحة أعمالها عن صحة علومها فمتى كانت التربية والتعليم جارية على السنن المستقيمة آداب واخلاق فاضلة انتجت رجالاً ذوي نصح وأمانة وخبرة ووفاء وصدق وآخاء واتحاد في الكلمة وإذا كان بخلاف ذلك خابت

الآمال وفسد الدين والدنيا واصبحوا في جهل وبلاء وحالة سيئة فبالعلوم النافعة الصحيحة يصلح كل شيء وينتظم كل أمر.

فيا أيها العلماء الاجلاء والاساتذة الفضلاء خذوا بأيدي هذه الناشئة واهدوهم إلى محاسن الإسلام وغرس محبته في قلوبهم بشرح محاسنه وفضائله وبيان ما امتاز به على غيره، فقد رسم اعداء الإسلام خططاً ووضعوا مناهج لصد بني الإسلام عن الإسلام وأغرائهم بهذه المدنية الزائفة التي معظمها شر وبلاء، فقد ألفوا في ذلك المؤلفات العديدة والرسائل الكثيرة بأساليب مختلفة فانهم قالوا في تربية النشء الجديد يجب أن تكون تربيته على العصبية الجنسية واحلال خيالها محل الوجدان الديني وجعلها بدلاً من الأخوة الإيمانية في قوله تعالى: ﴿**أنما المؤمنون أخوة**﴾ وفي قوله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وقوله ﷺ «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا» تكون بدلاً من هذه الأخوة الإسلامية العصبية الجنسية والوطنية وان تباينت دياناتهم ليحل مكان الوجدان الديني العصبية الجنسية ولجعلها هي المثل الأعلى للأمة والفخر برجالها المعروفين في التاريخ وان كانوا من المفسدين المخربين بدلاً من الفخر برجال الإسلام من الخلفاء الراشدين وغيرهم من ابطال المسلمين الذين شهد لهم التاريخ بالفضل والدين والشجاعة والبطولة والسياسة الحكيمة وما زال اعداء الإسلام مجدين في هدمه وتغيير عقائد أهله كما قال (مسيواتين) الأمين الفرنسي: «ان مقاومة الإسلام بالقوة لا يزيده إلا انتشاراً فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه هي تربية بنيه في المدارس بالقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة لنُسف عقائدهم

من حيث لا يشعرون».

فهذا لعلمه قابلية الصغير لما يلقى اليه من العلوم الضارة وغيرها ولعدم تمييزه بين الصحيح وغيره ولأن الضرر الذي يصعب معالجته هو زيغ العقيدة فإن زيغها مصدر كل شر وبلاء ومصدر للأخلاق الرذيلة وانظر إلى ما قاله (زويمر) رئيس (ارساليات التبشير) فقد عقد مؤتمراً في القرن الماضي حضره دعاة التبشير وهذا نص خطابه ليعرف منه مقاصده ومراميه قال:

«أيها الأخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فاحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي انطيت بكم احسن الأداء ووفقتم لها اسمى التوفيق، وإن كان يخيل إليَّ أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الاساسية منه. أني اخبركم على ان الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم احد ثلاثة. أما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش. وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليس هي ادخال المسلمين في المسيحية فان في هذا هداية لهم وتكريماً. وان مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمار في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به من خلال الأعوام المائة السالفة

خير قيام، وهذا ما هنأتكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة إلى ان قال أنكم اعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد أنكم اعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرفون الصلة بالله ولا يريد أن يعرفه واخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما اراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات واذا جمع المال فللشهوات وان تبواء أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، يجود بكل شيء.

ان مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد اصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب.أ هـ[1].

يشير هذا الخبيث إلى الحث على تشكيك المسلمين وبقائهم حيارى خصوصاً النشء الجديد وانهم ان تعلموا أو جمعوا مالاً أو تبوؤا مراكز ففي سبيل شهواتهم ويكونون بعيدين عن معرفة خالقهم ومعبودهم وإذا تم لهم ذلك اصبح النشء لا يهتم بأي عظيمة في دينه وأمته وهذا مما يمهد الطريق لأغراض المستعمرين لاستحلال الممالك الإسلامية ، وقد قال زويمر أيضاً في كتابه (العالم الإسلامي): (اليوم يجب تبشير المسلمين بواسطة من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب

(١) القس زويمر زار الخليج العربي أوائل القرن الرابع عشر الهجري مرتين وبث زملاءه في انحاء المناطق الخليجية وهو امريكي الأصل وقد حاول بكل ما يستطيع من امكانيات التأثير على ابناء الخليج هو وزملاؤه عن طريق العلاج والعناية الصحية لكنهم بحمد الله تعالى لن يفلحوا، وقد أفتتحت هذه الجماعات التنصيرية مستشفاً في البحرين يطلق عليه مستشفى الأرسالية كانت المرضى تأتي إليه من نجد والأحساء للعلاج وترجم الأستاذ والمؤرخ خالد البسام مذكراتهم ويومياتهم ونشرها في أكثر من كتاب.

قطعها بأغصانها وان من المحقق ان المسلمين قد نمى في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين وان هذه العلوم ستزاحم العلوم الإسلامية وتضعفها من نفوسهم).

ان غرض هذا القس وأمثاله (كسر هنري جونون والمستر بلس) وشاكلتهم وأشباههم الذين كتبوا في هذا المعنى أنما غرضهم تربية العقول من عهد نشأتها طبق ما يريدونه من ادخال العلوم الأوروبية على العلوم الإسلامية وتنميتها في قلوبهم لينجذبوا بها اليهم بتعظيمهم وتعظيم آرائهم واخراج المسلمين من الإسلام أو جعله في حيرة من دينه إلى غير ذلك من الأغراض الفاسدة فيجب على العلماء الاجلاء والاساتذة الفضلاء ان يعتنوا بهذا النشيء بتحذيرهم من قراءة بعض الكتب والمقالات التي يكتبها بعض تلامذة أوروبا المنتسبين إلى الإسلام وان يبينو لهم عظمة الدين الإسلامي وما هو عليه من المحاسن والمزايا التي لا يوجد نظيرها في غيره، كما ان على الطلاب النجباء إذا لاحت لهم شبهة أو أمر ارتابوا فيه يسألون العلماء من الاساتذة وغيرهم ليكشفوا ما بهم من شبهة ويوضحوا ما فيه من اشكال، واني معتقد ان الاساتذة الاجلاء قائمون بواجبهم نحو هذه الناشئة فيما يعود عليهم خيره ونفعه في علومهم واخلاقهم بارك الله فيهم ونفع بعلومهم الإسلام والمسلمين والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل[1].



(١) نشر هذا المقال بجريدة (حراء) بتاريخ ١٣٧٨/٥/٢٧هـ

كلمة موجهة للعلماء واساتذة الكليات وغيرهما

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

تعلمون أيها العلماء الاجلاء ما أصيب به الإسلام من انتقاضه عروة عروة بفشو المنكرات وتجرء الكثيرين أو الاكثر على ارتكابها وزوال وحشتها من النفوس وفساد العقيدة مما يلقيه دعاة الغرب من بذور الشبه والشك من فساد الأخلاق وظهور البدع التي طغت على السنن كما يقول كثير من مدعي الاصلاح الزائف هذا جمود وهذه رجعية وانه يجب التطور مع الزمن والأحداث.

يريدون بذلك نبذ تعاليم الإسلام وعدم تطبيق احكامه كأن الإسلام بزعمهم هو الذي أخرهم واقعدهم ولم ينتبهوا لدسائس الغرب الذين قالوا هذا القول ودعو اليه وكتبوا لأجله الكتابات المختلفة الاساليب يريدون امراً واحداً وهو القضاء على الإسلام الذي سطر مجداً خالداً وتاريخاً عظيماً للمتمسكين به في صدر هذه الأمة، فقد محو من الوجود أمتين عظيمتين هما اقوى ملوك الأرض واشدها بأساً فارس والروم وأخضعوهم لأوامر القرآن ونواهيه وامتد سلطان المسلمين إلى البحر الاطلنطي غرباً وإلى اقصى الصين شرقاً، ذلك لأنهم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانجز لهم ما وعدهم مجداً في الدنيا واجراً في الآخرة.

أيها العلماء الاجلاء ان الاجانب غزونا في بلادنا غزواً عظيماً بانحلال اخلاقنا واضعاف مكانة الدين الإسلامي من قلوبنا بما يكتبونه من القصص الغرامية والشبه والشكوك التي يلقونها على بني الإسلام والتي من شأنها افساد العقائد الحقة فإن العقيدة إذا فسدت وخفت أوامر الإسلام ونواهيه على القلب اصبح مصدراً لكل زديلة وانحلال خلقي. قال بعض الأوروبيين ان في الاحتلال فناً عسكري في الأول ولكنه فن أخلاقي في الأخر.

أيها العلماء الاجلاء ما مدح الله أهل العلم بما مدحهم به إلا لأنهم ورثة الأنبياء يلقون الشرائع للناس ويوضحون طرق الفلاح والنجاح واسباب السعادة والعزة في هذه الدار ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين **﴿وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾**.

أيها العلماء الفضلاء لقد علمتهم ما قال الله في ذم من لم يقم بواجبه ولم يؤد ما عليه لدينه وأمته من الدعوة والارشاد والعظة والتذكير والإنذار بسوء العاقبة، فالآيات في الدعوة اكثر من آيات الصوم والحج الذين هما ركنان من اركان الإسلام الخمسة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٧. دلت الآية الكريمة على وجوب اظهار العلم وتحريم كتمان شيء من أمور الدين لغرض من الأغراض الفاسدة والتأويلات البعيدة ومتى قام العلماء بما عليهم من ارشاد الأمة إلى اتباع كتابها وهديها بإرشاده وتهذيب اخلاقها بآدابه وجمع كلمتها حول تعاليمه استقامت أمورها وانتظمت احوالها فتصبح عزيزة الجانب متكافئة متضامنة أمرهم شورى بينهم. هذا وان العلماء وفقهم الله يعلمون ان الدعوة إلى

الله محفوفة بالمخاطر محوطة بالاشواك فإن من شأن تلك المخاطر تسرب اليأس إلى النفسذريعة عظيمة كتثبيط همة الداعي المرشد، ولكن من الخير والمصلحة ان يحال بين اليأس وبين الداعي المرشد، بما يراه من تلك العقبات التي تعترض الداعي وتلك الشدائد التي يراها المصلح بأنه لا غناء له عنها وانها سنة من سبقه من الدعاة المصلحين كالرسل واتباعهم. وتأكد الدعوة واجب متعين في مثل عصرنا هذا الذي فشت فيه المنكرات وفسدت العقائد فترك الدعوة والارشاد أو التقصير فيها سبب للأنحراف عن الدين الذي من شأنه اختلاف الكلمة وتصدع في الوحدة وتشتت للشمل واختلاف في الأمر ويكون كل لا هم له إلا السعي وراء الغايات الشخصية، ولو كان في ذلك معصية الهنا وضياع لامتنا وعزتنا مع ما انضاف إلى ذلك من تنابذ وشقاق وترويج للباطل وتمويه للحقائق والله المسؤول ان يوفق العلماء والمرشدين للقيام بواجبهم من الدعوة إلى الله وعظة الناس وتذكيرهم وتويجيههم التوجيه الصحيح النافع وان يأخذ بأيدي المسلمين حاكمين ومحكومين إلى ما فيه عزهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة وهو الموفق إلى سواء السبيل[1].



(١) نشرت هذه النصيحة بجريدة الندوة بتاريخ ١٣٧٨هـ.

حكم نقل الدم من شخص إلى شخص

وسئل عفا الله عنه عن مريض قرر الاطباء ان لا شفاء له الا بنقل دم له من بنك الدم أو من أحد اقاربه فهل يجوز نقل الدم لانقاذ حياة المريض أم يترك أمره لله؟.

فأجاب إذا كان الحال على ما ذكر وهو ان الاطباء الثقات المعروفين قرروا بان المريض إذا لم ينقل إلى جسمه دم لانقاذ حياته هلك فلا بأس بنقل الدم وايصاله إلى جسم المريض متى علم أو غلب على الظن حياته وسلامته، بذلك فقد اجمع العلماء على اباحة أكل المضطر من الميتة كما دل عليه القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة المائدة الآية ٤ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ سورة البقرة الآية ١٧٣. إلى قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فدلت الآية وغيرها من الآيات في هذا المعنى على اباحة أكل الميتة للمضطر انقاذاً لحياته وسلامة لها من الهلاك إذا علم أو غلب على الظن دفع الهلاك بالأكل من الميتة ولهذا قال جمع من الأصوليين ان الرخصة قد تكون واجبة كالأكل من الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منه وهو الصحيح من مذهب مالك، وهو احد الوجهين للشافعية قدمه في المغني وهو المذهب.

وسئل الامام أحمد عن المضطر إذا لم يأكل من الميتة فذكر عن

مسروق أنه قال من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار إلا ان يعفو اللّٰه وهو قول كثير من أهل العلم يجب الأكل في مثل هذه الحالة لأن ترك الأكل من الميتة مع التمكن في مثل هذه الحالة القاء باليد إلى التهلكة وقتل للنفس واللّٰه يقول: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٥. ويقول: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾** وهذا لا ينافي حديث: عباد اللّٰه تداوا ولا تداوو بحرام لأن الحديث هو من باب تعاطي الأدوية التي قد تنجع وقد لا تنجع فممنوع التداوي بالحرام بخلاف إذا علم أو غلب على الظن سلامة المريض كأكله من الميتة فيباح ذلك وأيضاً الضرورات تبيح المحظورات فالحديث يخصص من عمومه حالة الأضطرار إذا قال الأطباء الثقات أنه يفيده ذلك كما يقبل قولهم في الفطر في رمضان للمريض وان كان قادراً على الصيام إذا كان صومه يضر به بحيث أنه يزيد في العلة أو يتأخر البدء.

وقال ابن القاسم المالكي يشرب المضطر الدم ولا يشرب الخمر ويكل الميتة ولا يقرب ضوال الأبل وقاله ابن وهب.

فمما تقدم تبين جواز نقل الدم إلى جسم المريض الذي يخشى هلاكه إذا علم أو غلب على الظن انقاذ حياته وسلامته من الهلاك بنقل الدم إلى جسمه بما يقوله الأطباء الثقات المعروفون كما يباح للمضطر يأكل الميتة باتفاق أهل العلم واللّٰه أعلم.[1]



(١) نشرت هذه الفتوى بجريدة (البلاد) بتاريخ ١٣٩١/٧/٢٧هـ.

ما هي وظيفة العلماء؟

لا شك أن العلماء هم ورثة الأنبياء وواجب عليهم من الدعوة والارشاد وتبصير الأمة مالا يجب على غيرهم لأنهم خلف لهم في وظيفتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٧. فما كان من سنن العلماء ان ينزووا في بيوتهم ويقتصروا على مساجدهم وتعليم العدد اليسير من تلاميذهم بل يلزمهم أن ينعرضوا للناس ويسعوا وراءهم لتذكيرهم ووعظهم وغرس العقيدة الحقة في نفوسهم كما فعل موسى عليه السلام، حيث ذهب إلى فرعون يدعوه إلى الله وكما كان رسول الله ﷺ يأتي القبائل في منازلهم وقريشاً في انديتها فيدعوهم إلى التوحيد الذي هو مدلول كلمة الاخلاص لا آله إلا الله وينهاهم عن عبادة ما سواه. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، سورة الممتحنة الآية ٦ فعلى هذا جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين بدعوة الناس إلى الخير وارشادهم إلى طريق الهدى والجد والجهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان محوطاً بالأشواك والمكاره غير هيابين ولا وجلين متدرعين بالصبر واثقين من الله بالأجر فان الامام مالك لما قيل له اتدخل على السلطان وهو يظلم ويجور فقال: يرحمك الله فإين يكون الكلام في الحق. وكان أبو الحسن الاشعري يذهب إلى مجالس المعتزلة ويقول انهم اولو رئاسة فمنهم الوالي والقاضي ولرئاستهم لا ينزلون إليَّ فإذا لم أسر إليهم فكيف يظهر الحق ويعلمون ان من أهل السنة ناصراً للحجة.

مُحقٌّ من قال للعلماء قوموا بواجبكم نحو أمتكم دلوهم إلى الخير

ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ادوا الأمانة العلمية التي في اعناقكم والتي أخذ الله عليكم الميثاق في بيانها وارشاد الناس اليها، فان من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه (ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق لا يكتمه). وقال أيضاً رضي الله عنه (ما أخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى أخذ على العلماء ان يعلموا).

محق من يوجه نحو العلماء سهام اللوم في تخليهم عن تذكير الأمة ودعوتهم إلى الحق حتى قام به الجهلة وتقدم إليه الادعياء ممن لا يحسنون هداية الناس وارشادهم وتهذيب اخلاقهم وتثقيف عقولهم بل هؤلاء في حاجة ماسة إلى اصلاح انفسهم واحكام دينهم على وفق الكتاب والسنة وتصحيح عقائدهم بالهداة المرشدين. محق من قال للعلماء أنتم رعاة الأمة والمسؤولون عنها في اصلاح اوضاع دينها وتقويم اخلاقها وتهذيب نفوسها وتبصيرها بطرق الرشاد فكل راع مسؤول عن رعيته.

ومن رعى غنماً في أرض سبعة

ونام عنها تولى رعيها الأسد[1]

وحين قصر رجال العلم عن واجبهم وتخلوا عن وظيفتهم ورضوا بالانزواء في بيوتهم تصدى لارشاد الأمة وتعليم الشبيبة غير الاكفاء من الجهلة واولى الاهواء ممن فسدت عقيدتهم فكانت النتيجة ما ترى مما يحتاج إلى جهود جبارة في ازمنة طويلة يتصدى لها جمع كثير من اولى

(١) هذا بيت من جملة أبيات أنشدها السفاح ابو مسلم الخراساني ومناسبتها أنه يذكر أنه كيف انتصر في حروبه على الدولة الأموية وخصوصاً في المشرق وقضى عليهم.

الدين والرأي والغيرة والشجاعة. لاعزاز دين الله واعلاء كلمته وغرس العقيدة الصحيحة في قلوب النشيء بالوسائل المؤثرة والاساليب المقنعة بعد اعداد كامل العدة والحصول على الذخيرة التامة مع مراعاة الرفق واللين وسعة في الصدر ومع صدق في النية واخلاص في العمل والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.[1]



(١) نشرت هذه النصيحة بجريدة (الندوة) بتاريخ ١١/١٠/١٣٨٣هـ عدد رقم ١٥٣٩.

الصوم والأفطار على خبر الاذاعة

وهذه مسألة وردت من الباكستان ونصها:

مسألة. ما قول علماء المسلمين وفقهم الله إلى ما يرضيه في حكم الصوم والافطار على خبر الراديو من احدى الاذاعات الإسلامية افتونا مأجورين:

الجواب.. إذا كانت الحكومة التي اذاعت خبر ثبوت الهلال لديها حكومة إسلامية عاملة بالشرع ولم تعتمد في ثبوت الهلال على الطرق الحسابية ولا الأرصدة الفلكية وأثبته احد قضاتها المعروفين فأنه يعمل بخبر الراديو واللاسلكي في ذلك، لأن مثل هذا يعتبر بينة فالبينة ما بينت الحق ووضحته وهي في كلام الله وكلام رسوله أعم مما هي في كلام العلماء، حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين أو رجل وأمراتين ولا حجر في الاصطلاح، وكما يعتمد في ثبوت الأهلة بأصوات المدافع إذا اطلقت في أول ليلة من رمضان أو أول ليلة من شوال ولم تجر العادة عند أهل البلاد باطلاقها في مثل هذا الوقت إلا للتنبيه بثبوت رؤية الهلال فهذه تفيد غلبة الظن وغلبة الظن حجة عند العلماء خاصة اذا اتفقت المطالع ولم تختلف والله اعلم.

وسئل عن حكم استعمال الراديو واتخاذه هل حرام أم حلال.

الجواب : لا بأس باستعمال الراديو والاستماع اليه في الأمور المستحبة

والمباحة كسماع المواعظ والاحاديث والارشادات العامة والأخبار ونحوها.

أما اتخاذه للغناء والطرب فلا يجوز كالتشبيه بالنساء وذكر محاسنهن وما يدعو إلى الغرام كما هو محرم استماع ذلك من شخص مشافهة وكما هو ممنوع من استماع الغيبة والنميمة واكل لحوم الناس وانتهاك اعراضهم في المجالس والأندية ونحوها بل هو ممنوع من الشخص نفسه فمثله سماعه من الراديو والله أعلم.

وسئل عن حكم اقتناء الراديو هل يجوز أم لا:

الجواب : الراديو آلة من جملة الآلات المخترعة الحديثة وفيه خير وشر بحسب ما يجيء في الاذاعة فان كان اقتناؤه لأجل سماع القرآن والاحاديث النافعة أو الأخبار فلا بأس، أما استعماله للطرب والغناء وما كان ممنوعاً شرعاً فلا يجوز، فإذا اقتصر مستعملوه على ما يذاع مما فيه منفعة ومصلحة دينية أو سماع شيء مباح كالأخبار ونحوها فجائز ان شاء الله وان كان لغير ذلك فلا يجوز والله أعلم.

وسئل عن حكم اتخاذ التلفزيون وهل فيه فارق بينه وبين الراديو:

الجواب : يختلف التلفزيون عن الراديو لظهور الصور المجسدة فيه وتصوير ذوات الأرواح حرام لا ينبغي اقراره.

والتلذذ بالنظر إلى الصور المتحركة وما يظهر عنه شرعاً بجانب ما يظهر على شاشته من الخلاعة والتمثيليات التي هي كلها ضرر وشر وبلاء على الناظر إليها وليست المعاينة كالسماع فيتضح مما تقدم أن التلفزيون لا يجوز استعماله مطلقاً وليس هو كالراديو من كل وجه. وقد كتبنا في حكمه رسالة مستقلة فراجعها.

تقدير نسبة الخطأ في حوادث السيارات

وسأله بعض رؤساء المحاكم عما إذا وقع اصطدام بين سيارتين أو انقلبت سيارة أو دهست انساناً أو اتلفت شيئاً آخر فأكدت اثار الحادث وشواهد احواله ان كلاً من قائدي السيارتين ساهم في حدوثه بمعنى انه خرج بعض الشيء عن خط سيره أو أنه تصرف تصرفاً سيئاً أو أنه كان مسرعاً اكثر من المعدل أو نائماً أو مهملاً لما يلزم تفقده واتقانه من آلات السيارة وما إلى ذلك من عوامل التفريط أو الإفراط وتقرر على ضوء ذلك نسبة مسؤولية كل واحد منهما بمعدل ٥٠٪ أو أقل أو اكثر على حسب ما يتناسب مع مقدار مساهمته أو تسببه في وقوع الحادث إلخ....

فأجاب : تنحصر هذه المسألة في مقامين:

المقام الأول: تنزيل العلامات البينة والقرائن الظاهرة وشواهد الأحوال الواضحة منزلة البينة حيث لا بينة.

المقام الثاني : ما يلزم كل من قائدي السيارتين ما اتلفاه من مال أو أنفس حيث ساهما في وقوع الحادث نتيجة لتفريطهما بخروجهما عن جهة سيرهما أو أهمال أو تقصير منهما إلى غير ذلك.

أما المقام الأول، فان الشريعة الإسلامية نزلت العلامات الواضحة والقرائن الظاهرة منزلة البينة واعتبرتها مثبتة للحق يحكم القاضي

بمقتضاها كما في قصة يوسف عليه السلام في قوله: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة يوسف. فجعل الصدق في جانب يوسف حيث كان قُدَّ القميص من دُبُرٍ مما يدل انه هارب عنها وهي في أثره طالبة له وكما في حديث اللقطة حيث جعل النبي ﷺ معرفة العفاص والوكاء دليلاً بيناً على صدق مدعي اللقطة لهذا الوصف منزلة البينة.

وكما قال ابن القيم في دلالة القرائن الظاهرة وشواهد الأحوال كما لو ادعى رجل مكشوف الراس على رجل آخر هارب وهذا الرجل المدعي خلفه يجري ومع المدعي عليه الهارب عمامة وعلى رأسه عمامة فإنه يقضى لمكشوف الراس الذي يجري خلف المدعى عليه بان العمامة التي في يده هي عمامة المدعي بناء على القرائن الظاهرة حيث رؤي هذا الرجل مكشوف الرأس ولم تكن له عادة بهذا ويجري خلف الرجل الآخر طلباً لعمامته منه ومع الآخر عمامة وعلى رأسه عمامة فلا يلتفت إلى اليد مع وجود هذه العلامات والقرائن وشواهد الأحوال فمثل ذلك في قضية السيارتين التي اتضح مساهمة قائديهما في وقوع الحادث فتراعى القرائن والعلامات الظاهرة في ذلك.

قال ابن القيم والحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهد وفي القرائن الحالية والمقالية كفقهه في جزئيات وكليات الأحكام اضاع حقوقاً كثيرة كغيرها على اصحابها وحكم بما يعلم الناس بطلانه ولا يشكون فيه اعتماداً منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله.

المقام الثاني: في حكم ما تلف من مال وانفس بسببهما كل يضمن مقدار ما اتلفه على الآخر ويشتركان في الضمان ان عرف نسبة مقدار

ما وقع من كل منهما فعليه ضمانة وإذا لم يعرف فيكون الثالث بينهما نصفين كما يشهد لهذا قول شيخ الإسلام بن تيميَّة في حكم قتال أهل البغي، قال «رحمه الله»:

ان جهل قدر ما تهبه كل طائفة من الأخرى تساوياً، أي ان كل طائفة من الطائفتين المتقاتلتين تضمن ما اتلفته على الأخرى فلو اتلفت قليلاً ضمنت ما اتلفته فقط والأخرى تضمن ما اتلفته على الطائفة الثانية ولو كان كثيراً واذا جهل ما اتلفته كل منهما تساويتا في الضمان فكان بينهما نصفين وقياساً على هذا اصطدام السيارتين فإن كل واحد تضمن ما اتلفته على الثانية إذا عرف نسبة ذلك منهم وإذا اجهل تساويتا في الضمان قياساً على قول الشيخ تقي الدين في حكم الطائفتين المتقاتلتين.

وذكر أيضاً لو دخل رجل في الصلح بين تلك الطائفتين المتقاتلتين فقتل فالضمان عليهما جميعاً ما لم تُعلم الطائفة التي قتلته فيكون الضمان على مجموعها، الا إذا علم القاتل بعينه فما يقع بين سائقي السيارات هو على هذا المنوال بحيث إذا جهل مقدار نسبة ما اتلفه احدهما على الثاني فيكون التالف بينهما نصفين وان علم نسبة ما اتلفه كل واحد أو عرف السبب الذي نتيجته التلف والذي هو ناشيء عنه فيكون المتلف بينهم كل على قد تسببه فإن الضمان ناشيء ومبني عن التسبب في هذه المسألة، كما اشار إلى معناه ابن رجب ويدل لهذا أيضاً ما ذكروه في الديات فيما إذا حفر بئراً قصيرة فعمقها آخر عدواناً فضمان التالف بينهما لحصول السبب منهما وان وضع ثالث فيها سكيناً ونحوها فوقع عليها شخص فمات فالدية أثلاثاً على عواقلهم أي عواقل الثلاثة نصاً لتسببهم في قتله وأيضاً حالما تقدم من ان الضمان ناشيء

عن قوة السبب وضعفه، وان كلا يضمن بقدر نسبة تسببه ما صرحوا به رحمهم الله، حيث قالوا وان تجاذب حران مكلفان نحو حبل فانقطع فسقطا فماتا فعلى عاقلة كل منهما دية الآخر، وقيل بل يجب نصفها لأنه هلك بفعل نفسه وفعل صاحبه فيهدر فعل نفسه ويبقى فعل صاحبه قال في الانصاف والنفس تميل إليه فان كان احدهما منكباً فنصف ديته على عاقلة المستلقي مغلظة لأن قتل المنكب شبه العمد ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لأن قتله شبه الخطأ ففي المسألة الأولى لما تساويا في السبب تساويا في الضمان على كلا القولين وفي المسألة الأخيرة، فيما إذا كان احدهما منكبا فنصف ديته على عاقلة المستلقي مغلظة لقوة السبب من المستلقي ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لضعف السبب من قبل المنكب فكان في حقه شبه خطأ.

وبهذا مع ما تقدم يتضح حكم مسألة قائدي السيارتين وان كلا منهما يضمن من المال والنفس على قدر تسببه حيث ان الضمان ناشيء عن السبب ونتيجة له ولم يكن كالمباشرة على ما صرح به الاصحاب من الحنابلة وغيرهم والله أعلم[1].



(١) هذه الفتوى مؤرخة في ١٠/٧/١٣٩٠هـ.

حكم الاشتراكية

الأشتراكية وموقف الإسلام منها

لا شك ان هذه الاشتراكية التي هي ابتزاز أموال الأغنياء بدعوى اعطائها الفقراء تمرد على النظام السماوي الذي جاء في قوله تعالى : **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** سورة الزخرف الآية ٣٢.

والإسلام بريء من هذه الاشتراكية البغيضة وقد احترم الأموال كما احترم الدماء والأعراض، فقد ثبت ان رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع **(ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)** فجعل الأموال قرينة للدم والعرض وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بعد ان أمرهم بالعدل واداء الشهادة الحقة على النفس والوالدين والأقربين نهى عن الشهادة للفقير لفقره على الغني لقوته وأمر بالعدل ونهى عن اتباع الهوى واخبر تعالى انه اولى بالجميع قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** سورة النساء الآية ١٣٥ . فإذا كان الله نهى عن الشهادة للفقير لفقره على الغني لقوته ونهى عن اتباع الهوى وأمر بالعدل في ذلك فكيف

بابتزاز أموال الأغنياء بحجة اعطائها الفقراء والإسلام حمى أموال المسلمين أعظم حماية فأمر بقطع يد السارق في ربع دينار قال تعالى :

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة المائدة الآية ٣٨.

فكيف يقال بعد هذا بالاشتراكية المهينة والشريعة الإسلامية أمرت بقطع يد السارق في ربع دينار أو ما يقابله حماية وحفظاً وصيانة لأموال الناس وثبت عنه ﷺ انه قال:

(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقال: (بم يأخذ احدكم مال أخيه) وقال: (لا يحل مال امرء مسلم بغير طيب نفس منه) وقال: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله اياه يوم القيامة من سبع ارضين) وحجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه فهذه النصوص ونظائرها تدل دلالة واضحة على احترام الأموال وتوعد من تعدى عليها بغير حق. نعم في أموال الأغنياء حق اوجبه الله للفقراء الا وهو الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله فقد ذكرها الله في القرآن في نحو اثنين وثمانين موضعاً.

فزكاة الاثمان وعروض التجارة وصدقة الفطر وزكاة المواشي والخارج من الأرض والكفارات ككفارة اليمين والنذر ونحوهما مصرفها للفقراء، فهذا هو الواجب لهم في أموال الأغنياء، غير ان بعض علماء الرسوم آلة السياسة واعوان الرياسة يحاولون جعل الاشتراكية من الإسلام مستدلين بما لا دلالة لهم فيه ومتعلقين بمالا صلة له بالموضوع يريدون بذلك التزلف لدى رؤسائهم والا فأنا اعتقد انهم يعلمون براءة الإسلام من هذه الاشتراكية فأول من قال بها على ما ذكره بعض

المؤرخين رجل في فارس يقال له مزدك دعا إلى المساواة في المال والفروج بحيث لا يختص أحد بمال ولا زوجة بل كلهم في ذلك على السواء اظهر هذا الرأي ودعا اليه فتبعه كثير من الرعاع ووافقه ملك فارس قباذ لضعف به فدخل مزدك يوماً على الملك وعنده زوجته وهي من أجمل النساء واحسنهن وقد تجملت بما يزيدها جمالاً من حلي وثياب فأخرة فوقعت في نفس مزدك فقال ايها الملك اني أريد هذه المرأة لأن في ظهري ولداً يكون منها فما وسع الملك الضعيف إلا الموافقة كرهاً فاقامها مزدك من عند زوجها الملك إلى مكان آخر ولها ابن صغير اخذته الأنفة والغيرة على أمه فجعل يتلطف بمزدك ويطلب منه ترك أمه له فأبي حتى قبل الصغير قدمي مزدك فتركها له ثم لما توفى الملك قباذ تولى الملك ابنه كسرى الذي قبل قدمي مزدك فأول شيء عمله بعد توليه لملك فارس ان دعا بمزوك فقتله واصحابه وابطل الاشتراكية في المال والنساء وقال ما زال نتن تلك القبلة لقدمي مزوك في انفي وهذا الملك هو الذي قال فيه النبي ﷺ ولدت في زمن الملك العادل والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل[1].

(١) الشيخ «رحمه الله» واسكنه فسيح جناته قد تعرّض لنقد الأشتراكية في احدى دروسه بمسجد ابن رضيان عند شرحه لحديث معاذ بن جبل عندما وصاه الرسول ﷺ كيف يدعوا أهل اليمن قائلاً (أنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب) واستشهد الشيخ ابن حميد بأحد فقرات الحديث واستنبط منه حينما قال الرسول ﷺ لمعاذ بعد أن ذكر له (إذا هم استجابوا لدعوة التوحيد ولصلوات الخمس فأعلمهم ان الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) فقال الشيخ رحمه الله ما معناه وفي هذا رد على الاشتراكية، حيث اثبت رسول الله ﷺ لهؤلاء الأغنياء أموالهم والرسول لا ينطق عن الهوى بعكس الأشتراكية التي تنفي الملكية للشخص وهذا مخالف للقرآن والسنة. وقد اسهب الشيخ «رحمه الله» إسهاباً مشرقاً في درسه هذا والدرس كان في كتاب التوحيد. وقد ذكر مزدك ابن الأثير في تاريخه بصيغة أخرى أنظر ص ١١٦-١١٧ - طبعة الاجراء مجموعة في مجلد واحد / وذكرها المسعودي في مروج الذهب/ج١/ص٢٦٣- والملك العادل الوارد في هذا الحديث الملك أنوشروان الذي يضرب المثل بعدله وقد استطرد المسعودي في أخبار هذا الملك في نفس الجزء - والصفحات التي تلت حادثة مزدك - وأما حديث ولدت في زمن الملك العادل فهو حديث لا يصح وقد ذكره العلامة محمد بن علي الشوكاتي رحمه الله تعالى في كتابه النفيس الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وقال رحمه الله: - لا أصل له ص ٣٢٧-.

« ويل للإسلام من أهله »

ان الإسلام بدأ يضعف في بلادنا وتخف سطوته في القلوب وتضعف عظمته في النفوس بما أصيب به من الويلات والمصائب التي جرها بعض المنتسبين إلى الإسلام نحو الإسلام فقد علم الناس أن تغيراً عقلياً وانحرافاً غريباً طرأ على أفكارهم وتدفق عليهم سيل المدنية الجارف فاستقبلوا ذلك البلاء العظيم بارتياح وقبول وصفاء بال وبادروا إلى اتقانه والدعوة إليه وذهلوا عن كل شيء سواه فكأنهم في سكرة من أمرهم وهذا مما جعل كل واحد من علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يشعر بالخطر المحدق به وبدينه وبأمته لأن الباطل في نمو وازدياد والحق في ضعف واختفاء والكثير من العلماء أو الأكثر يتأففون من الحالة الراهنة ويظهرون التضجر والسخط ويبدون التأثر والأنفعال ولكن هذا لا يكفي لتلافي الاخطار المحدقة بالإسلام وهي في نمو وازدياد بل لا بد لدفع ذلك من اجتماعات إسلامية صادقة لتدارك ما فات واصلاح ما فسد واقامة ما اعوج.

ان الأمة الإسلامية لا تكون ذات كيان عزيزة الجانب إلا إذا اجتمعت وتناصرت على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها في أمر دينها ودنياها. كما قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾**.

واليك ما قاله اعداء الإسلام في وصفهم للمسلمين حين عدلوا عن دينهم الإسلامي إلى ما سواه.

لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه واحكامه نشأ فيهم

فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة متى ما امكن لأحدهم ان يضر اخاه لا يقصر في الحاق الضرر به فجعلوا بأسهم بينهم والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أخرى رضوا بكل ارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا إلى السكون في كور بيوتهم يسرحون في مرعاهم ثم يعودون إلى مأواهم.

هذا وصفهم لحالة المسلمين حين جهلوا تعاليم هذا الدين القويم ورضوا منه بمجرد الانتساب اليه في حين ان الإسلام هو أجل دين على وجه الأرض لم ينزل على نبي من الأنبياء مثيله ولا كان لأمة من الأمم نظيره فأنه دين الفطرة دين الرقي دين العدالة دين المدنية الفاضلة دين العمل دين الأجتماع دين التوادد والتناصح والتحابب دين رفع الوية العلم والصنائع والحرف غير قاصر على احكام العبادات والمعاملات بل شامل لجميع منافع العباد ومصالحهم على مر السنين وتعاقب الدهور إلى ان تقوم الساعة والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



سعادة الأمة الإسلامية

ليست سعادة الأمم وعزها وسلطانها في سعة ثروتها ولا كثرة حصادها ولا في ممارستها لأساليب السياسة ولا غير ذلك. بل سعادتها وعزها وغلبها هو بالتمسك بالقرآن والأخذ بتعاليم الدين فان الله جلت قدرته انزل القرآن هدى ورحمة ونوراً وشفاء لهداية البشر وصلاحهم وتزكيتهم وفلاحهم واعدادهم لما وعدهم به من سعادة الدنيا والأخرة كما جاء ذلك في القرآن العزيز في مثل قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة النور الآية ٥٥. **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾** سورة النور الآية ٨. **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** سورة الروم الآية ٤٧ **﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** سورة آل عمران الآية ١٣٩. **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾** سورة النساء الآية١٤١

وعدهم الله هذه الوعود وهم في غاية من القلة والفقر والضعف وبعد عن الملك والسلطان وقد انجز لهم ما وعدهم فانهم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفى لهم اجرهم مجداً في الدنيا وسعادة في الآخرة فمحوا من الوجود ملك أمتين عظيمتين هما اقوى ملوك الأرض واشدها بأساً فارس والروم وذلك بهدم سلطانها وإسلام شعوبها وسلبها ما كان خاضعاً لحكمها من ممالك الشرق والغرب حتى استولوا على بعض بلاد أوروبا فأقاموا فيها دولة عربية مسلمة كانت زينة الأرض في العلوم

والفنون والحضارة والعمران طرقوا دياراً وشعوباً كثيرة كانت اقوى منهم في كل ما يحتاج إليه القتال من عدد وعدة وسلاح وكراع وحصون وقلاع قاتلوها في عقر دارها ومستقر قوتها وهم بعيدون عن بلادهم نآون عن مقر خلافتهم.

قوم كانوا مع الله فكان الله معهم وهي مع هذا في بدء نشأتها معدمة للثروة فاقدة الذخائر معوزة من الأسلحة وعدد القتال بل أمرها كما اخبر الله عنها في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾ سورة الأنفال الآية ٢٦. ومع هذا طرقت ديار الأمم فاخترقت صفوفها فاختطت بلادها فكونت أمة عظيمة تبتدي من البحر الأطلنطي غرباً إلى جدار الصين شرقاً يحملون جوازاً واحداً ألا وهو شهادة ان لا آله الا الله وان محمداً رسول الله والله سبحانه قد جعل بقاء الأمم وعزها وسلطانها في التمسك بالقرآن والأخذ بتعاليم الدين عقائد ومعاملات واخلاق وتوجيهات كما جعل هلاكها ودمارها في انحرافها عن ذلك وهذه سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم ولا تتغير بتغير الأجيال فإن الله هدى بهذا القرآن العظيم العرب وهدى بدعوتهم اليه اعظم شعوب العجم فكان منهم أئمة فضلاء وسادة نبلاء فبالاهتداء قهروا أولئك الملوك العظماء من ملوك فارس والروم وغيرهم هذا وان المسلم العربي إذا تولى حكم بلد أو ولاية وهو لا علم عنده بشيء من فنون الدولة ولا من قوانين الحكومة ولم يمارس اساليب السياسة ولا طرق الإدارة، وانما كل ما عنده من العلم بعض سور من القرآن فيصلح بذلك من تلك الولاية فسادها ويحفظ انفسها وأموالها واعراضها. تلك آيات الكتاب الحكيم يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن والله الموفق.

الزكاة فريضة دينية ذات مزايا اجتماعية

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى كافة اخواننا المسلمين وخاصة ذوي اليسار منهم سلمهم الله ووفقهم لاداء ما يجب عليهم من حقوق الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد - فان من الواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله والتذكير بنعمه وأيامه امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ في قوله: «الدين النصيحة ثلاثا»، قال الصحابة: لمن هي يا رسول الله، قال : ﴿**لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**﴾، ومعنى النصح للعامة هو تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الجفوة وتعليم جاهلهم ما يجب عليه من حقوق الله وحقوق عباده.

ومما يجب التنبيه عليه، بيان عظم الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان هذا الدين فقد ذكرها الرب في اثنين وثمانين موضعاً في كتابه العزيز تعظيماً لشأنها وتنويهاً بذكرها وحثاً على ادائها لتطهير النفس من درن الشح والبخل ودفعها لها إلى الجود والتصدق والانفاق في سبيل الله ليحصل النماء والبركة والزكاة والطهارة والفلاح.

قال الله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ سورة التوبة الآية ١٠٣. فالزكاة تطهر المزكي من أنجاس الذنوب وتنقيه من درنها وتزكي

أخلاقه بالتحلي بالجود والكرم.. فان الأنفس مجبولة على حب المال والضن به وقد توعد الله سبحانه وتعالى مانع الزكاة باشد العقوبات وأنكى العذاب مما ليس في مقدور مخلوق تحمله والصبر عليه.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ سورة التوبة.

ومعنى الانفاق في سبيل الله هو اخراج الحق الواجب في هذا المال وهو الزكاة المفروضة، فان كل ما أديت زكاته فليس بكنز ولا يشمله هذا الوعيد لما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ان رسول الله ﷺ قال:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها الا صفحت له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيرى سبيله أما إلى الجنة وأما إلى النار».

وقال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي في اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نفض كتفيه ويوضع على نفض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل.

وعن ابي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فقال : «هم الأخسرون ورب الكعبة». ثلاث مرات قال فأخذني هم وجعلت أتنفس، قال: قلت هذا شيء حدث في. قلت: من هم فداك ابي وامي قال : «الاكثرون الآمنّ قال في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما

هم».. «ما من رجل يموت فيترك غنماً أو ابلاً أو بقراً لا يؤدي زكاتها إلا جاءه يوم القيامة اعظم ما يكون وأسمن حتى تطأ بأظلافها وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس ثم تعود أولاها على آخرها». والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً وكلها تحذر عن الشح والتقصير في أداء هذا الجزء اليسير من المال الذي أوجبه الله على عباده الموسُرين لاخوانهم الفقراء المعوزين وأن لا تتعلق أنفسهم ويغتروا بهذا الحطام الذي جعلهم الله مستخلفين فيه فيكون سبباً لاهلاك صاحبه، وأن لا تركن قلوبهم إلى حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة فقد جاء في الأثر «اي امرىء سكن قلبه حب الدنيا ابتُلى بثلاث: «شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا يدرك منتهاه».. «ومن كانت الدنيا أكبر همه شتت الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يبال الله بأي واد من الدنيا هلك».. ويستأنس لذلك بقوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ سورة طه الآية ١٢٤. وفي حديث جابر مرفوعاً: «اذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره» رواه الحاكم في مستدركه وصححه وهو على شرط مسلم.

اذن فالمال الذي لم تؤد حقوقه هو شر ووبال على صاحبه مسؤول عنه يوم القيامة فيم اكتسبه وفيم أنفقه ويخشى على صاحبه من سوء الخاتمة والتعرض لوعيد الله وغضبه وعقابه، كما ورد في قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري أنه قال: يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً.. فقال ﷺ (ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه). ثم قام مرة أخرى فقال: (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي ذهباً لسارت) قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال

رسول الله ﷺ : «اللهم ازرق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة واخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وانزل الله سبحانه وتعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ سورة التوبة الآية ١٠٣. ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين من المسلمين على الصدقة رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألا الصدقة واقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدري ما هذا. انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليَّ فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار اسنان أبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوهما قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك فقال بلى فخذوها فان نفسي بذلك طيبة وانما هي له فأخذاها ومرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت جزية انطلقا حتى أرى رأيي.. فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فاخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا

به وتولَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُون ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة التوبة.

وعند رسول الله ﷺ رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله ان يقبل منه صدقته فقال: ان الله منعني أن اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال رسول الله ﷺ: قد أمرتك فلم تطعني. فلما أبي رسول الله ﷺ ان يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله ﷺ فلم يقبل منه شيئاً.. ثم أتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها. فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولى عمر رضي الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا اقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها، فلما ولى عثمان رضي الله عنه أتاه فقال: اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه، فهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه... رواه الطبراني والبيهي في دلائل النبوة وابن ابي حاتم وغيرهم[1].

فتأمل يا أخي ما وقع لثعلبة حين بخل بمنعه الحق الواجب في المال ولم يف بما عاهد الله عليه بقوله: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ولم

(١) قصة ثعلبة هذه ذكرها فئة من علماء التفسير وبعض علماء الحديث. والشيخ رحمه الله نقلها هنا من باب الترهيب، وهذا يتسامح فيه بعض أهل العلم، كما روي عن الإمام أحمد رحمه الله إذا كان في الحلال والحرام تشددنا «أي في الرواية» وإذا كان غير ذلك تساهلنا. وقد حقق ابن حجر رحمه الله في أسم هذا الشخص وأن هناك شخصين كل واحد منهما ثعلبة وان الذي نزلت فيه الآية ثعلبة آخر هو ثعلبة بن حاجل او أبن حاطب مع أفتراض صحة الخبر وأما الذي شهد بدراً فهو ثعلبة بن حاطب الأوسي الأنصاري وقد أستشهد بأحد ولا يمكن ان يكون هذا الذي نزلت فيه الآية لأن الرسول ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبيَّة» ويقول أيضاً في الحديث وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر «أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف يعاقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره. الإصابة ص ١٥٥-١٥٦.

يقبل نصيحة الرسول ﷺ حين قال له: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فلما بخل بالصدقة وقصر في ادائها، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة التوبة. فلما جاء بصدقته لم يقبلها منه الرسول ﷺ عقوبة له جعل يحثو التراب على رأسه جزعاً.. فلا خير في مال هذه عاقبته وهذا مآل صاحبه خزى في الدنيا وعذاب في الآخرة.

واعلم أن للزكاة حكماً وأحكاماً وآداباً ينبغي التنبيه على شيء من ذلك. فإداء الزكاة هو شكر لنعمة المال الذي تفضل الله به على عباده فان لله على عباده نعماً في النفس والمال يتعين شكرها وصرفها في مرضاة المولى جل وعلا.. وهي أيضاً من باب التعاون والتكافل الاجتماعي باعانة الضعيف واغاثة الملهوف واقدار العاجز على اداء ما افترض عليه من شعائر الإسلام.

وهي أيضاً تزكي النفس وتهذبها وتروضها لأداء الأمانات والحقوق لأن النفس جبلت على الشح والضن بهذا المال «والكرم فيها تخلق لا خلق» وتطهير النفس من هذه الصفات الذميمة في بذل هذا المال لما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه».

يروى ان عيسى عليه السلام قال: (اجعلوا أموالكم في السماء لأن قلب كل انسان حيث ماله).. وانما سمي مالاً لميل النفوس إليه.. ولقد امتحن ابن آدم بصدق إيمانه فاستنزل عن المال الذي هو غاية حبه ومنتهى أمانيه والصبر عند فقد المحبوب من اعظم الأجور ولا يصبر على بذله الا مؤمن عارف مع ان الواجب هو جزء يسير جداً بالنسبة لما تقدمنا من الشرائع التي كانت توجب اخراج ربع المال وشريعتنا السمحة

من أيسر الشرائع وأسمحها واجلها فلم توجب في المال الا ربع العشر فقط احساناً إلى الفقير ولئلا يبخل الأغنياء بدفع هذا الواجب ومن أحكامها أن يخرجها بنية انها زكاة ويتحرى في دفعها الفقراء المعوزين وان تكون طيبة بها نفسه ولا يجوز صرف الزكاة عند جمهور العلماء في بناء المساجد والمدارس وغيرها وانما تصرف للاصناف الثمانية التي بينها الرب في كتابه اذا يقول:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة الآية ٦٠. فلم يكل ذلك إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل فلا مسرح للعقول ولا مجال للافهام في ذلك.. وعلى كل مسلم تقوى الله عز وجل وتقصي جميع ما له من نقد وعقار وعروض مما هو معد للتجارة وان يحاسب نفسه على ذلك محاسبة الشريك الشحيح لشريكه لتبرأ ذمته ويخرج من عهدة الواجب بيقين.

فإذا كان عند رجل ما يبلغ نصاباً وهو ستة وخمسون ريالاً[1] وحال عليها الحول فيجب عليه اخراج زكاته ربع العشر أي في كل مائة ريالان ونصف الريال وهكذا...

ويجوز ان يخرج عن الذهب فضة بقدر ما تساويه كما لو أخرج عن أربعين جنيهاً مثلاً ما يساوي الجنيه الواحد من الفضة، لأن في الأربعين ربع العشر وهو جنيه واحد.. فلو أخرج قيمته من الفضة أو الورق أجزأه.. ومثله اخراج الورق عن الفضة فلو كان عند الرجل ألف ريال فضة مثلاً ففيها ربع العشر أي خمسة وعشرون ريالاً فضة فلو أخرج

(١) أي من الفضة.

ورقاً عن الخمسة والعشرين بقدر ما يساويه جاز وعلى رب المال ان يقوم ما عنده من العروض المعدة للتجارة والربح بقدر ما تساوى من القيمة حال الاخراج فيخرج زكاتها ربع العشر مما تساويه من القيمة ولو كان اشتراها بأقل أو أكثر لا عبرة بذلك كله وانما العبرة بما تساويه حال الاخراج. ومن الآداب أن يقول المزكي عند دفعها: «اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً.» وأن يحمد الله على التوفيق على ادائها.

ويستحب ان يقول الآخذ إذا قبضها آجرك الله، فيما اعطي وبارك لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً.

والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

عبدالله بن محمد بن حميد

الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام(١)

(١) مجلة (المنهل) ١٣٨٧هـ شوال.

فيلم (محمد رسول الله) ﷺ ذريعة للاستهزاء بالرسل والدين

بقلم الشيخ:
عبدالله بن حميد
رئيس الاشراف الديني بالمسجد الحرام

أسأل الله ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقكم إلى ما فيه عزكم وسعادتكم والذود عن الشريعة الإسلامية والدفاع عن حماها العالي ومكانها الرفيع...

وبما ان كثيراً من الصحف العربية - كصحيفة النهار - وصحيفة الشهاب البيروتيتين - ومجلة المجتمع والبلاغ الكويتيتين، وغيرهما - نشرت نبأ مفاده اتفاق أربع دول إسلامية على اخراج «فيلم محمد رسول الله ﷺ وأصحابه» ألا وهي «المملكة المغربية - الجمهورية العربية الليبية - دولة الكويت - ودولة البحرين » وقد رصدوا لذلك «ستة ملايين دولار» كدفعة أولى لاخراج ذلك الفيلم... «مقتضى ما نشرته تلك الصحف وغيرها».. وقد استنكر هذا الخبر جماهير المسلمين وعلماؤهم لا سيما «علماء الحرمين الشريفين» اذ أن اخراج فيلم يمثل النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصحابة رضي الله عنهم في شكل رواية مسرحية أو فيلم سينمائي يشتمل على مفاسد كثيرة نوجز طرفاً منها فيما يلي:

(أولاً) : تشكيك المسلمين في عقائدهم وتبديد ما وقر في نفوسهم

من تمجيد هذه المثل العليا اذ أنهم قبل رؤية هذه المشاهد يؤمنون حقاً بعظمة الأنبياء ورسالتهم، ويتمثلونهم حقاً في أكمل مراتب الانسانية وأرفع ذراها. اذ هم بعد العرض قد هانت في نفوسهم تلك الشخصيات الكريمة وهبط من أعلى درجاتها إلى منازل العامة والاخلاط وقد تقمصهم الممثلون في صورة وأشكال مصطنعة مما يتقلص معه ظل الدين والاخلاق.

(ثانياً) : اثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وممثليها من أهل الفن والمسرح تارة، ومن المشاهدين تارة أخرى، وأنبياء الله ورسله فوق النقد والتعليق.

(ثالثاً): التهاب المشاعر وتحزب الطوائف ونشوب الخصام بين أهل الاديان، كما وقع بين المسلم واليهودي اللذين تخاصما، ولطم المسلم وجه اليهودي لأنه أقسم بالذي اصطفى (موسى) على العالمين، وأقسم المسلم بالذي اصطفى (محمداً) على العالمين، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين (صلى الله وسلم عليهم أجمعين) غضب حتى عرف الغضب في وجهه وقال: (لا تخيروني على موسى)، ثم اثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله - سداً لذريعة (الفتن) ومنعاً (للتحزبات).

وما احوجنا إلى الأمن والاستقرار وإطفاء الفتن وتسكينها لا اثارتها واشعالها.

(رابعاً): من مفاسد التمثيل الكذب على (الله ورسله) لأن التمثيل أو التخييل ليسا إلا ترجمة للاحوال والأقوال والحركات والسكنات، ومهما يكن فيهما من دقة فلا مناص من زيادة أو نقصان وذلك يجر طوعاً أو

كرهاً إلى (الكذب والضلال)، والكذب على الأنبياء: كذب على الله تعالى - وهو ضلال وبهتان مبين.

على أنا لو افترضنا محالاً أو سلمنا جدلاً بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة، فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم وتعريضهم للسخرية والمهانة والاستهزاء، ويظهر ذلك جلياً فيما ذكرته (اللجنة المختصة بالفتوى: في مجلة (الازهر)- في عددها الصادر في رجب : ١٣٧٤هـ) اذ تقول:

أولاً :

كيف يمثل (آدم ابو البشر، وزوجه) وهما يأكلان من الشجرة؟

وما هي هذه الشجرة؟ (أهي شجرة الحنطة؟ - أم هي شجرة التين؟ - أم هي شجرة النخلة؟).

وعلى أي حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟؟

وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الأعراف (أو نترك تمثيله (تعالى) وهو ركن في الرواية ركين...؟؟؟

سبحانك.. سبحانك.. نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن هذا الكفر المبين...؟؟؟؟؟)

ثانياً:

كيف يمثل موسى وهو يناجي ربه - وكيف يمثل وقد وكز المصري فقتله؟. بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة ورماه فرعون بأنه (مهين ولا يكاد يبين).... ؟؟؟؟

وكيف تتمثل العقدة التي طلب من الله أن يحلها من لسانه؟؟؟

وما مبلغ جمع الممثلين المشاهدين اذا أفلتت ؟؟؟ ولا بد أن تفلت منهم فلتة (مضحكة - أو - هازئة) حينما يتمثلون الرسولين وقد اخذ احدهما برأس الآخر وجره اليه... ؟؟؟؟

وما مبلغ التبديل والتغيير (لخلق الله الفطري) ليطابق هذا الخلق الصناعي: وقد عملت فيه أدوات الاصباغ والعلاج عملها...؟؟؟

ثالثاً :

وكيف يمثل (يوسف الصديق بهيئته: بدوي مملوك): وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا ان رأى برهان ربه؟؟ ثم يمثل مسجوناً مع المجرمين.....؟؟؟؟

وما تفسير (الهم) في (لغة الفن)؟.

رابعاً :

كيف يمثل انبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة وبالكهانة والجنون تارة أخرى...؟؟؟؟

بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم؟ (وما من نبي الا رعاها..؟؟) بل كيف يمثلون وقد اذاهم المشركون ولم يستح بعضهم أن يرمي القذر والنحس على خاتم النبيين، وهو في الصلاة والكفار يتضاحكون..؟؟؟

خامساً:

إذا كان الله جلت قدرته قد أعجز الشياطين عن أن يتشبهوا (بالأنبياء) توقيراً واعظاماً لهم (عليهم الصلاة والسلام) كما يدل على

ذلك ما رواه (البخاري ومسلم) في (صحيحهما): أن رسول الله ﷺ قال :
(من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي).
والأنبياء أخوة يمس كل واحد منهم ما يمس أخاه...

فإذا كان الله قد حال بين الشياطين وبين التمثل بالأنبياء مع أنه اعطاهم القدرة على التشكل كما يهوون فكيف يستبيح الانسان لنفسه أن يكون (أخبث من الشياطين) بتمثيل الأنبياء؟

ونقل (ابن عبدالبر): أنهم ذكروا أن رسول الله ﷺ كان اذا مشى يتكفأ وكان الحكم (ابن أبي العاص) يحكيه في مشيته فالتفت النبي ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك. فدعا عليه فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ.

أفلا يخش الممثلون أن يصيبهم من العذاب الادنى مثل ما أصاب الحكم؟ (ثم ماذا يكون الشأن: اذا اجترأ انسان على التمثل بالنبي - محمد ﷺ (أو) غيره واهتاج الناس وأثار ذلك شعورهم استياء من الجرأة على قداسة النبوة؟؟؟)

فالنتيجة التي (لا مناص منها) ولا مفر أن: تشخيص الأنبياء تنقيص لهم أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة...

ولو حاول (بعض أجواق التمثيل) تمثيل قصة (أحد الرسل الكرام) - عليهم الصلاة والسلام لرأوا من إنكار العلماء والجرائد وجماهير الشعوب مالا يخطر ببال اولئك الأفراد الذين يرون جوازه، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تذلل أهله سيطرة الحكام لما كان إلا مثاراً للفتنة، ولتصدى الناس لصد الممثلين بالقوة... بل يغلب على ظني أن أكثر الناس يعدون - تمثيل الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة وأهل العلم

والدين... - مما يزرى بمقامهم ويضع من قدرهم.. وأن أحداً من هؤلاء لا يرضى لنفسه ذلك لأن أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة وقد يتجاوز التمثيل الاهداف الجدية، ويتخذ نحو أغراض غير كريمة وخاصة فيما (يتعلق بالتاريخ).

كما أن تمثيل (أصحاب النبي ﷺ) لا يجوز، فقد اتفق أهل العلم على أنهم - صفوة هذه الأمة وخيارها، وأن الله شرفهم وخصهم بصحبة رسوله ﷺ وأثنى عليهم في كتابه الكريم بقوله:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الفتح الآية ٢٩ وجاءت الاحاديث الصحيحة بتسجيل فضلهم وأن لهم قدم صدق عند الله... فالقيام بتمثيلهم وأد لكل ما تكنه القلوب لهم من محبة وإجلال واحترام، وفيه منافاة لهذا الثناء الذي اثنى الله عليهم به وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها...

ولقد سبق أن قرر (مجلس رابطة العالم الإسلامي) بالاجماع: حرمة اخراج فيلم واظهار صورة أو خيال عن الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء ولو بالاشارة إليه بالكاميرا ونحوها.... وكذلك اظهار صورة أصحابه الاكرمين جميعاً، ومنع ذلك باتاً..

كما قرر (المجلس) أن ينشر قراره هذا في البلاد الإسلامية عامة، وابلاغه لجميع المنظمات الإسلامية ووزارات وادارات الاعلام، ولمشيخة الازهر، ومجمع البحوث، والمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية وفي الصحف والاذاعات..، كما قررت (المنظمات الإسلامية الخمسة وهي):

(١) مؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي.

(٢) المنظمة الإسلامية العالمية بجاكرتا.

(٣) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
(٤) المؤتمر الإسلامي العام (بالقدس) بعمان - الآن.
(٥) رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

في اجتماعهم المنعقد (بمكة المكرمة) في ذى الحجة عام: ١٩٣٠هـ استنكارهم الشديد لمحاولة اخراج فيلم سينمائي يمثل فيه النبي ﷺ بأية صورة من الصور أو كيفية من الكيفيات...، كما يستنكر تمثيل الصحابة (رضوان الله عليهم) ويناشد المؤتمر كل الحكومات الإسلامية أن تقضي على هذه المحاولة في مهدها...، كما استنكر ذلك بالاجماع هيئة كبار العلماء للمملكة العربية السعودية، في قرارهم الصادر بتاريخ ١٧-٤-١٣٩٣هـ ومنعوا ذلك منعاً باتاً.

ان المسلمين عموماً ينتظرون من الحكام خطوة جريئة لمنع هذا الفيلم وان يغلقوا باب هذا (الشر)، وأن يبذلوا كل ما يستطيعون في (نصرة) دين الله، والذود عن محارمه ومحاربة اعدائه، وعدم اتاحة الفرص التي ينفذ منها الاعداء لبث سمومهم ونشر أباطيلهم، فلا نفتح لهم الباب ونسلمهم الزمام، ونكون عوناً لهم على حرب (مثلنا وأمجادنا ومبادئنا السليمة وعقائدنا الصحيحة)، انهم يسعون وراء ذلك باخلاص ويبذلون فيه المهج وينفقون فيه ونحتضن هذا المشروع المدسوس.

حاشا لله أن يقره مسؤول أو يرضاه من عرف مفاسده وأضراره.

ان في الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق لميداناً فسيحاً للفن والتمثيل فليتجه اليها الفن ما شاء له الاتجاه، وليبتكر ما شاء له الابتكار وليدع أنبياء الله ورسله والصحابة الكرام محفوفين ما حفهم الله تعالى بالجلال والوقار وليعمل على أن يكون مفتاحاً للخير

مغلاقاً للشر (فطوبى لمن كان كذلك).. والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته (لانبيائه) من أهل (الفن والممثلين..)

هذا وقد جرت الكتابة لكل من: رؤساء الدول المشتركة في اخراج هذا الفيلم، والله يحفظكم...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



خطاب مفتوح إلى شيخ الازهر

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة سماحة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الازهر، سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

يؤسفنا حقاً ما نشرته جريدة (الندوة) اليومية في عددها الصادر برقم ٥١٧٤ وتاريخ ١٣٩٦/٢/٢٩هـ. الموافق ٢٩ فبراير ١٩٧٦م والتي تصدر بمكة المكرمة نقلاً عن جريدة (الاهرام) المصرية قالت الندوة ما نصه:

ذكرت صحيفة (الاهرام) أمس أن مشروع قانون جديد للاحوال الشخصية يعطي الزوجة حق الطلاق في حالة زواج زوجها بأخرى قد أحيل على وزارة العدل لصياغته بعد الموافقة عليه من مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الازهر ويتضمن المشروع الجديد حق الزوجة في طلب التفريق بينها وبين زوجها بشرط أن تطلب ذلك خلال شهرين من تاريخ علمها بهذا الزواج أنتهى بحروفه والذي يؤسفنا من هذا موافقة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر واعضاء مجمع البحوث الإسلامية، فكيف تعطى المرأة حق الطلاق لزوجها متى تزوج بغيرها وأيضاً تحديد حقها في الطلاق بشرط أن تطلب ذلك خلال شهرين من تاريخ علمها بهذا الزواج حقاً أنه لمخجل

موافقة الدكتور عبدالحليم شيخ الازهر على هذا القانون الجائر والأعضاء المحترمين فهذا القانون لم يقره شرع ولا عقل ومن تأمل أسرار الشريعة وحكمها يجعل الطلاق في يد الرجل دون المرأة علم يقيناً فساد هذا القانون فكيف يجعل ذلك المرأة ولم حدد بشهرين من تاريخ علمها ثم هو يقتضي عدم جواز تزوج الرجل أكثر من واحدة بحيث إذا تزوج الثانية فللزوجة الأولى طلب الفسخ من عصمة زوجها لتزوجه عليها وهذا كله مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومخالف لاجماع المسلمين فان من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله:﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ سورة المائدة الآية ٤٩. فمن خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والاهواء والقوانين التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله فقد حاد الله ورسوله وأتبع سبيل الغي تاركاً لسبيل الحق والهدى.

فحق على شيخ الازهر أن يعيد النظر في موافقته تلك ويخشى الله ويتقيه ويعلن فساد هذا القانون ويتبرأ منه فحق على العلماء العاملين أن يتمسكوا بتعاليم دينهم موضحين للناس حكمه واحكامه متبرئين من كل ما يخالفه ويناقضه وأن لا يكونوا العوبة بيد أهل الاهواء المنحرفين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالله بن حميد(١)

---

(١) مجلة (المجتمع) بتاريخ ربيع الأول ١٣٩٦هـ عدد رقم ٢٩٣.

تبيان الأدلة في اثبات الاهلة

بقلم الشيخ: عبدالله بن محمد بن حميد
الرئيس العام للاشراف الديني على المسجد الحرام

الحمد لله الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب.. واشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له شهادة مبراة من الشكوك والارتياب، واشهد ان محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه رسالة تبين ان المطالع تختلف باتفاق أهل المعرفة فلكل أهل بلد رؤيتهم على التفصيل الذي سنبينه ومن الادلة على ذلك:

قال مسلم في صحيحه:

حدثنا يحيى، ويحيى بن أيوب، وقتيبة، وابن حجر، قال يحيى بن يحيى: اخبرنا وقال الأخرون: حدثنا إسماعيل - وهو ابن جعفر - عن محمد وهو - ابن ابي حرملة - عن كريب: ان أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام.. قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها، واستهل عليَّ رمضان وأنا بالشام فرأي - الهلال - ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في أخر الشهر، فسألني عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.. ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال؟ فقال رأيناه ليلة الجمعة، فقال أنت

رأيته، فقلت: نعم رآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه.. فقال: أولاً نكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال: لا هكذا امرنا رسول الله ﷺ.

وهذا صريح أن لكل بلد رؤيتهم وقال ابن عباس: هكذا امرنا رسول الله ﷺ يدل على أنه أمر ثابت عن رسول الله ﷺ.

وقد ترجم الامام النووي على هذا الحديث في شرحه على مسلم بقوله: بيان ان لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بعد عنهم. وقال ابو داود في سننه باب إذا رؤي الهلال في بلد قبل الآخرين بليلة.. وقال الترمذي في جامعه: باب ما جاء لكل أهل بلد رؤيتهم.. وقال بعد سياقه حديث كريب والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم ان لكل بلد رؤيتهم ولم يذكر خلافاً.

وقال النسائي في سننه: اختلاف أهل الآفاق في الرؤية: وساقوا كلهم حديث كريب مولى ابن عباس مما يدل على ان هؤلاء الائمة يرون ان لكل بلد رؤيتهم كما تدل عليه تراجمهم له.

وقول ابن عباس رضي الله عنه لكريب حين قال له: افلا تكتفي برؤية معاوية وصيامه قال: لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.. يريد رضي الله عنه أن أهل المدينة لا يفطرون برؤية أهل الشام مستدلاً بحديث لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه...

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له»، وقال ﷺ: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين».

هذه الروايات تدل على أن الصوم منوط باكمال عدة شعبان ثلاثين أو الرؤية: صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته.. وهذا وان كان خطاباً لجميع الأمة فالصوم والافطار يكونان عند وجود السبب الذي هو الرؤية فالأمة التي ترى الهلال يلزمها الصوم والافطار لوجود سببه ومن لم تتحقق عندها الرؤية فلا يلزمها الصوم ولا الفطر لتخلف سببه.

وحديث: لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه علق الحكم بالسبب الذي هو الرؤية.. فقد توجد الرؤية في بلد (كمكة والمدينة)، وزمنها يكون نهاراً عند أخرين. فكيف يؤمرون بالصيام؟

وهذا لا شك يدل على اختلاف المطالع كما حكي الاجماع عليه غير واحد من أهل العلم.

وقال بذل كبار ائمة الحنفية ومحققيهم في ذلك:

قال صاحب التجريد: ان المطالع تختلف اختلافاً يختلف معها حكم الأهلة. وقال المفتي ابوالسعود مثل هذا القول واضاف: ان انفصال الهلال من شعاع الشمس يختلف باختلاف الافطار كما في دخول الوقت وخروجه.

وقال ابن عابدين:

أعلم ان نفس اختلاف المطالع لا نزاع فيه بمعنى انه قد يكون بين البلدتين بعد، بحيث يطلع الهلال ليلة كذا في احدى (البلدتين) دون الأخرى.

وكذا مطالع الشمس لأن انفصال - الهلال - عن شعاع - الشمس - يختلف باختلاف الافطار حتى إذ زالت الشمس في المشرق لا يلزم ان تزول في المغرب، وكذا طلوع الفجر وغروب الشمس.. بل كلما تحركت

الشمس درجة فتلك طلوع فجر لقوم، وطلوع شمس لآخرين، وغروب لبعض، ونصف ليل لغيرهم. ولا يلزم احداً العمل بمطلع غير.

وقال المحققون من الحنفية والمالكية وعامة الشافعية: ان كان بين البلدين مسافة قريبة لا تختلف المطالع لاجلها كبغداد والبصرة مثلاً لزم أهلهما الصوم برؤية الهلال في احدهما، وان كان بينهما بعد كالعراق والحجاز فلكل أهل بلد رؤيتهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة «رحمه اللّه»:

والهلال مأخوذ من الظهور ورفع الصوت فطلوعه من السماء ان لم يظهر في الأرض فلا حكم له لا باطناً ولا ظاهراً.

وبهذا يتبين ان الهلال اسم لما ظهر وبان فقبل ان يظهر ويبين فليس بهلال فعليه لا يلزم أهل المشرق الصوم والافطار برؤية أهل المغرب لأنه لم يكن عند أهل المشرق هلالاً لعدم ظهوره عندهم.

وقال محققو المالكية:

قال ابن عبدالبر في التمهيد:

اجمع العلماء على أن لا تراعى الرؤية فيما تباعد من البلدان كخراسان في الاندلس، اذ لكل بلد حكم يخصه، كما جاء الحديث وأنما تراعى فيما تقارب اقطاره وتدانت امصاره.. وروى المدنيون عن مالك: ان الرؤية لا تلزم بالخبر عند غير أهل البلد الذي وقعت فيه الرؤية الا ان يكون الأمام يحمل الناس على ذلك وبه قال ابن (الماجشون - والمغيرة) من اصحاب مالك، واجمعوا: انه لا يراعى ذلك في البلدان النائية كالاندلس والحجاز.

وجاء في الانصاف:

إذا رأى الهلال أهل بلد لزم الناس كلهم الصوم، اذا اتفقت المطالع وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: بأن الرؤية تختلف باختلاف التشريق والتغريب، والهلال طلوعه ورؤيته بالمغرب سابق لأنه يطلع من المغرب.

وهذه أقوال أهل العلم من كل مذهب... كلها تدل على أنه لا يلزم أهل البلد البعيدة العمل برؤية أهل البلد الأخرى إذا اختلفت المطالع وان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يكتبون أو يبحثون عن رؤية الأهلة في البلاد الأخرى معتمدين معنى ما جاء في حديث ابن عباس، وحديث صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، على ان لكل أهل بلد رؤيتهم ونكتفي بما نقلناه في ذلك ففيه كفاية ومقنع لمريدي الحق وطالبيه...

والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.[1]



(١) مجلة (المجتمع) بتاريخ ١٣٩٣هـ عدد رقم ١٩٦.

لا..
يا لجنة الافتاء بالجزائر

سماحة الشيخ عبدالله بن حميد
يرد على فتوى جزائرية حول «الذبح» في منى

الحمد لله وحده.

اطلعت على ما نشرته جريدة (الشعب) الجزائرية الصادرة بتاريخ ٢٩-٦-١٣٩٥هـ.. بشأن الهدايا بمنى والمتضمنة: (أن لجنة الافتاء في الجزائر تحت اشراف الأخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية وبحضور كبار مساعديه وبعض مفتشي الوزارة بالولايات وبعض أعضاء الوفدين الرسمي والديني الذين حجوا هذه السنة وبعض اساتذة الطب بالجامعة، إلى أن قال رأي البعض المحافظة على شعيرة الذبح رغم العنت الشديد والصيام عن العجز المالي أو الجسمي أو التعذر عموماً وقوفاً عند النصوص التي لا يسوغ معها أعمال الرأي أو الاجتهاد في نظرهم).

ويرى الجمهور مع احترام النصوص ووجوب المحافظة على الشعائر الإسلامية طبعاً زيادة عن بذل الصيام الوارد في القرآن وكذلك الصدقة في الفدية وهدى لصيد أنه:

١ - نظراً لتعذر تنظيم الذبح في الوقت الحاضر مع بقاء المفسدة على حالها بل وربما ازديادها مع تزايد عدد الحجاج.

ب - واقتداء بما ذكره بعض الحاضرين من أن العلامة الشيخ البشير

الابراهيمي «رحمه الله» وهو من علماء الإسلام قد افتى في البقاع المقدسة بجواز تعويض الذبائح بدفع اثمانها، وهي فتوى شفوية لم يكن لها نص مكتوب، أو لم يعثر عليه، وانما تواتر ذكرها ونفذها المرحوم الشيخ محمد العسيري عندما كان سفيراً للجزائر بجدة وتبعه في ذلك كثيرون.

جـ - واستناداً إلى ما يجري به العمل من دفع الحجاج اثمان الذبائح للمطوفين وعمالهم بصفة التوكيل، حيث لا يباشرون بنفسهم عمليات الشراء والذبح والتصدق باللحوم لتعذر ذلك عليهم وخوف الهلاك من شدة الازدحام.

د - وعملاً بالمبدأ الاصولي المعروف في الشريعة الذي يقرر بان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وبالتالي درء المفاسد عن الأمة، وجلباً لمصالحها مما يجعل هذا المال الذي كان يضيع في التراب يفيد الفقراء والمساكين وفي سبيل الله يجوز دفع ثمن الذبائح نقداً لفقراء المسلمين والمساكين بمكة المكرمة والبقاع المقدسة وفي سبيل الله عموماً.

وبذلك يصبح هذا الرأي فتوى شرعية بالنسبة للحجاج الجزائريين، وتعلن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية انها صادقت على هذه الفتوى وتوصى بالعمل بها أ هـ : ما نشرته الجريدة ملخصاً.

أقول: في هذه الفتوى وهي اخراج القيمة عن الهدي نظر لأنها محض رأي لم تستند على كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولم يقل بها أحد من سلف الأمة وائمتها باخراج القيمة عن الهدي خلاف

اجماع المسلمين فالواجب عليهم اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ سورة النور. فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى كتابه والدعوة إلى رسوله ﷺ هي الدعوة إلى سنته كما في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ سورة النساء الآية ٥٩. فقد حكى غير واحد اجماع أهل العلم على عدم جواز اخراج القيمة عن الهدي لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٦ قسم الحكم إلى امرين لا ثالث لهما أما الهدي عند تيسره وفي حالة عدمه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله ولم يذكر تالي القيمة مع أنه ذكر الصدقة في فدية المريض والاذى قبل هذه الآية - بقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٦. فذكر في هذه الآية الصدقة التي هي اطعام ستة مساكين وذكرها على التخيير بخلاف دم التمتع فلم يذكر فيه الصدقة وانما اوجب عليهم الهدي وعند عدمه الصيام، وقد ذكر الامام النووي اجماع أهل العلم أنه ينتقل إلى الصيام عند عدم الهدي ولو كان واجداً لقيمته فلم يقل بصدقة القيمة عند تعذر وجوده وايضاً اذا جاز اخراج القيمة عن الهدي وهو دم نسك جاز اخراج القيمة عن الحج فانه إذا جاز في البعض جاز في الكل.

أما قولهم. نظراً لتعذر تنظيم الذبح في الوقت الحاضر مع بقاء المفسدة على حالها وربما ازديادها بتزايد عدد الحجاج... فهذا ليس بمسوغ رد النصوص واعمال الرأي. بل على لجنة الافتاء أن ترشد

الحجاج بأن يذبحوا نسكهم في مكة بين الفقراء والمعوزين وذي الحاجات ويطالب الحكومة بتعدد المجازر ويسخر اقلامهم في ذلك بدلاً من مخالفة النصوص ومخالفة اجماع أهل العلم وما نقلوه من أن العلامة البشير الإبراهيمي افتى في البقاع المقدسة بجواز تعويض الذبائح بدفع اثمانها وهي فتوى شفوية لم يكن لها نص مكتوب أو لم يعثر عليه الخ.... فمثل هذا لا يصلح مستنداً يخالف به الاجماع فيبني عليه القول بجواز اخراج القيمة لأن قوله لو صح عنه لم يكن حجة إذ الحجة فيما يثبت عن رسول الله ﷺ وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله.

وقولهم - جـ واستناداً إلى ما يجري به العمل من دفع الكثير من الحجاج اثمان الذبائح للمطوفين وعمالهم بصفة التوكيل حيث لا يباشرون بأنفسهم عمليات الشراء والذبح والتصدق باللحوم لتعذر ذلك عليهم غير مسوغ أيضاً لمخالفة النصوص بل التوكيل جائز فإذا وكل الحاج من يثق به لشراء هديه وذبحه وتفريقه على الفقراء جاز ولا يشترط أن يتولاه بنفسه لا سيما مع قولكم لتعذر ذلك عليهم فقد أمر رسول الله ﷺ علياً أن ينحر ما تبقى من هديه وأن يتصدق بلحومها وجلالها وهذا صريح في جواز التوكيل في النحر والتصدق بلحومها كما في الصحيحين وغيرهما.

وقولهم - د.. وعملاً بالمبدأ الاصولي المعروف في الشريعة الذي يقرر بأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فدرء المفاسد في هذه الحالة ليس هو مخالفة القرآن العزيز والسنة النبوية واجماع الأمة بل هو جلب للمفاسد، فلو أن لجنة الافتاء وفقها الله أرشدت الحجاج بأن يذبحوا في مكة وفي احياء الفقراء أو يوكلوا من يثقون به يقوم عنهم

بذبحها وتوزيعها لكان هو الاصلح وهو الذي فيه درء المفاسد لأنهم مأمورون بايصال هداياهم إلى الفقراء والمساكين.. كما في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ سورة الحج الآية ٢٨. ولا يتحقق ذلك الا بايصاله اليهم وتسليمه لهم أو التخلية بينهم وبينها فلو ذبحت الهدايا في مكان بعيد لا يستطيع الفقراء والمعوزون الوصول إليه تعين على المهدين نقله إليهم وتسليمه لهم لقوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ والقول بالوجوب هو قول الامام مالك والشافعي، وكما أن المزكين يلزمهم ايصال الزكاة إلى مستحقيها، وقد صرح أهل العلم بأن المزكين عليهم تسليم زكاة أموالهم إلى مستحقيها، حيث قالوا وعلى المزكى مؤنة دفع ونقل وكيل ووزن، لأن ذلك من تمام التوفيه.

ومثله الكفارات والنذور وغيرها مما صرفه للفقراء والمعوزين وذوي الحاجات، فانه لا بد من دفعه اليهم وتسليمه لهم فمثله لحوم الهدايا والاضاحي كما تفيده الآية: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾: وقد روى أحمد وابو داود وابن ماجه وغيرهم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (قال نحرت ها هنا ومنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر). فالحديث يدل على أن النحر لا يختص بمنى وان كان النحر به افضل ففي غيره من فجاج مكة واحيائها جائز بل قد يكون في مثل هذا الوقت أولى من النحر بمنى مراعاة للفقراء وانتفاعهم بما ينحر عندهم فاختصاص الذبح بمكان معين بمنى أو غيره يتعذر وصول الكثير أو الاكثر من ذوي الحاجات والمعوزين الوصول اليه لأن فيهم الضعيف المريض والمرأة ومن لا يستطيع الوصول إلى موضع تلك اللحوم فايصالها اليهم بتعدد المجازر أو نقل اللحوم إلى امكنتهم هو المتعين على المهدين وعلى من يعنيهم الأمر في الدولة فبهذا يحصل المقصود الذي

لاجله شرع النسك من - التعبد باراقة الدماء تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وطلباً لمرضاته واحساناً إلى الفقراء وذوي الحاجات من اطعامهم وانتفاعهم بلحوم تلك الهدايا.

وقولهم : في دفع اثمان الهدي انه يجوز دفع ثمن الذبائح نقداً لفقراء المسلمين والمساكين بمكة المكرمة والبقاع المقدسة وفي سبيل الله عموماً: في هذا الاطلاق نظر بل كل هدي او طعام يتعلق بحرم أو حرام كجزاء صيد وما وجب لترك واجب او وجب لفوات أو بفعل محظور في الحرم وهدي تمتع وقران ومنذور ونحوها، فهو لمساكين الحرم.. أما الهدي فلقوله تعالى: ﴿**ثم محلها إلى البيت العتيق**﴾ وأما جزاء الصيد فلقوله تعالى: ﴿**هدياً بالغ الكعبة**﴾ وأما ما وجب لترك واجب أو فوات الحج فلانه هدي وجب لترك نسك اشبه دم القران والاطعام في معنى الهدي. قال ابن عباس: الهدي والاطعام بمكة ولأنه نسك ينفعهم كالهدي.. ويعز علينا أن الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية بالجزائر المعروف - بعلمه وفضله وغيرته الدينية يصادق على مثل هذه الفتوى ويعتبرها فتوى شرعية ويوصي بالعمل بها وهي محض رأي مجرد مخالفة للكتاب والسنة واجماع الأمة.

والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن حميد

الرئيس العام للاشراف الديني على المسجد الحرام
وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي[١]

(١) مجلة (المجتمع) عدد رقم ٢٨٦ - صفر ١٣٩٦.

الدعوة إلى الجهاد... في القرآن والسنة

بقلم : سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد
رئيس الاشراف الديني بالمسجد الحرام

الحمد لله الذي شرع الجهاد بالقلب واليد واللسان، وجعل جزاء من قام به الغرف العالية في الجنان.. واشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين والمأمور بقتال المشركين جاهد في الله حق جهاده. صلى الله عليه وعلى اله واصحابه الذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه.. والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فكانوا هم السادة الغالبين..

(أما بعد) :

فمعلوم ما كان عليه رسول الله ﷺ في الجهاد مع المشركين منذ بعثه الله عز وجل وأكرمه بالرسالة إلى ان توفاه الله واختار له ما عنده، فكان يغشى الناس في مجالسهم في أيام المواسم وغيرها يأتيهم في أسواقهم فيتلوا عليهم القرآن ويدعوهم إلى الله عز وجل.. ويقول: (من يؤويني ومن ينصرني حتى ابلغ رسالات ربي وله الجنة)، فلم يجد احداً ينصر ولا يؤويه.

واستمر يدعو إلى الله ويصبر على الاذى ويصفح عن الجاهل مدة

ثلاث عشرة سنة لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفاء بوعده الذين امتن عليهم به في قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ سورة الاسراء الآية ١٥.

فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه ليفتنوهم عن دينهم، وحتى نفوهم عن بلادهم، فمنهم من فر إلى ارض الحبشة، ومنهم من خرج إلى المدينة، ومنهم من صبر على الاذى من حبس وجوع وعطش وضرب. حتى ان الواحد منهم ما كان يقدر ان يستوي جالساً من شدة الضرب.

لقد جعلوا في عنق بلال حبلاً، ودفعوا به إلى الصبيان، يلعبون به ويطوفون به شعاب مكة.. وما لاقاه آل ياسر من العذاب يفوق ما يحتمله البشر.

وآذت قريش رسول الله ﷺ وحاصروه في الشعب، وحاول عقبة ابن ابي معيط ان يخنقه مرة.. وما زال يشد ثوبه عليه حتى جحظت عيناه، واسرع ابو بكر فخلصه وهو يقول: (اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله).

وحاول ابو جهل قتل الرسول ﷺ وهو بالمسجد يصلي فحمل حجراً ضخماً ليلقيه على رأسه وهو ساجد، ولما هم بالقائه رجع مذعوراً.. وقال: (اعترضني دون محمد فحل هائل من الأبل هم ان يأكلني).

ولما اراد الله اظهار دينه وانجاز وعده ونصر نبيه، امره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة، فاستقر صلوات الله وسلامه عليه بها، وأيده بنصره وبعباده المؤمنين، فمنصته انصار الله وكتيبة الإسلام من الاسود والاحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والازواج.

وكان اولى بهم من أنفسهم فرمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة،

وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب.

أذن الله لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم فقال:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ سورة الحج.

أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن الله يريد من عباده ان يبذلوا جهدهم في طاعته كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ سورة محمد.

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٠.

ثم أنزل الله في (سورة براءة) الأمر بنبذ العهود وامرهم بقتال المشركين كافة، وامر بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ولم يبح لهم ترك قتالهم، وان سالموهم وهادنوهم هدنة مطلقة مع امكان جهادهم.

فكان القتال ممنوعاً ثم مأذونا به، ثم مأموراً به - لمن بدأهم بالقتال -، ثم مأموراً به (لجميع المشركين..) كما في سورة البقرة، وآل عمران، وبراءة.... وغيرها من السور.

أوجب الله على المسلمين القتال، وعظم أمر الجهاد في عامة السور

(المدنيـة) كمـا فـي قـولـه تعـالـى: ﴿انفِرُوا خفَافًا وَثقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّه ذَلكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعلَمُونَ﴾ سورة التوبة الآية ٤١.

وقال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية ٢١٦.

فالقتال: وان كان مكروها للنفس بطبيعتها، لما فيه من التعرض للقتل والاسر وتشويه البدن واتلاف المال وتدمير المصانع وتخريب البلاد واشاعة الرعب والفزع في النفوس والاخراج من الاوطان.

فقد رتب الله عليه من الأجر والفوز مالا يخطر على قلب بشر.

قال عكرمة: انهم كرهوه ثم احبوه.. وقالوا: سمعنا واطعنا.

هذا لأن امتثال الأمر بتضمن مشقة لكن إذا عرف الثواب هان في جنبه مقاساة المشقات.

وقد تظاهرت آيات الكتاب، وتواترت نصوص السنة، على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والاخبار عما لهم عند ربهم من انواع الكرامات.. لانهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم باس اعدائه، ويحفظ بيضة الإسلام، ويحمي حوزة الدين.

وهم الذين يقاتلون اعداء الله ليكون الدين كله لله.. ولتكون كلمة الله هي العليا وجعلهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في اعمالهم التي يعملونها وان باتوا في ديارهم ولهم مثل أجور من عبدالله بسبب جهادهم وفتوحهم.. فانهم كانوا هم السبب فيه.

والشرع قد نزَّل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر.. فكان

الداعي إلى الهدى والداعي إلى الضلال، لكل منهما بتسببه مثل اجر من اتبعه، ويكفي في ذلك قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة، التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم.

فقال :

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ .

فكان النفوس صنت بحياتها وبقائها.. فقال:

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ - يعني ان الجهاد خير لكم من قعودكم.. فقال ﴿**يغفر لكم ذنوبكم**﴾ - و - «مع المغفرة» - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ سورة الصف.

فكأنها قالت: هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا.

فقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة الصف الآية ١٤.

فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما الصقها بالقلوب.. وما اعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها، وما الطف موقعها من قلب كل محب.. وما اعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها.. فنسأل الله من فضله.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. سورة التوبة.

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يستوي عنده عمار المسجد الحرام وهم عماره بالاعتكاف والطواف والصلاة، هذه هي عمارة مساجده المذكورة في القرآن وأهل سقاية الحاج لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل الله، واخبر ان المؤمنين المجاهدين اعظم درجة عنده، وانهم هم الفائزون، وانهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان والجنات.. فنفى التسوية بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام مع انواع العبادة مع ثنائه على عمارته بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ سورة التوبة الآية ١٨.

فهؤلاء هم عمار المساجد.. ومع هذا فأهل الجهاد (ارفع درجة) عند الله منهم.

وقال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سورة النساء الآيتين ٩٥/ ٩٦.

فنفى سبحانه وتعالى التسوية بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد، وبين المجاهدين، ثم اخبر عن تفضيل المجاهدين على القاعدين درجة، ثم اخبر عن تفضيلهم عليهم درجات.

قال ابن زيد: (الدرجات التي فضل الله بها المجاهد على القاعد: سبع.. وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة التوبة الآية ١٢٠. فهذه خمس.

ثم قال: ﴿وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ سورة التوبة الآية ١٢١ - فهاتان اثنتان.

قال ابن القيم - بعد ذكره لكلام بن زيد:

(والصحيح: ان الدرجات هي المذكورة في حديث - ابي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ انه قال: «من آمن بالله ورسوله، واقام الصلاة، وصام رمضان، فان حقاً على الله ان يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في ارضه التي ولد فيها. قالوا: يا رسول الله: افلا نخبر الناس بذلك؟ قال: ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين كما بين السماء والأرض... فاذا سألتم الله فأسألوه (الفردوس)، فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر انهار الجنة..)

وقال (ابن القيم) في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة الآية ١١١.

فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، بحيث إذا بلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد واكده بأنواع من التأكيد.. احدها. اخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد باداة (إن) الثاني: الاخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: اضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وانه هو الذي اشترى هذا البيع.

الرابع: انه اخبر بانه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: انه اتى بصيغة على التي للوجوب اعلاماً لعباده بان ذلك حق عليه احقه هو على نفسه..

السادس: انه اكد ذلك بكونه حقاً عليه...

السابع: انه اخبر عن محل هذا الوعد، وانه في افضل كتبه المنزلة من السماء وهي ﴿التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

الثامن: اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار، وانه لا احد اوفى بعده سبحانه..

التاسع: انه سبحانه وتعالى امرهم ان يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه....

العاشر: انه اخبرهم مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ها هنا بمعنى البيع الذي اخذوه بهذا الثمن وهو (الجنة).

وقوله: ﴿بَايَعْتُم بِهِ﴾، أي عاوضتم وثامنتم به، ثم ذكر سبحانه أهل هذا

العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره العابدون بما يحب الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون السائحون (وفسرت السياحة) بالصيام، (وفسرت) : بالسفر في طلب العلم.. (وفسرت) بالجهاد.

وأفهمت الآية خط النفس الانسانية وشرفها وعظم مقدارها.. فان السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر الى المشتري لها من هو.. وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس.. والله سبحانه المشتري لها والثمن لها جنات النعيم.. والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة واكرمهم عليه وخيرهم من البشر واكرمهم عليه..

وناهيك بهذا القول.

وناهيك بهذا الفضل... من شرف وعلو منزلة.. إلى غير ذلك مما اوضحه الله في القرآن من بيان اجر المجاهدين وتعظيم شأنهم وتحريك العواطف وطلب التضحية في سبيل الدعوة وبعث القوة والشجاعة في النفوس وحثهم على الاقدام والثبات.. وان الله ناصرهم وممدهم بالملائكة:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ سورة آل عمران.

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران.

واخيراً عما يلقاه من يستشهد في سبيل الله من الحياة وانهم عند ربهم يرزقهم ما يشاءون وتعلو وجوههم البشارة.

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. سورة آل عمران.

وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ الآية ٧٦ سورة النساء.

وقال:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾. سورة النساء الآية ٨٤.

وقال:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء الآية ٧٤.

فانظر يا اخي كيف يستثير الهمم لاعلاء كلمة الله ولحماية الضعفاء وتخليص المظلومين.

وانظر كيف يقرن القتال بالصلاة والصوم.. ويبين أنه مثلهما مكتوب على المؤمنين.

وكيف يشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعارك، ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء مبيناً لهم ان الموت سيدركهم لا محالة، وانهم ان ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة الدنيا اعظم عوض ولا يظلمون فتيلا.

وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الاعمال وفضلها، مثل ما ورد فيه ولهذا كان افضل ما تطوع به الانسان، وكان باتفاق العلماء افضل من الحج والعمرة ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة وهو ظاهر عند الاعتبار، فان نفع الجهاد عام لنا عله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع انواع العبادات الباطنة والظاهرة، فانه مشتمل على محبة الله تعالى والاخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر انواع الاعمال ما يشتمل عليه عمل اخر.

ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «والذي نفسي بيده لولا ان رجلاً من المؤمنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلف عن سرية تغزوا في سبيل الله.. والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله ثم احيا، ثم اقتل ثم احيا، ثم اقتل ثم احيا، ثم اقتل...»

ورغب اليه صلوات الله وسلامه عليه بسيرته وثباته وشجاعته وصبره واخبر ما للمجاهدين في سبيل الله من الأجر والثواب العاجل والآجل وما يدفع الله به من اصناف الشرور، وما يحصل به من العز والتمكين والرفعة وجعله ذروة سنام الإسلام.. وقال ﷺ: «ان في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض اعدها الله للمجاهدين في سبيله... » - متفق عليه.

وقال ﷺ: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» اخرجه البخاري.

ولما في الصحيحين: ان رجلاً قال: يا رسول الله: اخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال ﷺ: لا تستطيع.. قال: اخبرني به؟ قال ﷺ: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد ان تصوم لا تفطر وتقوم لا تفتر.. قال: لا قال: فذلك الذي يعدل الجهاد.»

كما اخبر صلوات الله وسلامه عليه: «ان ارواح الشهداء في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وان الشهيد يغفر له جميع ذنوبه وخطاياه، وانه يشفع في سبعين من أهل بيته، وانه أمن يوم القيامة من الفزع الاكبر، وانه لا يجد كرب الموت، ولا هول المحشر، وانه لا يحس ألم القتل الا كمس القرصة، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصة، وان القائم النائم في الجهاد افضل من الصائم القائم فيما سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه، وان رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها..»

إذا عرف ذلك فقد عاتب الله المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، المتثاقلين إلى نعيم الأرض المتقاعدين عن المبادرة إلى الخروج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ سورة التوبة الآية ٣٨.

كما ذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب، وتوعد المتخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود ونعى عليهم الضعف والتخلف بقوله:

﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سورة التوبة الآية ٣٩.

ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عنى بشأنه (الجهاد والجندية)، واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للجهاد في سبيل الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا.. ما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه..

فقد وصل الكتاب والسنة كل ما يتصل به تفصيلاً عجيباً ووزع اعماله المختلفة ومسؤولياته الكثيرة على جهاتها المختصة توزيعاً دقيقاً يفوق كل التنظيمات الحديثة والدراسات العسكرية.. بل ما هي الا قطرة منه.

وآيات القرآن واحاديث الرسول ﷺ فياضة بكل هذه المعاني السامية داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب.. فأمر المسلمين ان يأخذوا حذرهم من اعداء الله وان يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة.. لأن ذلك أول قواعد القتال واعظمها شأنا.. وان الاعداد بجميع أنواعه واقسامه المنطوية تحت كلمة قوة: أي برية وبحرية وجوية وان الاهتمام بالقوات الثابتة والمرابطة كالاهتمام بالقوات المتحركة والاهتمام بالجيش في أيام السلم كالاهتمام به في أيام الحرب.. وان اساس الروح العسكرية كما يقولون امران الطاعة والنظام.. وقد جمع الله هذا الاساس في آيتين من كتابه.

فأما (الطاعة) ففي قوله تعالى :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ سورة محمد.

وأما (النظام) ففي سورة الصف الآية (٤) في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

كما حث الجيوش الإسلامية على المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ سورة الفتح الآية ١٠.

ومدح الصادقين بالعهد الموفين بالوعد بقوله:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ سورة الأحزاب الآية ٢٣.

وأمر بالثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة الأنفال الآية ٤٥.

وشجع المجاهدين في سبيله على الاقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول اللقاء إلى اخره...

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ سورة محمد الآية (٤). ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ سورة النساء الآية ١٠٤. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران ١٤٦.

كما أمر باستصحاب الطمأنينة وسكون الجوارح وطرد الاوهام والتخلص من اوهن والحزن.

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران ١٣٩.

واخبر بأن الله قد تكفل (بنصر من ينصر دينه -، وانه لا عبرة

بالعدد ولا بالعدة، وانما هو الإيمان الصادق بأن النصر من عند الله.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٦٠. ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة البقرة الآية ٢٤٩. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد الآية ٧.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ سورة الصافات ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

كما اشار القرآن إلى الحقيقة المعروفة وهي:

- ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ سورة آل عمران الآية ١٤٠.

وجعل المشاورة من قواعد الشريعة وعزائم الاحكام ولا سيما في الأمور الهامة (كالجهاد - ومعاملة الاعداء، ومدح عباده المؤمنين على هذه الصفة) بقوله:

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

ومع كمال عقل الرسول ﷺ وتأييده بالوحي فقد امره الله بقوله : ﴿وشاورهم في الأمر﴾، ولتقتدى به أمته من بعده.

كما حذر القرآن عن ارتكاب (المعاصي الباطنة والظاهرة) صغيرها، وكبيرها.. واخبر ان نصر الله لا يتنزل على العصاة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ سورة آل عمران الآية ١٥٤.

ونهى عن التنازع مطلقاً على أي امر في القتال والاتفاق دائماً واخبر ان النزاع سبب للفشل وذهاب الريح.

﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الأنفال الآية ٤٦.

وحذر من الفرار من العدو (حين القتال) وانها كبيرة عظيمة، وتوعد الجبناء المخذلين بأنكى العقوبات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة الأنفال.

ونهى عن غلول الغنائم وحذر المسلمين منه غاية التحذير.. وانه يأتي بما غل حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله مرعوباً بصوته موبخاً بخيانته على رؤوس الاشهاد.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٦١.

كما حذر عن القتال للرياء أو السمعة أو الشرف أو الحمية أو النعارات القومية والشعارات المزيفة وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه: إذا امر اميراً على جيش أو سرية، اوصاه (في خاصته): «بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..»

وكان يقول لاصحابه: «اذا ارادوا الغزو انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله: لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا فان الله يحب المحسنين».

لذلك أبلى الرسول ﷺ والذين آمنوا معه بلاء حسناً في نصرة هذا الدين والدعوة إليه، فأمدهم الله بالنصر وانزل عليهم السكينة، وايدهم بالملائكة والف بين قلوبهم وقذف في قلوب اعدائهم الرعب.. فقاتلوا في سبيل الله عن عقيدة واخلاص ونصرة لدين الله حتى يظهره على الدين كله، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور. ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الإسلام.

وعرفوا ان الله قد ضمن لهم النصر بالفتح فوثقوا بنصر الله ووعد رسوله واستهانوا بالقلة والكثرة واستخفوا بالمخاوف والاخطار.. وذكروا قول الله تعالى :

﴿إن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ سورة آل عمران الآية ١٦٠ وانهم جند الله وانهم يقاتلون في سبيل الله وان الله ناصرهم ومعينهم وخاذل لاعدائهم.. لانهم يقاتلون في سبيل الشيطان.

هذا «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه استشار اصحابه في مسيرة إلى «العراق» بوقعة (نهاوند) قال له علي ابن ابي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين: «ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة هو دينه الذي اظهر وجنده الذي اعده وامده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده».

وهذا خالد ابن الوليد لما اقبل من - العراق - قال رجل من نصارى العرب لخالد: «ما اكثر الروم واقل المسلمين، فقال خالد: ويلك؟ اتخوفني بالروم؟، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت ان الاشقر براء من توجعه، وانهم اضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق.

وكانوا يخاطرون بانفسهم ويأتون بأعاجيب واعمال خارقة للعادة ثقة بنصر الله واعتماداً على موعوده ما حصل للجيوش الإسلامية بقيادة سعد ابن ابي وقاص، فقد وقف امام المدائن ولم يجد شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها.

فخطب سعد الناس على الشاطىء وقال: «الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم؟ فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل..» ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه احد فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض.. فلما رآهم الفرس قالوا: (ديوانه - ديوانه) يقولون: «مجانين - مجانين» ثم قالوا: والله ما تقاتلون انساً بل تقاتلون جناً وجعل سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه ولظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

نعم كانوا يتخوفون من ذنوبهم ومن معاصي الله اكثر مما يتخوفون من عدوهم ومن كثرة عدده وضخامة عدده نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: في كتابه لقائده سعد ابن ابي وقاص لما ارسله إلى فتح فارس...

(اما بعد): فاني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال، فان تقوى الله أفضل من العدة على العدو وأقوى المكيدة على الحرب.. وآمرك ومن معك من الاجناد أن تكونوا اشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجند اخوف عليهم من عدوهم..

وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.. فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا.. فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا.. واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.. اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم.. (أ - هـ).

فتمسك المسلمون المجاهدون بما ذكر هذا الخليفة الراشد، وكانوا كما وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من امراء الروم (فقال جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان.. لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من اصواتهم بالقرآن والذكر... قال: فالتفت إلى اصحابه وقال: (أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به...)

وهذا عقبة ابن نافع - اراد ان يتخذ مدينة في أفريقية يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقصد موقع القيروان.. وكانت وحلة مشتبكة بها من انواع الحيوان من السباع والحيات.. وغير ذلك.. فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى: (ايتها الحيات والسباع: انا اصحاب رسول الله ﷺ ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه، فنظر الناس ذلك اليوم إلى

الدواب والحيات تحمل اولادها وتنتقل[1].. ورآه قبيل كثير من البربر..فأسلموا) وحينما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ونسوا وتناسوا ما لاجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من بين أمم الأرض وهو قوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ سورة آل عمران الآية ١١٠.

وصاروا يعيشون حياة لاهية حياة من لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ووحي، ولا يرجو حساباً ولا يخشى معاداً واشبهوا الأمم الجاهلية التي خرجوا يقاتلونها بالأمس عادوا فقلدوها في مدنيتها واجتماعها وسياستها واخلاقها ومناهج حياتها.. وفي كثير مما مقتها الله لاجله وخذلها وابتلى المسلمون بتأثير الحضارة الغربية والدعايات الشرقية اصبحت بلادهم مالاً سائباً لا مانع له.. واصبحت دولهم فريسة لكل مفترس وطعمة لكل آكل.. وظهر معنى قول النبي ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها» فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال ﷺ: «بل انتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم.. وليقذفن في قلوبكم الوهن..» قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال ﷺ: حب الدنيا وكراهية الموت..

ويقول الرسول الكريم ﷺ : (اذا تبايعتم بلعينة واتبعتم اذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه معكم حتى ترجعوا إلى دينكم).

فهم تركوا الجهاد وطلبوا المدد من الاعداء والحماية من الكفار

(١) ذكر هذه الواقعة المؤرخ الثقة خليفة بن خيَّاط رحمه الله في تاريخه ج/ في حوادث سنة خمسين وصحح ابن حجر سندها في ترجمة لحقية بن نافع رحمه الله في الإصابة في تمييزا لصحابة.

والتكفف لديهم والالتجاء في مواقع الخطر اليهم.. فهانوا إذا على الله مع اسمائهم الإسلامية ورغم وجود الصالحين فيهم وظهور بعض الشعائر الدينية والواجبات الشرعية في بلادهم.

يقول بعض المستشرقين لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه واحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال ففشا فيهم فساد الاخلاق، فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض فتفرقت كلمتهم، وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضله..

وهذا واقع مشاهد يحسه كل موقن ويلمسه كل غيور في كل أمة تخلت عن الجهاد وانغمست في الترف، وعبادة المادة وحب الدنيا.

يحدثنا التاريخ: ماذا فعل بالمسلمين (اشقى الأمم المغول والتتار) ما يحزن القلب ويحرق الفؤاد ويبكي العين.

يقول ابن الأثير: لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا اقدم إليها رجلاً واؤخر اخرى فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الإسلام والمسلمين.. ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت أمي لم تلدني.. ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين.

ثم ذكر من وهن المسلمين وتسلط اعدائهم عليهم.. فقال: دخلت امرأة من التتر داراً وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلاً.. ودخل واحد منهم درباً فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحداً حتى افناهم ولم يمد احد يده إليه بسوء ووضعت الذلة على الناس.. فلا يدفعون عن

نفوسهم قليلاً ولا كثيراً نعوذ بالله من الخذلان.

وحكى ان احدهم اخذ رجلاً ولم يجد ما يقتله به فقال له ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح... فوضع رأسه وبقى إلى ان اتى التتري بسيف وقتله.. قال وامثال ذلك كثير.

فالواجب على أهل الإسلام خصوصاً العلماء منهم وولاه الأمور ان يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وان يبئوا الدعوة لهذا الدين وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبوهم فيه ويرشدوا الأمة لاحكامه وحكمه كما فعل اوائلهم الاماجد.. فانهم جاهدوا في الله حق جهاده وقاموا بالدعوة إلى الله فبينوا للأمم محاسن الإسلام وسماحته.. وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم واخضعوا من سواهم لتعاليمه.. ولكن ما لبث ابناؤهم ان حرفوا فانحرفوا وتمزقوا بعدما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل فتفرقت بهم السبل واصبحوا شيعاً متفرقين في آرائهم متباينين في مقاصدهم.. وكيف يحصل لهم الرقى؟ وانى يتسنى لهم التقدم وهم يقلدون الأمم الكفارة.. يجرون وراءهم وينهجون نهجهم، ويقلدونهم في الصغير والكبير والنقير والقطمير.. يحكمون بين شعوبهم بقوانين وضعية، ويصادمون الشريعة الإسلامية التي هي مصدر عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمنينتهم.

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة المائدة.

نسأل الله ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفق جميع المسلمين إلى ما فيه رضاه. والسلام عليكم..

عبدالله بن محمد بن حميد

(❖) نشرت الحلقتان بمجلة (المجتمع) الحلقة بتاريخ ١٣٩٣ - عدد رقم ١٥٨-١٥٩.

الإسلام يأمر بالقوة

الحمد لله....

لا شك أن من تمسك بدين الله أمراً ونهياً وعملاً واعتقاداً على وفق ما جاء في القرآن والسنة أن له العز والسعادة والعلو في الدنيا والآخرة، ومن حاد عن دينه ومال إلى غيره فله الهوان والذل والبوار، وعد الله ولن يخلف الله وعده.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران ١٣٩.، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ سورة النور الآية ٥٥. وقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ سورة النساء الآية ١٤١ أي سلطاناً، فهذه الآيات ونظائرها تدل على أن العز والعلو والرقي والسعادة للمؤمنين وأنه لا سلطان للكافرين عليهم. لكن من هم المؤمنون وما صفاتهم الذين ضمن الله لهم النصر وأخبر أن لهم الغلبة ولا سلطان للكافرين عليهم.

لقد ذكرهم الله في أوائل سورة الأنفال. قال تعالى مبيناً صفة المؤمنين المنصورين في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال. فهؤلاء هم المنصورون والسعداء

والملفحون في الدنيا والآخرة. ما داموا متصفين بهذه الصفات الخمس التي وصفهم الله بها، وكلام العلماء من المفسرين وغيرهم على هذه الآية معلوم.

أما إذا حادوا عن دينهم وعدلوا عن كتاب ربهم واستبدلوا ما جاء به نبيهم إلى غيره وغيروا وبذلوا عند ذلك يتخلى الله عنهم وعن نصرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. سورة الرعد الآية ١١.

فقد أمر الله بالقوة والصبر والجلد والاستعداد للأعداء وتحمل الأذى في سبيل ذلك.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ٢٠٠. أي في الدنيا والآخرة فإن الفلاح في الدنيا والآخرة بالصبر على ما يلحقكم من الأذى، واظهار التجلد في الصبر على الأعداء الذين يقاومونكم. وقوله: ﴿وَرَابِطُوا﴾ أي بكل ما من شأنه القوة وغلبة الأعداء كالطائرات الحربية والدبابات والصواريخ وغيرها. وكما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر ولحفظ الأنفس ورعاية الحق والعدل والفضيلة بأمرين:

أحدهما: إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة.

ثانيها: مرابطة قواتهم في ثغور بلادهم وحدودها وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها، إذا فاجأها العدو على غرة قوامه الرجال المزودون

بالأسلحة الحديثة والمدربون عليها لسرعة حركتهم وقدرتهم على الجمع بين القتال وإيصال الأخبار من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظم الشارع أمر الخيل وأمر بإكرامها، وهذان الأمران هما اللذان تعول عليهما جميع الدول في حروبها إلى هذا العهد الذي ارتفعت فيه الفنون العسكرية وعتاد الحرب إلى درجة لم يسبق لها نظير، بل لم تكن تدركها العقول ولا تتخيلها الأفكار. ومن المعلوم بالبداهة أن إعداد المستطاع من القوة يختلف امتثال الأمر الرباني فيه باختلاف درجات الاستطاعة في كل زمان ومكان بحسبه. وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر: وأنه سمع النبي ﷺ وقد تلا هذه الآية على المنبر يقول: «الا إن القوة الرمي. قالها ثلاثا»، وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل (الحج عرفة) يعني أن كلاً منهما أعظم الأركان في بابه وذلك أن رمي العدو عن بعد بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربة. واطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يرمي به العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيارة أو بندقية أو مدفع وغير ذلك. وإن لم يكن كل هذا معروفاً في عصره ﷺ، فإن اللفظ يشمله، والمراد منه يقتضيه ولو كان قيده بالسهام المعروفة في ذلك العصر فكيف وهو لم يقيده وما يدرينا هل الله أجراه على لسان رسوله مطلقاً ليدل على العموم لأمته في كل عصر بحسب ما يرمي به فيه، وهنالك أحاديث أخرى في الحث على الرمي بالسهام لأنه كرمي الرصاص في هذه الأيام على أن لفظ الآية أوَّلَ على العموم، لأنه أمر بالمستطاع وجه إلى الأمة في كل زمان ومكان، كسائر خطابات التشريع حتى ما كان منها وارداً في سبب معين. ومن قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها

والبنادق والذخائر والدبابات والطيارات الحربية والمناطيد، وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها الغواصات التي تغوص في البحر. ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بدليل ما لا يتم الواجد المطلق إلا به فهو واجب.

وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية كصناعات آلات القتال.

وهذا الإعداد المستطاع من القوة الحربية الشاملة لجميع عتاد القتال، وما يحتاج إليه الجند المرابطون في الثغور وأطراف البلاد، كل ذلك يكون لمقصد أعلى وهو ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠.

قال الفخر الرازي: إن الكفار إذا عملوا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة:

أولها: أنهم يرهبون دخول دار الإسلام.

ثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان.

ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار.

وخامسها: أن يصير ذلك سبباً لمزيد العزة في دار الإسلام.

ولا يفوتني وأنا في صدد ذكر أسباب النصر على الأعداء، ووسائل الظفر على الطغاة أن أذكر أن التقوى والتخوف من الذنوب واجتناب معاصي الله، أكبر عدة للمؤمنين وأقوى سلاح لهم على أعدائهم. فهذا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لقائده سعد بن أبي وقاص لما أرسله إلى فتح بلاد فارس: أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة على الحرب.. وآمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم.. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحبوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا.. فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً.. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.. أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم.

فهذا الإعداد المادي وقوة الإيمان وتقوى الله في السر والعلن انطلق سلفنا الصالح وخرجوا من الجزيرة فاخترقوا صفوف الأمم وجالوا ديارها وصالوا فيها. فلا دفعتهم أبراج المجوس وخنادقهم، ولا صدتهم قلاع الرومان ومعاقلهم، ولا عاقتهم صعوبة المسالك وقلة الوسائل. ففي بضع سنين كسروا شوكة الدول العظيمة، وقهروا الأمم الكبيرة، ومكنوا في نفوسها نشر عقائد دينهم وأخضعوها لأوامرهم وعاداتهم وشريعتهم كل ذلك حصل في وقت قصير لم يحصل لغيرهم. نعم، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم مجداً في الدنيا وسعادة في الآخرة.

ولما ترك المسلمون نهج سلفهم، وتكالبوا على الدنيا، ونسوا معاني الجهاد السامية، وذهلوا عن إعداد القوات لرفع كلمة الله، خسروا الدنيا والآخرة، وأصبحت بلادهم منهوبة وأموالهم مسلوبة. وتغلب أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية شعباً شعباً، وتقاسموا أراضيها قطعة بعد قطعة، ولم يبق لها كلمة تسمع ولا أمر يطاع، فلا حول ولا قوة إلا بالله - ولا مندوحة للخروج من هذا الذل إلى العز، ومن الضعف إلى القوة، إلا بالعمل الجاد والسير الحثيث، وإعمال الفكر وإعداد القوات بجميع أنواعها، ومختلف أشكالها، مع قوة الإيمان وتطبيق الشريعة قولاً وعملاً، كما فعل سلفنا الصالح، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.[1]



(١) مجلة (الحرس الوطني) عدد رقم (١) رجب ١٤٠٠هـ.

الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي أرسل رسوله مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً، دعا إلى الله على بصيرة وبحكمة ولين فبلغ الرسالة. وأدى الأمانة وفتح الله به أعيناً وآذاناً صماً وقلوبنا غلفا.. أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الخيرة والضلال إلى طريق الحق والهدى (صوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد):

فلا شك أن الدعوة إلى (توحيد الله، وعبادته، وارشاد الخلق إلى الصراط السوي): هي وظيفة (المرسلين)، وأتباعهم (الهداة المصلحين، والدعاة الناصحين)، الذين يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون (بكتاب الله) الموتى ويبصرون (بنور الله) أهل العمى.. فكم من قتيل لأبليس قد أحبوه؟ وكم من ضال تائه قد هدوه؟

فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم.. دعو الناس إلى ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم، ودعوهم إلى ما فيه الخير والسعادة وحذروهم من السقوط في مهاوي الشرور والشقاء، وحرروا العقول من رق الأهواء والشهوات، وطهروا النفوس من أدران النقائص والرذائل.

ومعلوم أنه ما قام دين من الأديان - ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادىء إلا بالدعوة، ولا هلكت أمه في الأرض، إلا بعد أن أعرضت عن الدعوة أو قصر عقلاؤها في الأخذ على يد سفهائها، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها إلا بترك الدعوة.

فإذا أهملت الدعوة فشت الضلالة وشاعت الجهالة وخربت البلاد وهلك العباد.. فنعوذ بالله أن يندرس من هذا القطب عِملَه وعَلَمه وأن ينمحي حقيقته ورسمه.

وقد علم بالاضطرار من دين (الرسول ﷺ)، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله - كما أمر النبي ﷺ بذلك (معاذاً) حين بعثه إلى (اليمن). فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال.. وقد قام الرسول ﷺ بالدعوة إلى الله صابراً محتسباً كما أمره الله بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ سورة الحجر. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة يوسف الآية ١٠٨.

فكان يغشى الناس في مجالسهم في أيام المواسم ويتبعهم في أسواقهم فيتلو عليهم القرآن ويدعوهم إلى الله عز وجل ويقول : «مَنْ يُؤيني وَمَن يَنْصُرني حتى أُبَلِّغَ رسالات ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً ينصره ولا يؤويه ولم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له خائفاً من عشريته وقبيلته يؤذى غاية الأذى وينال منه وهو صابر على ذلك.. وأقام صلوات الله وسلامه عليه على هذه بضع

عشرة سنة: قال أبو قيس (صرمة أين أبي أنس الأنصاري) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم يرد اعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسروراً بطيبة راضيا

والقرآن الكريم ينزل على الرسول ﷺ مبيناً حال الرسل المتقدمين مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجاة والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ليكون له بهم أسوة فتتسلى نفسه ويطيب قلبه وتهون عليه جميع المصاعب. ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ سورة هود الآية ٢٠.

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ سورة الأنعام الآية ٣٤. ومعلوم من سنة الله في خلقه: أن الحق يتصارع مع الباطل وأنه لا بد أن يقبض الله للحق أعواناً يدافعون عنه ويكتب لهم الغلبة والفوز مهما كان للباطل من صولة.

كما أن من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين: ظهور المعارضين لهم من أهل الأفك المبين، كما قال تعالى:

﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ سورة الانعام الآية ١١٢.

وذلك أن الحق إذا جحد وعروض بالشبهات أقام الله تعالى له على يد من يشاء من عباده مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات والبينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه

من الحجج الداحضة.

فبالدعوة إلى الله يتبين الهدى من الضلال والصدق من المحال والغي من الرشاد والصلاح من الفساد والخطأ من السداد.

ذلك أن الدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين وقوى به اليقين وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

والدين (الباطل) إذا جادل عنه المجادل ورام أن يقيم عوده - المائل - أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ويبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق.. وظهر فيه من القبح والفساد والتناقض ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أهل الضلال حتى يظهر به من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد ويتنبه بذلك من كان غافلاً من سنة الرقاد ممن لا يميز الغي من الرشاد.

وكان (الخاصة من الصحابة): متكاتفين في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة ممتثلين قول الرسول ﷺ : (بلغو عني ولو آية)... وقوله ﷺ : «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع».

قال البغوي:

والأمر عام في حق أهل زمانه ومن جاء بعدهم ولا وصول إلا من بعدهم إلا بالتبليغ..أ هـ.

فألقوا إلى من بعدهم ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً قائلين: (هذا عهد نبينا الينا وقد عهدنا اليكم، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم).

أسلوب الدعوة وما يجب أن يكون عليه الداعي

وينبغي «للداعي» أن يكون قوله للناس ليناً ووجهه منبسطاً طلقاً، فان تليين القول مما يكسر صورة عناد «العتاة» ويلين عريكة «الطغاة».. فالداعي: أياً كانت منزلته وأياً كان عقله وعلمه ليس بأفضل من «موسى - وهارون»، ومن وجهت إليه الدعوة ليس «بأخبث» من «فرعون»؟ وقد أمرهما الله «باللين» معه في قوله: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ سورة طه الآية ٤٤. وقال في موضع آخر: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ سورة النازعات.

ويقول (الرب) تبارك وتعالى في حق سيد المرسلين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٥٩. أي لو كنت خشناً جافياً في معاملتهم لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك، ولم يتم أمرك من هدايتهم وارشادهم إلى الصراط السوي.

ذلك أن المقصود من «الدعوة إلى الله»: تبليغ (شرائع الله إلى الخلق ولا يتم ذلك: إلا إذا مالت القلوب إلى «الداعي» وسكنت نفوسهم لديه، وذلك أنما يكون إذا كان الداعي «رحيماً كريماً»، يتجاوز عن ذنب المسيء ويعفوا عن زلاته ويخصه بوجوه البر والمكرمة والشفقة).

كما ينبغي «للداعي» أن لا يعنف على أحد أو يعلن له بالفضيحة ويشهر باسمه على رؤوس الملأ فان ذلك أبلغ من قبول الدعوة واحرى إلى الاستجابة والانصياع.

نماذج من دعوة الرسول ﷺ

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه لا يواجه أحداً بما يكره. وكان إذ بلغه عن أحد من شيئاً يقول (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ وما بال رجال يفعلون كذا) (ولا يعينهم خشية أن يحصل لهم خجل أو استحياء بالتعيين بين الناس ويكفيهم ذلك في النهي).

أخرج الامام أحمد في مسنده باسناد جيد: عن أبي أمامة رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به؟ فقال النبي ﷺ ادْنُ: فدنا حتى جلس بين يديه فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا - جعلني الله فداك قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟ قال: لا - جعلني الله فداك. قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟ - وزاد ابن عوف أحد رواة الحديث أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في ذلك: لا - جعلني الله فداك. وهو يقول كذلك الناس لا يحبونه.. فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: (اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه وحصن فرجه، فلم يكن شيء أبغض منه اليه «يعني الزنا»).

قال شيخ الإسلام:

ينبغي أن يكون الداعي حليماً صبوراً على الأذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال «لقمان لابنه»: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ سورة لقمان الآية ١٧.

ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصبر كقوله لخاتم الرسل ﷺ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ سورة المدثر الآية ٧.

فقرن الصبر ببدء تبليغ الرسالة، فان أول ما أنزلت عليه سورة (المدثر) بعد أن أنزلت عليه (اقرأ) بها نبيء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ سورة المدثر.

فافتتح آيات الأرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة وختمها بالصبر.. ونفس الانذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر وقال:

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ سورة المزمل الآية ١٠.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ سورة النحل الآية ١٢٧. وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾. سورة الأحقاف الآية ٣٥.

وفي قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. سورة النحل الآية ١٢٥.

... أي: ادع إلى سبيل ربك بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة، والموعظة الحسنة - أي: العبر اللطيفة، والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.. أي: جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وحسن الخطاب من غير عنف، فان ذلك أبلغ في تسكين لهبهم، وفي الآية الحق على الانصاف في المناظرة واتباع الحق، والرفق والمداراة

على وجه يظهر منه أن القصد اثبات الحق وازهاق الباطل وأن لا غرض للداعي سواه.

قال ابن القيم «رحمه الله تعالى» على هذه الآية:

ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها (ثلاثة أقسام) بحسب حال المدعو: فانه أما أن يكون طالباً للحق محباً له مؤثراً له على غيره إذ عرفه.. فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وأما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وأما أن يكون معانداً معارضاً: فهذا يجادل بالتي هي أحسن: فان رجع والا انتقل معه إلى الجدال أن أمكن.

قال (بعضهم) : ينبغي للداعي أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم في بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الاحسان والاساءة، ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة، ويفهمونها ويزيد بياناً للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها. كما كان حال الرسل مع أممهم فانهم بعد دعوتهم قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كانوا يعالجون الأمراض الاجتماعية الفاشية في أممهم، فنرى نوحاً وهوداً وصالحاً وإبراهيم يهتمون كثيراً بالتوحيد والقضاء على الشرك بشتى الوسائل.. لأن (الوثنية) كانت متسلطة على عقول قومهم... ونرى لوطاً عليه السلام جعل همه في القضاء على الفاحشة اللواطة لافتتان القوم بها وفشوها عندهم حتى ألفها الناس وأصبح التنزه منها معدوماً بينهم وذلك منتهى الانحطاط والانحلال الخلقي، وترى شعيباً عليه السلام بعد دعوة قومه إلى التوحيد ينهاهم عن نقص الكيل والوزن ويأمرهم بايفائها لانتشار الغش بينهم، وهكذا بقية الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وجوب تبليغ الدعوة والقيام بها

جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة بالحث على «الدعوة إلى الله»، وبيان وجوبها، وما للداعي فيها من الأجر.. والآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج - الذين هما ركنان من اركان الإسلام الخمسة: فالدعوة إلى الله - من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، بها يكمل نظام الشريعة ويرتفع شأنها والله سبحانه وتعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، كما في قوله تعالى:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة التوبة الآية ٦٧.

فدل على أن أخص أوصاف المؤمن: ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - «ورأسها» الدعوة إلى السلام.

وقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً في الأمم المتقدمة كما في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ سورة المائدة الآية ٧٨.

(أي) : لا ينهى بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر من ارتكاب مثل الذين ارتكبوه - فقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ سورة المائدة الآية ٧٩، مؤكداً (بلام القسم) تقبيحاً لصفتهم وتحذيراً من سوء فعلهم.. وقوله سبحانه في صفة نبينا محمد ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ سورة الاعراف الآية ١٥٧.

هو بيان لكمال رسالته، فانه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه - بكل معروف ونهي عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث - وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها حيث قال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١١٠.

قال أبو هريرة رضي الله عنه:

«كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة».

فبين سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم احساناً اليهم، لأنهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر... فهذه الخيرية لا تثبت لهذه الأمة، إلا إذا حافظت على هذه الأصول الثلاثة: فإذا تركتها لم تكن لها هذه المزية، وقد أكد الأمر بهذه الفريضة في آيات كثيرة بما لم يعرف له نظير في الكتب السابقة.. وقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على (الإيمان) بالله في الذكر مع أن الإيمان مقدم على كل الطاعات، لأنهما سياج الإيمان وحفاظه، فكان تقديمها في الذكر موافقاً للمعهود عند الناس في جعل سياج كل شيء مقدماً عليه.

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٠٤.

ففي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان

قوله تعالى: ﴿ولْتَكُن﴾.. أمر وظاهر الأمر: الايجاب، وفيها بيان: أن الفلاح منوط به اذ حصر، وقال:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ سورة العصر.

فحكم الرب تبارك وتعالى بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإيمان - والعمل الصالح - والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور منها الدعوة إلى (الدين) والنصيحة (للمسلمين).

قال ابن القيم:

وبيان ذلك: أن المراتب (أربعة) وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

احداها : معرفة الحق.

الثانية : عمله به.

الثالثة : تعليمه من لا يحسبنه.

الرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة وأقسم سبحانه في هذه السورة (بالعصر) ان كل أحد في خسر إلا - الذين آمنوا : وهم: الذين عرفوا الحق وصدقوا به، فهذه مرتبة، وعملوا الصالحات: وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه أخرى وتواصوا بالحق: وصى به بعضهم بعضاً تعليماً وارشاداً.. فهذه مرتبة ثالثة، وتواصو بالصبر: صبروا على

الحق ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات.. فهذه مرتبة رابعة... وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وكماله باصلاح قوتيه - العلمية والعملية: فسلاح القوة العلمية: بالإيمان، وصلاح القوة العملية: بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل... (وأما السنة): فقد رغب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمته إلى الهدى والدلالة على الخير والنصح للمسلمين كما في (صحيح مسلم) عن أبي مسعود عقبة ابن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». وفي (صحيح مسلم) أيضاً عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً».

وفي (الترمذي) عن : بلال بن الحارث: أنه قال ﷺ: «من أحيا سنة من سنني قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم».

أيها الأخوة الكرام والعلماء الأفاضل:

ما مدح الله (أهل العلم) بما مدحهم به، إلا لأنهم ورثة الأنبياء، يبلغون الشرائع للناس ويوضحون طرق الفلاح والنجاح وأسباب السعادة والعزة في هذه الدار:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾سورة المنافقون الآية ٨.

لقد علمتم ما قال الله في (ذم من لم يقم بواجبه)، ولم يؤد ما عليه

لدينه وأمته من الدعوة والارشاد والعظة والتذكير والانذار بسوء العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨٧.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة البقرة.

فاذا هم فعلوا ذلك كثر في الأمة الخير وندر فيها وقوع الشر وائتلفت قلوب أهليها وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وسعدوا في دنياهم وآخرتهم... ولن يتم ذلك إلا إذا أعد أهلها للأمر عدته وكملوا أنفسهم بالمعارف والعلوم التي تحتاج اليها الأمم التي تبغي السعادة والرقي وتخلقوا بفاضل الأخلاق وحميد الصفات حتى يكونوا مثلاً عليا تحتذى.

هذا وأسأل الله لنا ولكم الاعانة والتوفيق والدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يثبتنا وإياكم على الحق إلى أن نلقاه.[1].

(١) مجلة (البحوث الإسلاميَّة) بتاريخ ١٣٩٥هـ

الإسلام دين المجد والقوة

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن مسئولية الشعوب الإسلامية، نحو إسلامها، نحو مستقبلها، أمر ليس بالهين، هو موضوع حساس، لأن المسلمين لو تمسكوا بدينهم. أمراً ونهياً لكانوا أعز الأمم، وأسعد الناس، فقد كان سلفنا الصالح، رضي الله عنهم مع الله فكان الله معهم، وكانوا ينصرون هذا الدين ويعملون وفق كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، فحق لهم الأجر في الدنيا، والثواب في الآخرة، لأنهم أخضعوا أنفسهم لأوامر القرآن ونواهيه، وكان نتيجة ذلك أنهم أخضعوا الأمم العاتية لأوامر القرآن، وتعاليم الإسلام، وبلغت ممالك الإسلام شرقاً وغرباً، ما لم تبلغه أمة من قبل، في مدة وجيزة يسيرة، فقد بلغ ملك الأمة الإسلامية غرباً إلى البحر الأطلنطي. وشرقاً إلى الصين، وصارت الأمة الإسلامية أمة واحدة، يحمل أفرادها جوازاً واحداً مع إختلاف لغاتهم وتباين بلادهم جوازهم هو شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قوة المسلمين في تمسكهم بالشريعة

إن الشعوب والحكام، لما قاموا بواجباتهم، وأخضعوا من سواهم، لأوامر القرآن ونواهيه، كما هو وارد في كتب التاريخ، وكتب السيرة، يعملون بالقرآن والسنة، ولا يحيدون عن العمل بهما، لا في أنفسهم، ولا في أموالهم، ولا في أموال وأنفس الرعايا، بل أقاموا الحدود، وأنصفوا المظلوم، وأمنوا السبيل، فأصبحوا أرقى الأمم، وأعز الناس.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قد مهد البلاد، وفتحها، وأخضع الناس لأوامر القرآن، عندما دخل المسلمون العراق، وفتحوا البلاد الواحدة منها تلو الأخرى، وكان ذلك بقيادة سعد بن أبي وقاص، وتوالت الفتوحات الإسلامية لدرجة صار معها رستم يتنقل من بلد إلى آخر حتى أعياه الأمر فكتب إلى ملك فرغانة كتاباً يقول فيه: «إن شرذمة قليلة من بلاد العرب دهمت بلادنا ونهبت أموالنا، الغوث الغوث، قبل أن يصل إليك الخطر».. ذهب الرسول بهذا الكتاب إلى ملك فرغانة في الصين، فلما قرأ الكتاب، انزعج ودعا الرسول وقال: ويحك، ما هذه الشرذمة القليلة التي دهمت البلاد، ماذا يريدون منكم؟ قال: يقولون اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهون عن عبادة الأوثان، ويعملون على صلة الأرحام.

قال : هل يبرون إذا وعدوا؟ قال: نعم.

قال: وما هي عبادتهم؟ قال: خمس صالوات في اليوم والليلة، وإذا وجبت الصلاة قاموا يؤدونها صفوفاً متراصة خلف إمامهم.

قال: إرجع إلى رستم فقل له يصالح القوم، فإنهم لا طاقة لي - والله - بهم.

والله لو حاربوا الجبال لزحزحوها عن أمكنتها ما داموا على هذه الحالة، إنه والله دين من تمسك به ساد، ومن ضيعه ضاع.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ تجادله امرأة فعندما نهى عن المغالاة في المهور، قالت له: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ سورة النساء الآية ٢٠.. قال ويل عمر، كلٌّ أفقه من عمر، أخطأ عمر، وأصابت امرأة.

وقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: يا عمر اتق الله!، فبكى عمر، ثم وضع خده على الأرض، قيل له ما هذا يا عمر... يا أمير المؤمنين؟

قال أخشى أن يتناولني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ سورة البقرة الآية ٢٠٦.

هذا هو شأن عمر رضي الله عنه، وشأن المسلمين غيره، عثمان وعلي رضي الله عنهم ومن بعدهم وقبلهم من ملوك المسلمين، قاموا بواجبهم، فامتنع المنكر وظهر الخير.

حال المسلمين اليوم

لكن ما لبثت هذه الأمة أن انحرفت، وأن ضيعت فضاعت، لقد أصبحت غثاء كغثاء السيل لا خير فيها، البعض منا افتتن بعبادة القبور، والبعض الآخر افتتن بالأولياء، وألف البعض المؤلفات العديدة، وتعلقوا بالخرافات والأوهام فحل بهم ما نرى من الذل، وما ذل إلا لبعدهم عن الله.

ومن هذه الخرافات والأوهام، التي تعلقوا بها مما لا يخطر ببال عاقل أنهم قالوا: إن أبي بن مسالم - وهو رجل صالح كان في بعض نواحي الموصل، في القرن الخامس - كان إذا قام للصلاة، يسمع لمخ رأسه قعقعة كقعقعة الحصى في رؤوس الجبال!!! هل هذا معقول؟ هذا لا يمكن، ولا حتى في حق سيد الخلق أجمعين أن يسمع لمخ رأسه قعقعة عندما يصلي إلا أنهم افتتنوا به، صاروا يعبدونه ويحجون إلى قبره.

ومما يحكى كذلك عن رجل صالح آخر من أئمة الحنابلة وما ألقوا فيه من مؤلفات، حيث جعلوه شريكاً لله يعبدونه، هذا هو شأن الأمة الإسلامية، وهناك كثير من المسائل، لا أستطيع أن أذكرها، من باب الاستحياء والخجل، لكن لا بأس لو أشرت إلى بعضها.

فمما قالوه في ذلك، أن امرأة عجوزاً مات ولدها، فجاءت تبكي وتنوح، وتقول يا عبدالقادر، ولدي... ولدي... يا عبدالقادر، وبينما كان عبدالقادر يطوف حول الكعبة، إذ حضر ملك الموت ومعه جراب فيه أرواح الموتى، فقام فشقه، فتطايرت الأرواح إلى الأجساد فقاموا من قبورهم.. انظروا إلى هذه الخرافات وتلك الأوهام التي حلت في المجتمع الإسلامي محل الاستقامة، ومحل القرآن والسنة.

قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ سورة النساء الآية ٣٦.

وهكذا تعلقت الأمة الإسلامية بالخرافات والأوهام والبدع، وانتشرت الطوائف كالقاديانية، والتيجانية، والنقشبندية، والبهائية، وصارت الأمة

الإسلامية إلى ما هي عليه بسبب عزوفها عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبعدها عن أوامر الله سبحانه وتعالى.

واعتقد أن الحاكمين والمحكومين لو تضافروا وساهموا وساعدوا على القيام بما يجب عليهم نحو دينهم - والله - لن يضرهم أي شيء أبدا، فإن من كان مع الله كان الله معه.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة الحج الآية ٤٠.

هذا وعد ولن يخلف الله وعده.

وهذا محمود الغزنوى - كان رجلاً صالحاً - تولى الملك في بلاده ولم يكن يسمح بأي منكر يحدث فيها، إلا وقام بمنعه، كما أنه قد فتح بلاد الهند رغم اتساعها وعظمها واستولى على صنمهم الكبير الذي كانوا يعبدونه، فبذلوا معه المحاولات وانفقوا المال الكثير ليترك لهم هذا الصنم، وراودته نفسه أن يأخذ هذا المال ليستعين به على الجهاد في سبيل الله. إلا أنه قال: لا أدري ما عند الله بعد أن ولاني بلادهم ومكنني من صنمهم أن أخذ عنه بديلاً من المال. لا والله. وأزال هذا الصنم وكسره.

ومما روى كذلك عن هذا الرجل، أن رجلاً أتاه فقال له: أيها السلطان أنا مظلوم، قال له ويحك - ومن ظلمك - قال: إن رجلاً يأتي مدججاً بالسلاح بعد صلاة العشاء فيخرجني وينام مع زوجتي، قال: ويحك، إذا جاء هذا الرجل إليك فاتركه وأحضر إليَّ، قال الرجل: ومن يوصلني إليك وعندك حجاباً: قال أخبرهم أنك متى جئت يدخلوك عليَّ.

وبعد ليلتين جاء الرجل فطلب السلطان، فأخبره بأنه نائم، ولا يأتيه أحد في مثل هذ الوقت.

قال: ألم يقل لكم إذا جاءني هذا الرجل فأدخلوه عليَّ؟

قالوا : نعم، فدخل الرجل على السلطان فقال:

أيها السلطان إن الذي أخبرتك به لواقع الآن عند زوجتي.

فأخذ السلطان سلاحه، ولم يبعث أحداً من الشرطة أو غيرهم، وذهب مع الرجل بنفسه فرأى الرجل نائماً بجانب المرأة، وعند رأسه سراج يتقد فأطفأه وقتل الرجل.

ثم قال السلطان للرجل، ويحك، آتني بشربة ماء، فجاءه بالماء فشرب ودعا له وقال أيها السلطان، لقد أيدتني ونصرتني جزاك الله عني وعن نفسك وعن الإسلام خيراً، إلا إن لي حاجة؟ فقال له السلطان: وما هي؟ قال: ما دمت عازماً على قتل الرجل فلم أطفأت السراج؟

قال : ويحك... إنه ابن أختي، لم أرد أن أقتله وأنا أنظر إلى وجهه، قال: ولم طلبت الماء؟ قال: ويحك والله منذ جئتني وأخبرتني بظلامتك، عاهدت الله ألا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أنصرك، فمن ذلك الوقت ما طعمت طعاماً ولا شربت شراباً.. فدعا له الرجل بالخير، وقد كانت مملكته في زمانه من أحسن البلاد، فلم تهزم له راية، وكل هذا ببركة الإسلام.

هذا عن الحكام، أما المحكومين أو الشعوب، فقد قال الحق تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن

تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ سورة النساء الآية ١٣٥.

وقال أيضاً: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة التوبة الآية ١٠٥.

فلو أن كلاً منا قام بما عليه من واجبات والتزامات أمراً ونهياً بحيث إذ رأى المنكر أو ما يخالف شريعة الله نبه إليه وهدى إلى الخير، نعم لو حدث هذا لاستقر الخير فينا وامتنع الشر بين المسلمين.

ونظرة سريعة على المجتمع الإسلامي!! يا للأسف... يا للمصيبة... ما هي إلا مجاملات وافتراءات وصد عن سبيل الله وترك العمل بأوامره واجتناب نواهيه، وأن من انتهكها لم يأت بأي شيء ولم يفعل جريمة.

قال تعالى في حق ولاة الأمور: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة الحجر الآية ٩٤.

وهو أمر عام للحاكمين والمحكومين، خاطب به الحق جل وعلا رسوله محمداً ﷺ فلو تضافرت جهودهم فإن الخير بالتالي سيعم بلادهم ويعظم سلطانهم ويعز انتصارهم ولن تهزم لهم راية، قال عز من قائل:

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ سورة النساء الآية ١٤١.

لن يكون للكافر سلطان على المؤمن بأي حال. وهناك العديد من الآيات التي تؤكد ذلك، كما جاء في وعد الله تعالى عباده المؤمنين، حيث قال سبحانه:﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران ١٣٩.

وكما في قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة النور الآية ٥٥.

وقوله :

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ سورة المنافقون الآية ٨.

حقيقة نجد - الآن - أن المسلمين أضعف الأمم، بل وأحطها، فثرواتها تنتهب، وأرضها يحتلها أعداؤها ويتساءل البعض أين وعد الله؟ نقول هل نحن مؤمنون...؟ هناك صفات قررها الله، فقال جل وعلا:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ سورة الأنفال.

من هو المؤمن؟ هو الذي إذا ذكر الله اذل القلب، وخشع لله سبحانه وتعالى هيبة وإجلالاً، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً.

والقرآن حافل بالعديد من الآيات التي توضح ذلك، قال سبحانه:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنفال الآية ٦٠.

وقال جل شأنه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ سورة النساء الآية ٧١.

فمسئولية الشعوب الإسلامية في أن تعي طريقها إلى الإيمان وتعرف واجبها نحو دينها وإسلامها، وأنه على كل فرد فيها أن يقوم بما عليه من مسئوليات وواجبات تجاه نفسه من ناحية ونحو أسرته ومجتمعه من ناحية أخرى، كل بحسب مقدرته واستطاعته، حتى تتحقق لهم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..[1]

(١) ندوات وزارة الحج والأوقاف لموسم حج ١٣٩٩هـ.

التعريف بمذهب المعتزلة

لسماحة الشيخ عبدالله بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الأستاذ الفاضل علي بن حسين السعيدي. دولة البحرين... سلمه الله.

سلام عليكم ورحمة الله بركاته وبعد..

وصلني خطابكم المتضمن لطلبكم الجواب:

عما حصل بينكم.. وبين بعض الأساتذة لديكم عن المعتزلة واصولهم.. نقول:

... المعتزلة هم فرقة يرأسهم عمرو بن عبيد.. وواصل ابن عطاء الغزال.. سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله في أوائل المائة الثانية.. وكانوا يجلسون معتزلين.. فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.. وقيل إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة.. وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري.. فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهديل كتابين وبين مذهبهم.. وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها.. العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العبد، وإرادة الكائنات على شيء.. ومنهم من يذكر تقدم العلم، والكتاب لكن

هذا قول أئمتهم.. فعلى هذا يكون الله غير عالم بالشيء قبل وقوعه.. ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه مالا يريد.. فيريد الشيء فلا يكون، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله تعالى عن ذلك.

وأما التوحيد عندهم فهو القول بخلق القرآن إذ لو كان غير مخلوق.. لزم تعدد القدماء.. ويلزمهم على هذا القول الفاسد.. أن علمه.. وقدرته.. وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض.. وهذا إلحاد في أسماء الله وآياته حيث نفوا عنه ما وصف به نفسه.. ووصفه به رسوله ﷺ. من الصفات العظيمة والنعوت الجليلة.

وأما إنفاذ الوعيد عندهم.. فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم.. ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد.. فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد عندهم.. وأن فساق الملة مخلدون في النار.. لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج.. وهذا باطل بنصوص القرآن، والسنة... كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ سورة النساء الآية ٤٨.

.. وأحاديث شفاعة النبي ﷺ فيمن استحق النار إن لا يدخلها.. وفيمن دخلها إن يخرج منها إلى غير ذلك.

... واما المنزلة بين المنزلتين فعندهم، ان من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وان الفاسق لا يسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، كما لا يسمى كافراً.. فنزلوه بين منزلتين.. وهو عندهم مخلد في النار.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فهو انهم قالوا علينا أن نأمر

غيرنا بما امرنا به وأن نلزمه بما يلزمنا.. وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه انه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا.. وهذا اصل فاسد وخطأ واضح فنصوص رسول الله ﷺ تدل على وجوب السمع والطاعة لائمة المسلمين ما لم ير منهم كفر ببواح فيه من الله برهان ولما يترتب على الخروج على الائمة من سفك الدماء وانتهاك الاعراض وانتهاب الأموال وتفريق كلمة المسلمين.. وانتقاص عرى الإسلام عروة.. عروة.. والله أعلم.(١)



(١) مجلة (التوعية الإسلامية) ذو القعدة ١٤٠٢ ولعل هذا المقال منقول من أحدى مقالات الشيخ القديمة لأن هذا الشهر ذو القعدة هو الشهر الذي توفى فيه رحمه الله وقد أشتد عليه المرض بعد عيد الفطر عام ١٤٠٢هـ وخصوصاً في هذ الشهر.

مراسلات الشيخ محمد الجراح مع الشيخ عبدالله بن حميد رحمهما الله

لم يقتصر شيخنا محمد الجراح على مراسلة العلامة االشيخ عبدالرحمن السعدي بل كان أيضاً حريصاً على مراسلة العلامة عبدالله بن حميد لمكانة هذين العالمين الجليلين، فالحكمة ضالة المؤمن المحب لطلب العلم والاستزادة. وبالنظر إلى تاريخ مراسلاته مع الشيخ عبدالله بن حميد يجد المطّلع أنها تتقارب وتتوافق مع مراسلاته التي كانت مع العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي، بل وتناولت نفس المسائل، مما يدل على حرص الشيخ محمد على التعرف على آراء وفتاوى العلماء في المسألة الواحدة لتقريب الفهم، والإكثار من الأدلة، وزيادة اليقين.

وفي الحقيقة أن الموجود بين أيدينا ردود الشيخ عبدالله بن حميد على رسائل الشيخ محمد الجراح لأنه لم يحتفظ بنسخ لرسائله، غير أنه قد أوجز ملخصاً لأسئلته أسفل كل خطاب، كما فعل في خطابات العلامة ابن سعدي لما أرسلها إلى آل سعدي، وكما فعل عندما أرسل خطابات العلامة ابن حميد إلى الشيخ صالح بن حميد كما بينا آنفاً[1].

---

(١) قمت بإرسال خطاب إلى الشيخ د. صالح بن حميد حفظه الله أسأله فيه إن كان في معيته رسائل شيخنا محمد الجراح إلى والده العلامة الشيخ ابن حميد يرحمه الله، وقد قام أخي محمد بن ناصر العجمي بتوصيل هذا الخطاب وسلمه باليد إلى الشيخ صالح وذلك قبل صلاة الفجر عند البيت الحرام في ١٥ شوال ١٤١٧هـ. د/ وليد المنيس.

جميع الهوامش في هذه المراسلات من اعداد د/ وليد المنيس وفقه الله وليست بقلمي.

رد العلامة الشيخ عبدالله بن حميد على الرسالة الأولى من الشيخ محمد الجراح المتضمن إجابته عن مسألة مصارف بيت المال ومسألة تشكيل إدارة للأوقاف

وتتضمن رسالة شيخنا سؤالين؛ الأول: عن مصارف بيت المال، والثاني: عن دائرة الأوقاف، وهي تشبه ما أرسله إلى الشيخ ابن سعدي في الرسالة الأولى، وقد أجابه العلامة ابن حميد بما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، حرر في ١٠ رجب سنة ١٣٦٨هـ:

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى جناب الأخ المكرم والأحشم محمد بن سليمان بن جراح سلمه الله تعالى وهداه، وأصلح له أمور دينه ودنياه، آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتابكم المكرم وصل، وصلك الله إلى ما يرضيه، وما أشرت إليه من جهة المسألتين اللتين سألت عنهما، الأولى إذا كان مال بيت المال المجتمع فيه من حِلِّه وغير حِلِّه كمكوس ونحوها فهل يجوز لأرباب الوظائف الدينية أخذ مرتباتهم منه والحالة هذه أم لا.

الجواب - إذا رتب ولي الأمر ذلك للفقهاء والعلماء وغيرهم جاز لهم أخذه إذا جَهِلَ مستحقُّها، أما لو علم أن هذا المال هو مال زيد مثلاً بعينه لم يجز أخذه، اتفاقاً ذكر هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيميَّة وغيره.

المسألة الثانية: قولكم هل يجوز تشكيل مديرية لأوقاف البلد التي هي على المساجد وأئمتها ومؤذنيها ونحوهم، وهل يجوز لهم مخالفة شروط الواقفين إلى آخره.

الجواب - لا بأس بتشكيل إدارة للأوقاف بقدر الحاجة وتناول

مرتباتهم من ريع الأوقاف المذكورة إذا كانت المرتبات على قدر أعمالهم، وإن الإدارة المذكورة قائمة بحفظ الأوقاف وتنميتها وعمارتها ولا يجوز مخالفة شرط الواقف مثل أن يكون الوقف على إمام مسجد معين أو مؤذنه فيصرف منه إلى غيره، أما لو كان الوقف مثلاً على عمارة مسجد أو فطر صوام ونحوهما فيجوز صرف فاضله إلى عمارة مسجد آخر أو غيره من المصالح العامة، قاله شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيم، وغيرهما، والله سبحانه وتعالى أعلم، هذا ما لزم، بلّغ سلامَنا مَنْ عندكم مِنَ الإخوان، والسلام عليكم.



من فوائد إجابة العلامة الشيخ عبدالله بن حميد على الرسالة الأولى

يستفاد من الإجابة ما يأتي:

١ - يجوز لأرباب الوظائف الدينية أخذ مرتباتهم إذا رتب ولي الأمر ذلك للفقهاء، والعلماء، وغيرهم، إذا جهل مستحقها، ولا اعتبار لمصادره من جهة إذا اختلط من حل ومن غير حل.

٢ - بناء على ما ذكر، فإنه إذا علم أن هذا المال هو مال زيد بعينه لم يجز أخذه اتفاقاً، وذكر هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٣ - لا بأس بتشكيل إدارة للأوقاف بقدر الحاجة وتناول الأئمة والمؤذنين ونحوهم مرتباتهم منها أي من ريع الأوقاف، إذا كانت المرتبات على قدر أعمالهم، وإن الإدارة تقوم بحفظ الأوقاف وتنميتها وعمارتها.

٤ - لا يجوز مخالفة شرط الواقف، مثل أن يكون الوقف على عمارة مسجد، أو فِطْرِ صُوّام، ونحوهما، فيجوز صرفُ فاضلهِ إلى عمارة مسجد آخر أو غيره من المصالح العامة، قاله شيخ الإسلام وتلميذه وغيرهما.

٥ - يلاحظ كذلك تطابق إجابة العلامة ابن حميد مع إجابة العلامة ابن سعدي على الرسالة الأولى التي تناولت نفس الأسئلة تقريباً.



رد العلامة الشيخ عبدالله بن حميد
على الرسالة الثانية
من الشيخ محمد الجراح بشأن جواز تعدد الجمع لحاجة

وتتضمن رسالة شيخنا سؤالا عن جواز تعدد الجُمَع لحاجة، وقد أجاب عليها الشيخ عبدالله بن حميد، بما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، ١٣٧١/٥/٢١:

من عبدالله بن محمد بن حميد، إلى جناب الأخ المكرم الأحشم محمد بن سليمان الجراح، رزقه الله الفهم والتوفيق، وأدرّ عليه سحائب التحقيق آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابكم المكرم المؤرخ ٤ الجاري وصل وصلك الله إلى ما يرضيه، وسَرّنَا إذ أنبأ بصحتكم واستقامة أحوالكم، الحمد لله رب العالمين، رزقنا الله وإياكم شكر نعمه وصرف عنا أسباب سخطه ونقمه، وما ذكرته عن الأصحاب رحمهم الله من أنهم نصوا على جواز إقامة الجمعة في أكثر من موضع في البلد لحاجة كضيق المسجد عن أهله إلى آخره.

الجواب - الحمد لله، نص العلماء رحمهم الله في كل مذهب على جواز ذلك مع الحاجة، كما لو ضاق مسجد الجامع عن أهله، والمراد بأهله هـهنا، هم الذين يغلب فعلهم لها ممن تصح منه، كما ذكره غير واحد من محققي الحنابلة والشافعية وغيرهم، أما تعدد إقامتها في البلد من غير حاجة، فهذا لا يعرف القول به لا عن صحابي ولا تابعي إلاَّ ما يُروى عن عطاء فإن النبي ﷺ كان يُجمّع[1] بالمدينة وبها تسعة

---

(١) أي يصلي الجمعة بالناس.

مساجد سوى مسجده ﷺ، ولم يكونوا يجمّعون في شيء منها، وأهل ذي الحليفة وقباء وأهل العوالي وكانت على ثلاثة أميال من المدينة، لم يكونوا يُجمّعون في عهده وفي عهد الخلفاء بعده إلاَّ في مسجده ﷺ، بل روى الترمذي(١) في جامعه عن رجل من أهل قباء قال: «أمَرَنا رسول الله ﷺ أن نشهد الجمعةَ من قُباء».

قال البيهقي «رحمه الله»: ولم ينقل أن النبي ﷺ أذِنَ لأحد في إقامة الجمعة في شيء من مساجد المدينة ولا في القرى التي بقي بها، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت موسى وإلى سعد بن أبي وقاص وإلى عمرو بن العاص رضي الله عنهم باتخاذ مسجد جامع ومسجد آخر للقبائل، فإذ كان يوم الجمعة انضموا وشهدوا الجمعة في مسجدها.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقام الجمعة إلاَّ في المسجد الأكبر، واستمر عمل المسلمين على هذا إلى آخر القرن الثالث. أيُظن حينئذٍ أنّهم منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

وهذا عمل رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده، وعَملَ به المسلمون في تلك القرون المفضلة، نعوذ بالله ان نقول ذلك، فإن أول جمعة أحدثت في الإسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة على ما ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» هي في أيام المعتضد سنة ٢٨٠ مائتين وثمانين، وسبب ذلك خشية الخلفاء على أنفسهم في المسجد العام فأقاموا جمعة بدار الخلافة من غير بناء مسجد لها، وقد أفتى علماء مَرْو وأئمتها لما أقيم بها جمعتان بإعادة الجمعة ظهراً حتماً احتياطاً لقوله ﷺ : «من أحدث

(١) في أبواب الصلاة باب «ما جاء منْ كم تؤتى الجمعة»، حدثنا عبد بن حميد ومحمد بن مَدُّويه قالا: حدثنا الفضل بن دُكَين حدثنا إسرائيل عن ثُوير، عن رجل من أهل قباء عن أبيه وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: فذكره...، قال الترمذي هذا حديث لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وانظر قال أحد شاكر محقق سنن الترمذي (٣٧٥/٢).

في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] ولقوله ﷺ : «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[2]، والجمعة سميت بهذا لجمعها الجماعات الكثيرة بأن يكونوا جماعة واحدة، وهي من أعظم اجتماعات فروض الإسلام، فإنه ليس في الإسلام مَجْمع أكبر ولا أفرَض منه سوى الاجماع بعرفات، وفي تعطيل المسلمين مساجدهم يوم الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد واستمرارهم على هذا جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن أَبْيَنُ بيانٍ وأدلٌّ دليل على أن الجمعة خلاف سائر الصلوات، وأنها لا تصلى إلاَّ في مكان واحد، ومن قال بجواز تعدد إقامة الجمعة في كل مسجد بدون حاجة كسائر الصلوات تنفيذاً لِهِمّةِ الشارع في التسهيل على هذه الأمة فقوله مردود، لم يؤيده كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول صاحب، وليس عندهم في ذلك أثَارة من علم، فهلاّ قالوا بإقامتها لكل أحدٍ في بيته تسهيلاً وتيسيراً، بل التسهيل والتيسير هو اتباع سنته والتمسك بهديه والاقتداء بأفعاله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3]وقولهم إنّ عدم تعدد إقامتها في زمنه وزمن الخلفاء بعده لما يتولد من إقامتها في موضع آخر من الاختلاف وخشية الخروج على الأئمة. غَيرُ مسلّم، ولو سلم لهم ذلك بأنها علة مؤثرة في عدم تعدد إقامة الجمعة، لتعددت بانتفاء العلة، ولا قائل به من سلف هذه الأمة، فالأحكام لا يجوز إثباتها بالتحكّم بغير دليل، والله سبحانه وتعالى أعلم، وبلّغ سلامنا العيال وكافة المشايخ والإخوان، وأنتم في أمان الله وحفظه والسلام.

(١) متفق عليه، من حديث عائشة رضي الله عنها، ولمسلم «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وأخرجه البخاري في كتاب البيوت باب النجش (١١/٢) ومسلم في كتاب الأقضية باب «نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور» (١٣٤٣/٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث النعمان بن بشير في الإيمان «باب فضل من استبرا لدينه»، وفي البيوع: «باب الحلال بَيّن والحرام بَيّن وبينهما أمور مشتبهات»، و «مسلم (١٢١٩/٣) في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات»، والترمذي (٥١١/٣) في البيوع «باب ما جاء في ترك الشبهات»، وابن ماجه (١٣١٨/٢) في الفتن، «باب الوقوف عند الشبهات».

(٣) صورة الأحزاب: الآية ٢١.

بعض من فوائد إجابة العلامة الشيخ عبدالله بن حميد على الرسالة الثانية

يستفاد من إجابته ما يلي:

١ - نص العلماء في كل مذهب على جواز إقامة الجمعة في أكثر من موضع في البلد لحاجة.

٢ - إن تعدد الجمع من غير حاجة لا يُعرف القول به لا عن صحابي ولا تابعي إلاَّ ما يُروى عن عطاء.

٣ - إن النبي ﷺ كان يُجمّع بالمدينة وبها تسعة مساجد سوى مسجده لم يكونوا يُجمّعون في شيء منها، وكذا في عهد الخلفاء الراشدين مِنْ بعدّه وفي القرون المفضلة.

٤ - إن أول جمعة أُحدثت في الإسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في أيام المتضد سنة ٢٨٠هـ، بسبب خشية الخلفاء على أنفسهم، فأقاموها بدار الخلافة من غير بناء مسجد لها.

٥ - من قال بجواز تعدد إقامة الجمعة في كل مسجد بدون حاجة كسائر الصلوات، فقوله مردود، لم يؤيده كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قول صاحب، ولا أثارة من علم.

٦ - التيسير والتسهيل هو اتباع سنة النبي ﷺ والتمسك بها والاقتداء بأفعاله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

٧ - الأحكام لا يجوز إثباتها بالتحكم بل بالدليل.

الرسالة الثالثة:
رسالة الشيخ ابن جراح
إلى العلامة ابن حميد
في النهي عن تعدد الجمعة[1] إلاَّ لحاجة

وهي من أهم رسائل الشيخ لاحتوائها على الأدلة الدالة على النهي عن تعدد الجمعة لغير حاجة، وقد أظهرت هذه الرسالة رسوخ قدم الشيخ في الفقه والنظر والترجيح والتوجيه، ودلت على علمه وعمق فهمه واستيعابه للمسألة بعد أن اطلع فيها على آراء العلماء وكاتب البعض الآخر فجاءت كالتبر المسبوك، وقد مدحها العلامة الشيخ ابن حميد بعد أن اطلع عليها كما سيأتي في الرسالة الثالثة له فقال فيها «ألفيناها صحيحة المعاني مستقيمة المباني موافقة لما درج عليه سلف هذه الأمة...» إلخ.

وقد كتبها الشيخ في ١٣٧٤/٣/٢٩هـ، أي منذ حوالي ٤٢ عاماً، ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، لما كثر تعدد الجمع لغير حاجة في بلدنا الكويت حررت هذه النبذة من كتب المذاهب الأربعة في حكم تعددها.

قال غير واحد من العلماء: إنما سميت الجمعة لجمعها الخلق الكثير، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيها في كل أسبوع مرة في المساجد الكبار؛

(١) استحوذ موضوع النهي عن تعدد الجمع على كم كبير من مراسلات الشيخ، ولا تكاد مجموعة من أوراقه تخلو من خطاب في هذا الموضوع إلي أن انتهي إلى هذه الرسالة المحررة وهي ربما تكون خلاصة مراسلاته مع العلماء في الكويت وفي الجزيرة العربية في هذه المسألة.

قيل أول من سمّاها جمعة كعب بن لؤي[1] فإنه جمع قريشاً بمكة في يومها وخطبهم وبَشّرهم بمبعث النبي ﷺ وأمرهم باتباعه، وكان يسمى في الجاهلية يوم العَرُوبة. وفرضت بمكة ليلة الإسراء ولم تقم بها لفقد العدد، أو لأن من شعارها الإظهار وكان النبي ﷺ بمكة مستخفياً. وأول جمعة صليت بالمدينة الشريفة قبل الهجرة جمعة أقامها مصعب بن عمير بقرية على ميل من المدينة يقال لها نقيع الخَضِمّات في بني بياضة بطن من الأنصار وكانوا أربعين، والجمع بين هذا وبين قول من قال أول من جَمّع أسعد بن زُرارة هو أن أسعد جمع الناس ومصعباً صلى بهم، فإن مصعباً كان نزيلهم، وكان النبي ﷺ أنفذه أميراً على المدينة وأمره أن يقيم الجمعة فنزل على أسعد فكان يصلي بهم ويُقرؤُهم ويعلمهم الإسلام، وكان يسمى المقريء، وفي البخاري عن ابن عباس أن أول جمعة جُمّعت بعد جمعةٍ في مسجد النبي ﷺ جمعةٌ بجواثا قرية من قرى البحرين[2].

وهي بشروطها فرض عين، والأصل في مشروعيتها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وللجمعة شروط صحة وشروط وجوب، وآداب، ومزايا تطلب في مواضعها. ومن شروط صحتها، أن لا تسبقها ولا تقارنها جمعة أخرى في محلها، حيث لا يشق اجتماع أهل البلد في موضع واحد، فإن شَقّ الاجتماع فعند الحنابلة إذا كان البلد كبيراً يشق على أهله الاجتماع في مسجد واحد أو يتعذر ذلك لتباعد أقطاره أو ضيق مسجده عن أهله كبغداد وأصبهان ونحوهما من الأمصار الكبار جازت إقامة الجمعة فيما

---

(١) (١) انظرر الفتح (٢/٣٥٣).

(٢) البخاري (٢/٦) الطبعة السلطانية، والفتح (٢/٩/٣٧٩)، «ببجواثى» هكذا، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٩.

يحتاجون إليه من جوامعها، فإن حصل الغنى باثنتين لم تجز الثالثة، وكذلك ما زاد، وهذا قول عطاء، وأجازه أبو يوسف في بغداد دون غيرها، وهو قول ابن المبارك، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي لا تجوز الجمعة في البلد الواحد في أكثر من موضع واحد، وروى أيضاً عن أحمد مثل ذلك. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقام الجمعة إلاَّ في المسجد الأكبر الذي يصلي فيه السلطان، والدليل على وجوب اتحاد الجامع مع فعله ﷺ والخلفاء بعده فإنهم لم يقيموا سوى جمعة واحدة ولو جاز لم يعطلوا المساجد، وقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1]، ولا يجوز إثبات الأحكام بالتحكم من غير دليل، فإن صلوا جمعتين في مصر واحد من غير حاجة وإحداهما جمعة الإمام فهي الصحيحة تقدمت أو تأخرت والأخرى باطلة. وإن لم يكن لأحدهما مزية لكونهما جميعاً مأذوناً فهما أو غير مأذون في واحدة منهما فالسابقة بالإحرام هي الصحيحة، لأنها وقعت بشروطها ولم يزاحمها ما يبطلها ولا سبقها ما يغني عنها، والثانية باطلة لكونها واقعة في بلد أقيمت فيه جمعة تغني عن سواها. ويعتبر السبق بالإحرام لأنه متى أحرم في إحداهما حَرُم الإحرام بالأخرى للغنى عنها فإن وقعتا معاً بطلتا، فإن أمكن إعادتهما جمعة فعلوا وإلاَّ صلوها ظهراً، وإن جهلت الأولى بطلتا أيضاً، ويصلون ظهراً. ويحرم إقامة الجمعة والعيد بأكثر من موضع من البلد لغير حاجة ويحرم إذْنُ إمام فيما زاد على قدر الحاجة انتهى، من المغني والشرح[2] الكبير، وشرح الإقناع، والمنتهى[3]، وغيرها من كتب الحنابلة. وعند المالكية إذا تعددت لغير

(١) أخرجه البخاري في باب الأذان عن مالك بن الحويرث (١٦٢/١) وفي كتاب الأدب (١١/٨) الطبعة السلطانية، وأحمد (٥٢/٥) كما تروني أصلي...».

(٢) أي «المغني» للإمام ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد، على مختصر الخرقي، والشرح الكبير على متن المقنع للإمام عبدالرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي ابن أبي عمر.

(٣) هو «منتهى الإرادات» للعلامة الشيخ تقي الدين الفتوحي، وشرح الإقناع أي «كشاف القناع» عن متن الإقناع للعلامة الشيخ منصور البهوتي.

حاجة، فالعتيق هو الذي تصح فيه الجمعة دون غيره، والمراد بالعتيق ما أقيمت فيه الجمعة ابتداءً ولو تأخر بناؤه عن غيره فالجمعة له وإن تأخرت أداءً، والصلاة في الجديد وإن سبقتَ فاسدة ولو صلَّى فيه السلطان ما لم يهجر العتيق، فإن هُجر وصليت في الجديد وحده صحت فيه ما دام العتيق مهجوراً، وإن لم يكن هناك عتيق بأن بُنيا في وقت واحد ولم يصلّ في واحد منهما صح فيما أقيمت فيه الجمعة بإذن السلطان، فإن أقيمت فيهما بغير إذن صحت للسابقة بالإحرام وإن علم وإلاَّ حُكِمَ بفسادها في كل منهما وإعادتهما للشك في السبق جمعة إن كان وقتها باقياً وإلاَّ ظهراً ويجب عندهم توسعة العتيق إن أمكن، انتهى من الدردير وشرح الصغير عليه [1]. وقال في الفواكه الدواني [2] على وجوب اتحاد الجامع فعله ﷺ والخلفاء بعده فإنهم لم يقيموا سوى جمعة واحدة، ولأن الاقتصار على واحدة أفضى إلى المقصود من إظهار شعائر الاجتماع، واتفاق الكلمة، وعند الشافعية، قال في الإقناع [3] من شروط صحة الجمعة أن لا يسبقها ولا يقارنها جمعة في محلها ولو عظم كما قاله الشافعي، لأنه ﷺ وخلفاءه الراشدين لم يقيموا سوى جمعة واحدة، ولأن الاقتصار على واحدة أفضى إلى المقصود من إظهار شعار الاجتماع واتفاق الكلمة قاله الشافعي، ولأنه لو جاز فعلها في مسجدين لجاز في مسجد العشائر ولا يجوز إجماعاً إلاَّ إذا كبر المحل وعسر اجتماعه في مكان واحد بأن لم يكن في محل الجمعة موضع يسعهم بلا مشقة ولو غير مسجد فيجوز التعدد للحاجة بحسبها، فإن تعددت لغير حاجة

(١) أي «الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك»، للدردير أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الأزهر الخلوتي المالكي المتوفى سنة ١٢٠١هـ، المتن والشرح كلاهما للمؤلف، وصل في هذا الشرح إلى أثناء باب الجنابة ثم أكمله تلميذه مصطفى العقباوي سنة ١٢٢٠هـ، طبع ببولاق سنة ١٢٨١هـ.

(٢) «الفواكه الدواني على رسالة ابن زيد الفيرواني» في فروع المالكية، طبع في مصر سنة ١٣٣١هـ، للنفراوي، الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم المالكي المتوفي سنة ١١٢٥هـ، إيضاح المكنون (٢/٢٠٠٢) وغيره.

(٣) «الإقناع في حل ألفظ أبي شجاع»، وهو شرح على التقريب أو غاية الاختصار لأبي شجاع الشربيني الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد، كتاب مشهور عند الشافعية.

فالسابقة في الإحرام هي الصحيحة والثانية باطلة، وإن وقعتا معاً أو جهل السبق استؤنفت جمعة إن أمكن، وإلاَّ صلوا ظهراً. وأما الحنفية فقال في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»[1]: تعدد الأماكن التي تصح فيها الجمعة لا يضر ولو سبق أحدهما الآخر في الصلاة على الصحيح، ولكن إذا علم يقيناً من يصلي الجمعة في مسجد أن غيره سبقه من المصلين في المساجد الأخرى فإنه يجب عليه أن يصلي أربع ركعات بنية آخر ظهر فقط انتهى. قال في «رد المحتار»[2] لأن جواز التعدد فيه شبهة قوية لأن خلفه مروي عن أبي حنيفة، واختاره الطحاوي والتمرتاشي وصاحب المختار، وجعله العتابي الأظهر، وهو مذهب الشافعي والمشهور عن مالك، وإحدى الروايتين عن أحمد. وقال السبكي إنه قول أكثر العلماء ولا يحفظ عن صحابي ولا تابعي تجويز تعددها، وقد علمت قول البدائع أنه تجوز في موضعين في ظاهر الرواية لا في أكثر وعليه الاعتماد، وفي شرح المنية[3] أنه أظهر الروايتين عن الإمام، قال في النهر وفي الحاوي القدسي[4] وعليه الفتوى، وفي تكملة الراجي وبه نأخذ ثم قال فهو حينئذ قول معتمد في المذهب لا قول ضعيف، يعني عدم جواز التعدد. وفي الفتح إذا تعددت الجمعة وشك في أن جمعته سابقة أو لا، ينبغي أن يصلي ما قلنا، وأصله أن عند أبي حنيفة لا يجوز تعددها في مصر واحد. وقال في البدائع: إقامة الجمعة في مصر واحد في موضعين فقد ذكر الكرخي أنه لا بأس بأن يجمّعوا في موضعين أو ثلاثة عند محمد، وعند

---

(١) لمؤلفه عبد الرحمن الجزيري، المتوفى ١٣٦٢هـ، وهو متداول.

(٢) «رد المختار على الدر المخار شرح تنوير الأبصار»، يعرف باسم «حاشية ابن عابدين» يحتوي على المسائل الفقهية الحنفية والقضائية، مؤلفه ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز المتوفي سنة ١٢٥٢هـ، وعليه تكملة لابنه علاء الدين المتوفى سنة ١٣٠٦هـ، من أشهر كتب الفروع الحنفية من المتأخرين.

(٣) أي «شرح منية المصلي»، لإبراهيم الحلبي بن محمد المتوفى سنة ٩٥٦هـ وهو صاحب شرحين على منية المصلي: «شرح منية المصلي» (يعرف بإسم حلبي صغير) وهو شرح موجز، و «غنية المتملي في شرح منية المصلي» (يعرف بإسم حلبي كبير) طبع عدة مرات في اسطنبول، وهناك متن منية المصلي لسديد الدين الكاشفاري.

(٤) «الحاوي القدسي» في الفروع الحنفية، للغزنوي جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود المتوفي سنة ٥٩٣هـ.

أبي يوسف روايتان، قال لا يجوز إلاَّ إذا كان بين موضعي الإقامة نهر عظيم كدجلة ونحوه فيصير بمنزلة مصرين، وقيل إنما تجوز على قوله إذا كان لا جسر على النهر فأما إذا كان عليه فلا لأن له حكم مصر واحد، وكان يأمر بقطع الجسر الجمعة حتى ينقطع الوصل، وفي رواية قال: يجوز في موضعين إذا كان المصر عظيماً ولم يُجز في الثالث، وإن كان بينهما نهر صغير لا يجوز، فإن أدوها في موضعين فالجمعة لمن سبق منهما، وعلى الآخرين أن يعيدوا الظهر وإن أدوها معاً أو كان لا يدري كيف كان لا تجوز صلاتهم. وذكر محمد في نوادر الصلاة قال لو خرج الإمام يوم الجمعة للاستسقاء يدعو وخرج معه ناس كثير، وخلّف إنساناً يصلي بهم في المسجد الجامع، فلما حضرت الصلاة صلى بهم الجمعة في الجُبّانة وهي على قد غلوة من مصره وصلي خليفته في المصر في المسجد الجامع، قال تجزؤهما جميعاً، فهذا يدل على أن الجمعة تجوز في موضعين في ظاهر الرواية، وعليه الاعتماد أنه تجوز في موضعين ولا تجوز في أكثر من ذلك، فإنه روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يخرج إلى الجبّانة في العيد ويستخلف في المصر من يصلي بِضَعَفة الناس، وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم ولما جاز هذا في صلاة العيد فكذا في صلاة الجمعة لأنهما في اختصاصهما بالمصر سيان ولأن الحرج يندفع عن كثرة الزحام بموضعين غالباً فلا يجوز في أكثر من ذلك، وما روي عن محمد من الإطلاق في ثلاثة مواضع محمول على الحاجة والضرورة، انتهى. قال في مجمع الأنهر[1]، لأنها من أعلام الدين فلا يجوز تقليل جماعتها وفي جوازها في مكانين تقليلها، وقال في الفتح: وجه رواية المنع أنها سميت جمعة لاستدعائها الجماعات فهي جامعة لها.

فهذه نصوص المذاهب الأربعة، متواطئة من حيث العموم، متفقة على فساد الجمعة مع التعدد لغير حاجة، متركزة في ذلك على فعل النبي ﷺ

(١) «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» للشيخ زاده عبدالرحمن بن محمد المتوفى ١٠٧٨هـ، من كتب الفروع الحنفية.

وخلفائه من بعده، إذ لم يقيموا سوى جمعة واحدة. وكان في المدينة على عهده ﷺ تسعة مساجد سوى مسجده ﷺ ولم يأذن بإقامة الجمعة في واحد منها وأهل ذي الحليفة وقُبا وأهل العوالي وكانت على ثلاثة أميال من المدينة، لم يكونوا يجمّعون في عهده وعهد الخلفاء بعده إلاَّ في مسجده ﷺ، بل روى الترمذي في جامعه عن رجل من أهل قباء قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نشهد الجمعة من قبا)[1]، قال البيهقي «رحمه الله» لم ينقل أن النبي ﷺ أذن لأحد في إقامة الجمعة في شيء من مساجد المدينة ولا في القرى التي بقربها، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وإلى سعد بن أبي وقاص وإلى عمرو بن العاص رضي الله عنهم وهؤلاء هم أمراء الأمصار في عهده يأمرهم باتخاذ مسجد جامع ومسجد آخر للقبائل، فإذا كان يوم الجمعة انضموا وشهدوا الجمعة في مسجدها. وقال الأثرم: قيل لأبي عبدالله: هل تعلم أن أحداً جمّع جمعتين في مصر واحد، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمر رجلاً أن يصلي بِضَعَفة الناس في المسجد، وصلى في الجبّانة أي مصلى العيد، وذلك في العيد، فأما الجمعتين في مصر واحد فلا أعلم أحداً فعله، وجمعة بعد جمعة لا أعرفه، انتهى.

واستمر عمل المسلمين على توحيد الجمعة طيلة القرون الثلاثة المفضلة، ثم إن أول جمعة أُحدِثت في الإسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة على ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد في أيام المعتضد عام مائتين وثمانين هجرية، وسبب ذلك خشية الخلفاء على أنفسهم في المسجد العام فأقاموا جمعة في دار الخلافة من غير بناء مسجد لها، وهذا أول وَهْن دخل على الإسلام، ولما ابتُلي أهل مَرْو في إقامة جمعتين أفتى علماؤها وأئمتها بإعادة الجمعة ظهراً حتماً احتياطاً لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2]، وفي لفظ «من عمل عملاً

(١) سبق الإشارة إليه في هذا الفصل، ص ١٤٧، الحاشية رقم (١)

(٢) متفق عليه.

ليس عليه أمرنا فهو رد». ولهذا قال العلماء العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع في الدين ما لم يأذن به الله، فكل عمل بلا اقتداء مردود على عامله، فإن الله تعالى يُعبد بما شَرع لا بالبدع، والله جل وعلا أمرنا باتباع الرسول ﷺ، والاقتداء به، وأوجب علينا عند التنازع في أمور الدين الرد إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ. وإذا رددنا مسألة توحيد الجمعة إلى الأصل وجدناها ثابتة بالسنة بفعله، وفعل الصحابة، ولم يثبت التعدد، فيتعين حينئذ ما قاله الجمهور من عدم جواز التعدد لغير حاجة، وأما مع الحاجة فيجوز بحسبها فقط. قال شيخ الإسلام في الفتاوى المصرية إقامة الجمعة في المدينة الكبرى في أكثر من موضعين تجوز للحاجة عند أكثر العلماء، وهذا لما بنيت بغداد ولها جانبان أقاموا فيها جمعة في الجانب الشرقي وجمعة في الجانب الغربي، وجوّز ذلك أكثر الفقهاء ثم ذكر الحجة في ذلك، وهو أن علياً رضي الله عنه استخلف من يصلي بِضَعَفة الناس في المسجد صلاة العيد، وهو يصلي بالناس خارج الصحراء بالكوفة، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك وعلى زمن الخلفاء الراشدين. والحاجة، كما لو ضاق الجامع عن أهله، وهم الذين يغلب فعلهم لها عادة ممن تصح منه، كما ذكره غير واحد من محققي الحنابلة والشافعية والمالكية. وقد تقدم أن أبا يوسف «رحمه الله» يأمر بقطع الجسر في بغداد يوم الجمعة وهي في ذلك الوقت أعظم مدينة في الشرق الأوسط، بحيث لا تبلغ الكويت اليوم إلاَّ جزءاً منها، ليفصل المواصلة بين الطرفين كي تصح جمعة كل منهما، وقطع الجسر وتوقيف المواصلة ليس بالأمر الهيّن على الناس عامتهم وخاصتهم، فلو لم يكن مرتكزاً على أصل صحيح لما سكتت عنه المعارضات في زمانه وخرست ألسُن العلماء المعاصرين له، وهم الجَمُّ الغفير وكلهم أو غالبهم في بغداد.

فإن قيل قد ذكرتم قولاً بجواز التعدد مطلقاً في مذهب الأحناف فلم لا يجوز تقليدهم في ذلك، فالجواب لا يجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد في

الدين ما لم يعرف دليله، فقد نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، النهي عن الأخذ بقول أحد في الدين ما لم يعرف دليله والأمر بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفته للسنة، فعلى هذا لا يسوغ لنا أن نحمل أهل الكويت وهم ليسوا بأحناف على قول معارض بغيره ومختلف فيه إلاَّ إذا عرف دليله إما مِنْ فعِل الرسول، أو قوله، أو تقريره ﷺ، أو فعل خلفائه، أو قولهم أو إجماعٍ قولى إذ لا يجوز إثبات الأحكام بالتحكّم من غير دليل. ولهذا قال العلماء: لا يجوز لأحد التمسك بقول في مذهب غيره عار عن الدليل، زد على ذلك أن التعدد ليس بقربة وفضيلة فنحملهم عليه بل هو مناف للقربة لما يترتب عليه من فوات شعار الاجتماع واتفاق الكلمة، ومن وجوب الظهر حتى عند القائلين بالجواز بل يجب أن نحملهم على أصح الأقوال وأقواها سنداً وهو ما عليه الجمهور، لأن الصلاة عبادة هامة وركن من أركان الإسلام يجب الاحتياط والإتيان به على أكمل الوجوه، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. والجمعة إنما سميت جمعة لجمعها الجماعات الكثير بأن يكونوا جماعة واحدة، وهي من أعظم اجتماعات فروض الإسلام، فإنه ليس في الإسلام مجمع أكبر منه سوى الاجتماع في عرفات، وفي تعطيل الناس مساجدهم يوم الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد واستمرارهم على هذا جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن أبْيَنُ بيانٍ وأدل دليل على أن الجمعة خلاف سائر الصلوات، وأنها لا تصلي إلاَّ فيٍ مكان واحد، هذا ولو لم يكن وجوب توحيد الجمعة معلوماً من فعله ﷺ وفعل خلفائه الراشدين ومحكوماً به من قبل الأئمة المجتهدين لكان الواجب الاجتماعي يقضي بذلك ليشعر أهل البلد الواحد أنهم أسرة واحدة، يتزاورون في بيت واحد، أو بقدر ما يسعهم في الأسبوع مرة واحدة، فيتعارفون ويتآلفون، فتجتمع كلمتهم، وتَقْوَى الثقة بأنفسهم، وينظر بعضهم إلى بعض نظر المودة والمواساة، وتزل الضغائن

والأحقاد من صدورهم، إلى غير ذلك من حِكَم جمة وفوائد لا تحصى، ونحن بحاجة ماسة إلى الاجتماع وتوحيد الصفوف، ولسنا بحاجة إلى هذا التفرق البغيض الذي دب إلينا حتى في أفرض الفرائض. ولا حجة مع من قال بتعدد الجمع بدون حاجة تنفيذاً لهمة الشارع في التسهيل على زعمه فمتى كانت همته ﷺ في تبديد صفوف أمته وتفريق جماعتها وتشتيت شملها، إنما همته في هذه المسألة ما رواه مسلم[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحَرّق على رجال يتخلفون عن الجمع بيوتهم»، هذه هي والله همة الشارع التي همها في هذه المسألة إن بدى لأحد أن ينفذها، ولم يقل هممت أن أجعل على أبواب هؤلاء المتخلفين جوامع يصلون بها، ولمّا خَلَت البقاع حول مسجده ﷺ أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم» فقالوا : «ما يسرنا أنا تحولنا» رواه مسلم[2]. فتلك همته ﷺ في المتخلفين، وذا أمره لمن أراد الدنو من المسجد، فهل بقي بعد هذا شبهة لمن يقول بتعدد الجمعة في كل مسجد كسائر الصلوات تنفيذاً لهمة الشارع في التسهيل على هذه الأمة، كلا بل هو قول مردود، ولا يؤيده كتاب ولا سنة، ولا إجماع، ولا قول صاحب، وليس له أثارة من علم، فهلاّ قال بإقامتها لكل أحد في بيته تسهيلاً وتيسيراً، بل التسهيل والتيسير والخير والفلاح في اتباع سنته والتمسك بهديه والاقتداء بأفعاله والاقتفاء لآثاره ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[3]، وقول من قال: إن عَدَمَ تعدد إقامتها في زمنه وزمن

(١) مسلم (٤٥٢/١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) مسلم (٤٦٢/١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه. (٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

الخلفاء بعده لما يتولد من إقامتها في موضع آخر من الاختلاف وخشية الخروج على الأئمة غير مُسلّم، ولو سلم له ذلك بأنها علة مؤثرة في عدم تعدد إقامة الجمعة لتعددت بانتفاء العلة، ولا قائل به من سلف هذه الأمة، فالأحكام لا يجوز إثباتها بالتحكم بغير دليل. ولئن ضاع الأمل في إصلاح هذه العبادة الجليلة على يد مجلس الأوقاف[٢] الغابر، فإني أدعو من الْتَئَمَ بهم هذا المجلس الحاضر في وزارة الأوقاف[١] والشؤون الإسلامية أن يجعلوا نصب أعينهم وهدفهم الوحيد مسألة توحيد الجمعة وإقامتها على الوجه المشروع تلافياً لهذا الخطأ وابتداء بالأهم فالأهم. فإن أهم أعمال هذا المجلس إقامة الصلاة على وجه الصحة، وأما المساجد والأوقاف والموظفين فهي وسائل لإقامتها، فإذا كانت الصلاة فاسدة فمن العبث الاعتناء بهذه الوسائل، فيجب أن تصرف العناية أولاً إلى تصحيح الصلاة التي هي عماد الدين.

«فالدين للمرءِ رأسُ المالِ لا نشبٌ ... يحويه شخص ولا قُعبان من لبن»

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

حررها وكتبها

محمد بن سليمان الجراح الحنبلي

رد العلامة الشيخ عبد الله بن حميد على الرسالة الرابعة من الشيخ محمد الجراح

وهي في الحقيقة رد من الشيخ عبدالله بن حميد على الشيخ محمد الجراح بشأن الرسالة التي كتبها الشيخ محمد عن تعدد الجمعة إلاَّ لحاجة، وقد حازت على إعجاب الشيخ ابن حميد وأثنى عليها ومدحها، ونصها كما يأتي :

من بريده إلى الكويت، ٥/١٠/٧٣ هـ:

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الأحشم محمد بن سليمان بن جراح المحترم، منحه الله الفهم والتوفيق، وأدر عليه سحائب التحقيق، آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فأسأل الله أن يوفقنا وإياكم، ويديم نعمه الظاهرة والباطنة علينا وعليكم، ويثبتنا جميعاً على الإسلام إلى أن نلقاه، كتابكم الشريف، وتسطيركم الرائق المنيف، وصل، وسَرّنا إذ أنبأ بصحتكم واستقامة أموركم، الحمد لله رب العالمين، أحوال أخيكم بحمد الله على أحسن حال وأنعم بال والشكر للمهيمن المتعال، تابع الله على الجميع وافر نعمه، وصرف عنا وعنكم أسباب سخطه ونقمه، وقد تأملنا رسالتكم(١) القيمة في النهي عن تعدد الجمعة إلاَّ لحاجة فألفيناها صحيحة المعاني، مستقيمة المباني، موافقة لما درج عليه سلف هذه الأمة وأئمتها، وما قرره محققوا العلماء، جزاك الله خيراً، ووفقنا وإياكم للعمل بما يرضيه، وجنبنا أسباب سخطه ومناهيه، وجعلنا هداة مهتدين، موفقين لما فيه خيري الدنيا والآخرة، هذا ما لزم، مع إبلاغ السلام الأخ الشيخ عبد الوهاب بن فارس وعبدالرحمن (٢) الدوسري وكافة المحبين

(١) أي رسالة الشيخ في النهي عن تعدد الجمع لغير حاجة التي مر ذكرها.

(٢) مرت ترجمتها ص ٢٩ و ص ٣١.

والأصحاب، كما منا الطلبة والعيال والجماعة بخير وعافية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وهذا يصلكم عن يد الأخ صالح العلي اليحيا ثلاث نسخ من شرح الزاد[1] الطبعة الجديدة واحدة لكم، والأخرى للشيخ عبدالوهاب، والثالثة لعبد الرحمن الدوسري، إن شاء الله تفيدونا عن وصولها.[2]



(١) وقد رأيت عبارة الإهداء التي ذكرها الشيخ عبدالله بن حميد على الصفحة الأولى من كتاب شرح الزد، وانظر ملاحق الكتاب ص ٤٣١.

(٢) عالم الكويت وفقيهها وفرضيتها الشيخ محمد بن سليمان الجراح سيرته ومراسلاته وأثاره العلميّة د. وليد عبد الله المنيس.

١

نصيحة عامة مكتوبة عام ١٢٦١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن محمد بن حميد إلى من يراه من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم للعمل بما يرضاه وجعلنا
وإياهم من صالح عبيده وأوليائه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن الله تبارك وتعالى إنما خلق الخلق إلا
ليعبدوه وحده لا شريك له فهو الذي أوجدهم بعد العدم وامتن عليهم بإدرار النعم وتعبدهم في حالة السراء ليشكروا
كما تعبدهم في حالة الضراء ليصبروا كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون وقد ذم تبارك وتعالى قوما
لم يعرفوا ما تعبدهم الله به في حالتي الرخاء والشدة كما أخبر عنهم بقوله قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون فاعتقدوا أن ما أتاهم من النعم والمصائب إنما هي أمور جرت بها العادة فالمتعين علي و
عليكم العمل بما أمر الله به ورسوله والقيام بتقوى الله تعالى في السر والعلانية وقد رأيتم ما حل بكم من تأخر نزول
الغيث عن إبانه وقحوط المطر وعدم مجيئه في أوانه ولا شك أن سبب ذلك هو شؤم الذنوب والمعاصي
فإنه ما من شر ولا فساد في العالم في أمور دينهم ودنياهم إلا وسببه المعاصي كما أنه ما من خير ديني أو
دنيوي في العالم إلا وسببه طاعة الله وامتثال أمره قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفو عن كثير ومعنى الآية والله أعلم وما أصابكم أيها الناس من مصيبة دينية أو دنيوية في
أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم مما اقترفتموه من الذنوب والآثام قال الحسن البصري رحمه الله
لما نزلت وما أصابكم من مصيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج
عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وقال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون قال بعض المفسرين ظهر الفساد في البر والبحر أي بان النقص في الزروع والثمار و
انقطاع الأمطار عن البراري يعقبه القحط وما ذاك إلا بشؤم الذنوب والمعاصي وقد قال بعض السلف إن الخنافس
والعقارب لتلعن العصاة من بني آدم يقولون منعنا رزق الله وإن الجعل ليموت في جحره من شؤم ذنوب
بني آدم وإن الحبارى لتموت في أوكارها من شؤم ذنوب بني آدم وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع
التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا وما بخس قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين يعني القحط وشدة
المؤنة وجور السلطان وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما لم
تعمل أئمتهم بما في كتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم الحديث وقد رتب الرب تبارك وتعالى العقوبات على
الذنوب وجعل الجزاء من جنس العمل جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
ما من يوم إلا وينادي مناد مهلا أيها الناس فإن لله سطوات ولولا رجال خشع وصبيان رضع و
بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم لرضضتم به رضا ومن الأسباب المقتضية لعدم القطر من
السماء هو كثرة التشاحن والتباغض والتحاسد والملاحات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وتقاطع الأرحام وعقوق الوالدين وشهادة الزور ومن الأيمان الكاذبة وإنكار نعم الله وعدم تقييدها
بالشكر قال الله تعالى وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ومن أعظم الأ
سباب الجالبة للرزق الصدقة والإحسان إلى الفقراء والمحاويج كما قال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين وقال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وقال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة
لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وقال صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا
نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وروي عنه صلى الله عليه وسلم باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها

٥٥

وفي الحديث رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن تستجاب دعوته وتكشف كربته
فليفرج عن معسر وقد وكل الله ملكين يطلعان مع الشمس كل يوم ينشدان اللهم أعط كل منفق خلفا
وأعط كل ممسك تلفا والآيات والأحاديث في فضل الصدقة والترغيب فيها والحث عليها وأنها من
أعظم الأسباب لرفع العقوبات واستجلاب البركات كثيرة جدا ومما ينبغي التنبيه عليه القيام به والحث
عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وفق ما تقتضيه الشريعة الغراء وأنا ملزم أهل النيابة
والحسبة أن يقوموا في ذلك القيام التام ويؤدبوا كل من عرف منه تكاسل عن الصلاة في جماعة
وكل شارب لهذا التنباك الخبيث المسمى بالتتن الذي قد عمت به البلوى فهو لا شك حرام وأنه
مفتاح كل شر ومقدمة لرفع عرق بشربه أو بيعه فلا بد من تأديبه وتعزيره ليحصل في
المسكر وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مخدر ومفتر وهو لا يورث صاحبه الا شرا كيبس
الدماغ واسوداد الشفتين واصفرار الأسنان ونتن الرائحة وسد العروق فلا يأكل عرق
ينسد بسبب هذا الدخان الخبيث فلا يأخذ من الغذاء ما كان يأخذه قبل ويورث أيضا
ارتعاش البدن والكسل المفرط والنوم الكثير ويتولد منه علل كثيرة وأمراض لا يعلمها إلا من
له بصر وبصيرة نافذة ويتعين أيضا على كل إمام مسجد أن يعلم جماعة مختصر ثلاثة الأ
صول ولا يعذر أحد بترك هذا الوجوب على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى و
لا لأحد في ذلك عذر ثم ان المسلمين قد عزموا على الاستسقاء يوم الجمعة المقبل الموافقة
لأول جمعة من شهر ذي الحجة نسأل الله تعالى غيثا للعباد والبلاد وأن لا يؤاخذنا بسيئات
أعمالنا وأن يرزقنا توبة صادقة نصوحا تقتضي رضاه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة
جدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٦١
١٠ / ٢٣ / ١

(١) هذه نصيحة وجهها الشيخ عبدالله بن حميد «رحمه الله تعالى» لما كان قاضياً في المجمعة في سنة ١٣٦١هـ بشهر رمضان إلى سكان أقليم سدير تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بين الناس والمحافظة على الصلاة جماعة والتأكيد على حضورها في المساجد، كذلك التحذير الشديد من أكل الربا وعظم خطره على الناس، وأتى الشيخ «رحمه الله» يسرد الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة في تحريم الربا. وعقب الشيخ بعد ذلك نصيحة خاصة إلى التجار ومتعاطي البيع والشراء في الأسواق أن يتعلموا أحكام البيع والشراء لئلا يقعوا في المعاملات المحرّمة، وكذلك اجتناب شهادة الزور وإن المسلم لا يشهد إلا بما يعرف ويعلم علم اليقين. وشدد الشيخ على ضبط المكاييل والموازين بدقة متناهية وعدم الغش فيها وحشد الأدلة القرآنية والحديثيَّة على تحريم التقصير في المكيال، وذكر «رحمه الله» قصصاً ونهايات لبعض التجار الذين يغشون في المكيال عن نهايتهم السيئة وخاتمتهم المشينة عندما حضرهم الموت بسبب غشهم في المكيال. ولحرص الشيخ «رحمه الله» على ضبط المكيال والميزان في القرى كَّلف رجلين بمن يثق بهما الشيخ وهما الشيخ الواعظ الفصيح عثمان بن إبراهيم بن سليمان ت ١٣٧٤هـ «رحمه الله» وشخص آخر اسمه محمد بن بدر يعظان الناس ويتابعا ضبط الموازين ببالغ الدقة ويكون أمير البلد معهما بحيث إذا وجدا ميزاناً فيه غش ونقص يقومان بكسره واتلافه. رحم الله شيخنا ابن حميد فانه كما كان حريصاً على أمور الناس الدينيَّة فهو كذلك لا يغفل عن معاش الناس الدنيوي فهو رجل يجمع بين معاش الدنيا وزاد الآخرة. وهذه الكلمة التوجيهيَّة بخط الشيخ عثمان النجران كاتب الشيخ عبد الله بالمجمعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد الى من يراه من المسلمين سلك الله بنا وبهم سبيل الرشاد ووقانا واياهم من طرق الغي واسباب الفساد
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله تعالى والتذكير بنعمه واياه فإن [illegible]
ثم من المصالح الكليات والجزئيات ما لا يحيط به الا الله ففي الحديث ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع الا بتوبة وقد
[illegible] ما حل بكم من جدب الارض وعدم القطر من السماء فما ذاك الا بسبب الذنوب والمعاصي فالواجب التنبيه عليه
[illegible] بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible] ذلك على الوجه المشروع لقد قال الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم
وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا واما الاحاديث فقد جاء عن ام
سلمة رضي الله عنها عن احمد والطبراني انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم
الله بعقاب من عنده قالت قلت يا رسول الله اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قالت فما يصنع بهم قال يصيبهم
ما اصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان [illegible]

[illegible]

وحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلاثة في قرية ولا بدو
لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية
وأن ذئب الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال بحسب المؤمن من الشقا
والخيبة أن يسمع المؤذن يثوب إلى الصلاة فلا يجيبه والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً ولما يجب
التنبيه عليه أيضاً أداء الزكاة لمن وجبت عليه فإنها أحد أركان الإسلام الخمسة كما دل على ذلك الكتاب
والسنة وقد ذم الله من لم يؤد زكاة ماله وتوعده بالعقوبة كما قال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت
له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار الحديث وأما
صدقة التطوع فقد حث الله عليها في كتابه ورغب كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه
له أضعافاً كثيرة وقال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم من
نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه
في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء والآيات والأحاديث
في فضل الصدقة والحث عليها والترغيب فيها كثيرة جداً واعلموا رحمكم الله أنه لما تأخر نزول المياه وقلت الأمطار
وأجدبت الأرض أمر الإمام حفظه الله على المسلمين بالاستسقاء يوم السبت نرجو الله تعالى أن لا يؤاخذنا
بسيئات أعمالنا وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يجعلنا وإياكم من الذين يخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible] ٢٢ / ذي القعدة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن محمد بن حميد إلى من يراه من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم للعمل بما يرضاه وجعلنا
وإياهم من صالحي عباده أوليائه آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن الله تبارك وتعالى إنما خلق الخلق إلا
ليعبدوه وحده لا شريك له فهو الذي أوجدهم بعد العدم وامتن عليهم بإدرار النعم وتعبدهم في حالة السراء بالشكر
كما تعبدهم في حالة الضراء بالصبر كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون وقد ذم تبارك وتعالى قوما
لم يعرفوا ما تعبدهم الله به في حالتي الرخاء والشدة كما أخبر عنهم بقوله قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون فاعتقدوا أن ما أتاهم من النعم والمصائب إنما هي أمور جرت بها العادة فالمتعين علينا و
عليكم العمل بما أمر الله به ورسوله والقيام بتقوى الله تعالى في السر والعلانية وقد رأيتم ما حل بكم من تأخر نزول
الغيث عن إبانه وقحوط المطر وعدم مجيئه في أوانه ولا شك أن سبب ذلك هو شؤم الذنوب والمعاصي
فإنه ما من شر ولا فساد في العالم في أمور دينهم ودنياهم إلا وسببه المعاصي كما أنه ما من خير ديني أو
دنيوي في العالم إلا وسببه طاعة الله وامتثال أمره قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفو عن كثير ومعنى الآية والله أعلم وما أصابكم أيها الناس من مصيبة دينية أو دنيوية في
أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم بما اقترفتموه من الذنوب والآثام قال الحسن البصري رحمه الله
لما نزلت وما أصابكم من مصيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج
عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وقال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون قال بعض المفسرين ظهر الفساد في البر والبحر أي بان النقص في الزروع والثمار و
انقطاع الأمطار عن البراري يعقبه القحط وما ذاك إلا بشؤم الذنوب والمعاصي وقد قال بعض السلف إن الخنافس
والعقارب لتلعن العصاة من بني آدم تقول منعنا رزق الله وإن الجعل ليموت في جحره من شؤم ذنوب
بني آدم وإن الحبارى لتموت في أوكارها من شؤم ذنوب بني آدم وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع
التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا وما بخس قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين يعني القحط وشدة
المؤنة وجور السلطان وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما لم
تعمل أئمتهم بما في كتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم الحديث وقدر الرب تبارك وتعالى العقوبات على
الذنوب بل جعل الجزاء من جنس العمل جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
ما من يوم إلا وينادي مناد مهلا يا أيها الناس مهلا فإن لله سطوات ولولا رجال خشع وصبيان رضع و
بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم لرضضتم به رضا ومن الأسباب المقتضية لعدم القطر من
السماء هو كثرة التشاحن والتباغض والتحاسد والملاحاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و
تقاطع الأرحام وعقوق الوالدين وشهادة الزور والأيمان الكاذبة وانسداد نعم الله وعدم تقييدها
بالشكر قال الله تعالى وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ومن أعظم الأ
سباب الجالبة للرزق الصدقة والإحسان إلى الفقراء والمحاويج كما قال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين وقال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وقال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة
لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وقال صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا
نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وروي عنه صلى الله عليه وسلم باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها

وفي الحديث ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته
فليفرج عن معسر وقد وكل الله ملكين يطلعان مع الشمس كل يوم يقولان اللهم اعط كل منفق خلفا
واعط كل ممسك تلفا والايات والاحاديث في فضل الصدقة والترغيب فيها والحث عليها وانها من
اعظم الاسباب لرفع العقوبات واستجلاب البركات كثيرة جدا ومما ينبغي ايضا القيام به والحث
عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وفق ما تقتضيه الشريعة الغرا وانا طالب من اهل النيابة
والحسبة ان يقوموا في ذلك القيام التام ويؤدبوا كل من عرف منه تكاسل عن الصلاة في جماعة
وكل شارب لهذا التنباك الخبيث المسمى بالتتن الذي قد عمت به البلوى وهو لا شك حرام وانه
مفتاح كل شر ومقدمة له فمن عرف بشربه او بيعه فلا بد من تأديبه وتعزيره لدخوله في
المسكر وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مخدر ومفتر وهو لا يورث صاحبه الا شرا كيبس
الدماغ واسوداد الشفتين واصفرار الاسنان ونتن الرائحة وسد العروق لان كل عرق
ينسد بسبب هذا الدخان الخبيث فلا يأخذ من الغذاء ما كان يأخذه قبل ويورث ايضا
ارتعاش البدن والكسل المفرط والنوم الكثير ويتولد منه علل كثيرة وامراض لا يعرفها الا من
له بصر وبصيرة نافذة ويتعين ايضا على كل امام مسجد ان يعلم جماعته مختصر ثلاثة الا
صول ولا يعذر احد بترك هذا لوجوبه على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى و
لا لاحد في ذلك عذر ثم ان المسلمين قد عزموا على الاستسقا يوم الجمعة المقبل الموافقة
لاول جمعة من شهر ذي الحجة نرجو الله تعالى يغيث العباد والبلاد وان لا يؤاخذنا بسيئات
اعمالنا وان يرزقنا توبة صادقة نصوحا تقتضي رضاه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة
جدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٦١
٣ / ١٢

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى جناب الملا الأكرم المحتشم محمد بن عبد الرحمن بن ربيعه سلمه الله تعالى وأسبغ عليه نعمه وولي آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالداعي لرقمه وتحريره هو بلاغكم جزيل السلام مع السؤال عن الأحوال لا زالت أحوالكم بخير وعافيه
أحوالنا بحمد الله على ما تحبون جعلنا الله وإياكم لنعمه شاكرين كذلك سلمك الله بلغنا وفاة أحمد بن زكري رحمه الله ولنا عنده بعض أغراض
البيت فإن شاء الله تقبض الجميع وتبيعه بارك الله فيك وهي صينيه وسراجين و مداد وبساطين وزوليه صغيره وأظنه قد
باعها فإن سلمها لك مع الأغراض وإلا فاتركها وكذلك أشيا أخر من أغراض البيت غير ما ذكرنا وإن سلموها فهو المطلوب وإلا
فتساهل معهم فيها وأيضا ما ثنيت ريالا فإن شاء الله تحرص على قبض الجميع وتبيعه كما قد ذكرنا أعلاه وترسل القيمه مع الدراهم
المذكوره لمحمد بن دهيش العقال في المجمعه هذا ما لزم مع إبلاغ جزيل السلام الشيخ سليمان بن سلطان وأحمد وناصر الزيد وحماد الحيدب وكافة
الجماعة كما منا العيال بخير وعافيه وأنت في حفظ الله والسلام وإذا أردتم أن تكتبوا لنا كتابا فأرسلوه لعقيل بن [illegible]

أقر محمد بن عبد الرحمن بن حماد بن ربيعه بحسب وكالته من جهة الشيخ عبد الله بن حميد بأنه قبض من وكيل أحمد بن زكري البراهيم
بن عبد العزيز ما واصل حسب أمر الشيخ صينيه وسراجين وبساطين وبقي مداد لا غير شهد على ذلك عثمان
بن عبيد وعبد الله بن محمد وإبراهيم بن عبد اللطيف وحمد بن ... وشهد به وكتبه أحمد بن عبد العزيز بن سلمان
وصلى الله على محمد ١٣٦٥

الموجب ... بأني أفتيت في الصبرة الثابتة في طالعة
آل سويدان وعلى الحق لإمام مسجد العود وصوابه
بأنها تكون قادمة في الأرض ونصيب أهل الأصل من
النخل لأنها صبرة مشروطة في أصل الأرض قبل أن
تغرس فاستحقت التقديم وإذا لم يرح بباقي
الأرض فيؤخذ منه نصيب أهل الأصل في النخل قاله
مليه عبد الله بن عبد العزيز العنقري وكتبه من إملائه ابنه
محمد وصلى الله على محمد وسلم ١٣٥٢ [illegible]
٢٩ [illegible] وعليه ختم والده الشيخ عبد الله بن عبد العزيز
العنقري [illegible] أحمد بن عبد العزيز بن سلمان [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به الأخ عثمان بن منصور بن سويدان بعد
السلام [illegible] من أهل الطالعة [illegible]
بعشرين صاع عيش [illegible]
تحتسب كل [illegible]
والصواب [illegible] على أصل الأملاك [illegible]
قاله مليه عبد الله بن محمد بن حميد وكتبه من إملائه [illegible]
بن محمد آل فالح وصلى الله على محمد ١٣٦١ بسم الله الرحمن الرحيم
٢٧ محرم

وليعلم أن الصبرة المسبلة في [illegible] طالعة آل سويدان
سبعة وعشرون صاع بر وإنما ذكر أعلاه من
العشرين فقط لأن السبعة قد [illegible] الوكيل في
تلك السنة إملاء من سبق وكتبه من إملائه
عثمان بن محمد بن نجران وصلى الله على محمد ... شوال
١٣٦١ ونقل من خط [illegible] محمد آل فالح من خط
عثمان بن محمد بن نجران وذلك بأمر مليه الشيخ
المكرم عبد الله بن محمد بن حميد وعليهما ختمه الفقير
إلى ربه [illegible] أحمد بن عبد العزيز بن سلمان وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٦١
١٨ شوال

بسم الله الرحمن الرحيم

ما نقله الأخ أحمد بن عبد العزيز بن سلمان صحيح مطابق
للأصل [illegible] له [illegible] هذه النسخة عند
الوكيل المذكور أعلاه قاله مليه الفقير إلى الله
عبد الله بن محمد بن حميد وكتبه من إملائه عثمان بن محمد
بن نجران وصلى الله على محمد وآله ١٨ شوال ١٣٦١

محتويات الكتاب

مطابع الحميضي ت: ٤٥٨١٠٠٠ ف: ٤٥٩٢٢١٧ الرياض